الجمهوريّة الجزائرية الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسنطينة

كلية أصول الدين

قسم الكتاب والسنة

الرقم التسلسلي:

تخصص: التفسير وعلوم القرآن

رقم التسجيل:

القيم الإنسانية القرآنية في التفاسير المعاصرة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ل م د

تخصص التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:

فيصل بوطالبي

إشراف الأستاذ:

د. عبد العزيز ثابت

أعضاء المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
د. رضوان لخشين	أستاذ محاضر أ	رئيسا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
د. عبد العزيز ثابت	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
د. مراد خنيش	أستاذ محاضر أ	عضوا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
د. عبد القادر شكيمة	أستاذ محاضر أ	عضوا	جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي
د. عباس منصر	أستاذ محاضر أ	عضوا	جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي
د. أحمد بلبية	أستاذ محاضر أ	عضوا	جامعة الحاج لخضر باتنة 01

السّنة الجامعيّة 1444/1443هـ -2022/ 2023م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهداء

إلى اللذين تعلقت قلوبهم بكتاب الله -عزوجل- حفظا لآياته وتدبرا لمعانيه

إلى اللذين التمسوا المنهج القويم -منهج أهل السنة- لتفسيره وتدبره...

إلى اللذين ربياني صغيرا... اللذين آثرا تعليم أبنائهما على كل غال ورخيص ... ولما كان الولد من كسب أبيه أرجو أن يكون ثواب هذا العمل في ميزان حسانات والدي -رحمه الله- وفي ميزان حسنات أمي -حفظها الباري-

إلى المؤنسة الغالية زوجتي: سهام بجرو

إلى أختي الكريمتين: سارة وأسماء

إلى رفقاء طريقي إخوتي: وليد وأسامة وإلياس وحمزة

إلى منارات طريقي معلميَّ وأساتذتي ....

وإلى كل ناصح لي يريد الله والدار الآخرة...

أهـــــدي هـــــــذا الجـــهد

فيصل بوطالبي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكـر وتـقـديـر

أرى من الواجب علي وأنا أقدم بحثي هذا، أن أسارع وأبادر إلى تقديم شكري الخالص لأستاذي الفاضل **الدكتور عبد العزيز ثابت** -حفظه الله- لتكرمه بقبوله الاشراف على بحثي هذا، فقد فتح لي قلبه الكبير، وزودني بتوجيهاته العلمية المفيدة، وملاحظاته القيمة، كل ذلك بعناية فائقة، مع رحابة صدر، ووجه طلق، وأخلاق رفيعة، فلهذا فأنا مدين له بتقديم جزيل شكري وتقديري داعيا له بطول العمر، ودوام الصحة والعافية، ليبقى علما من أعلام هذا الدين يخدمه ويخدم أبناءه، فجزاه الله عنا خير الجزاء. كما أتقدم بجزيل شكري للأساتذة الأفاضل أعضاء اللجنة المشرفة على المناقشة لما بذلوا ويبذلون من توجيهات وتصويبات ترفع من شأن البحوث بإذن الله. وفي الأخير أتقدم بشكري لجامعة الأمير عبد القادر الموقرة، ممثلة برئيسها وعميد كلية أصول الدين ، وجميع العاملين فيها، راجيا لها أن تبقى صرحا شامخا، ومنارة للعلم والتعلم، تعطي بلا حساب، لينهل منها طلاب العلم، من العلوم النافعة، ما يجعلهم قادرين على تحمل مسؤولياتهم اتجاه دينهم ووطنهم.

الملخص:

يبرز هذا البحث أصالة القيم الإنسانية في القرآن الكريم من حيث المبدأ والجوهر وإن كان ظهور علم القيم متأخرا من حيث التأصيل والتقعيد، فالقيم بالدرجة الأولى هي قيم قرآنية؛ القرآن الكريم ينبوعها الصافي ومن مقاصده تستمد مقاصدها ومن خصائصه تكتسب خصائصها، فكان عنوان البحث في شطره الأول: القيم الإنسانية القرآنية. وللبرهنة على هذه المسلمة المفصلية في علم القيم اعتمد الباحث على التفاسير المعاصرة للقرآن الكريم، بين الباحث من خلالها مدى كون علم القيم هو علم من العلوم التي تضمنها القرآن الكريم وبينها أحسن بيان، وبين أن مفردات علم القيم –سواء في جانبها النظري الفلسفي أو في جانبها العملي السلوكي– هي من الأدوات التي يستعملها المفسر في بيانه لمعاني القرآن الكريم وبيان كونه الركيزة الكبرى للصلاح والإصلاح في دنيا الناس على مر الأزمان وتبدل الأحوال، والقيم –من جهة نظر أخرى– هي التي تعكس مزايا الكتاب العزيز وتبين وجها من وجوه الاعجاز فيه. واختار الباحث القيم الكبرى التي تحفل بها الإنسانية –قيم الحق وقيم الخير وقيم الجمال–لتكون محل الدراسة. فكان عنوان البحث في النهاية: **القيم الإنسانية القرآنية في التفاسير المعاصرة**.

الكلمات المفتاحية: القيم –الإنسانية– القرآن– التفسير– التفاسير المعاصرة

Abstract

This research highlights the human values in the holy Quran in terms of principle and essence, although the late emergence of this science in terms of rooting and studies. The human values are primarily Quranic values where they get its principles, purposes and properties from the holy Quran principles, purposes and properties, therefore, the research title in its first part was Quranic human values. To prove this fundamental axiom in the science of values, the researcher relied on modern and contemporary interpretations of the Holy Quran and through it, the researcher highlights the extent to which the science of values is one of the sciences included in the Holy Qur'an, and that the best explanation of human values is within it. Moreover, he proves that the terms of human values sciences; in their theoretical and philosophical aspects and in their behavioral practical aspects; are parts of the tools used by holy Quran interpreters in their explanation of the meanings of the Holy Quran, and their proof that the holy Quran is the major support of righteousness and reform in the world of people over time and the change of conditions. From another point of view, the human values reflect the great advantages of the holy Quran and show one of the aspects of its miraculousness. The researcher chose the great values that humanity is full of - the values of truth, the values of goodness, and the values of beauty - to be the subject of study. In the end, the title of the research was **Quranic Human Values in Modern and Contemporary Interpretations**.

Key Words

Human- Values- Quran- Interpretation- Modern and Contemporary Interpretations.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Résumé

Cette recherche met en évidence l'originalité des valeurs humaines dans le Saint Coran en termes de principe et d'essence, bien que l'émergence de la science des valeurs ait été tardive en termes d'enracinement et de fixation de règles. Les valeurs humaines en premier lieu sont des valeurs coraniques. Le Saint Coran est sa source pure, et de ses buts il tire ses buts, et de ses caractéristiques il acquiert les siens, ainsi le titre de la recherche dans sa première partie était : Valeurs humaines coraniques. Afin de prouver cet axiome pivot dans la science des valeurs, le chercheur s'est appuyé sur des interprétations contemporaines du Saint Coran, à travers lesquelles le chercheur a montré à quel point la science des valeurs est l'une des sciences incluses dans le Saint Coran que les a expliqué de la meilleure façon. Il a montré que le vocabulaire de la science des valeurs, que ce soit dans son aspect théorico-philosophique ou dans son aspect comportemental-pratique, est l'un des outils que l'interprète utilise pour expliquer les significations du Saint Coran et expliquer qu'il est le grand pilier de la justice et de la réforme dans le monde des gens au fil des temps et des conditions changeantes, et les valeurs d'un autre point de vue sont celles qui reflètent les avantages du cher livre et montrent une facette du miraculeux en lui. Le chercheur a choisi les grandes valeurs dont l'humanité regorge : les valeurs de vérité, les valeurs de bonté et les valeurs de beauté - pour faire l'objet de l'étude, alors le titre de la recherche était finalement : Coranique humain valeurs dans les interprétations contemporaines.

Mots clés

Humain- Valeurs- Qoran- Interprétation- Interprétations contemporaines.

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

إنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، ونعوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مضلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أن لاَ إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران:102]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [سورة النساء:1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:70-71].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الكَلامِ كَلامُ اللَّه، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خلق الله الانسان في أحسن تقويم وصوره في أحسن صورة واستخلفه في الأرض واصطفاه بالعقل وزكى روحه لترتقي في درجات الكمال وجعل في طبعه وجبلته التطلع إلى سر الوجود والعلة من وراء كل هذا الموجود الذي يعيش فيه وبه يحيط مما يبصره ومما لا يبصره! وخلق الانسان وفي أعماق نفسه حب الخير والأنس به والسكينة له–يجد ذلك ضرورة وجبلة–، والاجتماع على العدل والوفاء والإحسان ... وخلق الانسان وفي وجدانه الإكبار للجمال والهيام به والسعي له تحصيلا وتحقيقا ... وتلك هي الحياة الكاملة؛ الحياة المثلى! وهي الحياة التي تجسد المعاني التي نمت بذرتها –الموجودة في الفطرة والوجدان–في تصورات عقلاء الناس؛ فبدءا من الفطرة التي فطروا عليها منذ النشأة الأولى لأبيهم آدم ﷺ، وأخذت تنتظم معهم في حياتهم الاجتماعية ونظرياتهم الفلسفية طورا بعد طور في كل محطات حضارات الانسان وتاريخ عمرانه على الأرض. هي حياة ترجمت في تصورات قادة الأمم ومفكريها –واقعا وآمالا–في أسفارهم وكتبهم، وترجمها آخرون في سيرهم وآدابهم فكانوا هم الأسوة والمثل الذي يقتدى به. هي الحياة في ظل القيم والمثل. ومن رحمة الله وكمال تكريمه للإنسان أن لم يتركه في الأرض سدى وهملا تعبث به الشياطين تأزه إلى الشر أزا وتتقاذفه الأهواء ترمي به في لجج الباطل والشر؛ بل أرسل في الناس رسلا منهم حقيق عليهم أن لا يقولوا على الله إلا الحق، وحري بهم أن يعلموا الناس الخير ليخرجوهم من ظلمات الأهواء إلى نور من رب العالمين ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [سورة النساء:165]، وأرسل الله جل وعلا محمدا ﷺ خاتما للنبيئين ورحمة للعالمين، وأنزل معه الكتاب هدى للناس ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [سورة ص:29]، ومن بركة الكتاب المنزل على نبينا محمد ﷺ أن كانت علومه لا تنضب ومعجزاته للناس لا تزال تتراءى للناظرين جيلا بعد جيل، يقيم البينات على الحق الذي فيه، كتاب محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه يأتي بالفصل المبين بين الخير وبين ما عداه ويكسوا الناس جماعات ووحدانا –بل ويكسوا الكون– جمالا من نوره الذي هو نور الله رب العالمين.

جعل الله الانسانية تكرمة لبني آدم ولا يشك عاقل –عارف بأحوال العالم اليوم– أن هذه الإنسانية تعاني مشكلات في شتى جوانبها وفي كل معانيها، وذلك أثر من التحولات الكبرى في العصر الحديث في الفكر و العقيدة والثقافة الإنسانية العالمية ... والكون بأسره اليوم يعاني آثار تحولات

كبرى في كل الميادين، وفي خضم تلك التحولات التي هي كالظلمات تطغى على الإنسانية ليس للبشرية إلا القيم الإنسانية القرآنية قبس من نور القرآن نور من رب العالمين يهدي به البشر سبل السلام نور من الحق المبين كما كان على مر الزمن وتغير الأحوال ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة المائدة:15]، ودراسة القيم الإنسانية القرآنية هي في الحقيقة تبّصر المنهج القرآني في إدراك سر الوجود –وجود الانسان والكون- والغاية من ذلك الوجود ومعرفة المعنى الحقيقي من وراء إنسانية البشر وتميزهم عن غيرهم من المخلوقات، ثم معرفة ما تمليه تلك الحقائق القرآنية الإنسانية على ضمير الإنسان ووجدانه لتلزمه الخير ويدرك بكليته الجمال فيما حوله وفيما هو فيه، ويعلم يقينا أنه جمال مربوط الصلة ووثيق المصدر بالجمال الإلهي ...النور الإلهي ... ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [سورة الأنعام:122]، ولأجل هذا المعنى كان من دعاء النبي –القدوة الحسنة- ﷺ: ((اللهم اجعل لي نورا في قلبي، واجعل لي نورا في سمعي، واجعل لي نورا في بصري ! واجعل لي نورا عن يميني، ونورا عن شمالي ! واجعل لي نورا بين يدي، ونورا من خلفي ! وزدني نورا!)) [متفق عليه]، القرآن الكريم يضفي على شخصية المسلم القرآني في وجدانه وكيانه وتفكيره وسلوكه روحا هي في الحقيقة نور يملؤ ظاهره وباطنه من نور الله سبحانه جل في علاه ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة النور:35].

أولا: عنوان البحث

القيم هي الجامع المشترك أو هي المشترك الإنساني بين مختلف الشعوب والأمم التي من خلالها يتجسد مبدأ التعارف والتعايش الإنساني المشار إليه بقول الله عزوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ [سورة الحجرات:13]، هي التي تتجلى فيها إنسانية بني آدم وهي التي يسمو بها عن عالم الحيوانية والبهيمية ويأخذ بقبس من حياة يملؤها النور الإلهي الذي أكرم الله به بني آدم، وما من تعاليم ولا كتب ولا غيرها بأفضل ولا أكمل للإنسان من كتاب الله يقتبس منه نورا يهتدي به إلى تلك المعاني الإنسانية؛ فالله هو الذي خلقه وبرأه وفطره على أكمل هيئة وأرسل رسله تترى ليكشفوا للناس سر وجودهم على الأرض وغايتهم التي إليها يسيرون وعلى نهجها سالكون، قال الله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [سورة الشورى:52]، ومن أجل إبراز هذه المعاني والبرهنة على هذه القضايا في ضوء القرآن الكريم وتفاسيره كان عنوان البحث كالتالي:

(القيم الإنسانية القرآنية في التفاسير المعاصرة)

أما عن حدود عنوان البحث فبيانها كما يلي:

1. **القيم الإنسانية:** والمقصود بهذا المصطلح ما هو معروف عند أهل الفن مما سيأتي إيضاحه.
2. **القرآنية:** وهذا قيد أريد به التخصيص والتشريف، أما التخصيص فيراد به إبعاد ما هو من القيم في الثقافات الأخرى وهو ليس كذلك في القرآن الكريم، وأما التشريف فظاهر في نسبة القيم إلى كلام الله تبارك وتعالى، وسيأتي بيان وشرح لهذا في ثنايا البحث.
3. **التفاسير المعاصرة:** فالمقصود منها ماكتبه وألفه علماء الأمة الإسلامية في العصر الحديث منذ الثورة الفرنسية إلى يوم الناس هذا.

ثانيا: إشكالية البحث

جمعية الإمام عبد الحميد بن باديس للعلوم الإسلامية

لإبراز إشكالية الموضوع بشكل دقيق أود أن أبين أولا مسوغات البحث فيه فأقول –وبالله التوفيق–؛ أن هذه المسوغات تظهر في النقاط التالية:

– يعد علم القيم من العلوم الاجتماعية التي فرضت نفسها على الساحة الثقافية في سائر أنحاء المعمورة وفي العالم الإسلامي على وجه الخصوص فوجب عرضه على القرآن الكريم وما يستنبطه منه أهل العلم بتفسيره، مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [سورة النساء:83].

– تعلق هذه الدراسة بواحدة من أهم مقاصد القرآن الكريم وهو صلاح الفرد الانساني وصلاح تكوينه الاجتماعي وقيامه بدوره العالمي في الحياة.

– ما يتعرض له القرآن من محاولة لفصله عن مختلف جوانب الحياة العلمية والثقافية والاجتماعية عند بعض الكتاب والباحثين، فلا أثر له في تنظيم الحياة في العصر الحديث.

– المشكلة المنهجية بالنسبة للتفسير في عصره الحديث في هذا المجال العلمي: أن المفسرين أثاروا مباحث هذا العلم هنا وهناك في تفاسيرهم وهذه الإثارات لم تنتظم لتصبح علما قرآنيا يعتبر مصدرا من مصادر علم الاجتماع الإسلامي.

– وفي هذا الصدد يقول الدكتور –محمد المبارك–: «لقد جرينا نحن المسلمين في العصور الأخيرة على أن نتخذ من القرآن مصدرا لعقائدنا وأحكام عبادتنا وقواعد أخلاقنا ومبادئ تشريعنا. أما اتخاذه مصدرا للثقافة والفكر لتكوين مفاهيمنا وتصوراتنا عن الوجود: الكون، الانسان وأساسا ومنطلقا للعلوم الإنسانية ومصدرا لمقاييس الحق و الخير و الجمال فقد كنا بعيدين عنه في العصر الحديث. فقد أقصيناه عن ميادين العلوم الإنسانية من الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع ... »[1]

---

(1) "القرآن مصدر للثقافة والفكر ومنطلق للعلوم الإنسانية/م حاضرات ومناقشات ملتقى الفكر الإسلامي الخامس عشر/ كتاب الأصالة"، الجزائر العاصمة، 02-08 ذي القعدة 1401هـ / 01-07 سبتمبر 1981، (177/4).

- على أساس النقاط السابقة؛ وددت أن تكون رسالتي في الدكتوراه في هذا الموضوع، وأحاول قدر الجهد أن يكون بناؤها على أساس حجج علمية نقلية –في مقدمتها الكتاب والسنة وأثر سلف هذه الأمة–، وعقلية –جمعت فيها ما استطعت من مناقشات علماء هذه الأمة لهذه المسألة من مختلف المصادر–، وليس لي فيها إلا الجمع والمقارنة والترتيب والتنسيق، كما سأبينه بعد.

فجاء هذا البحث لإبراز النظرة القيمية للقرآن الكريم، وعليه فالإشكال المطروح في هذه الدراسة يتمثل في السؤال المركزي الآتي:

ما الفائدة التي يمكن أن تقدمها لنا التفاسير المعاصرة في صياغة نظرية قيمية قرآنية تساهم في معالجة موضوع القيم ومختلف المشكلات المتعلقة به؟

ويمكن معالجة هذا الاشكال على مراحل بالاجابة عن الأسئلة التالية:

هل القيم بمفهومها الفلسفي والعلمي من ضمن ما جاء به القرآن من علوم ومعارف؟ وكيف هي تجليات هذه القيم في كتب المفسرين المعاصرين؟

هل في التفاسير المعاصرة مقاييس معتبرة للحق والخير والجمال التي تعتبر أركان القيم الإنسانية في جميع الفلسفات؟

هل يمكن بناء وصياغة نظريات في القيم الإنسانية القرآنية بالاستناد إلى التفاسير المعاصرة؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا: أهمية البحث

تعتبر القيم الإنســانية من أهم الموضــوعات العلمية والفلسـفية والثقافية، حيث إن كل الناس بمختلف مستوياتهم الثقافية تحاول الاصـطباغ بالقيم ثقافة وسـلوكا، وترسيخ مفهوم القيم من خلال القرآن الكريم هو رسم لأسمى صور القيم إذ هو أسمى كتاب عرفته البشرية، ومن هذا المنطلق بدت لي أهمية البحث؛ في أن الباحث فيه والقارئ فيما كتب عنه؛ يفيد معلومات مرتبة موثقة عن موضـــوع ذي بال لكل فرد مسلم في ظل هذه الصراعات الحضارية والعقدية الكبرى في العالم، ليصون المرء دينه من أن تتلفه الشـبهات وتنقص من قدره المعضــلات. فكل ما كتبه المفسـرون بخصـوص ما ورد في القرآن من قيم إنسانية؛ لم يسبك سبكا منتظما يعبر عن النظريات التي يمكن استخلاصها من القرآن المجيد حول قيمة من القيم الإنســانية بكل ما يحيط بهذه النظرية من تفريعات ومســتلزمات وغيرها....فعنَّ لي في هذا البحث جمع ما دونوه وبعد ذلك سبك درر ما كتبوه مع الترتيب واستنتاج ما يمكن اسـتنتاجه من قواعد قرآنية بخصـوص القيم الإنسـانية، خاصـة مع ملاحظة قلة الدراسـات حول موضوع القيم الإنسانية في الكتاب والسنة اللذين هما ينبوع الإسلام. وموضوع صلاح الانسان شكل قديما وحديثا أكبر قضية فلسفية واجتماعية.

وتبدو أهمية البحث كذلك –من وجهة نظر الباحث- في كون المتخصص في الدراسات القرآنية لابد له من إسهامات في مجال الانتصار للعلوم القرآنية و الانتصار للقرآن الكريم ووجوب اعتماده مصدرا أساسيا من مصادر الثقافة ومختلف العلوم الاجتماعية والنفسية ... و«الأمر هام ويجب أن تقوم به جامعات إسلامية الآن، ويجب أن تختار هذه الجامعات رجالا لهم خبرة بالعلوم الأجنبية وفي الوقت نفسه لهم اطلاع على التراث الإسلامي، ومعهم بعض اللذين لهم خبرات قرآنية ودراسات قرآنية معمقة، كفريق عمل، ومن ثم فالكل يمكن أن يطلعوا لنا بعدة علوم مرة واحدة علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد ...»(1) ويقول صاحب المنار واصفا دور القرآن الكريم في هذه البابة من العلم: «تلك آيات من الحكمة، تتلى على مجتمع هذه الأمة، تنبه فكر الناسي، وتبعث همة الآسي،

(1) محمد الغزالي، "كيف نتعامل مع القرآن؟"، ص170.

وشذرات من معدن العلم السماوي، تُهْدَى إلى معمل الفكر الإنساني، ليصوغ منها عقودًا، ويضرب منها نقودًا، تتحلى بها أجياد العقائل العواطل، وتعامل بها أكف المُثْرِي والعائل، لعلهم يفلحون»(1).

وتظهر أهمية البحث أيضا في أنها وجه من وجوه بيان الرقي الإنساني في القرآن الكريم من خلال قدرته على الإحاطة بكل ما ما يحفظ للإنسان كرامته التي خلقه الله ممتنا عليه بها، وهو رقي عجز الفلاسفة عن بلوغ مراميه والإحاطة بكل عجائبه في بنائه ونسقه.

وبذلك ستكون هذه الدراسة ركيزة للباحثين في القيم الإنسانية القرآنية من طلاب علم متخصصين ودعاة إلى الدين القويم لما ستوفره وتعرضه من موضوعات عن القيم بمختلف فروع هذه النظرية الواسعة الفروع .

(1) محمد رشيد رضا، "تبصرة وذكرى لقوم يعقلون"، مجلة المنار، مجلد1، ص69.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا: أسباب اختيار البحث ودوافعه

قال بعض من سلف من علماء هذه الأمة المباركة في آداب التأليف ووضع التصانيف والرسائل: «لا ينبغي لمصنف أن يتصدى لتصنيف أن يعدل عن غرضين: إما أن يخترع معنى أو أن يبتدع وضعا ومبنى وما سوى هذين الوجهين فهو تسويد الورق والتحلي بحلية السرف»(1). و إن موضوع القيم القرآنية موضوع واسع صعب ضبط حدوده ورسم خطط البحث فيه بعيد ما بين جوانبه يحتاج إلى جهد في التحري والبحث ودقة في التحليل والاستنباط؛ إذ هو موضوع جديد جمع فيه بين الدراسات القرآنية والعلوم الاجتماعية الفلسفية وهو حقل بكر إذ لا أعلم من جمع بين هذه العلوم وإن كان بعضهم قد بحث فيها بحوثا وجمع فصولا متفرقات، وقد كانت أسباب البحث فيه كالتالي:

1- بعض التوصيات السابقة لبعض الدراسات العلمية والمحاضرات التعليمية، وقد مر سرد نقول منها في النقطة السابقة من عناصر هذه المقدمة.

2- قلة الدراسات العلمية الأكادمية ذات الطابع الشمولي التي اعتنت بالمباحث المشتركة بين علم الفلسفة والعلوم القرآنية، خاصة نظريات الفلسفة الاجتماعية والنفسية الحديثة التي تحكم نظم الثقافة العالمية.

3- يعتبر هذا الباب من العلم فتحا جديدا في مجال الانتصار للقرآن الكريم وعلومه، إذ فيه المقارنة بين الطريقة القرآنية في حل المشكلات الإنسانية وبين ما دونه من مختلف الطرق والوسائل البشرية بما يظهر عجز البشر عن مجاراة القرآن الكريم ولو اجتمع بعضهم إلى بعض.

(1) السيوطي، "التعريف بآداب التأليف"، ت: مرزوق علي إبراهيم، مكتب التراث الإسلامي، دت، دط، 28.

خامسا: أهداف البحث

بعد الإدراك التام لأهمية مثل هذا البحث في العلوم الإسلامية وتجدد الرغبة في البحث في هذا الميدان عقدت العزم على وضع حدود لنظام قيمي إسلامي مرجعيته التي يستند عليها هي القرآن الكريم، والهدف الأول من البحث هو بذل الجهد في تصوير قواعد القيم الإنسانية القرآنية على الصورة السليمة التي يقصدها القرآن الكريم، ومن أهداف البحث كذلك إبعاد التصورات الخاطئة المغلوطة حول كثير من القضايا الإسلامية التي يظن أنها تهدم القيم العالمية مثل السلم والحرية والتعددية الفكرية ... وكذلك مسح التصور الساذج حول القيم القرآنية التي يوحي بها بعض البحاثة بأنها قيم عبارات شاردة أو حكم متناثرة وإنما الحق هو العكس أنها بناء منظم ومتكامل. فحاصل أهداف البحث هو كونها تدور حول تأصيل وانتصار؛ تأصيل للنظام القيمي القرآني وانتصار لهذا النظام الرباني من جميع ما يحاك حوله من شبهات مضللة تصرف النظر عن وجوه الإعجاز الإلهي فيه.

وإني بعد الإفصاح عن الهدف السابق لمفصح كذلك عن هدف بعده؛ فلقد أطمح في محاولة -بقدر الطاقة- لأساهم في تجاوز مرحلة إدراك الإعجاز القرآني بالتذوق الفطري من خلال ملكة تذوق الكلام العربي الفصيح ... إلى إبداء وجه جديد من وجوه الإعجاز القرآني من خلال التذوق العلمي الفلسفي بالنظر على ما حواه القرآن الكريم من قيم إنسانية متكاملة النظم شاملة لجميع المجالات متناسقة الأطراف والتفاصيل مهما راجعتها ببصرك لا يمكن أن ترى في ذلك النظم القيمي من فطور؛ فنؤكد بعد ذلك على أن الإعجاز هو صفة ملازمة لجوهر القرآن الكريم لا صفة عارضة لذاته تذهب مع مرور الأيام وتبدل عوائد البشر وتغير ألسنتهم وتطور علومهم. والله وحده الموفق وعليه التكلان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سادسا: الدراسات السابقة

لم يسعف الجهد الذي بذله الباحث ليطلع على دراسة علمية تحمل نفس عنوان البحث أو عنوانا شبيها به يعتني بالقيم في تفسير معين من التفاسير ولا عن قيمة معينة من القيم الكبرى في التفاسير المعاصرة، وغاية ما ظفر به الباحث في هذا الصدد كتيبات تناولت الموضوع بشكل سطحي أقرب إلى أسلوب الوعظ والدعوة منه إلى الأسلوب العلمي التحليلي العميق، وهي رسائل قائمة على تناول القيم بالمفهوم السطحي الذي يتبادر لذهن أي فرد -مهما كان مستواه الأكاديمي والمعرفي- عند سماعه لهذا المصطلح، وهي على العموم كتب دون المستوى الذي يبحث في كنه القيمة الإنسانية وجوهرها مع معالجة المشكلات التي تواجه نظرية القيم الإنسانية في المجتمعات المختلفة، كما هو مقرر وموجود في الكتب والبحوث ذات التخصص الدقيق والبحث العميق. هكذا كان الحال طوال إعدادي لفصول البحث وفقراته إلى حيث وصولي إلى مشارف اللمسات الأخيرة في البحث فوقع بين ناظري دراسة في نفس سياق الموضوع الذي أتناوله تحت عنوان: (منهج الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله في تقرير القيم الإسلامية) وهي رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين، من إعداد الطالبة: مزنة عبد العزيز علي اللحيدان نوقشت في الموسم 1442هـ-1443هـ. وهي رسالة شديدة الصلة بالموضوع الذي أنا في صدده إلا أنها تفترق -ولو شكلا- في بعض المفردات من العنوان، وتفترق كذلك في حقل البحث فهو عندها محصور في تفسير الشيخ الطاهر بن عاشور، ومما لفت نظري كذلك في هذه الرسالة جزم الباحثة -بدلالة الحال- اعتماد الشيخ الطاهر بن عاشور نظرية القيم كأداة من أدوات التفسير أو كنتيجة من نتائجه على الرغم من أن الشيخ لم يصرح بذلك لا في مقدمته الرابعة التي تبحث أدوات المفسر وغرض المفسر وعلاقة مختلف العلوم الإنسانية بالقرآن والتفسير ولم يجر على لسان الطاهر بن عاشور ذكر للقيم لا لفظا ولا معنى، ومن خلال نظري في البحث المشار إليه سابقا كان الأولى أن يكون العنوان (القيم الإسلامية مستنبطة من تفسير ابن عاشور) والله أعلم.

وفي الجملة حاول الباحث تقصي الكتابات في هذا الموضوع فلم يعثر على ما فيه كتابة علمية عميقة تجمع بين لغة العصر وأصالة المرجعية المتمثلة في الكتاب والسنة مع الغوص في تحليل نظرية القيم ومشكلاتها، إلا بعض الرسائل والمقالات التي كتبت في موضوعات ذات صلة ولها تعلق بالقيم

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في القرآن أو الإسلام، ولكنها لا تغني عن دراستي هذه، فغالب هذه العناوين وإن كانت تحمل عبارة "القيم في الإسلام أو القرآن" إلا أنها أهملت الحديث عن مشكلة القيم ونقد مختلف النظريات من منظور القرآن الكريم وتفسيره في العصر الحديث، إذ التفسير في هذا العصر يواكب ظهور النظرية وشيوعها في الأوساط العلمية والثقافية فلا يبعد أن يتأثر الدرس التفسيري بها –ولو بعد حين- ولا عجب من أن يحاول المفسر أن يسهم في النظرية بما يتيحه له القرآن الكريم من علوم لا توجد في غيره ولا يمكن للعقل البشري أن يدركها. وعليه يقرر الباحث أن الدراسات الأخرى السابقة التي استفاد منها أو اتكأ عليها أو التي اطلع على عناوينها ولم يسعفه الحظ ليتفحص مضامينها في أثناء إعداد هذا البحث هي على ثلاثة أصناف:

أولا: الدراسات الأكاديمية

- ✓ «القيم الإنسانية في القرآن الكريم» رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن للطالب مبارك سعد العازمي، جامعة لجنان؛ مصر نوقشت في 02-05-2009م. وهي غير متوفرة على الشبكة سوى المعلومات الموجودة عنها في موقع ملتقى أهل التفسير.
- ✓ «القيم في القصص القرآني» رسالة دكتوراه الفلسفة في التربية كلية التربية جامعة طنطا للباحث عبد الله بن محمد حريري، واستفدت منها خصوصا في فصلها الثالث: القيم بين رِؤية الفلسفة ورؤية الإسلام.
- ✓ «دستور الأخلاق في القرآن الكريم» للعلامة الدكتور عبد الله محمد دراز وهي رسالة دكتوراه مطبوعة.

ثانيا: الكتب العامة

- "القرآن والقيم الإنسانية" لعبد اللطيف محمد عامر، وهو كتاب صدر صدر في طبعته الأولى عام 1999م-1418هـ.
- "القيم الإنسانية في القرآن الكريم" لوهبة الزحيلي وهو كتيب لم أتمكن من الاطلاع على محتواه، إلا ما وجدت من وصف له في بعض المواقع على الشبكة العنكبوتية. ولعله البحث نفسه المطبوع ضمن المجموع الكبير (الفقه الإسلامي والقضايا المعاصرة) ولئن كانت هي فهي دراسة على سبيل الإشارة فقط لبعض القضايا في القيم ينقصها الاستقصاء والتدقيق في كثير من المسائل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- "القيم الإنسانية في الإسلام" ليوسف القرضاوي. وهو كتيب صغير لا يخرج عن الإطار العام الذي ذكره الباحث سابقا.
- "مقومات الإنسـانية في القرآن الكريم" لـــــ: أحمد إبراهيم مهنا، وهو كتيب صـغير منهجه وأسلوبه وعظي أدبي ليس فيه تحليل وترتيب لمفردات القيم.
- "الشـخصـية الإنسـانية في القرآن الكريم" أحمد عبد الحميد غراب، ويقال فيه ما يقال في الكتاب السابق.

وجدير بالتنبيه أن الدراسـات التي أفردت قيمة إنسـانية بعينها بالدراسـة من منظور قرآني أو منظور إسـلامي عام هي كثيرة، وهي في الجملة لا تخلوا من الملاحظات السـابقة، مع كونها لا تركز على الجانب العلمي التأصيلي وتميل إلى الجانب الوعظي الإرشادي.

ومن خلال استعراض نماذج من الدراسات السابقة وبيان شيء مما سجله الباحث عليها من الملاحظات، يطمح الباحث إلى أن تكون دراسته متميزة عن الدراسات السابقة بمايلي:

- أنها أول دراسة علمية تتعرض لمصطلح القيم الإنسانية القرآنية بالدراسة والتحليل بالاعتماد على القرآن الكريم والتفاسير المعاصرة ، حيث تناول الباحث المصطلح بالتحليل متجاوزا الأسلوب الوعظي الدعوي البحت إلى الأسلوب العلمي النقدي.
- وتناولت الدراسـة موضـوع القيم الإنسـانية القرآنية بالتحليل الشـامل دون التحليل الجزئي لمفردة واحدة من مفردات القيم أو القيم في باب معين من أبواب علوم القرآن، بل هي دراسـة تتميز بالنظرة الفلسفية ذات الطابع التنظيري الشمولي.
- وبينت الدراسة مقاييس القيم الإنسانية في القرآن الكريم وكيف رسخ هذا الأخير هذه القيم في النفوس البشـرية من خلق الله الانسـان مرورا بإرسـال الرسـل وبيان الآيات المعقولة وانتهاء بهذه الرسالة القرآنية الخاتمة.

سابعا: منهج البحث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: منهج الدراسة

تستند هذه الدراسة (القيم الإنسانية في التفاسير القرآنية المعاصرة)، على ثلاثة مناهج؛ أولها **المنهج الاستقرائي**: وذلك لاستيعاب جميع المواضع التي عني فيها المفسرون للقرآن الكريم وما يتعلق به من دراسات بالقيم ودراسة مشكلات نظرية القيم في العصر الحديث. إذ تتبعت المواد العلمية التي لها علاقة بموضوع القيم من مظانها في كتب التفسير معتمدا على الاستقراء الانتقائي متكئا على الفهارس الموضوعية التي صنعت للكتب الموسوعية مثل الفهرس الأبجدي لتفسير المنار ومتكئا على المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم لحسن عبد المنان ومهتديا بالإشارات التي قد توجد في الدراسات العلمية حول التفاسير المعاصرة فهي تسهل عملية رصد المعلومات ذات العلاقة بالموضوع مثل دراسة محمد إبراهيم الحمد: المدخل إلى التحرير والتنوير ... ولا يفوتني أن أنوه أن الاستقراء الذي يقوم به الباحث هاهنا في مثل هذه البحوث وأمام مثل هذه المصادر والمراجع لاستخراج مثل تلك المقاصد السالفة الذكر ليس كأي استقراء عادي، بل هو استقراء قائم على المنهج التأملي المبني على دقة الملاحظة وبراعة الاستنباط، إذ النظام القيمي القرآني بمختلف تفاصيله وفي صورته المتكاملة المتناسقة مادته الخام غير واضحة وضوحا صريحا في كلام المفسرين ولا في مقاصدهم التي أعلنوا عنها وإنما يحتاج إلى نظر وتدقيق. ثم بعد ذلك يأتي **المنهج التحليلي**: حيث قمت بدراسة كلام المفسرين وغيرهم بعد جمعه وإنزال بعض الأحكام القرآنية العامة على القضايا المطروحة في مشكلة القيم من أجل الوصول إلى تفسير واضح المعالم لتلك المشكلات من منظور علماء ومفكري الإسلام. وفي أثناء ذلك لابد من الاستعانة بـ: **المنهج المقارن**: وإن أول عملية التحليل؛ ماهي إلا المقارنة بين ما كتبه أهل الفن؛ فعلى هذا عمدت إلى مختلف كتب التفسير، لأطلع على ما فيها للمقارنة والجمع والتوفيق. وبالجمع بين هذه المناهج –أحسب نفسي- جمعت بين الدراسة التراكمية الكمية والدراسة الكيفية البنائية، راغبا في ذلك إلى الاتصال بالموروث العلمي الثقافي لسلف هذه الأمة، صابيا –بعد الوصال بهم- إلى المواصلة بعدهم على صراط الله المستقيم، والله وحده المسؤول أن يجمعنا بهم عنده في جنات النعيم. وكان بودي أن أعتمد هذا المنهج الأخير في المقارنة بين مذهب القرآن في ميدان القيم مع المذاهب الأخرى ولكني

وجدت استيعاب ذلك يخرج الدراسة عن ميدانها العلمي –من ميدان التفسير وعلوم القرآن إلى ميدان الفلسفة والفكر– والله الموفق. وقد قدمت بمباحث قبل الشروع في المقصود، على ما سأبينه بعد.

ثانيا: طريقة العمل ومنهج عرض البحث

بذلت أقصى ما سمح به الجهد من أجل جمع المصادر المختلفة التي تتحدث عن القيم الإنسانية وكذا القيم الإنسانية الإسلامية وحاولت التفتيش عن مراجع بحثت القيم الإنسانية القرآنية، وهذا الجمع بهدف رسم صورة واضحة حول موضوع القيم بمفهومه الدقيق في مجال الدراسات الاجتماعية. وبعدما ارتسمت لدي صورة عن هذا الموضوع المتشعب ذي المشكلات الفلسفية الكثيرة بدأت في استقراء كتب التفسير في المجال الزمني للدراسة مع التركيز على الكتب التفسيرية التي التمست فيها ثروة معرفية تخدم أهداف هذا البحث، ثم كانت خطوات البحث كالتالي:

1. استخراج الآراء التفسيرية التي تخدم موضوع البحث من مظانها ووضعها في سياقها المناسب لها، مع ضبط الآيات وكتابتها بالرسم العثماني نقلا عن مصحف المدينة النبوية.
2. عزو الآيات في الأصل كي لا تكثر الهوامش. ويكون العزو بذكر اسم السورة ورقم الآية بعدها.
3. لا يخفى أن التفاسير المعاصرة غير مقطوعة الوصال عن التفاسير العتيقة والأصيلة بل هذه الأخيرة هي الدعامة الأساسية للتفاسير الحديثة؛ لذا أجدني مضطرا إلى العزو في كثير من الأحيان إلى التفاسير القديمة من باب عزو الأقوال والآراء والأفكار إلى أصحابها الأول على ما تقتضيه قواعد البحث العلمي في التوثيق والعزو؛ لا أني أعتمد عليها متجاوزا المجال المعرفي والزمني للبحث.
4. تخريج الأحاديث والآثار: وقد كان تعاملي مع هذه الأحاديث والآثار على حسب الموضع الذي وردت فيه:

- إن كان الحديث في الصحيحين أقتصر على العزو إليهما فقط فقد تلقتهما الأمة بالقبول، وإن كان في أحدهما فقط ولم يكن في الآخر عزوت إلى ما تيسر من المصادر من بعده وأقتصر في الحكم على الحديث على كونه في الصحيح للاعتبار السابق.
- إن كان في غير الصحيحين عزوت إلى الكتب التي فيها نصوص الحديث. وأبذل قصارى جهدي في البحث عن درجة الحديث صحة وضعفا من خلال الكتب التي اشتهرت بدراسة متون الحديث وأسانيدها.

- أكتفي في التخريج بوضع رقم الصفحة ورقم الحديث في طبعات كتب الحديث التي تم الاعتماد عليها.

5. أما الأعلام الواردة أسماؤهم في البحث فقد اقتصرت على وضع تعريف موجز للأعلام اللذين استشهدت بهم في إثبات ما يتعلق بالقضايا العلمية التي تخدم فكرة ومضمون البحث، ولم أترجم للأعلام المشهورين من الصحابة والتابعين وكبار أئمة الدين على مر الزمن، ولم أترجم للشعراء اللذين قد أستشهد بشعرهم في بيان معنى لغوي لمفردة غريبة من جهة اللغة وغيرها.

6. جعل الباحث لكل فصل أو مبحث تمهيدا –بحسب ما يتيسر له- يوضح من خلاله المغزى العام من فقرات المبحث والفصل، وتختلف طبيعة التمهيد من مبحث إلى آخر، ويحتفي الباحث بالكلام البليغ الذي يظفر به عند أحد من أعلام الأمة؛ بحيث يكون يؤدي المعنى التام الذي يتطابق مع الفكرة العامة للمبحث، فيضع الفقرة كاملة كتمهيد مكتفيا بها أو مضيفا عليها بعض ما يلزم من الكلام.

ثالثا: ملاحظات عامة في البحث

1. في مجال القيم يلاحظ تنوع زوايا النظر في هذا الموضوع من قبل الباحثين كل على حسب تخصصه ومراده من البحث فيه؛ فصاحب الاقتصاد يبحث عن القيم الاقتصادية وصاحب السياسة يبحث في القيم السياسية وصاحب الأدب يبحث في القيم الأدبية والواعظ المربي ينظر إلى القيم الدينية التربوية ...، وفي بحثنا هذا آثرنا أن تكون زاوية النظر أبعد أفقا وأوسع ميدانا وأن تكون نظرة حاكمة على غيرها دون أن تكون محكومة بنظر غيرها فهي لغيرها من القيم كالميزان، شاملة لجميع شعب الحياة الفردية والجماعية، فكان بحثا في أصول القيم الإنسانية التي بحث فيها مختلف الفلسفات بمختلف مشاربها وتوجهاتها ومناهجها، وتلك هي القيم الثلاث الكبرى: قيم الحق وقيم الخير وقيم الجمال، مع وضع الأسس التي تنبني عليها القيم الإنسانية القرآنية.

2. في ثنايا البحث نقل عن بعض أهل التفسير بمختلف مناهجهم ومدارسهم واتجاهاتهم وهذه الأخيرة قد ترتضى وقد لا ترتضى عند أهل العلم وطلبته بمختلف توجهاتهم، لكني أنقل منها ما يخدم البحث ولا يعني هذا أن أرتضي منهجه التفسيري أو اتجاهه العلمي والعقدي ...

3. لا أنقل بل ولا أعتمد على من هو دون أهل التفسير ممن لا يمكن وصفه بالمفسر –عند أهل هذا الفن المعتبرين- من أهل الفكر والآراء الشاذة في علوم القرآن وتفسيره.

ثامنا: عناصر البحث وترتيبها

حرص الباحث من حيث التنظيم أن يجعل البحث مقبولا بتسلسله وثيقا بترابطه، ولقد جرت العادة في تتبع المعاني والعلوم والمقاصد القرآنية بأن يتم تقسيم تلك العلوم و المقاصد على موضوعات عامة هي محاور القرآن الكريم، وفي مقابل ذلك جرت عادة المصنفين في فلسفة القيم أن تتناول مفردات هذا الموضوع في المحاور الرئيسية لهذه الفلسفة متمثلة في قيم الحق وقيم الخير وقيم الجمال. وآثر الباحث الجمع بين الطريقتين فتناول فلسفة القيم من منظور قرآني وتتبع بعض معانيها في علوم القرآن المختلفة وتناول القيم الكبرى التي تشكل أركان القيم الإنسانية وتتبع بعض معانيها في القرآن الكريم وتناول بعض مفرداتها في علوم القرآن بحسب ما تيسر له، وذلك بعد تأمل منه في كيفية صياغة خطة البحث الذي تعد تفاريعه مترامية الأطراف ومتشابكة مع بعضها البعض في كثير من الأحيان، رأى –بعدُ– أن القيم الإنسانية كالعقد آخذ بعضها برقاب بعض لا يمكن تناول شيء منها دون التعريج على ما بقي منها إما لزوما وإشارة أو ضمنا، فاستقر الأمر عنده أن يجعل البحث دائر في محاوره الكبرى حول القيم التي هي الغايات العظمى والتي تنتظم حولها القيم الأخرى فجعلت بعد هذه المقدمة فصلا **[الفصل الأول]** مهدت به للموضوع تناولت فيه بحث القيم الإنسانية القرآنية، حاولت فيه رسم الملامح الكبرى لمشكلة القيم في الفلسفات المعاصرة وبينت فيه النظرية القرآنية حول هذه المشكلات بما يبرز أكبر خصيصة من خصائص القرآن الكريم المعلنة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [سورة الإسراء:9] «فمهما أوتي الناس من عقول وخبرات فإنهم محتاجون إلى هداية الله، فالقرآن يزيد الناس علما وعقلا وخبرة وعدلا، إن هداية القرآن ضبط للعقول والغرائز والأهواء، فالقرآن يقوي الناس والدول ولا يضعفهم، ويحميهم من الانحرافات والمفاسد التي قد تودي بهموتقضي عليهم وتدمرهم تدميرا»(1)، فالقرآن يغني ولا يستغنى عنه كيف لا وهو الحق من عند رب العالمين الغني الحميد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [سورة فاطر:15]، وكان ذلك في خمسة مباحث موزعة كالتالي؛ **المبحث الأول**: التعريف بالقيم الإنسانية القرآنية، وتضمن خمسة مطالب؛ المطلب الأول: المعنى

(1) محمد رفيق يونس، "التفسير الاقتصادي للقرآن الكريم"، ص155.

اللغوي للقيم، المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي للقيم، المطلب الثالث: تعريف بالقيم الإنسانية، المطلب الرابع: تعريف بالقيم الإنسانية القرآنية، **والمبحث الثاني**: القيم عند المفسرين، تضمن أربعة مطالب؛ المطلب الأول: موقف المفسرين من القيم موضوعا ومصطلحا، المطلب الثاني: النزعة الإنسانية في القرآن وتفاسيره المعاصرة، المطلب الثالث: خصائص القيم في القرآن الكريم، المطلب الرابع: الإنسانية وحاجتها إلى القرآن الكريم، وعنوان **المبحث الثالث** هو: مشكلة القيم ومكانها في كتب التفسير وتحته مطالب؛ المطلب الأول: ميلاد نظرية القيم، المطلب الثاني: تفسير القيم المطلب الثالث: مكونات القيم، المطلب الرابع: تقسيم القيم أما **المبحث الرابع**: القيم في علوم القرآن ومقاصده وتضمن المطالب التالية؛ المطلب الأول: دور القرآن الكريم في صناعة وحراسة القيم المطلب الثاني: القيم في العقائد القرآنية، المطلب الثالث: القيم في الشرائع القرآنية المطلب الرابع: القيم في النظام الاجتماعي القرآني المطلب الخامس: القيم في العلاقات السياسية.

في **الفصل الثاني** جرى الحديث عن خصائص القيمة القرآنية الكبرى ألا وهي قيم الحق والتي قد يعبر عنها البعض بكبرى اليقينيات والبعض الآخر بالمقاصد الكبرى ... وفيه خمسة مباحث أما **المبحث الأول**: فللتعريف بقيم الحق في ثلاثة مطالب؛ المطلب الأول: المعنى اللغوي والمطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي والمطلب الثالث: الحق في الاستعمال القرآني ثم يليهم **المبحث الثاني**: مقاييس الحق وتضمن ؛ المطلب الأول: الفطرة، المطلب الثاني: العلم، المطلب الثالث: الحكمة، المطلب الرابع: النظر والتفكر، ثم **المبحث الثالث**: واجب الانسانية نحو الحق وفيه؛ المطلب الأول: التحلي بالحق والثبات عليه، المطلب الثاني: بيان الحق وحرمة كتمانه، المطلب الثالث: نصرة أهل الحق **والمبحث الرابع**: الصوارف عن الحق فيه؛ المطلب الأول: فساد الفطرة والمطلب الثاني: التقليد والتقصير في تحري الحق والمطلب الثالث: الافتتان بالأموال والأولاد والرياسة والمطلب الرابع: الكبر والعناد،ثم **المبحث الخامس**: الحق في علوم القرآن، وتضمن؛ المطلب الأول: الله هو الحق والمطلب الثاني: النبي صلى الله عليه وسلم حق و القرآن حق والمطلب الثالث: اليوم الآخر حق والمطلب الرابع: الحق في الشرائع

وفي **الفصل الثالث** عرجت على القيم الخيرية التي يحويها القرآن ويعزم الناس على السير في طريقها فردانا وجماعات وكان توزيعه كالتالي؛ **المبحث الأول**: مدخل إلى قيم الخير وفيه؛ المطلب الأول: تعريف الخير، المطلب الثاني: الخير في القرآن الكريم، المطلب الثالث: الترغيب في الخير في

القرآن الكريم، ثم **المبحث الثاني**: مقاييس الخير، وفيه المطلب الأول: الفطرة والوجدان، المطلب الثاني: الوحي الإلهي، المطلب الثالث: العقل، المطلب الرابع: العرف الاجتماعي، ثم **المبحث الثالث**: الواجب الإنساني نحو قيم الخير وفيه المطلب الأول: الدعوة إلى الخير، المطلب الثاني: الخير حلية المسلم، المطلب الثالث: مصاحبة أهل الخير، المطلب الرابع: اجتناب الشر والفساد، ثم **المبحث الرابع**: الخير وما يضاف إليه وفيه المطلب الأول: الخير مضاف إلى الله تعالى، المطلب الثاني: الخير مضاف إلى اليوم الآخر، المطلب الثالث: الخير في الشريعة القرآنية.

الفصل رابع قيم الجمال القرآني الذي نشهد فيه التصوير القرآني للجمال ونلحظ الجمال في القرآن الكريم نفسه وبهذه الفصول الأربعة أكون قد تناولت كبرى القضايا في فلسفة القيم من خلال القرآن الكريم وتفاسيره. وفيما يلي تفصيل فيه ذكر بنية منظومة القيم كما تصورتها في هذا البحث، **المبحث الأول**: مدخل إلى قيم اللجمال، المطلب الأول: التعريف اللغوي، المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي، المطلب الثالث: الجمال في القرآن الكريم ثم **المبحث الثاني**: مقاييس الجمال في التفاسير المعصرة وفيه المطلب الأول: الجبلة والفطرة، والمطلب الثاني: الوحي الرباني، والمطلب الثالث: الذوق والوجدان ثم **المبحث الثالث**: من ميادين الجمال في القرآن وفيه المطلب الأول: الجمال الإلهي والمطلب الثاني: جمال الكون والمطلب الثالث: الجمال الإنساني

ثم في الأخير الخاتمة وضمنتها نتائج البحث وآفاق البحث في هذا المجال العلمي الفسيح.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تاسعا: مصادر ومراجع البحث

استعنت لإتمام هذا البحث وإخراجه على جملة من المصادر والمراجع التي كانت عونا لي وسندا، سواء من جهة الاقتباس منها مباشرة، أو في بناء الفكرة العلمية، أو في تخريج الأحاديث والآثار أو الترجمة للأعلام ... وهي في الجملة على ثلاثة أقسام:

صنف أساسي لا يمكن لهذ الدراسة أن تأخذ طريقها في البحث والتقصي إلا به منها كتب التفسير المعاصرة وجعلت العمدة فيها كتاب تيسير الكريم الرحمن لعبد الرحمن السعدي وكتاب محاسن التأويل للقاسمي وكتاب تفسير المنار لمحمد رشيد رضا وتفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور وتفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي، وتفسير في ظلال القرآن لسيد قطب والتفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي والتفسير الوسيط لوهبة الزحيلي ... ومنها الكتب الفلسفية التي اعتنت بالتنظير لنظرية القيم في الإطار العام أو الإطار الإسلامي منها.

وصنف اعتبرته رافدا من الروافد له أهميته من حيث إنارة الطريق والاستفادة من المنهج المتبع لدى أصحابه وهو يشمل بعض ما كتب في الدراسات الحديثة.

وصنف يستأنس به لضعف علاقته بالموضوع إلا في جوانب طفيفة يمكن أن تفيد الباحث في توسيع المعنى أو تجليته عن طريق استعماله كأداة للتحليل والمقارنة و المناقشة كما هو الحال في كثير من فقرات البحث مع كتب الفلسفة والأدب الاجتماعي.

كل هذا مع تفاوت في درجة الاستفادة من هذه المراجع، لتفاوت حاجتي إليها، وقد قمت بوضع قائمة للمصادر و المراجع في آخر البحث.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عاشرا: صعوبات البحث

لا يخلو بحث علمي من الصعاب التي تكون حائلا بين الباحث والمعارف العلمية التي يصبو إليها، والبحث العلمي ذو الطابع الاستقرائي يتطلب من الباحث حضور ثلاثة عناصر أساسية في خضم تناوله للبحث:

- أولها: طول الوقت مع التفرغ.
- وثانيها: دقة الملاحظة مع التركيز.
- وثالثها: حسن الترتيب والتنسيق أثناء الجمع.

وهذا ما يجعل البحث تكتنفه كثير من الصعوبات التي تتطلب بذل الجهد من أجل تجاوزها، وكل من جرب تجربتي قد قال مثل مقالتي.

ومن صعوبات البحث لطافة معاني القيم الإنسانية وحديث المفسرين عن القيم الإنسانية في تفاسيرهم لم يكن على سبيل النص عليها؛ فتكون بذلك ظاهرة للعيان يسهل استخراجها وتحليلها وجني ثمارها، ولكن حديثهم عنها لم يكن -في الغالب- مسوقا من أجلها ولا لأجل بيانها على وفق ما هو موجود في كتب الفلسفة والعلوم الإنسانية، وإنما الموجود منها جاء على سبيل الإشارة والإيماء وما كان كذلك فهو صعب التفطن له و استخراجه ونظمه في صفحات رسالة علمية، و تم ذلك بعد طول تأمل فيما كتبه أهل التفسير وخاصة قيم الجمال فقد كانت أشد صعوبة في رصدها واستخراجها، وإني حينما أجد المعنى الذي يتعلق بموضوع البحث أتمثل قول تاج الدين السبكي:

لأســـرار آيات الــكـتــاب مــعــان ... تــدق فــلا تــبـدو لــكــل مــعــان
إذا بارق لاح مــنــهــا لــنــاظــري ... هــمــت قــريــر الــعــين بالــطــيران

وجدير بأن يستدرك علي، فإن كل موضوع ابتدئ وطرق بابه لا يكمل إلا بمعاونة جماعة ومتابعتهم عليه، وتكميل المتأخر لما أهمل المتقدم، فأوائل كل علم وموضوع قليلة أو ناقصة.

ومن الصعوبات كذلك عدم حصولي على بعض الرسائل والمراجع التي قرأت عناوينها ولم أقف عليها، وهي ذات صلة بالموضوع، ومنها على سبيل المثال: **(القيم الإنسانية في القرآن الكريم)** لوهبة الزحيلي. وظني أني لو اطلعت على مثل هذه البحوث في أثناء كتابة هذا البحث لخفف ذلك عني

عناء وضع العناوين وتنسيقها في كثير من فقراته، ولوفر علي الكثير من الوقت في سبيل الوصول إلى كثير من المعلومات المفيدة في هذا المجال.

والحمد لله الذي يسر جمع هذه المادة في هذا البحث، وله الشكر على نعمه العظيمة المتوالية وآلائه المتتابعة.

وأعود ثانية فأجدد شكري وتقديري إلى فضيلة الشيخ الدكتور المشرف: **الدكتور عبد العزيز ثابت** الذي أكرمني بإشرافه وشملني بلطفه ولينه وإخلاصه في النصح والإرشاد والتوجيه، وبذل وسعه في تشجيعي على العمل والاجتهاد أكثر، فأسأل الله الكريم أن يشمله برحمته وأن يمن عليه بفضله وأن يبارك في عمره وأن يهب له ما تقر به عينه وأن يجعله ذخرا للإسلام والمسلمين.

كما أتقدم بشكري وتقديري إلى الأساتذة الأفاضل المناقشين لما سيبذلونه من جهد في قراءة هذا البحث.

وإني في سبيل تحقيق الهدف من البحث ونيل الفائدة المحمودة منه قد استفرغت الجهد والتمست كل ملتمس وبرئت إلى نفسي من تبعة التقصير فيما يبلغ إليه الذرع أو تناله الحيلة.

فإن قصرت فضعف ساقه العجز إلي –وعذري أن النقص والخطأ والقصور لا يسلم منه عمل ولا كلام إلا أن يكون وحيا–وإن قاربت فذلك من فضل الله علي.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصـــل الأول: القيم في القرآن الكريم

وفيه المباحث التالية:

- ❖ المبحث الأول: التعريف بالقيم الإنسانية القرآنية
- ❖ المبحث الثاني: القيم عند المفسرين
- ❖ المبحث الثالث: مشكلة القيم ومكانها في درس التفسير
- ❖ المبحث الرابع: القيم في علوم القرآن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [سورة الإسراء:9].

كرم الله الانسان بما فضله على كثير من خلقه تفضيلا؛ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الإسراء:70].

كرم الله الانسان فكان خلقه إياه كما قال جل وعلا ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [سورة ص:75].

كرم الله الانسان في نشأته الأولى، بأن خلقه وصوره وأسجد له ملائكته: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [سورة الأعراف:11].

كرم الله الانسان لما أن خلق كل شيء مسخرا له ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [سورة النحل:12].

كرم الله الانسان لما أن جعل نظام حياته يرتفع عن نظام حياة غيره من سائر المخلوقات؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحجرات:13].

كرم الله الانسان لما أن لم يتركه هملا بل أرسل إليه رسلا تترا؛ ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الأنعام:48].

كرم الله الانسان لما أن جعل له من وحيه بينات تدله على السبيل القويم؛ ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الملك:22].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كرم الله الانسان لما أن ختم الرسالة بمحمد ﷺ وأوحى إليه ما به حياة البشرية؛ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الشورى:52].

كرم الله الانسان لما أن هداه بالقرآن؛ سبل السلام وأخرجه من الظلمات إلى النور وهداه إلى الصراط المستقيم ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [سورة المائدة:16].

لا جرم إذا أن يقول القائل إن القرآن الكريم للبشرية هو كتاب القيم الأول، وليس الأمر دعوى مجردة! بلا برهان يشهد لها بالصحة، فآياته ناطقة بينة مبينة ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النور:1]، والواقع مصدق لمعجزاته كلها ومنها معجزاته التربوية ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [سورة فصلت:53]، والتاريخ على ذلك شاهد؛ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [سورة الحج:46].

لذا يحاول الباحث في هذا الفصل أن يبرز دور القرآن الكريم مرجعا أساسا –لا يلتفت عنه إلى غيره– في تربية المسلم القيمية، ويبرز منة الله على عباده بأن أرسل رسولا وأنزل كتابا لا عوج فيه يهدي للتي هي أقوم.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: التعريف بالقيم الإنسانية القرآنية

وفيه المطالب التالية:

- **المطلب الأول**: المعنى اللغوي للقيم
- **المطلب الثاني**: المعنى الاصطلاحي للقيم
- **المطلب الثالث**: تعريف بالقيم الإنسانية
- **المطلب الرابع**: تعريف بالقيم الإنسانية القرآنية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: التعريف بـالقيم الإنسانية القرآنية

المصطلح العلمي قد يكون مفردة واحدة أو يتركب من عدة مفردات، توضع للدلالة على أمر مقصود في فن من الفنون المعرفية، وهذه المصطلحات المكونة من مفردات وتراكيب تستعمل عادة في حقيقة علمية اصـطلاحية؛ ويكون معناها اللغوي –حال الافراد– قريبا من المعنى المراد الدلالة عليه بهذا المصطلح الجديد في حقله الدلالي، ومصطلح (القيم الإنسانية القرآنية) يمثل مصطلح مركبا يستخدم في فنون علمية كثيرة، أخص ما يكون في علم الفلسفة بشتى شعبها ويكون فيها مجردا من الإضافة الأخيرة فيصطلح عليه بـ: (القيم) أو بـ:(القيم الإنسانية)، أما القيم الإنسانية القرآنية فهي من خصائص الثقافة الإسلامية، وعلى كل فقد أراد الباحث بيان أصل وضعه العلمي بالبحث في معاني مفرداته اللغوية ثم بيان دلالته التركيبية في الإطار العلمي الموضوع فيه، في المطالب التالية:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: المعنى اللغوي للقيم

أكمل الطرق في معرفة مدلولات الألفاظ هي طريقة الاشتقاق؛ والمقصود هنا هو معرفة الأصل المولد لجمع من المفردات ومعرفة معناه؛ ومعاني باقي المفردات ترجع إلى معاني الجذر في الغالب، والقيم جمع مفرده قيمة بكسر القاف(1)، وأصل الياء في القيمة الواو(2)،فهي قِوِمَةُ وهذا في علم الصرف إعلال بالقلب حيث قلبت الواو ياء، وسبب هذا الاعلال هو سكون الواو وكسر ما قبلها، ونتيجة ما سبق من البحث أن مرجع مفردة قيمة التي جمعها قيم إلى مادة (ق و م)، ومن هذه الأخيرة تنصرف جميع الاشتقاقات الأخرى، وتدور معاني هذه المادة على أصلين «يدل أحدهما على جماعة ناس، وربما استعير في غيرهم، والآخر على انتصاب أو عزم»(3) وليس يعنينا في هذا المقام إلاّ الأصل الثاني منهما، ومن معاني هذه المادة وجوه لغوية أطلقها العرب في استعمالاتهم وأساليبهم الأدبية المعتد بها حجة في اللغة منها: المراعاة للشيء وحفظه كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [سورة المائدة:8]، ومنها الثبات والدوام كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [سورة المائدة:55]، ومنها تقويم الشيء بمعنى تثقيفه كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤﴾ [سورة التين:4]...(4)

وقد يجيء القيام بمعنى المحافظة والإصلاح؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [سورة النساء:34]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ﴾ [سورة آل عمران:75]؛ أي ملازما محافظا (5). ويأتي على معاني أخرى منها ما قاله ابن بري(6): والقائم على الشيء الثابت عليه، وعليه قوله تعالى: ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ﴾ [سورة آل عمران:113]؛ أي مواظبة على الدين ثابتة.

---

(1) الفيروز أبادي، "القاموس المحيط"، ص1152.

(2) ابن فارس، "مجمل اللغة"، ص738.

(3) ابن فارس، "مقاييس اللغة" (43/5).

(4) ينظر: سليمان بن صالح القرعاوي، "الموسوعة القرآنية في الوجوه والنظائر" (742/2 وما بعدها).

(5) ابن منظور، "لسان العرب" (497/12).

(6) المرجع نفسه، (501/12).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وتأتي أقيم بمعنى الاستقامة وبمعنى المستقيم[1]، ويشهد لهذا قول الشاعر الصحابي حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وأشهد أنّك عند المليك أرسلت حقا بدين قيّم

وكذلك قول الصحابي كعب بن زهير رضي الله عنه:

فهم ضربوكم حين جرتم عن الهدى بأسيافهم حتّى استقمتم على القيم

وفي الجملة فإن القيم مادة تدور مدلولاتها اللغوية على معان منها[2]:

أولا: نظام الأمر وعماده؛ كما قال الله تعالى في وصف دينه: دينا قيما ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [سورة الأنعام:161] دينا قيما «هو قيّم يعني بأحوال الدنيا والآخرة؛ لأن مُتَّبِعَه يصلح له جميع أموره من جميع الجهات في دنياه وأخراه»[3] أي أن الدين يعبد الطريق السالكة ويجعلها على استقامة توصل السائر عليها إلى الهدف الموجود لأصل وجوده في أقرب وقت وأحسن حال.

ثانيا: توفية الشيء حقه؛ ونحو من هذا إقامة الدين الذي أمر الله تبارك وتعالى به في كتابه العزيز: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الروم:30] أمر سبحانه وتعالى عباده بأن يفوا هذا الدين حقه بأن يأتوا به على أكمل وجه يستطيعونه، فأمر نبيه ﷺ بأن يقيم وجهه للدين أي: «انصبه ووجهه إلى الدين الذي هو الإسلام والإيمان والإحسان بأن تتوجه بقلبك وقصدك وبدنك إلى إقامة شرائع الدين الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج ونحوها. وشرائعه الباطنة كالمحبة والخوف والرجاء والإنابة، والإحسان في الشرائع الظاهرة والباطنة بأن تعبد الله فيها كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[4]. وهنا الدين مصلح للفرد في حد نفسه لا للطريق كما في المعنى الأول؛ فالمستقيم الملتزم بالدين إنسان سوي يعبد الله ويكرم نفسه ويحسن لغيره، فهو في الجملة إنسان سوي النفس حسن الطبع.

(1) ابن منظور، "لسان العرب" (500/12).
(2) ينظر: مانع بن محمد المانع، "القيم بين الإسلام والغرب" ص15.
(3) محمد الأمين الشنقيطي، "العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير" (2/ 616).
(4) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص641.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا: الاستقامة والاعتدال؛ وهذا يكون في الأمور المحسوسة ويكون كذلك في الأمور القيمية المعنوية والقرآن الكريم يشهد لهذا، قال تعالى﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ [سورة الكهف:1-2]، وقوله في هذه الآية الكريمة: قيما أي: «مستقيما لا ميل فيه ولا زيغ، وما ذكره هنا من كونه قيما لا ميل فيه ولا زيغ، بينه أيضا في مواضع أخر، كقوله: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾﴾ [سورة البينة:1-2]...»(1) والاستقامة الموصوف بها القرآن الكريم شاملة لجميع أنواع العلوم التي جاء بها سواء ما تعلق منها بالتصورات وما تعلق بالتصديقات وما تعلق منها بالشرائع والنظم والأخلاق وما تعلق منها بالعقائد والغيبيات الدنيوية و الأخروية الأرضية والسماوية الماضية و المستقبلية، فالله تبارك وتعالى «وصف هذا الكتاب بوصفين مشتملين، على أنه الكامل من جميع الوجوه، وهما نفي العوج عنه، وإثبات أنه قيم مستقيم، فنفي العوج يقتضي أنه ليس في أخباره كذب، ولا في أوامره ونواهيه ظلم ولا عبث، وإثبات الاستقامة، يقتضي أنه لا يخبر ولا يأمر إلا بأجل الإخبارات وهي الأخبار، التي تملأ القلوب معرفة وإيمانا وعقلا»(2) والاستقامة في الدين لها عماد وعمادها صلاح الفرد والمجتمع على الأمر السوي في سائر الشؤون الدينية و الدنيوية، ولها آثار ومن آثارها صلاح الدين والدنيا فـ«معنى كونه (قيما): أنه قيم بمصالح الخلق الدينية والدنيوية»(3).

رابعا: الثبات والدوام والاستمرار؛ وهذا المعنى موجود في كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ [سورة الكهف:1-2]، جاء في التفسير أن صفة القيم هي «صفة مبالغة من القيام المجازي الذي يطلق على دوام تعهد شيء وملازمة صلاحه، لأن التعهد يستلزم القيام لرؤية الشيء والتيقظ لأحواله ... والمراد

(1) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان" (192/3).

(2) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن" ص469-470.

(3) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (193/3).

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

به هنا أنه قيم على هدي الأمة وإصلاحها، فالمراد أن كماله متعد بالنفع» (1) الفرد السوي أساس متين لمجتمع تقوى فيه روابط الاجتماع وتظهر فيه محاسن الأخلاق ويتزين للناظرين بما تسر به العين وتأنس له النفس من مباهج العمران الإنساني.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (248/15).

المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي للقيم

القيم؛ مصطلح حادث في الفلسفات المعاصرة؛ وفي التراث الإسلامي لم يكن علما من العلوم التربوية يقصد به تهذيب النفوس والمجتمعات كما هو اليوم، وهو مصطلح يكتنفه من جهة مفهومه ومدلوله وما يحده كثير من الغموض والإبهام لدى علماء الفلسفات المعاصرة من مختلف التخصصات والاتجاهات الفلسفية (1)، ما جعل الباحثين في القيمة يقررون قاعدة مفادها: «أن القيمة مفهوم مراوغ ومثير للخصومة الفكرية»(2)، وكما يصعب الإلمام بجميع ميادين النشاط الإنساني في مصطلح واحد كذلك يصعب أن يكون لمصطلح القيمة معنى دقيق يكون جامعا مانعا. وأبرز بعض الباحثين منشأ الغموض في معنى القيمة «عن لا ماديتها، فالقيمة شرط كل وجود، ولكنها ليست بذاتها وجودا، إنها تبدو لنا في ثوب نرغب فيه، أو هدف نبتغي نواله، أو توازن نسعى إلى تحقيقه»(3). وجدير بالتنبيه أن بعض الكتّاب المسلمين من أهل التفسير يرفض هذا الاتجاه في الكشف عن حقيقة القيم وبيان ماهيتها وحدودها، فالقيم الإنسانية عندهم «ليست مسألة غامضة ولا مائعة وليست كذلك قيماً وأخلاقاً متغيرة لا تستقر على حال- كما يزعم اللذين يريدون أن يشيعوا الفوضى في الموازين، فلا يبقى هنا لك أصل ثابت يرجع إليه في وزن ولا تقييم.. إنها القيم والأخلاق التي تنمي في الإنسان (خصائص الإنسان) التي ينفرد بها دون الحيوان. وتُغلب فيه هذا الجانب الذي يميزه ويجعل منه إنساناً. وليست هي القيم والأخلاق التي تنمي فيه الجوانب المشتركة بينه وبين الحيوان.. وحين توضع المسألة هذا الوضع يبرز فيها خط فاصل وحاسم وثابت، لا يقبل عملية التمييع المستمرة ...»(4) ويبدو من خلال هذا النقد الموجه للاتجاه الأول -في الكشف عن حقيقة القيم والنتائج الغامضة التي توصل إليها- أن التعريف الإسلامي للقيم هو في غاية البساطة والسهولة، فكل ما جعله الله ميزة في الانسان تميزه عن الحيوان فهو بحد ذاته القيم الإنسانية، والقيم بهذا التصوير البديع فيها نسائم إيمانية تبعث في روح الفرد الإنساني إحساسا واعتزازا بطبيعة تكوينه من نشأته الأولى إلى أن كان هذا الخلق المسمى بالإنسان، « فهو تكوين خاص متفرد، يزيد على مجرد التركيب العضوي الحيوي، الذي يشترك فيه مع بقية الأحياء، وأيا كانت نشأة الحياة، ونشأة الأحياء فإن الخلق الإنساني يتفرد بخاصية أخرى هي التي ورد بها النص القرآني.. خاصية الروح الإلهي

(1) ينظر: مانع بن محمد المانع، "القيم بين الإسلام والغرب"، ص22.

(2) عبد الرحمن الزنيدي، "السلفية وقضايا العصر"، ص455.

(3) عادل عوا، نقلا عن: الربيع ميمون، "نظرية القيم في الفكر المعاصر"، ص24.

(4) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (1258/3).

المودع فيه .. وهي الخاصية التي تجعل من هذا الإنسان إنسانا، يتفرد بخصائصه عن كل الأحياء الأخرى، وهي قطعاً ليست مجرد الحياة، فهو يشترك في «الحياة» مع سائر الأحياء ولكنها خاصية الروح الزائد عن مجرد الحياة»[1]. وعلى كل حال يرى الباحث أنه بالرغم من كل ما قيل في معنى القيمة في الفكر المعاصر؛ يمكن التماس اتفاق –من خلال النظر في الكتب والأبحاث بمختلف الاتجاهات– حول عدة قضايا في موضوع القيمة منها:

- نظرية القيم باب من أبواب الفلسفة العامة تبحث في القيم وأصنافها ومعاييرها. ولفظة القيم؛ غالبا ما ترد بوصفها حاكما يشترط إذنه في إدخال ما يسعى الراغبون إدخاله إلى المجتمع من مستجدات فكرية أو سلوكية أو غيرها ...[2]
- في العلوم الاجتماعية والإنسانية يجري التأكيد على مرجعية الأخلاق بالنسبة للقيم ولكن من منظور عام علم القيم لا يقتصر على الأخلاق فقط؛ فالأخلاق منظومة مهمة ضمن منظومة القيم الكلية[3].
- ظل هذا المصطلح وثيق الصلة بالإنسان في جميع المجالات، فكلمة القيمة «تدل على صفة شخصية تعير صاحبها مقاما مرموقا في مجتمعه ما دامت زينة له يتحلى بها في معارك الحياة»[4]؛ فالقيم هي عمود الحياة الاجتماعية وهي زينة الفرد والمجتمع.
- العامل المشترك بين تعريفات الغربيين للقيم يتمثل في كونها ما يتميز به الشيء سواء كان عملا شخصيا أو نظاما من صفات تجعله مستحقا للتقدير والثناء أو للذم والاحتقار[5]. أي أن القيم ذات جانبين متقابلين، الجانب الأول إيجابي والجانب الآخر سلبي.
- القيم لها ناحية عملية فهي بذلك مثل وصفات تقام عليها المجتمعات الإنسانية، ولها ناحية علمية فلسفية فهي قواعد تعاير بها النظم والأفعال لتُعرف مساهمتها في قيام المجتمع الإنساني من خلال ما تثمره من حق وخير وجمال... وإن فسرت القيم بنسبتها إلى الصور الغائية المرتسمة

---

(1) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (2143/4).

(2) عبد الرحمن الزنيدي، "السلفية وقضايا العصر"، ص455.

(3) سيف الدين عبد الفتاح، "قيم الواقع، وواقع القيم، ما المعنى العلمي للقيم؟/ القيم في الظاهرة الاجتماعية؛ تحرير نادية مصطفى وآخرون"، ص45.

(4) الربيع ميمون، "نظرية القيم في الفكر المعاصر"، ص29.

(5) مانع بن محمد المانع، "القيم بين الإسلام والغرب"، ص22.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

على صفحات الذهن كان تفسيرها مثاليا، وإن فسرت القيم بأسباب طبيعية أو نفسية أو اجتماعية كان تفسيرها وجوديا [1].

- فلسفة القيم: هي البحث عن الموجود من حيث هو مرغوب فيه لذاته، وهي تنظر في قيم الأشياء وتحللها، وتبين أنواعها وأصولها [2].

وعلى وجه الاجمال والايجاز وبالاستناد إلى المعاني اللغوية والأصول الفلسفية نورد تعاريف جامعة للقيم، وذلك من خلال تتبع هجرة مصطلح القيم من دلالته اللغوية الأصيلة إلى مختلف العلوم ليعبر عن معان مختلفة يتناولها كل علم على حدة أو كمصطلح فلسفي يدرس على مستوى علمي واسع النطاق، نجد أن القيم «اسم هيئة، فمن قام الشيءَ بكذا يعني كان ثمنه المقابل كذا؛ ثم استعمل بمعنى القدر والمنزلة، من هنا نشأ "المعنى الفلسفي" لهذه الكلمة فهو انتقال من دلالة مادية معروفة في علوم الحساب والاقتصاد والسياسة إلى دلالة معنوية تعبر عما في الأشياء من خير وجمال وصواب. قيمة الشيء من "الناحية الذاتية" هي الصفة التي تجعل ذاك الشيء مطلوبا ومرغوبا فيه، سواء عند شخص أو عند طائفة»[3]، وعرفها الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن[4] بقوله: «القيمة المعنى

(1) ينظر: جميل صليبا، "المعجم الفلسفي" (214/2).

(2) جميل صليبا، "المعجم الفلسفي" (214/2).

(3) زهير المنصور المزيدي، "تفعيل القيم وممارستها"، ص12.

(4) **طه عبد الرحمن**: فيلسوف مغربي، ولد سنة 1944م، بالجديدة، حصل على الإجازة في الفلسفة من جامعة محمد الخامس بالرباط، وعلى إجازة ثانية في الفلسفة من جامعة السوربون، دكتوراه السلك الثالث عام 1972م، ثم دكتوراه الدولة عام 1985م، عضو في «الجمعية العالمية للدراسات الحِجَاجية» وممثلها في المغرب، وعضو في «المركز الأوروبي للحِجَاج»، وهو رئيس منتدى الحكمة للمفكرين والباحثين بالمغرب، له أعمال كثيرة منها بالعربية والفرنسية: اللغة والفلسفة، العمل الديني وتجديد العقل، سؤال المنهج. في أفق التأسيس لأُنموذج فكري جديد، شرود ما بعد الدهرانية. النقد الائتماني للخروج من الأخلاق، ... (ينظر: طه عبد الرحمن في:

https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2014/11/28/%D8%B7%D9%87-%D8%B9%D8%A8%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AD%D9%85%D9%86

وطه عبد الرحمن.. ابن الصوفية وفيلسوف المغرب وخليفة الغزالي في:

https://doc.aljazeera.net/reports/2021/1/20/%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B2%D8%A7%D9%84%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF-%D8%B7%D9%87-%D8%B9%D8%A8%D8%AF-

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخلقي الذي يستحق أن يتطلع إليه المرء بكليته ويجتهد في الإتيان بأفعاله على مقتضاه»[1] كما أشار إلى مصطلحين آخرين يسدان مسد هذا المصطلح؛ إذ لهما نفس المدلول الفلسفي وهما: مصطلح المثل العليا ومصطلح المصلحة[2]. وعلى هذين المصطلحين جرى استعمال بعض المفسرين من علماء الإسلام [3]، ويستدرك على التعريف السابق أنه حصر مدلول القيم في معاني الأخلاق وهذا لا شك أن فيه تقزيم لمدلول القيم فهي أوسع من أن تحصر في جانب الأخلاق، وعلاقة الأخلاق بالقيم هي علاقة الجزء من الكل. ونقل صالح آل الشيخ[4] عن بعض الكتاب المسلمين تعريفا للقيم فقال: «عرف بعضهم القيم أو الحكم القيمي بأنه: تكون فردي ينشأ من تفاعل المدركات العقلية لدى الفرد مع الوجدان أو مع الضمير أو مع الإحساس، ويصدر عنه في التقدير مواقف حياتية مختلفة بما يكفي لتوجيه سلوكه على ضوء نسق القيم في المجتمع والدلالات القيمية التي يمثلها»[5] وعن التصور الإسلامي الصرف للقيم نقل تعريفا لهذه القيم فقال: «القيم الإسلامية عرِّفت بأنها تكون فرضي لدى الفرد مشبع بدرجة عالية بالقيم الخلقية الإسلامية يحدد الفعل السلوكي الإسلامي بما يمكن للفرد معه من إدراك عناصر الموقف الاجتماعي واتخاذ القرارات الخلقية في ضوء

%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AD%D9%85%D9%86-%D9%81%D9%8A%D9%84%D8%B3%D9%88%D9%81-%D8%A7%D9%84

وطه عبد الرحمن في:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B7%D9%87_%D8%B9%D8%A8%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AD%D9%85%D9%86

تاريخ الاطلاع: 2023/01/28).

(1) طه عبد الرحمن، "تعددية القيم"، ص11.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص11-12.

(3) ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، "المثل العليا في الإسلام/ الآثار" (125/11 وما بعدها).

(4) **صالح آل الشيخ**: صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ولد بالرياض سنة 1378هـ/ 1959م،أكمل مراحل تعليمه في الرياض، والتحق أولا بجامعة الملك =سعود في كلية الهندسة، ثم انتقل إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية –كلية أصول الدين وتخرج منها. منح إجازات علمية عالية من عدد من علماء المملكة العربية السعودية، وتونس، والمغرب، وباكستان، والهند. له العديد من المؤلفات والأعمال العلمية، طُبع بعضها، منها: التكميل لما فات تخريجه من إرواء الغليل، موسوعة الكتب الستة، التمهيد في شرح كتاب التوحيد، كتاب خطاب إلى الغرب رؤية من السعودية (إشراف ومراجعة). (ينظر الموقع الرسمي: https://saleh.af.org.sa/ar/node/132) .

(5) صالح آل الشيخ، "تعميق الصلة بين الشباب والقيم الإسلامية/سلسلة المحاضرات العلمية" (509/5).

جمعية أبي عبد القادر للعلوم الإسلامية

البدائل المتاحة في ذلك المجتمع على بصيرة من الآثار اللاحقة للسوك بما يتماشى وروح الإسلام»(1).

ويؤخذ على التعريفين أنهما جعلا القيم تكون فردي ويكادان يشابهان التعريف الأول في ربط القيم بالأخلاق إلى حد التطابق؛ وهذان التعريفان –كسابقهما- غير مسلم بهما لأنه يوجد كثير من القيم تستمد وجودها ويظهر أثرها من خارج كيان الفرد؛ فمثلا قيم الحق هي أعلى القيم في سلم التدرج، تستمد وجودها من خالق الكون بأسره الذي يمثل الانسان جزءا منه، فالله جل وعلا هو الحق وكل حق في الكون مرتبط بالدلالة عليه سبحانه وتعالى. ومن خلال ما سبق مع ملاحظة ما كتب حول الموضوع يمكن استخلاص بعض المعاني الإجرائية للقيم منها:

- القيم الإنسانية تلك التي تقوم على احترام كرامة الانسان وحريته وحرماته وحقوقه وصيانة دمه وعرضه وماله وعقله ونسله بوصفه إنسانا وعضوا في المجتمع(2).
- القيم والأخلاق تربطهما صلة وثيقة حيث يمكن اعتبار أخلاق المرء هي تجسيد للمعاني القيمية التي يتبناها الانسان، ولهذا جاء في الحديث أنّ النبي ﷺ قال: ((إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))(3)(4).
- تنشأ القيم لدى الفرد عن طريق تفاعل القوى المدركة مع مختلف التأثيرات الاجتماعية لتمكن الانسان من الاندماج داخل النسق العام للقيم المجتمعية في البيئة التي يعيش فيها.
- يظل الإسلام وما تضمنه من عقائد وأخلاق وتشريعات أهم مؤثر في تكوين النسق القيمي للمجتمع الإسلامي وهو يتيح للفرد المسلم اكتساب المرونة في التعامل مع مختلف الثقافات الأجنبية بكل بصيرة وثبات.

---

(1) المرجع نفسه، (509/5).

(2) يوسف القرضاوي، "القيم الإنسانية في الإسلام"، ص03.

(3) رواه الامام أحمد في "المسند" (14/512-513) بلفظ (محاسن الأخلاق) برقم: (8952)، ورواه البخاري في "الأدب المفرد" (104) بلفظ (صالح الأخلاق) برقم: 273، والحاكم في "المستدرك" (670/2) برقم: (4221) وقال صحيح على شرط مسلم وسكت عنه الذهبي، **وصححه الألباني في صحيح** الأدب المفرد برقم: (273).

(4) ينظر: صالح آل الشيخ، "تعميق الصلة بين الشباب والقيم الإسلامية/سلسلة المحاضرات العلمية"، (509/5).

وينظر: طه عبد الرحمن، "تعددية القيم"، ص11.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وعرف أحد المفسرين المعاصرين القيم:[1] بأنها هي المعايير والمبادئ التي تجسد وجدان المجتمع، وتوجيه سلوك أفراده وجماعاته، وتعبر عن خصوصيته وهويته، وتكون مثلا أعلى مجردا للحكم على الأشياء، رغبة أو سخطا.

والتعريف الذي اختاره الباحث للقيم هو أن يقال فيها: **هي المعاني التي تفسر سر وجود الإنسان وترسم له الاتجاه السلوكي الذي يجتهد في الاتيان بأفعاله وسائر سلوكياته على مقتضاه، وهي حليته التي يتحلى بها كونه إنسانا، وميزانه الذي يرى به الجمال من كل شيء.**

المطلب الثالث: **تعريف بالقيم الإنسانية**

قام الباحث في المطلب السابق بالتعريف بمصطلح القيم مفردا غير مضاف له أي نوع من أنواع الإضافات اللغوية ذات الدلالات والمعاني الموجهة التي تتشكل منها المصطلحات المركبة، والذي جرت عليه العادة في كثير من المناسبات المختلفة أنه في الغالب ما يتم ربط مصطلح القيم بمفردة أخرى تضاف إليه؛ فيقال تارة قيم أخلاقية وتارة أخرى قيم دينية وفي الغالب الأعم ما تضاف مفردة القيم إلى لفظة الإنسانية، ومسايرة للعادة والإلف في تحليل مثل هذه المصطلحات لابد من دراستها على جهة الإفراد؛ أي دراسة كل لفظة من المركب وحدها من غير نظر في ما يضاف إليها من كلمات، ثم دراسة معنى التركيب الإضافي الاصطلاحي.

الفرع الأول: التعريف اللغوي بمصطلح الإنسانية

(أ ن س) الهمزة والنون والسين أصل واحد، وهو ظهور الشيء، وكل شيء خالف طريقة التوحش[2]، و(الإنس) البشر والواحد (إنسي) بالكسر وسكون النون و(أنسي) بفتحتين والجمع (أناسي) قال الله تعالى: ﴿وأناسي كثيرا﴾[3]،وكذا (الأناسية) مثل الصيارفة والصياقلة ويقال للمرأة أيضا (إنسان) ولا يقال إنسانة. وإنسان العين المثال الذي يرى في السواد وجمعه (أناسي) أيضا وتصغير إنسان (أنيسان)[4] وتأتي هذه المادة على عدة تصاريف كـ: وأنست به واستأنست به وأنست إليه وأستأنست إليه. قال الطرماح:

كل مستأنس إلى الموت قد خا ض إليه بالسيف كل مخاض

(1) وهبة الزحيلي، "الإسلام والإيمان والإحسان/ موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر" (46/1).

(2) ابن فارس، "معجم مقاييس اللغة" (145/1).

(3) محمد أبو بكر الرازي، "مختار الصحاح"، ص23.

(4) المرجع نفسه، ص23.

ولي به أنس وأنسة(1).

والإنسان قيل: سمّي بذلك لأنه خلق خلقة لا قوام له إلا بإنس بعضهم ببعض، ولهذا قيل: الإنسان مدنيّ بالطبع(2) وقيل: سمّي بذلك لأنه يأنس بكلّ ما يألفه(3)، وقالوا الإنس خلاف الجن، وسموا لظهورهم(4)وقيل: هو إفعلان، وأصله: إنسيان، سمّي بذلك لأنه عهد الله إليه فنسي(5) ونسب هذا القول لابن عباس رضي الله عنهما(6)، أما المعاني التي تأتي بها وجوه وأمثلة تصاريف مادة (أ ن س) فهي كثيرة نذكر منها على سبيل المثال:

آنست الشيء: إذا رأيته، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [سورة النساء:6].

آنست الشيء: إذا سمعته، وهذا مستعار من الأول، قال الحارث:

آنست نبأة وأفزعها القـ ـناص وقد دنا الإمساء

والأنس: أنس الإنسان بالشيء إذا لم يستوحش منه.

والعرب تقول: كيف ابن إنسك؟ إذا سأله عن نفسه.

ويقال: إنسان وإنسانان وأناسي. وإنسان العين: صبيها الذي في السواد.(7)

وإذا جاء الليل استأنس كل وحشي واستوحش كل إنسيّ.

وهذه جارية آنسة من جوار أوانس وهي الطيبة النفس المحبوب قربها وحديثها.

وفلان جليسي وأنيسي.

ومكان مأنوس: فيه أنس كقولك مأهول: فيه أهل، قال جرير:(8)

حي الهدملة من ذات المواعيس فالحنو أصبح قفراً غير مأنوس

---

(1) ابن فارس، "معجم مقاييس اللغة" (145/1).

(2) الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن"، ص94.

(3) المرجع نفسه، ص94.

(4) ابن فارس، "معجم مقاييس اللغة" (145/1).

(5) الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن"، ص94.

(6) ينظر: محمد أبو بكر الرازي، "مختار الصحاح"، ص23.

(7) ابن فارس، "معجم مقاييس اللغة" (145/1).

(8) المرجع نفسه (145/1).

الفرع الثاني: الاستعمال القرآني

وردت مادة (أنس) في القرآن سبعا وتسعين (97) مرة، وجاءت مشتقات هذه المادة على نواح شتى، منها ما هو بصيغة الفعل الماضي وورد خمس مرات مثل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [سورة النساء:6] ومنها ما هو بصيغة الفعل المضارع وورد مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [سورة النور:27] ومنها ما هو بصيغة اسم الفاعل مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [سورة الأحزاب:53] ومنها ما هو بصيغة الاسم وورد تسعين مرة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ [سورة الإنسان:2](1) وتأتي هذه في القرآن الكريم على أوجه منها:(2)

- جمع إنس: أناسي، قال الله تعالى: ﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ۝٤٩﴾ [سورة الفرقان:49].
- آنستم: أبصرتم، قال الله تعالى: ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [سورة النساء:6].
- تستأنسوا: تجدوا إيناسا(3)، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [سورة النور:27].

الفرع الثالث: التعريف الإصطلاحي (التعريف الفلسفي)

كتب الناس –بمختلف تخصصاتهم الفلسفية والأدبية ومختلف انتماءاتهم العقدية والإيديولوجية ومختلف اتجاهاتهم الفكرية –حول الإنسانية، وهي في كتاباتهم ذات أوجه كثيرة تراءت للناظرين فيها؛ فكتب عنها كل بما رآه منها؛ فمنهم من تكلم عن كنهها الفلسفي ومنهم من تكلم عن آلامها ومنهم من تكلم عن فضلها على سائر العوالم الأخرى ... وفيما يلي نبذ مما قيل عنها، ففي جناية القوى الشهوانية على القيم الإنسانية وما نجم عنها من تدن في أخلاق الناس ووهن في ترابطهم الاجتماعي

(1) ينظر: "موسوعة التفسير الموضوعي" (323/3).
(2) سليمان بن صالح القرعاوي، "الموسوعة القرآنية في الوجوه والنظائر" (93/1).
(3) الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن"، ص94.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يقول أحدهم «لو حققت رأيت الناس لا يختلفون في الإنسانية بعقولهم ولا بأنسابهم ولا بمراتبهم ولا بما ملكوا إنما يختلفون ببطونهم وأحكام هذه البطون على العقل والعاطفة؛ فمن البطن نكبة الإنسانية ... وهو العقل العملي على الأرض وإذا اختلف البطن و الدماغ في ضرورة مدّ البطن مدّه من قوى الهضم فلم يبق ولم يذر»(1)، فالناس في إنسانيتهم على درجات، فأكملهم من كمل إنسانيته بالعقل والعواطف المنضبطة وترفع بروحه عن الإفراط في الشهوات بما يجعله يترفع عن عالم البهيمية.

وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم نجد هذا المصطلح بما يحمله من دلالات ذا علاقة وطيدة بما خص الله به آدم وذريته من التكريم والاصطفاء بالعقل الرجيح والفطرة السوية ونعمة إرسال الرسل بما يصلح أحوال البشرية؛ و«يرجع [تبصر هذا المعنى] إلى فهم قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [سورة الإسراء:70]، وتكريم الله عزوجل لبني آدم -كما قال العلماء- يرجع إلى أمرين؛ الأول: تكريم الله عزوجل لآدم في خلقته وخلقه، وفيما سخر له مما في السماء ومما في الارض، والله بين ذلك في الآية. والثاني من التكريم: أن الله رفع ابن آدم عن الحيوان وعن غيره، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا فيما يتصل بسعادته، والمصالح التي تتوخى في عيشه وعلاقته بنوع الإنسان، وهذا جاءت الشرائع من أجله ...»(2) ومثله قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ٥﴾ [سورة التين:4-5]، والمعنى: لقد خلقنا الإنسان في أعدل خلق وأحسن صورة، و﴿في أحسن تقويم﴾ فطرة وقصداً، فليس في المخلوقات أحسن من بني آدم خلقة، فالمخلوقات الأرضية كلها دون بني آدم، ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ هذه الردة التي ذكرها الله عز وجل تشمل أمرين؛ الأول: تعني أن الله تعالى يرد الإنسان أسفل سافلين خِلقة كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [سورة النحل:70]، فكلما ازدادت السن في الإنسان تغير إلى أردأ في القوة وفي الهيئة الجسديتين وفي نضارة الوجه وغير ذلك يرد أسفل سافلين. الثاني: فساد الفطرة التي جبل الله الخلق عليها، والعبادة التي تترتب أو تنبني على هذه الفطرة، فإن هذا إشارة إلى أن من الناس من تعود به حاله ــ والعياذ بالله ــ إلى أن يكون أسفل سافلين بعد أن كان في الأعلى والقمة من الإيمان والعلم جميعاً فمن لم يشكر هذه النعمة، فأفسد فطرته، ودس نفسه، فإن الله سيرده إلى النار التي تغير هذا التقويم الحسن الذي خلقه الله عليه(3). فالإنسانية بالاعتبار القرآني فطرة فطر

(1) مصطفى صادق الرافعي، "وحي القلم"، ص438.

(2) صالح آل الشيخ، "سلسلة المحاضرات العلمية" (132/7-133).

(3) ينظر: ابن عثيمين، "تفسير جزء عم"، ص253.

الله عليها بني آدم وميزة ميزهم بها على غيرهم من المخلوقات، فالواجب على بني آدم -والحالة هذه- رعاية نعمة الله عليهم والمحافظة عليها من أن تضـــيع مع طول العهد وكثرة ما يتجاذب البشـــرية من نوازع القوى الشهوانية المرافقة للتطور المادي في شتى ميادين الحياة.

وينظر: مساعد الطيار، "تفسير جزء عم"، ص183.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الرابع: دلالة المركب «القيم الانسانية القرآنية »

تراءى للباحث –بادئ ذي بدء– في هذا المصطلح المركب؛ أن وضع حدا فاصلا بين مصطلح (القيم) هكذا! مجردا عن أي نوع من أنواع الإضافات التركيبية؛ ومصطلح (القيم) مضافا إليه وسم (الإنسانية) ليصبح «القيم الإنسانية» أمر في غاية الصعوبة والغموض لأمور منها؛ أن الواحد من الكتاب المعروفين بالعلم والتبحر فيه –مع ما هو عليه من البحث في قضايا الفكر المعاصر–، قد يجعل من مصطلح (القيم) ومصطلح (القيم الإنسانية)؛ مرة بمعنى واحد ومرة بمعنيين متغايرين؛ ويقصد به وهبة الزحيلي[(1)] وهو من هو مشاركة في تفسير القرآن الكريم ودراسة القضايا الثقافية الإسلامية والعالمية، فيصرح مرة أن القيم التي دعا إليها الإسلام تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قيم فردية وقيم إنسانية وقيم اجتماعية[(2)]؛ فالملاحظ هنا أنه جعل القيم الإنسانية جزءا من القيم وقسيما لأنواع أخرى من القيم. في حين أنه في موضع آخر جعل من خلال استقرائه للقرآن الكريم القيم الإنسانية تنقسم إلى أربعة أقسام[(3)]: قيم دينية إنسانية وقيم شخصية وقيم إجتماعية وقيم عالمية؛ وكأنه بهذا التقسيم يجعل القيم والقيم الإنسانية شيئا واحدا. وهناك من الكتاب والباحثين من اعتبر (القيم الإنسانية) قسيما جزئيا بقيم أخرى كالقيم الحضارية والقيم الأخلاقية ... وهذا كله داخل منظومة القيم الكبرى[(4)].

---

(1) **وهبة الزحيلي**: ولد في ريف دمشق عام 1932م، درس الابتدائية في سوريا، والثانوية في الكلية الشرعية في دمشق مدة ست سنوات وحصل فيها على الثانوية العامة الفرع الأدبي أيضاً تابع تحصيله العلمي في كلية الشريعة بالأزهر الشريف، فحصل على الشهادة العالية ثم حصل على إجازة تخصص التدريس من كلية اللغة العربية بالأزهر، وحصل على ليسانس الحقوق من جامعة عين شمس عام 1957. نال دبلوم معهد الشريعة الماجستير عام 1959 من كلية الحقوق بجامعة القاهرة. حصل على شهادة الدكتوراه في الحقوق (الشريعة الإسلامية) في 1963 له العديد من المؤلفات في التفسير والفقه والفكر. توفي مساء السبت 8 أغسطس/آب 2015 ، وفي مدينة دمشق. ينظر: [بديع السيد اللحام، "وهبة الزحيلي العالم الفقيه المفسر"، ص11 وما بعدها، **وينظر**: "وهبة الزحيلي.. في ذمة الله"، في موقع اسلام ويب: https://www.islamweb.net/ar/article/206125/%D9%88%D9%87%D8%A8%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B2%D8%AD%D9%8A%D9%84%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%B0%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87 تاريخ الاطلاع: 30-01-2023م.]

(2) وهبة الزحيلي، "الإسلام والإيمان والإحسان/ موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر"، (46/1).

(3) المرجع نفسه، (137/6).

(4) ينظر: يوسف القرضاوي، "القيم الإنسانية في الإسلام".

واعتمد بعض الكتاب(1)في تقسيم **(القيم الإنسانية)** على تقسيم من سبقه من الباحثين لـــ **(القيم)**(2)وكأن الأول جعل القيم هكذا بدون أي إضافة، والقيم الإنسانية شيئا واحد والمغايرة في العبارات إنما هي مغايرة لا ترجع على المدلول بالاختلاف بل هو مجرد تنويع في الاصطلاح.

وتأمل الباحث فيما تضاف إليه كلمة القيم، ووجد أن المضافات إليها كثيرة ومتعددة، فتارة تضاف إلى الدين الذي هو مصدرها فيقال قيم دينية، وتارة تضاف إلى الأخلاق التي هي صورتها فيقال قيم أخلاقية، وتارة تضاف إلى مجال من مجالات الحياة فيقال قيم سياسية وقيم إقتصادية وقيم اجتماعية ... وتنوع هذه الإضافات في الدراسات والبحوث تعتبر ظاهرة في ميدان القيم يقصد منها –في رأي الباحث– حصر موضوع القيم في حدود معينة يقصدها الباحث لحصر مجال البحث أو أهدافه ... أما إضافة القيم إلى الإنسانية فعلى تقدير الباحث؛ هي إضافة يراد منها تحديد الهدف والغاية والمقاصد من فلسفة القيم، أي أن القيم الإنسانية هي القيم التي تحقق في الأفراد والجماعات معنى الإنسانية بكل ما تحمله هذه الكلمة الأخيرة من دلالات ومعان. ولعل السبب –كذلك– في جعل مصطلح القيم مرتبطا باضافته إلى الإنسانية هو أن «الطرف الأساسي هنا هو الإنسان لأنه من سيطبق حكم القيمة، وعليه فلا وجود لأي قيم في غياب الإنسان، لأنها بدون الإنسان لا يمكن لها أن تفعل ولا حاجة إليها ولا أثر ينتج عنها، لذلك تختفي باختفائه، هي ظل الإنسان على الأرض، هي كالحضارة تماماً التي ما كانت لتوجد لولا موجدها الإنسان، وعندما أوجد الحضارة بدأ فرزها للقيم »(3). وفي هذا المعنى بالضبط يقول صاحب الظلال في التفسير: «حين تكون (إنسانية الإنسان) هي القيمة العليا في مجتمع وتكون (الخصائص الإنسانية) فيه موضع التكريم والرعاية، يكون هذا المجتمع متحضراً متقدما.. أو بالاصطلاح الإسلامي: ربانياً مسلماً ... »(4). من خلال المقدمة السابقة يمكننا القول أن مصطلح: القيم الإنسانية القرآنية، من جهة تركيبه اللغوي هو جملة حذف عاملها والمصطلح مركب من موصوف وصفة أولى وصفة ثانية. وهذا المركب الوصفي يحمل في ثنايا

---

(1) عبد الله بصفر، "القيم الإنسانية في الإسلام/ التعايش السلمي في الإسلام"، الندوة الدولية: كولنبو سيرلانكا المنعقدة بتاريخ: 11-13 جمادى الآخرة 1427هـ الموافق لـ: 7-9 يوليو 2007م.

(2) مانع بن محمد بن علي المانع، "القيم بين الإسلام والغرب"، ص24.

(3) سيد قمني، تبسيط مفهوم القيم، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=212224&r=0، تاريخ الاطلاع: 06-10-2019م.

(4) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (3/1257-1258).

تركيبه دلالات لغوية، أما من الجهة الاصطلاحية فلعلها من باب الإضافة الصورية من إضافة الموصوف إلى الصفة وهي كثيرة الاستعمال، وغرض النعت الأول من جهة التنبيه على أمر فيه ما يدعو إلى مزيد عناية بهذا الباب هو:

الثناء والتفخيم: إذ الغرض من وصف القيم بأنها إنسانية هو بيان حسنها لتبين حسن الشيء الذي نسبت إليه، أي أننا إذا أضفنا صفة الإنسانية لأي قيمة؛ بحيث نقول تلك قيمة إنسانية فهو من باب التعظيم بإضافة الصفة إلى الموصوف. وهذا الثناء والتفخيم فيه إبراز لجزء مما أكرم الله به الجنس الإنساني من بين أجناس المخلوقات الأخرى فمثلا «الإنسان خاصيته التفكير في أفق العلم الواسع الرحيب، فمن حرم إنساناً -فرداً أو جماعة- من العلم فقد حرمه من خصوصية الإنسانية، وحوله إلى عيشة العجماوات، وذلك نوع من المسخ، فهو عذاب شديد، وأي عذاب شديد؟!»(1) فالإنسان مكرم بخاصية التفكير التي هي طريق العلم وكل من حرمه من ممارسة هذه الخصوصية فقد سلبه جزءا من إنسانيته، فالعلم قيمة تزيد في بيان صفة الإنسانية التي اختص بها بنو آدم عليه السلام.

التعميم: أي أن هذه القيم تمثل مشتركا ثقافيا إنسانيا لا يختلف ذوي عقل فيه، وهذا على الأقل في أصول القيم الإنسانية وفي عالم المثل؛ بغض النظر عن المحتوى الدلالي الفلسفي لكل قيمة أو عن التطبيقات العملية لكل قيمة من القيم في الواقع الإنساني في مختلف الثقافات.

التأكيد: كما تفيد هذه الصفة التأكيد على كون تلك القيم علامة فارقة فيصلة بين النوع الإنساني وبين ما شابهه من ذوات الأرواح الأخرى في عالم الأحياء. والإنسانية في حد ذاتها قيمة تأتي القيم الأخرى مهما كان نوعها للدلالة على هذه القيمة الفارقة؛ «الإنسانية قيمة بها نختلف عن سائر المخلوقات، تتحقق الإنسانية بالتوحيد والتزكية تتحقق بالتقوى والعلم والسلوك والتكريم الإلهي وما شاكل»(2) والكتاب والسنة جاءتا بهذه المعاني التي أكدها هذا المصطلح فالآيات في هذا الباب كثيرة لعل أظهرها في الدلالة على هذا المعنى قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء:70] ومن سنة رسول الله ﷺ قوله ﷺ في حجة الوداع: (3) «يا أيها الناس، ألا إن

---

(1) عبد الحميد بن باديس، "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، ص269.

(2) طه جابر العلواني، "القيم بين الرؤية الإسلامية والرؤية الغربية في المنهج المعرفي القرآني/القيم في الظاهرة الاجتماعية"، ص120.

(3) ينظر: مهدي رزق الله أحمد، "السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصيلة" (651/2 وما بعدها).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسـود، ولا أسـود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغت؟ قالوا: بلغ رسـول الله ﷺ، ثم قال: أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام. ثم قال: أي شـهر هذا؟ قالوا: شـهر حرام. قال: ثم قال: أي بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام، قال: فإن الله قد حرم بينكم دماءكم وأموالكم – قال: ولا أدري قال: أو أعراضـكم أم لا – كحرمة يومكم هذا، في شـهركم هذا، في بلدكم هذا، أبلغت؟ قالوا: بلغ رسـول الله، قال: ليبلغ الشاهد الغائب» فالكتاب والسنة متواطئان على جعل الإنسانية في مقام رفيع تحفظ به كرامة المرء إذا لم يأت منهما ما يخرم تلك الكرامة ويذهب بها على تفصيل سيأتي بيانه في بحث مسألة تصادم القيم وتزاحمها، وعلى قدر تكميل الانسـان نفسـه بالقيم العليا على قدر ما تسـمو به تلك القيم في سماء الإنسانية العليا.

وغرض النعت الثاني (القرآنية) لا يختلف عن سابقه في الغرض؛ ففيه ثناء وتعظيم؛ إذ إننا حين ننسبه إلى القرآن الكريم فإننا ننسـبه إلى كلام رب العالمين، وأنعم بالقيم التي تظهر في كلام الخالق اللطيف الخبير. وشيء زائد على ما سبق من الأغراض وهو التخصيص فالقيم التي نذكرها هنا تختص بما أبداه القرآن وتفاسيره منها. وهي تعبر عن خصوصية الفرد المسلم في تحليه بالقيم الإنسانية، فعلى سبيل المثال: المسلم «الموحد لن يسخر العلم إلا فيما يرضيه تعالى وينفع الناس فلا مجال لتسخير العلم لبناء أسلحة الدمار الشامل أو غير الشامل ... والعلم والمعرفة عند الموحد يقتضيان العمل الصالح، فالموحد يستعيذ بالله من علم لا ينفع»(1) بل سيد الموحدين رسول الله ﷺ كان يتعبد الله بدعائه أن يجنبه العلم الذي لا ينتفع به فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((مثل علم لا ينتفع به كمثل كنز لا ينفق منه في سبيل الله))(2)، وفي حديث عن أنس أن النبي ﷺ كان يدعو بهذه الدعوات؛ ثم ذكر منها: ((اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع)) (3).

---

(1) طه جابر العلواني، "القيم بين الرؤية الإسلامية والرؤية الغربية في المنهج المعرفي القرآني/القيم في الظاهرة الاجتماعية"، ص105.

(2) أخرجه الدارمي في "مسنده" (1 / 461) برقم: (575) **وحسنه الألباني** في "مشكاة المصابيح" برقم: (280).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه (81/8) برقم: (2722).

المبحث الثاني: القيم عند المفسرين

وفيه المطالب التالية:

- **المطلب الأول:** موقف المفسرين من القيم موضوعا ومصطلحا
- **المطلب الثاني:** النزعة الإنسانية في القرآن وتفاسيره المعاصرة
- **المطلب الثالث:** خصائص القيم في القرآن الكريم
- **المطلب الرابع:** الإنسانية وحاجتها إلى القرآن الكريم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: القيم الإنسانية عند المفسرين

يقول محمد البشير الإبراهيمي: «**القرآن كتاب الإنسانية العليا،** استشرفت إليه قبل أربعة عشر قرناً حين ضامها أبناؤها فعقلوها، فارتكسوا في الحيوانية السفلى، فأخلدوا إلى الأرض، فأكثروا فيها الفساد، فأنزله الله من السماء ليصلح به الأرض وليدل أهلها المستخلفين عليها من بني آدم، على الطريق الواصلة بالله، ويجدد ما رث من علائقهم به. **وما أشد شبه الإنسانية اليوم بالإنسانية قبل نزول القرآن،** في جفاف العواطف، وضراوة الغرائز، وتحكم الأهواء، والتباس السبل، وتحكيم القوة، وتغول الوثنية المادية. **وما أحوج الإنسانية اليوم إلى القرآن، وهي في هذا الظلام الحالك من الضلال،** وقد عجز العقل عن هدايتها وحده، كما عجز قديماً عن هدايتها، لولا تأييد الله له بالأمداد السماوية من الوحي الذي يقوي ضعفه إذا أدركه الوهن، ويصلح خطأه إذا اختل ميزانه»[1]، هذا كلامه عن الإنسانية وحاجتها للهداية الربانية وأحسن منه كلامه على القرآن الكريم وكونه كتاب القيم الأول للبشرية: «القرآن إصلاح شامل لنقائص البشرية الموروثة، بل اجتثاث لتلك النقائص من أصولها. وبناء للحياة السعيدة التي لا يظلم فيها البشر ولا يهضم له حق على أساس من الحب والعدل والإحسان. والقرآن هو الدستور السماوي الذي لا نقص فيه ولا خلل: فالعقائد فيه صافية، والعبادات خالصة، والأحكام عادلة، والآداب قويمة، والأخلاق مستقيمة، والروح لا يهضم لها فيه حق، والجسم لا يضيع له مطلب»[2]، وفيما يلي من المطالب يحاول الباحث تشخيص أهل القرآن الفاهمين له الساعين به للإصلاح لداء الإنسانية في العصور المتأخرة ، هذا الداء الذي أعيا الفلاسفة والمفكرين ... ما أدى بهم إلى تسطير قواعد علم القيم التي تحفظ لبني آدم إنسانيتهم.

---

(1) مقدمة تفسير ابن باديس: "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، ص16.

(2) "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي» (4/ 95).

المطلب الأول: موقف المفسرين من القيم موضوعا ومصطلحا

الحق والخير والجمال هي المحاور الكبرى لفلسفة القيم، وهذه المحاور هي معان موجودة عند المفسرين المعاصرين والقدامى دونما أي شك وهي في حضورها في التفسير على درجات متفاوتة كل مفسر بحسب أغراضه من كتابته في التفسير، وفي العصر الراهن نجد صاحب الظلال قد أولى اهتماما بالغا بالقيم على وجه العموم في تفسيره فهو لا يفتأ يذكرها منتصرا لها بالقرآن أو منتصرا للقرآن الكريم بها من كل شبهة قد أثيرت هنا وهناك، وفي مقدمته أشار للمحاور الثلاث للقيم في إشارة قد تكون أقرب للتصريح بأنها هي مقاصده وغرضه من وضع تفسيره، وكان حديثه بادئ ذي بدء عن الجمال كيف هو في حقيقته الموجودة في القرآن الكريم وكيف شوهت الهمجية البشرية الذوق الجمالي في الانسان فقال: «وعشت– في ظلال القرآن– أحس التناسق الجميل بين حركة الإنسان كما يريدها الله، وحركة هذا الكون الذي أبدعه الله.. ثم أنظر.. فأرى التخبط الذي تعانيه البشرية في انحرافها عن السنن الكونية، والتصادم بين التعاليم الفاسدة الشريرة التي تملى عليها وبين فطرتها التي فطرها الله عليها. وأقول في نفسي: أي شيطان لئيم هذا الذي يقود خطاها إلى هذا الجحيم؟ ...»(1). وبعد ذلك رسم تصورا عن قيمتي الحق والخير مستقرئا ذلك من القرآن الكريم وواضعا على كل فكرة من ذلك دليلا من القرآن الكريم مما تصدقه الشواهد وتذعن له العقول السليمة؛ حيث قال: «**والحق في منهج الله أصيل في بناء هذا الوجود**؛ ليس فلتة عابرة، ولا مصادفة غير مقصودة، إن الله سبحانه هو الحق، ومن وجوده تعالى يستمد كل موجود وجوده: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سورة الحج:62]، وقد خلق الله هذا الكون بالحق لا يتلبس بخلقه الباطل: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ﴾ [سورة يونس:5]، ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ﴾ [سورة آل عمران:191]، والحق هو قوام هذا الوجود فإذا حاد عنه فسد وهلك: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ [سورة المؤمنون:71]، ومن ثم فلا بد للحق أن يظهر، ولا بد للباطل أن يزهق، ومهما تكن الظواهر غير هذا فإن مصيرها إلى تكشف صريح: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ﴾ [سورة الأنبياء:18]. **والخير والصلاح والإحسان أصيلة كالحق**، باقية بقاءه في الأرض: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

(1) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (11/1).

مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الرعد:17]، ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ﴾ [سورة إبراهيم:24-27]»[1]. وليس هذا صنعة صاحب الظلال وحده، فمحمد عبد الله دراز[2] بين أن المحاور الثلاثة الكبرى للقيم الإنسانية (الحق ،الخير، الجمال) هي مقاصد القرآن الكبرى حيث يرى أن القرآن يدور حول ثلاثة جوانب: أولا الحق أو العنصر الديني وثانيا الخير أو العنصر الأخلاقي، ثالثا الجمال أو العنصر الأدبي على حد تعبيره[3]،«فمن التسديد في الرأي والمقاربة في العمل أن ترشد الأمّة الإسلامية إلى معرفة ما ضيّعت من خير وما خسرت من هداية، بتضييعها للقرآن وإنما تعرف ذلك ويبلغ مكامن الوجدان من نفوسها، من وصفه والإشادة بشأنه **والتنويه بجلاله** وخطره والتنبيه على ما يحتوي عليه من العلوم الكثيرة بألفاظ قليلة، وتقريب ما ينطوي عليه من **المرامي المفيدة**، بالكلمات القريبة، **وشرح ما فيه من الحقائق المتفرقة** بالجمل الجامعة، فإن ذلك يكون أدعى لرجوع النفوس الجامحة عنه إليه وأعون على فيأها إلى حماه والاستظلال بظله

---

(1) سيد قطب، "في ظلال القرآن"، (14/1).

(2) محمد بن عبد الله دراز: فقيه متأدب مصري أزهري. ولد بمحلة دياي (دسوق) وتعلم بالإسكندرية، ودرس بها وبالأزهر، تعلم اللغة الفرنسية، واختير للتدريس بالقسم العالي بالأزهر، وأرسل في بعثة علمية إلى فرنسا، وحصل على شهادة الدكتوراه من السوربون سنة: 1947م. اشتغل بالتدريس بالأزهر ودار العلوم وجامعة القاهرة وكلية الشرطة، كان من هيأة كبار العلماء بالأزهر، له كتب، منها: الدين، تفسير آيات الأحكام. وافته المنية بمدينة لاهور بباكستان حيث كان يمثل مصر في المؤتمر العلمي الإسلامي. [**ينظر**: خير الدين الزركلي، "الأعلام"، (246/6). وَعادل نويهض، "معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر"، (2/564-565). وَعمر كحالة، "معجم المؤلفين"، (10/212-213).]

(3) ينظر: محمد عبد الله دراز، "مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن"، ص71 وما بعدها.
ووصفي عاشور، "نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم"، ص32 وما بعدها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والاستمساك بحبله»[1]. وإن كان البعض يرى أن إشغال الناس ببعض مفردات القيم التي لا تمس الحاجة إليها هو أقرب ما يكون إلى الابتداع المذموم في الدين، ومثاله القيم الجمالية الفنية في القرآن الكريم ففي حين يعتبرها البعض تجديدا في التفسير يرى طرف آخر أنها ليست إلا ابتداعا يصد عن تدبر القرآن الكريم وفهم معانيه والعمل به وفي هذا تعطيل لمعنى قول الله تبارك وتعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [سورة ص:29] [2].

وما مضى بيانه هو في شأن العلوم والمقاصد التي حواها القرآن الكريم وعلاقتها بموضوع القيم الإنسانية ذي الطابع الفلسفي، أما من جانب المصطلح في حد ذاته فنجد مثلا في كلام العلامة تقي الدين الهلالي[3] ومن وافق مذهبه ما يشعر برفض استعمال هذا المصطلح الفلسفي في ميدان العلوم الشرعية على الخصوص ورفض إشاعته بين الناس على أنه من عرف الثقافة الإسلامية، وحجته على ذلك؛ تنوعت! فمن جانب لغوي يتمثل في فساد هذا التركيب وما يشاكله حيث قال: «القيم الدينية والأخلاقية: ومن المعلوم أن القيم هنا جمع قيمة، ولا معنى لاستعمالها هنا، قال ابن منظور في اللسان: والقيمة واحدة القيم والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، وإذا قلنا: القيم الدينية أو القيم الأخلاقية، يكون المعنى: الأثمان الدينية، والأثمان الأخلاقية، والدين والأخلاق لا تقويم فيهما ولا بيع ولا شراء»[4]. وإلى جانب فساد هذا المعنى اللغوي بينّ علة أخرى تتمثل في أن هذا الفن من فنون الثقافة الإنسانية هو فن دخيل على العلوم الإسلامية سببه الأول هو التقليد والمحاكاة للحضارة الغربية عن

---

(1) محمد البشير الإبراهيمي، "الآثار" (1/ 323).

(2) ينظر: سعد الحصين، "فكر سيد قطب"، ص74 وما بعدها.

(3) **محمد تقي الدين الهلالي**: محمد التقي -المعروف بمحمد تقي الدين-؛ بن عبد القادر الهلالي، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما. ولد سنة 1311هـ / 1892 م، في قرية الفيضة بالمملكة المغربية، قرأ القرآن على جده ووالده، عاش طالبا للعلم ومعلما في المغرب والجزائر وألمانيا والهند والعراق ومصر والمملكة العرية السعودية وسويسرا، درس على الشيخ محمد سيدي بن حبيب الله الشنقيطي حصل الطالب الهلالي على إجازة من جامع القرويين عادلتها جامعة «بون» الألمانية بالشهادة الثانوية «الباكلورية»، نال شهادة الدكتوراه من جامعة بون في ألمانيا، له سفر كبير في التفسير بعنوان: سبيل الرشاد في هدي خير العباد، وله كتاب في تفسير سورة الأنعام: الإلهام والإنعام في تفسير سورة الأنعام، وله تفسير لسورة الفاتحة فتح الرحمن في تفسير أم القرآن، وله العديد من المؤلفات منها: سبيل الرشاد، وحكم تارك الصلاة، والصبح السافر في حكم صلاة المسافر، والحسام الماحق لكل مشرك ومنافق، وكتاب الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة، تقويم اللسانين توفي في الدار البيضاء سنة 1987م بالمغرب. **ينظر**: [محمد بن عبد الرحمن المغراوي، "موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية"، (10/98-99). وسيرته في الموقع الرسمي: http://www.alhilali.net/]

(4) تقي الدين الهلالي، "تقويم اللسانين"، ص46.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

طريق الترجمة الحرفية للمصطلحات الموجودة في ثقافاتهم وأدبياتهم فقال رحمه الله: «وهذا الاستعمال أيضا مأخوذ من اللغات الأجنبية، ولا ينبغي استعماله في العربية، ولا حاجة إليه، لأن استعمال الأخلاق ومكارم الأخلاق، والتمسك بالدين، وما أشبه ذلك، يغني عنه، وليس هذا من المخترعات حتى نبحث له عن اسم، أو نترجم اللفظ الأجنبي، ونستعمله!»(1) فأظهر رحمه الله فسادا في التركيب اللغوي للمصطلح وبين أن لا حاجة إلى مثل هذه المصطلحات في العلوم الإسلامية وأظهر عدم الحاجة إليه من جانبين(2)؛ الجانب الأول: أنه يوجد عند المسلمين من الفنون التي توضح نفس مقاصد علم القيم عند الغربيين مثل: مكارم الأخلاق، والدين ... فلا حاجة إلى أن نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير. والجانب الثاني: هو أن العادة جارية بأن يشتق الاسم للمخترع الجديد الذي ليس للمسلمين وغيرهم عهد به، والقيم ليست بالشيء الجديد في جوهره وحقيقته في المجتمع بل هي مما توارثه المسلمون عن أسلافهم كغيرهم من المجتمعات، ويحسن التنبيه أن هذا الرفض لمثل هذا المصطلح هو اتجاه عام يرفض ما بات يعرف بـ: «أسلمة المعرفة» أو «أسلمة العلوم» أو وضع التصور الإسلامي للقضايا والمسائل العلمية، ويرى أنه على المسلمين نبذ مثل هذه الاصطلاحات المولدة الركيكة في معناها ومبناها، والتي تقطع الصلة بحبل العلم والإيمان، ويعتبر هذا الأمر من الفوضى في الاصطلاحات التي تذبح الأصالة، وتقتل الذات، وتفقد الخصوصية والتميز الحضاري وتجعل المسلم في إطار مصطلحات غريبة عن دينه وإسلامه، بل عن لغته، يعيش في دوامة من التناقض بين اعتقاده وثروة أسلافه وبين ما يسمعه ويعيش في منظومته الحضارية(3).

وعودا على النقد الذي قال به تقي الدين الهلالي لمصطلح القيم يرى الباحث أن هذا القول وإن كان له وجه يؤيده من جهة اللغة؛ إلا أن عليه استدراك وتعقب وفيه تفصيل، وما يرد مذهبه هو ما سبق بيانه في المبحث الأول من بيان المقصود من مصطلح "القيم الإنسانية" وأن هذا المركب الإضافي ليس مرادا منه ما ذهب إليه الشيخ في هذا المذهب بل هو من باب إضافة الصفة إلى الموصوف لبيان المزية والاختصاص ... وعليه فالقيم من جهة اللغة ذات أوجه ولكل وجه معنى، وعلى أساس هذا المعنى وعلى أساس التركيب يتبين صلاحية التركيب الاصطلاحي من عدمه. وإذا نظرنا إلى موضوع علم القيم من جهة مقاصده ووسائله؛ فهو علم ينتمي إلى مجموع علوم الحكمة التي ترمي إلى الرقي بالإنسان عن درجة الحيوانية التي يشترك بها مع غيره من المخلوقات ذوات الأرواح،

(1) تقي الدين الهلالي، المرجع السابق، ص46.

(2) المرجع نفسه، ص46.

(3) ينظر: بكر أبو زيد، "معجم المناهي اللفظية"، ص360-361. بتصرف

وهذا الموضوع نفسه يزيد من قدرة المفسر للقرآن الكريم على تبيين حقائق القرآن وتبيين فضله على سائر الفلسفات البشرية في قدرته على بث روح العزة والكرامة مع الرحمة في نفس الفرد البشري وفي قدرته على تكوين نظام اجتماعي إنساني يسوده الإخاء والعدل وتقوي روابطه عقيدة الإسلام. وهذا ما يوضحه محمد الطاهر بن عاشور[1] في بيان أقسام ومراتب علاقة العلوم بالقرآن الكريم حيث يقول رحمه الله: «إن علاقة العلوم بالقرآن على أربع مراتب؛ **الأولى:** علوم تضمنها القرآن كأخبار الأنبياء والأمم، وتهذيب الأخلاق والفقه والتشريع والاعتقاد والأصول والعربية والبلاغة. **الثانية:** علوم تزيد المفسر علما كالحكمة والهيأة وخواص المخلوقات. **الثالثة:** علوم أشار إليها أو جاءت مؤيدة له كعلم طبقات الأرض والطب والمنطق. **الرابعة:** علوم لا علاقة لها به إما لبطلانها كالزجر والعيافة والميثولوجيا، وإما لأنها لا تعين على خدمته كعلم العروض والقوافي»[2]، بل من منظور الشيخ فإن جانبا كبيرا من موضوع علم القيم قد تضمنه القرآن الكريم فضلا عن كونه مما يساعد على التفسير؛ إذ تهذيب الأخلاق هو الأصل الأول لعلم القيم وهو من العلوم التي تضمنها القرآن ببيان الأخلاق حميدها وذميمها، «وقد حرص القرآن الكريم على أن يؤسس لمفهومي المعروف والمنكر ليجعل منهما وعاء للقيم، ومستودعا لها، الأول فيما يتعلق بالقيم الإيجابية والثاني للقيم السلبية وذلك أن القرآن الكريم قد فصله على علمه المحيط بكل شيء فأودع فيه في ذلك الإطار كل ما يمكن أن مؤثرا في هذا

(1) **محمد الطاهر بن عاشور**: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، ولد سنة 1296هـ-1879م، مولده ووفاته ودراسته بتونس، قرأ بجامع الزيتونة بعد اتقانه للقرآن الكريم في الكتاب إلى أن تخرج بشهادة التطويع سنة 1899م. ودرس في جامع الزيتونة وفي المدرسة الصادقية، وعين عميدا للجامعة الزيتونة في أفريل 1956م وله قبل ذلك وبعده وظائف أخرى كثيرة. يعد من دعاة الإصلاح الإجتماعي والديني، عين عام 1932م شيخا للإسلام مالكيا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها: مقاصد الشريعة الإسلامية وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام والتحرير والتنوير في تفسير القرآن، وأصول الإنشاء والخطابة وموجز البلاغة، وكتب كثيرا في المجلات، وتوفي سنة: 1393هـ-1973م. ينظر: [خير الدين الزركلي، "الأعلام"، (174/6-175) و عادل نويهض، "معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر"، (542/2)، و محمد محفوظ، "معجم المؤلفين التونسيين"، (304/3 وما بعدها)].

(2) "التحرير والتنوير" (1/ 45).

المجال» [1]، وإلى أبعد من هذا ذهب محمد البشير الإبراهيمي[2] الذي جعل من شروط المفسر للقرآن الكريم في العصر الحديث –بعد معرفة لسان العرب ومأثور التفسير– أن يكون عارفا ملما بما أنتجته البشرية من علوم فقال ﵀: «تفسير القرآن تفهيم لمعانيه وأحكامه وحكمه وآدابه ومواعظه والتفهيم تابع للفهم، فمن أحسن فهمه أحسن تفهيمه، ومن لم يحسن فهمه لم يحسن تفهيمه وإن كتب فيه المجلدات وأملى فيه ألوف المجالس، وفهم القرآن يتوقف– بعد القريحة الصافية والذهن النير– على التعمق في أسرار البيان العربي، والتفقه لروح السنة المحمدية المبينة لمقاصد القرآن، الشارحة لأغراضه بالقول والعمل، والاطلاع الواسع على فهوم علماء القرون الثلاثة الفاضلة، ثم على التأمل في سنن الله في الكائنات ودراسة ما تنتجه العلوم الاختبارية من كشف لتلك السنن وعجائبها»[3] فشرط في الفهم والتفهيم أن يكون المفسر مطلعا على سنن الله الكونية والقيم كما سبق بيانه من خصائص النفس البشرية مرتكزة في الفطرة التي فطر الناس عليها ولولا ما أحدثته نوازع الشر في عقولهم لكان الناس اليوم على كلمة سواء في كثير من الأمور التي يتنازعون فيها، فوجب على من يبتغي أن يرد الناس إلى الفطرة الأولى التي هي من سنن الله الكونية أن يكون مطلعا متعمقا في درس القرآن الكريم ومطلعا على ما أنتجه المجتمع الإنساني من علوم بينت سننا لله في الكون. وتجدر الإشارة على أن تقي الدين الهلالي نفسه الذي عارض ما يشاكل هذا المصطلح نبه إلى هذا الملحظ الدقيق من علوم القرآن وعلاقتها بعلوم العصر بمختلف تخصصاتها حيث قال ﵀: «اعلم – علمت خيرا ووقيت

(1) طه جابر العلواني، "القيم بين الرؤية الإسلامية والرؤية الغربية في المنهج المعرفي القرآني/القيم في الظاهرة الاجتماعية"، تحرير: نادية محمود مصطفى، ص105.

(2) **محمد البشير الإبراهيمي**: ولد بقرية "رأس الوادي " بناحية مدينة سطيف بالشرق الجزائري في 14 يونيو عام 1889م، أتم حفظ القرآن الكريم على يد عمه واتقن عليه عدة متون في فنون شتى، هاجر إلى المدينة النبوية سنة 1911م، مر بمصر وجلس في الأزهر عند علمائها، وجلس في المدينة النبوية عند كبار العلماء الوافدين من أقطار العالم المختلفة، ثم أصبح يلقي الدروس للطلبة في الحرم النبوي. التقى خلال إقامته بالمدينة المنورة، في موسم الحج عام 1913م، بالإمام عبد الحميد بن باديس، تلك اللقاءات شهدت ميلاد فكرة تأسيس جمعية العلماء. وفي سنة 1917م، انتقل الإبراهيمي إلى دمشق حيث درس بالمدرسة السلطانية ووعظ بالجامع الأموي، عاد إلى الجزائر سنة 1920م، في عام 1931 تأسست "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، ووضع الإبراهيمي دستور الجمعية وقانونها الأساسي، وأصبح نائبا لرئيسها الإمام ابن باديس، اختار مدينة تلمسان مركزا لنشاطه المكثف، وأسس فيها "مدرسة دار الحديث" سنة 1937م، وكان له درس في التفسير بها، ترأس الجمعية بعد وفاة ابن باديس سنة 1940م، إلى أن توفي في 20 مايو1965. [ينظر: أحمد طالب الإبراهيمي: مقدمة : "آثار البشير الإبراهيمي" (9/1 وما بعدها)،]

(3) "الآثار" (250/2).

ضرا – أن مباحث القرآن وعلومه وفوائده وجواهره وأسراره لا تعد ولا تحصى وليست خاصة بزمان دون زمان، ففي كل زمان يظهر منها شيء كان خافيا من قبل كما قال الشاعر:

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا

بل كما قال الله تعالى في آخر سورة فصلت: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة فصلت:53]... أي سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقا منزلا من عند الله وعلى رسول الله ﷺ بدلائل خارجية في الآفاق من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم، وسائر الأديان»(1) فإذا أخذنا بهذا المبدأ من كون الإسلام ظاهر على سائر الأديان –وفيه ما فيها من الخير وزيادة– فمن باب أولى أن القرآن الكريم الذي هو مصدر هذا الدين الأول والترجمان عنه؛ مزاحم لما جد واستجد من الفلسفات وعلوم الحكمة وما أضحى يعبر عنه الآن بمصطلح الثقافات التي اتفقت عقول البشر على استحسانها وتقديمها والقيم الركن الأول من أركان علوم الثقافات البشرية. فإذا تقرر أن هذا مبحث ثقافي فرض على سائر مجتمعات الإنسانية وكياناتها بيان ما في مرجعياتها الأيديولوجية منه حتى لا تكون عرضة للذوبان في ثقافات غيرها؛ تقرر معه وجوب سعي المسلمين لبيان ما في مراجعهم الدينية من الكتاب والسنة ما به يبّلغون رسالات ربهم وما به يحفظون دين الله ﷻ من الزوال وهذا نفسه ما نبه عليه تقي الدين الهلالي في موضع آخر فقال: «الركن الأول من ثقافة العرب اللذين نحن جزء منهم وثقافة المسلمين اللذين يؤلفون الأمة التي ننتمي إليها هو تعليم الدين تعليما عمليا عقديا أخلاقيا جديا من روضة الأطفال إلى آخر سنة في الجامعة. وكل ثقافة تخل هذا الركن الأساسي أو تقرره لفظيا فارغا من معناه ومن العقيدة والعمل والخلق والجد والمعلمين الأكفاء فنتيجتها صفر على اليسار ... وإذا تقرر أن الركن الأساسي من أركان الثقافة التي نحتاج إليها هو معرفة الدين الصحيح والعمل به والتقيد بأحكامه والدعوة إليه فمفتاح هذه الثقافة هو لغة القرآن والسنة، فبدونها لا يمكن أن نعرف هذا الكنز العظيم الذي خلفه أسلافنا من العلوم والآداب الدينية والدنيوية. وهذا فرض مقدس على جميع الشعوب العربية والإسلامية وعلى قدر أدائه والتقدم فيه

---

(1) تقي الدين الهلالي، "مباحث في القرآن الكريم"، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، المملكة العربية السعودية، العدد التاسع، 1404هـ، (77/9).

يكون تقدمها العام»[1] فإذا فرض علينا أن نحافظ على لغة القرآن الكريم للحفاظ الثقافة العربية فإنه قد فرض علينا أيضا أن نواجه بهذه الثقافة مختلف الثقافات الواردة إلينا بما تحمله من مصطلحات وما تحت هذه المصطلحات من دلالات وما شحنت به من عقائد وإيديولوجيات.

وإلى أبعد من هذا الذي نبهنا إليه فيما سبق؛ يلفت انتباهنا بعض المعاصرين[2] إلى أمر في غاية الأهمية وهو توجيه النظر إلى دور القرآن أو الدور الذي يؤديه من حسن نظره في القرآن في صياغة قوالب علمية إسلامية، وهذه القوالب تكون في نظير القوالب العلمية الغربية أو الشرقية المستوردة، والمقصود بالعلم التي يكون التنظير في إطارها هنا هو العلم المتعلق بالإنسان ونظامه الاجتماعي على غرار ما أولع به الكثيرون ممن لهم غيرة على كتاب الله عزوجل مما يعرف الآن بقضية الاعجاز العلمي؛ و«المشكلة اليوم: أن يقوم ما يسمى بالإعجاز في العلوم التجريبية كمحاكاة للإنجاز العلمي غير الإسلامي، وتبقى الدراسات ضامرة، بل متخلفة في العلوم الاجتماعية؛ وعدم قدرتنا على اكتشاف مواطن وآفاق وأبعاد الرؤية القرآنية في العلوم الاجتماعية»[3] وهذا الذي نبهوا إليه في غاية الأهمية فبالرغم من كونه من البداهة بمكان إلا أننا بحاجة إلى من يلفت نظرنا إليه؛ إذ الانشغال بتفسير القرآن الكريم تفسيرا يعتمد على المكتشفات العلمية التجريبية أو المسارعة إلى الإعلان عن الإعجاز العلمي في القرآن قد طغى على الدراسات القرآنية -بالأخذ والرد والتأصيل والتفصيل- عامة والدرس التفسيري خاصة، وفي نظير ذلك الدراسات المتعلقة بدور القرآن الكريم في العلوم الإنسانية وعلوم الحكمة قليل جدا. وتأسيسا على ما سبق فإنه لا ينبغي للباحث المسلم أن يتهيب من ولوج هذا الميدان معتمدا على القرآن والسنة كمرجع أساسي يعتمد عليه في صياغة قوالبه الفكرية الثقافية التي تخص الموضوع المعالج، ولا يلتفت إلى من جعل أو ألزم المسلمين وغير المسلمين بأن يكونوا عالة على غيرهم من الأمم المتقدمة في هذا الباب من العلم، فـ«هذا العلم من نتاج الحضارة الغربية وتأصيلاته من نتائج هذه الحضارة عندنا ولكن هذا لا يمنع من القول أن له أصولا في

---

(1) تقي الدين الهلالي، "القرآن والثقافة العربية"، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، العدد 43، رابط المقال على موقع المجلة: http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/993 تاريخ الاطلاع: 2021/02/01م.

(2) ينظر: محمد الغزالي، ""كيف نتعامل مع القرآن؟"، ص170 وما بعدها.

وينظر: محمد المبارك، "القرآن مصدر للثقافة والفكر ومنطلق للعلوم الإسلامية"، مجلة الثقافة الإسلامية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، العدد: 05، 1430هـ-2009م، ص21 وما بعدها.

(3) محمد الغزالي، "كيف نتعامل مع القرآن؟"، ص170.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الكتاب والسنة وسائر علوم الإسلام »[1]، ولابد وفي الوقت نفسه من لفت انتباه من يريد ولوج هذا الباب أيا كان وصفه إلى صعوبة هذا المجال العلمي الكبير الذي لم يزل غير متضحة معالم البحث فيه؛ وعلى العموم «حتى نصـــل إلى مرحلة تأســيس أو تدوين علوم اجتماعية مطلوب منا لون من ألوان الرحلة مع التراث الإســـلامي لاســـتخلاص أصـــول هذه العلوم المنبثة هنا وهناك في إطار الرؤية القرآنية»[2] بل إن من سور القرآن الكريم سورا تعد في حد ذاتها تأسيسا لمذهب أخلاقي رباني يعطي صورة من صور القيم والمثل التي جاء الإسلام ليصوغ المجتمع الإنساني على شاكلتها فمن ذلك سورة الحجرات التي هي (سورة الأخلاق)، وهذه السورة تضمنت مراتب ودرجات في الآداب تعتبر الأسس الكبرى للقيم والمثل في المجتمع منها الأدب الرفيع الذي أدب الله تبارك وتعالى به المؤمنين اتجاه شـريعة الله واتجاه رسوله بأن لا يقدموا بين يديه فلا يبرموا أمرا خلاف ما قضاه الله ورسوله، ثم انتقلت السورة إلى أدب آخر هو خفض الصوت أمام رسول الله ﷺ تعظيما لجنابه واحتراما لمكانه من دين الله فهو المصـــطفى من الخلق لا كعامة الناس، ثم انتقلت الســـورة إلى الأدب العام أو لنقل إلى تقرير دعائم المجتمع الفاضـــل فنفت عنه ما يقوض رابطة التلاحم بين أفراد المجتمع من الســـماع إلى الإشـــاعات والأخبار التي لا يراد منها إلا الإرجاف وبث الخوف والشـك في قلوب المؤمنين وبث الفرقة والشـقاق والنزاع بينهم كما بينت الســـورة فضـــل الله على أفراد المجتمع بأن حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم ما يخالف ذلك من الكفر والفســـوق والعصـــيان ومن رحمة الله بهم أن لم يشـــرع لهم ما لا تطيق أنفسـهم فيصيبهم به العنت، ثم انتقلت السورة إلى بيان وجوب إصلاح الخلل الذي قد يحدث بين المؤمنين بين الفينة والأخرى فأمر الله تبارك وتعالى بالإصـــلاح بين المؤمنين المتخاصـــمين وأمر بالأخذ على يد المعتدين منهم والانتصـــار للمظلومين ودعت الســـورة المؤمنين إلى نفي الخبث عن مجتمعهم بترك الســـخرية من بعضـــهم البعض ونهت عن الهمز واللمز والغيبة والظن الســـيء بالمؤمنين وختمت الســورة ببيان حقيقة الإيمان الكامل الذي يسـمو به الإنسـان ويرتفع في درجات الكمال في العاجلة والآجلة.[3]

(1) ينظر: المرجع نفسه، ص171.

(2) المرجع نفسه، ص171.

(3) ينظر: محمد سعيد رسلان، "القيم الإنسانية في سورة الحجرات"، كتاب نشر على الموقع الرسمي للمؤلف، ص5-7. رابط الكتاب: https://www.rslan.com/book/view-239.html تاريخ الاطلاع: 2021/02/03.

المطلب الثاني: النزعة الإنسانية في القرآن ولدى المفسرين

العناية بتذكير الناس بلزوم الحفاظ على ميزة الإنسانية التي خص الله بها بني آدم من أعظم مقاصد القرآن، ففي القرآن الكريم سور كاملة تعتني بتقويم سلوك الفرد و الجماعات بما يتناسب مع الروح الإنسانية التي عليها جبلت البشرية، ومثال ذلك سورة الحجرات التي جاءت ترعى حق أعظم رجل في البشرية محمد ﷺ، ورعاية حقوق العظماء مما جبلت عليه جميع أجناس البشر؛ نقل القاسمي هذا المعنى عن أهل العلم السابقين فقال: «سميت بها [يعني سورة الحجرات] لدلالة آياتها على سلب إنسانية من لا يعظم رسول الله غاية التعظيم، ولا يحترمه غاية الاحترام، وهو من أعظم مقاصد القرآن ... وقد انفردت هذه السورة بآداب جليلة، أدّب الله بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به نبيّه ﷺ، من التوقير والتبجيل»(1) أما آيات القرآن التي صانت الفطرة الإنسانية فأكثر مما أن تعد شرحا وبيانا، ومن أجمعها قول الله تعالى في ربوبيته على الإنسان وحسن عنايته به خلقا وتأديبا: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [سورة التين:4]، و«تخصيص الإنسان هنا وفي مواضع قرآنية أخرى بحسن التركيب، وحسن التقويم، وحسن التعديل؛ فيه فضل عناية بهذا المخلوق، وإن عناية الله بأمر هذا المخلوق- على ما به من ضعف وعلى ما يقع منه من انحراف عن الفطرة وفساد- لتشير إلى أن له شأنا عند الله، ووزنا في نظام هذا الوجود، وتتجلى هذه العناية في خلقه وتركيبه على هذا النحو الفائق، سواء في تكوينه الجثماني البالغ الدقة والتعقيد، أم في تكوينه العقلي الفريد، أم في تكوينه الروحي العجيب، والتركيز في هذا المقام على خصائصه الروحية، فهي التي تنتكس إلى أسفل سافلين حين ينحرف عن الفطرة ويحيد عن الإيمان المستقيم معها، إذ أنه من الواضح أن خلقته البدنية لا تنتكس إلى أسفل سافلين، وفي هذه الخصائص الروحية يتجلى تفوق التكوين الإنساني، فهو مهيأ لأن يبلغ من الرفعة مدى يفوق مقام الملائكة المقربين كما تشهد بذلك قصة المعراج؛ حيث وقف جبريل-عليه السلام- عند مقام، وارتفع محمد بن عبد الله- الإنسان- إلى المقام الأسنى»(2). وصفة (الإنسانية) المراد بيان شأنها في مثل هذا المقام هي صفة كاشفة لا صفة مقيدة، فالباحث لا يقصد بهذه الصفة تلك النزعة الفلسفية الحديثة التي يتبناها الملاحدة واللاأدريون، بحيث يجعلون الانسان في مرتبة مركزية في الوجود فمنه بدأ كل شيء وإليه ينتهي كل شيء، فلا إله يعبده ولا آخرة يترقبها ولا

(1) "محاسن التأويل"، (8/ 514)

(2) سيد قطب، "في ظلال القرآن"، (3933/6).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قوة سوى قوة الانسان فلا جن ولا شياطين ولا ملائكة[1] ... فــــ «الإنسانية كما قد تُعرف باسم الإنسانوية هي مجموعة من وجهات النظر الفلسفية والأخلاقية التي تركز على قيمة وكفاءة الإنسان، سواء كان فرداً أو جماعة، وتفضل عموماً التفكير والاستدلال (العقلانية، التجريبية) على المذاهب أو العقائد الثابتة أو المنزلة (الإيمانية)»[2] فهذا الاتجاه الفلسفي يستبعد في بنائه العلمي و الفكري و القيمي الأخلاقي كل ما هو ديني عقدي فضلا عن أن يكون القرآن مصدرا من مصادر البناء القيمي، وتعد هذه النزعة من أهم الحركات الفكرية والتربوية التي توجت عصر النهضة الأوربية وفجرت ينابيعه الفكرية والثقافية[3]. وإذ كان الأمر كذلك فغرض الباحث هنا ليس تمييع خصوصيات الدين الإسلامي بما يتوافق مع الفكر الغربي الإلحادي وإنما يريد ما أشار إليه أهل العلم من بيان مدلول هذه الميزة الإنسانية في القرآن الكريم فقال: «نريد تقريب المفاهيم للتصورات والأفكار الحديثة، مع إبقاء أحكام الشريعة على وجهها الصحيح دون مساس ولا تشويه»[4]، فالمقصود بإنسانية النزعة في القرآن الكريم؛ أنه غير متأثر بعصبية أو إقليمية معينة هذا من جهة، وأنه يتلاءم مع القدرات البشرية دون إعنات ولا إرهاق ولا تكليف بما لا يطاق من جهة أخرى،[5] فمن دلائل الجهة الأولى قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سورة سبأ:28]، وقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء:107]. ومن شواهد الجهة الثانية قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [سورة البقرة:185]، وقول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ [سورة الحج:78].

---

(1) ينظر: ستيفن لو، "الأنسانوية"، ص9 وما بعدها.

(2) مقال في موقع ويكيبيديا:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9_(%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9)
تاريخ الاطلاع: 09-08-2020.

(3) عبير سهام مهدي، " النزعة الإنسانية في الفكر السياسي الغربي المعاصر"، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية:
https://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=135879
تاريخ التحميل والاطلاع: 2020/08/09.

(4) وهبة الزحيلي، "القرآن الكريم بنيته التشريعية وخصائصه الحضارية"، ص152.

(5) المرجع نفسه، ص44.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وحري بالتنبيه إلى أن أعظم كرامة أكرم بها الخالق سبحانه وتعالى الإنسان هي أن أرسل إليه الرسل يخرجونه من ظلمات الشرك الذي دعامته وملؤه الوهم والخرافة إلى نور التوحيد الذي فيه سر وجوده و العلة الكبرى من خلقه والغاية الشريفة التي تهوي إليها أفئدة الناس، وحري بكل مسلم عرف أسرار الرسالة المحمدية ونظر في مقاصدها؛ أن يقول: إن «أول مسألة عني بها الشّرع المحمديّ كرامة الجنس البشريّ ومكانته من سائر المخلوقات، وهي مسألة ترجع إلى أمر التوحيد، فالإنسان قبل الإسلام كان يرى نفسه أحطّ منزلة من معظم المخلوقات والموجودات، كان يهاب كلّ ما عظمت جثته، ويطأطيء رأسه لكل ما يبدو له أسود حالكا، أو أبيض لا معا، ولكل ذي لبن سائغ، أو لعاب قاتل، وبلغ خوفه من مظاهر الطبيعة ومن المخلوقات الضّارّة، ورجاؤه من الأشياء التي يرتقب نفعها، أن صار يعبد الحجارة الصمّ والجبال الشّمّ، والبحار الزاخرة، والأنهار الجارية، ... وفي الجملة كان يعبد من المخلوقات كلّ ما يخشى شره، أو يرجو خيره؛ اتقاء لضرره أو طمعا في خيراته، فلما بعث محمد برسالة الله؛ أعلن لجميع البشر بأنّ هذه المخلوقات كلّها إنما خلقت لهم، ولم يخلقوا لها، وأنّها مسخرة لهم، فلا يليق بهم أن يسجدوا لشيء منها. وقال لهم: أيها الناس، أنتم خلفاء الله في هذا العالم، وقد سخر لكم كلّ ما فيه جميعا، إنّ الدنيا لكم، ولستم لها ... ولأجل استخلاف بني آدم في الأرض سمت منزلتهم بين جميع المخلوقات، وشرّفهم الله وكرّمهم ...فهل يجوز لخليفة الله في الأرض وقد كرمه الله أن يسجد لمن هو دونه، ويعبد ما هو أصغر منه شأنا؟ وكيف يسجد بنو آدم لشيء غير الله والعالم مسخر من الله لهم ... فلبني آدم الأرض وما فيها من الشجر، والخضر، ومن الثمر، والزهر، وغيرها من المنافع والمرافق مما لا يعدّ كثرة، ولا يحصى وفرة، ولهم السماء وما فيها من الشمس، والقمر، والنجوم ....، ولهم البحر وفيضانه، والنهر وجريانه والقرآن الحكيم حافل بكثير من الآيات [في هذه المعاني]»(1).

وفيما يلي بيان لمزيد الخصائص التي اختص بها القرآن؛ جعلته كتابا إلهيا معجزا إنساني النزعة بكل ما يحمله المصطلح من الدلالات التي مر ذكرها من قريب:

الفرع الأول: بيان القرآن تكريم الخالق للإنسان

نلتمس تكريم الله عزوجل لبني آدم في قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء:70]، حيث ذكر الله سبحانه وتعالى تكريمه لبني آدم ولم يذكر وجها يخصص به ما كرمهم به

(1) سليمان الندوي، "الرسالة المحمدية"، ص188-190.

ليفيد العموم على ماهو مقرر من عادات القرآن وقواعد تفسيره؛ فحذف المتعلق المعمول فيه: يفيد تعميم المعنى المناسب له[1] فالكرامة التي خص الله تبارك وتعالى بها بني آدم داخلة في عموم قول الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [سورة النحل:18] فإذا أعملنا الفكر وأردنا أن نتحدث بنعمة الله علينا رعاية لحق شكر الله علينا وامتثالا لما أمرنا الله به بقوله ﷻ ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ [سورة الضحى:11]؛ قلنا: «ولقد كرمنا بني آدم أي بالنطق والتمييز والعقل والمعرفة والصورة والتسلط على ما في الأرض والتمتع به وحملناهم في البر والبحر أي يسرنا لهم أسباب المعاش والمعاد بالسير في طلبها فيهما، وتحصيلها: ورزقناهم من الطيبات أي فنون المستلذات التي لم يرزقها غيرهم من المخلوقات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا أي عظيما»[2] ولعل إلتفاتا من الإنسان لهذا التكريم من الله عزوجل يورثه الحب والتعظيم لله ﷻ مما يحفزه على الاستقامة على دينه وهذه والله من القيم العظمى التي يغفل عنها كثير من الناس. ومن تجليات هذا التكريم الرباني للإنسان ما أخبر الله به في كتابه وأخباره كلها صدق ﷺ «إذ خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته سجود تكريم، وعلّمه الأسماء كلها، وخلق له زوجا من نفسه وجعل بينهما مودة ورحمة» [3] كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة البقرة:34]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الروم:21].

ومبدأ الكرامة الإنسانية مبدأ حث القرآن الكريم على استحضاره في جميع معاملات البشر فيما بينهم في جميع الحالات والأحوال والأمثلة على ذلك كثيرة جدا في جميع الظروف سواء منها في السلم والحرب وسواء منها مع الموافق أو مع المخالف. أما المثل الأول ففي السلم؛ جعل الله مبدأ التعارف بين الشعوب هو شريان الحياة كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾﴾ [سورة

(1) ينظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، "القواعد الحسان لتفسير القرآن"، ص43.

(2) جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل" (477/6).

(3) عفاف بنت يحيى آل حريد، "علامات في سماء الوسطية"، كتاب نشر في موقع الإسلام التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، بدون بيانات: www.al-islam.com.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحجرات:13] إن المتابع لسياق هذه الآية في سورة الحجرات؛ يرى أنه من أول السورة قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ توجيه خاص بالمؤمنين في التطبيق العملي، وهنا قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ والناس أعم من المؤمنين؛ لأن فيهم المؤمن والفاسق والفاجر والمنافق والكافر(1). فبينت هذه الآية أن جميع الناس مشتركون في الصفة التي كرم الله بها بني آدم وهي صفة الآدمية أو الإنسانية ثم جعلت التفاضل بينهم بما هم يجتهدون فيه من تحصيل الكمالات التي تصل بالعبد إلى درجة عباد الله المخلصين، ومما يستفاد من معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [سورة الحجرات:13] أنه: «لا كرامة بالنسب، لتساوي الكل في البشرية المنتسبة إلى ذكر وأنثى. والامتياز بالشعوب والقبائل إنما يكون لأجل التعارف بالانتساب، لا للتفاخر، فإنه من الرذائل. والكرامة لا تكون إلا بالاجتناب عن الرذائل الذي هو أصل التقوى. ثم كلما كانت التقوى أزيد رتبة، كان صاحبها أكرم عند الله، وأجل قدرا. فالمتقي عن المناهي الشرعية، التي هي الذنوب، في عرف ظاهر الشرع، أكرم من الفاجر، وعن الرذائل الخلقية كالجهل والبخل والشره والحرص والجبن، أكرم من المجتنب عن المعاصي الموصوف بها.» (2)، فكل هذه أمثلة لما يمكن للمرء أن يرتقي به بنفسه في مدارج الكمال من عباد الله الصالحين اللذين يصلحون إذا فسد الناس واللذين يصلحون ما أفسد الناس ويشهد لهذا المعنى من الآية أحاديث نبوية والسنة شارحة للقرآن كما هو معلوم، ومن تلك الأحاديث:(3) ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم؟ قال: ((أكرمهم عند الله أتقاهم، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فأكرم الناس يوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فعن معادن العرب تسألوني ؟ قالوا: نعم، قال: فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام، إذا فقهوا)).(4) ونهى النبي ﷺ أشد النهي أن يهوي الإنسان بنفسه في مهاوي الكبر والتفاخر بالنسب والجد فعن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((كلكم بنو آدم، وآدم خلق من تراب لينتهين قوم يفخرون

---

(1) عطية محمد سالم، دروس في تفسير سورة الحجرات، الدرس رقم: 04، رابط الدرس: https://www.islamweb.net/ar/fatwa/68367/

(2) جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل" (8/ 540)

(3) جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل" (8/ 541)

(4) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في "صحيحه" (6 / 76) برقم: (4689) ومسلم في "صحيحه" (7 / 103) برقم: (2378) والنسائي في "الكبرى" (10 / 131) برقم: (11185) وابن حبان في "صحيحه" (2 / 416) مع اختلاف يسير في الألفاظ.

بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان)) [1] وفي هذه البابة من العلم جملة من الأحاديث عن ﷺ تنهى عن تحقير بني آدم وتلفت الانتباه أن الإسراع إنما بالعمل في الصالحات.

من علامات تكريم الله للإنسان نداءاته ووصاياه له، فالنداءات الإلهية لبني آدم والوصايا القرآنية للإنسان؛ ظاهرتان في القرآن الكريم وهما من مظاهر النزعة الإنسانية في القرآن الكريم، وتظهر فيهما مزيد عناية من الخالق سبحانه وتعالى بالإنسان بما يبين كرامة الإنسان، أما عن نداءات الله سبحانه وتعالى للناس؛ فلله سبحانه وتعالى نداءات كثيرة في القرآن الكريم، وللنداء عامة دلالات وأغراض بلاغية وبيانية متعددة، غير أن لدلالته في القرآن الكريم مزيد تكريم للمنادى إذ يعتبر «نداء من إله قوي قاهر، حكيم مدبر يعلم سر العالم وباطنه ... وقد نادى الله الأشخاص والطوائف والشعوب ونادى الناس جميعا ونادى أشياء مما خلق» [2] ونداءات الله عز وجل لبني آدم اللذين ميزهم الله بالعقل وامتحنهم بالنجدين تختلف عن نداءاته سبحانه لمن سواهم من الخلق «نداؤه جل وعلا للعقلاء أفرادا وجماعات نداء تكليفي يتضمن أمرا يطلب فعلا، أو نهيا يطلب تركا، أما نداؤه لغير العقلاء مما خلق فهو نداء تكويني تصور به مطاوعة الكائنات لخالقها، وخضوعها لسنته، كما يخضع المنادى حين ينادى ممن فوقه، ومن هذا الأخير: ﴿يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ [سورة هود:44]، ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [سورة الأنبياء:69]، ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ﴾ [سورة سبأ:10]» [3] وقد قسم الإمام محمد شلتوت [4] نداءات الله في القرآن إلى: نداءات الله للأشخاص بأعيانهم مثل الأنبياء والرسل، ونداءات الله للأشخاص بأوصافهم مثل وصف الأنبياء

---

(1) **ذكره ابن كثير في تفسيره:** (387/7)، وله شاهد: من حديث أبي هريرة الدوسي، أخرجه أبو داود في "سننه" (492/4) برقم: (5116) والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (9 / 80) برقم: (3458).

(2) محمد شلتوت، "تفسير القرآن الكريم"، ص113.

(3) المرجع نفسه، ص113-114.

(4) **محمد شلتوت:** فقيه مفسر مصري. ولد في منية بني منصور سنة: (1310هـ- 1893 م)، وتخرج بالأزهر سنة: 1918م، وتنقل في التدريس إلى أن نقل للقسم العالي بالقاهرة سنة: 1927م، عمل في المحاماة بين: 1931م – 1935م وأعيد إلى الأزهر، فعين وكيلا لكلية الشريعة ثم كان من أعضاء كبار العلماء منذ سنة: 1941م ،ومن أعضاء مجمع اللغة العربية منذ: 1946م، ثم شيخا للأزهر منذ سنة: 1958م، وكان داعية إصلاح نير الفكرة، يقول بفتح باب الاجتهاد. له 26 مؤلفا مطبوعا، منها: (التفسير) أجزاء منه في مجلد، ولم يتم، و حكم الشريعة في استبدال النقد بالهدي والقرآن والمرأة رسالة، والقرآن والقتال وهذا هو الإسلام وعنصر الخلود في الإسلام والإسلام والتكافل الاجتماعي. توفي سنة: (1383 هـ- م1963م). **ينظر**: [خير الدين الزركلي: "الأعلام"، (173/7-174).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والرسل ونداءات الله لبني آدم أو الناس جميعا، ونداءات الله للطوائف والملل مثل بني إسرائيل ... ونداءات الله للمؤمنين [1]. وقد تنوعت الأغراض التي استعمل الله ﷻ فيها أسلوب النداء لبني آدم فمرات ينبههم بهذا الأسلوب على حقه سبحانه وتعالى عليهم وعلى الأمر الذي خلقوا من أجله وهو توحيد الله تبارك وتعالى بالطاعة والعبادة كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [سورة البقرة:21]، وكما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:1]، وكما في قوله عزوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١﴾ [سورة الحج:1]. ومرات ينبه الله سبحانه وتعالى الناس على وجوب شكر النعم التي أنعم الله بها عليهم حيث جعلهم مستخلفين في الأرض يعمرونها ويعبدونه ولا يشركون به شيئا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ [سورة البقرة:168]، ومرات ينادي الله في الكتاب الحكيم؛ الناس مبينا بعدهم عن الفطرة السليمة والصراط المستقيم ومقيما عليهم الحجة بأن ضرب لهم الأمثال التي تجعل المعقول في منزلة المحسوس كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣﴾ [سورة الحج:73] وهذا النوع من الخطاب –بضرب الأمثال– « يذكره الباري سبحانه في الأمور المهمة، كالتوحيد وحال الموحد والشرك وحال أهله، والأعمال العامة الجليلة. ويقصد بذلك كله توضيح المعاني النافعة، وتمثيلها بالأمور المحسوسة، ليصير القلب كأنه يشاهد معانيها رأي العين. وهذا من عناية الباري بعباده ولطفه» [2] ومرات يلفت نظرهم إلى نعمة الرسول الأمي الذي جاء ليعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم برسالات ربه، وما يجب له من حق الاتباع فيما يدعوهم إليه من رعاية حق الله وسائر الحقوق التي هي من ضمن الأمانة التي تحملوها لما كانوا خلفاء في الأرض يعمرونها؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ

---

(1) ينظر: محمد شلتوت، "تفسير القرآن الكريم"، ص114 وما بعدها.

(2) عبد الرحمن السعدي، "القواعد الحسان لتفسير القرآن"، ص64.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [سورة النساء:170]، وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤﴾ [سورة النساء:174]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [سورة يونس:57]، ومرات يخاطبهم مناديا لهم مبينا البراهين والآيات على أن وعد الله ووعيده حق، فالساعة حق والبعث حق والحساب حق والجنة حق والنار حق... فيقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾ [سورة الحج:5]، ويقول سبحانه مذكرا بوعده الحق ومحذرا الناس من أن تغرهم الحياة الدنيا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾ [سورة فاطر:5].... إلى غير ذلك من أغراض النداءات الإلهية التي يمكن أن يستخلصها المتدبر لكلام الله عزوجل.

ومن مظاهر العناية الإلهية بالجنس البشري الوصية إليه بأمور هي في الأصل في فطرة قد جبله الله عليها ولكن في زيادة التذكير والتوصية مزيد عناية وتكريم، والوصية أسلوب أدبي يعمد إليه الموصي لما فيه من قوة في التأثير في النفس بما هو جدير بأن يحمل الموصى له على امتثال ما وصي له به؛ بل وعلى حفظه ورعايته فـ«هي تأتي دائما نتيجة الإخاء والاشفاق والنصح والاخلاص، كما قال القائل:

ألا من مبلغ عني يزيدا ... وصاة من أخي ثقة ودود

وجاء في الحديث عن معاذ بن جبل ﵁، أن النبي ﷺ قال له: ((يا معاذ أوصيك وصية الأخ المشفق))، فهذا نص صريح على أن الوصية نتيجة الشفقة والنصح ومحبة الخير ولطالما أوصى الآباء أبناءهم والحكماء أتباعهم والخلفاء والأمراء رعيتهم»(1).

(1) عطية محمد سالم، "وصايا الرسول ﷺ"، ص5.

وفي كتاب الله من الآيات من هذا الأسلوب الكثير حيث أوصى الله تبارك وتعالى الإنسان في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم على موضوع واحد، ووصية الله تبارك وتعالى ما تكررت في هذه المواضع من القرآن الكريم إلاّ لتؤكد حقا من الحقوق التي هي من مقتضى الفطرة الإنسانية وقررتها الشرائع الربانية وتتجلى فيها عناية القرآن الكريم بما بات يعرف اليوم بالقيم الإنسانية؛ وهي وصية الله للإنسان بوالديه، وفيما يلي سرد للآيات الربانية التي ذكر فيها هذا الحق والسجية الإنسانية؛ الموضع الأول: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة العنكبوت:8]، الموضع الثاني: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [سورة لقمان:14]، الموضع الثالث: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الأحقاف:15]، ولا يخفى أن وصية الله للإنسان هو عهد عهد به إليه، وأنه إلى الله المصير وهو سائله عن وصيته وعمله فيها، والله لطيف بعباده أمر بما يصلح أمرهم في معاشهم وحاسب من لم يشكر نعم الله عليه وفرط في حقوق العباد التي أوجبها الله عليه، وأسعد الناس بهذه الوصية –نسأل الله من فضله– هم الأنبياء و الرسل عليهم صلوات ربي وسلامه؛[1] قال الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام وهو ينصح لوالده نصيحة مشفق بخطاب ملؤه التحنن والتودد: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا

(1) ينظر: محمد عطية سالم، "وصايا الرسول ﷺ"، ص45 وما بعدها، بتصرف.

﴿٤٧﴾﴾ [سورة مريم:41-47]، وقال سبحانه وتعالى عن يحيى عليه السلام في شأنه مع والديه:﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾﴾ [سورة مريم:14] وفي التذييل على بره بوالديه بـ: ﴿وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا﴾ إشعار أن من لم يبر بوالديه فهو الجبار العصي فهو بعيد كل البعد عن معاني الإنسانية التي روحها التعطف والتحنن والتراحم، وقال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾﴾ [سورة مريم:32] وذيل الآية –كذلك- بقوله: ﴿وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا﴾ ويقال فيها ما قيل في الآية السابقة بأن من عق والديه فهو مفتقر كل الفقر لمعاني الإنسانية. ومن وصايا الله تعالى في الكتاب الحكيم ما أوصى به أولي العزم من الرسل من الشرائع الإلهية لكي يبلغوها الناس جميعا؛ قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [سورة الشورى:13]، ووصى الله الناس بشريعته سبحانه تعالى –ومن أحسن من الله حكما- في قسمة التركات للأولاد فريضة منه سبحانه وتعالى ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ الآية من [سورة النساء: 11]، وفي هذه الآية ما يدل على أن الله سبحانه وتعالى أرحم بالأولاد من والديهم مع ما يعلم عن الوالدين في سائر المخلوقات التي خلقها الله ما فطروا عليه من كمال الشفقة على الأولاد، «﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ أي: أولادكم –يا معشر الوالِدين- عندكم ودائع قد وصاكم الله عليهم، لتقوموا بمصالحهم الدينية والدنيوية، فتعلمونهم وتؤدبونهم وتكفونهم عن المفاسد، وتأمرونهم بطاعة الله وملازمة التقوى على الدوام كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [سورة التحريم:6] فالأولاد عند والديهم موصى بهم، فإما أن يقوموا بتلك الوصية، وإما أن يضيعوها فيستحقوا بذلك الوعيد والعقاب»(1) فسبحان من جعل معاني الإنسانية فطرة في الناس ووصى بها كي لا تنسى.

والقيمة الكبرى والمنة العظمى التي أكرم الله بها الإنسان، وجعلها الميزان الذي فاضل به بين العباد بعضهم على بعض، وحثهم سبحانه وتعالى على التنافس في تحصيلها والمسارعة إليها؛ هي منة التوفيق لتحصيل الإيمان والسعي في العمل الصالح ولا عبرة عند الله بما سوى هذا الأصل إن فرط في هذه

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص166.

القيمة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [سورة الحجرات:13]، ولا عبرة بما يعتبره الناس من القيم المادية والرياسات التي تتابع الناس على اعتبارها المعيار الأول لقيمة الإنسان في المجتمع، وهو معيار فاسد لا يقوم إلا على الدعاوى المجردة الباطلة وإن قال بها من قال، و«القرآن يكاد أن يكون أكثره تفصيلاً لهذا الأصل وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ [سورة سبأ:37]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة الشعراء:88-89]، وقد أكثر الله هذا المعنى في عدة مواضع. وأما حكاية المعنى الآخر عن المنحرفين فقال عن اليهود والنصارى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [سورة البقرة:111]، ثم ذكر البرهان الذي من أقامه وأتى به فهو المستحق للجنة فقال: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [سورة البقرة:112]، وقال: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾ [سورة مريم:73]، ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الزخرف:31]، ونحوها من الآيات التي يستدل بها الكفار على حسن حالهم، بتفوقهم في الأمور الدنيوية، والرياسات ويذمون المؤمنين مستدلين بنقصهم في هذه الأمور الدنيوية الزائفة، وهذا من أكبر مواضع الفتن؛ فإن الرياسات والأمور الدنيوية مشتركة بين الخليقة: برّها وفاجرها»(1) . ومن أجلى صور الفتنة التي أعمت بصائر كثير من الناس و التي سببها المال والجاه ما حكاه القرآن الكريم عن قارون وجنوده وما حكاه الله سبحانه وتعالى عن قومه وكيف عظموا قيمته بما شبه لهم أنه قيمة وليس كالأمر كما تصوروا؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى ما حكاه الله عن أهل العلم ومقالتهم الصادقة وهي الحق الذي رجع إليه الناس بعد رؤية وعيد الله في قارون، قال الله تعالى في شأن قارون:﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ

(1) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، "القواعد الحسان لتفسير القرآن"، ص154.

إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة القصص:76]، ففي الآية حكاية عن قوم قارون من الصالحين و ما نبهوا إليه قارون من حق الله عليه في ماله وترك البطر والكبر، ولكنه عاند وكابر وفتن فـ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [سورة القصص:78]، وفتن معه قليلوا العلم ضعيفوا التدين عميان البصيرة؛ قال الله عزوجل عنهم: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة القصص:79]، وثبت الله اللذين رزقوا معرفة الحق من أهل العلم؛ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة القصص:80]، وفي النهاية أقر كل من رأى بعين بصره عاقبة قارون وجنوده بأن الكرامة الحقيقية والمنة العظمى للإنسان هي في الإيمان والعمل الصالح: ﴿وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة القصص:82]، ولله در الشاعر حين خاطب الإنسان فقال:(1)

أقبل على النفس واستكمل فضائلها　　　فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

ولا شيء يكمل النفس ويزيد فضائلها إلا الإيمان والعمل الصالح، وهو أمر يجعل القرآن الكريم كتاب الإنسانية الأول فما أنزل القرآن إلا لأجل صلاح نفس الإنسان، يقول صاحب الظلال: «إن مادة القرآن التي يعمل فيها هي الإنسان ذاته: تصوره واعتقاده، ومشاعره ومفهوماته، وسلوكه وأعماله، وروابطه وعلاقاته.. أما العلوم المادية، والإبداع في عالم المادة بشتى وسائله وصنوفه، فهي موكولة إلى عقل الإنسان وتجاربه وكشوفه وفروضه ونظرياته. بما أنها أساس خلافته في الأرض، وبما أنه مهيأ لها بطبيعة تكوينه. والقرآن يصحح له فطرته كي لا تنحرف ولا تفسد، ويصحح له النظام الذي يعيش فيه كي يسمح له باستخدام طاقاته الموهوبة له ويزوده بالتصور العام لطبيعة الكون وارتباطه بخالقه، وتناسق تكوينه، وطبيعة العلاقة القائمة بين أجزائه- وهو أي الإنسان أحد أجزائه- ثم يدع له أن

(1) أبو الفتح البستي، "ديوان أبو الفتح البستي"، ص187.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يعمل في إدراك الجزئيات والانتفاع بها في خلافته. ولا يعطيه تفصيلات لأن معرفة هذه التفصيلات جزء من عمله الذاتي»[1].

الفرع الثاني: حق الكرامة الإنسانية في القرآن الكريم

وبعد الحديث عن تكريم الله –عز وجل– لبني آدم بالإنسانية التي جعلهم بها متميزين على سائر المخلوقات بصفات كثيرة؛ لابد من التعريج على مسألة مهمة من المسائل المتعلقة اليوم فيما بات يعرف بالتعايش السلمي بين بني البشر أو لنقل مسألة الإخاء الإنساني، وفي هذا الصدد يقول محمد البشير الإبراهيمي في خواطره عن الشباب الجزائري: «أتمثّله واسع الوجود، لا تقف أمامه الحدود، يرى كل عربي أخًا له أخوةَ الدم، وكلَّ مسلم أخًا له أخوة الدين، وكل بشر أخًا له أخوة الإنسانية، ثم يُعطي لكل أخوّة حقّها فضلًا أو عدلًا»[2]. فالفرد المسلم في مجتمعه الإنساني تحكمه أخلاقيا وقيميا ثلاث روابط أخوية ولكل رابطة من هذه الروابط ضوابط وحدود وحقوق تصديقا وامتثالا لقول النبي ﷺ من حديث عائشة رضي الله عنها : ((أنزلوا الناس منازلهم))[3] وهذا الحديث وإن كان ضعيفا من جهة السند إلا أن معناه مما ارتضاه أهل العلم واستحسنوه[4]، وليس يهمنا ههنا إلا رابطة الأخوة الإنسانية التي نعالج موضوعها، ولطالما استشكل أمر الأخوة مع بني الانسان مع ما يقابلها من عقيدة الولاء والبراء في الإسلام، ولا تعارض في ذلك البتة فالقاعدة عند أهل العلم: «يجب منع الأذى عن جميع نوع الانسان، وإيصال ما تقدر عليه من الإحسان»[5]، وهي قاعدة تتمثل فيها معاني الإنسانية في الفرد المسلم –الذي يرعى حق إسلامه عليه– في أكمل صورة، والقاعدة تضمنت أصلين أشار إليهما من قبل محمد البشير الإبراهيمي؛ أما الأصل الأول فيتضمن العدل فيما يعامل به المسلم غيره من أي ملة كان!، وأما الأصل الثاني فهو مرتبة أعلى وأرقى من الأصل الأول لأن فيه فضلا، وهو أن يبذل المسلم الإحسان إلى غيره –في حدود ما لا يرجع على دينه وعرضه بالذل والصغار–. الأصل الأول: أن تكون عدلا منصفا مع غيرك بأن تكف عنه أذاك كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ١٩٠﴾ [سورة البقرة:190]، و«النهي عن الاعتداء يشمل أنواع الاعتداء كلها من

(1) سيد قطب، "في ظلال القرآن"، (181/1).

(2) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (3/ 509).

(3) أخرجه أبو داود في "سننه" (4 / 410) برقم: (4842) **وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (1344)**.

(4) ينظر: عبد الرحمن السعدي، "شرح جوامع الأخبار"، ص47 مما بعدها.

(5) المصدر نفسه، ص48.

قتل من لا يقاتل من النساء والمجانين والأطفال والرهبان ونحوهم والتمثيل بالقتلى وقتل الحيوانات وقطع الأشجار ونحوها لغير مصلحة تعود للمسلمين، ومن الاعتداء مقاتلة من تقبل منهم الجزية إذا بذلوها؛ فإن ذلك لا يجوز»[1]، وكذلك اللذين بين المسلمين وبينهم عهد أو بالمفاجأة من غير دعوة. فالعدوان في القتال الذي نهى الله عنه عباده المؤمنين له صورتين: الأولى أن يتجاوز المسلم المحاربين المعتدين إلى غير المحاربين من الآمنين المسالمين بشتى أصنافهم، والثانية: أن لا يتجاوز المسلم في قتاله –من يستحق القتال من كل معتد– آداب القتال التي بينها رسول الله ﷺ لأصحابه في غير ما موضع من سيرته[2].

أما الأصل الثاني: فهو أن ترتقي في معاملتك لغير أهل ملتك ملة الإسلام إلى درجة الإحسان وأن تحب له من الخير مثل ما تحب لنفسك وأفضل الخير الذي ترجوه له هو أن يمن الله عليه بطيب العيش تحت ظلال العقيدة الإسلامية وفي كنف الشريعة الربانية ويجعله من اللذين آمنوا وعملوا الصالحات وينقذه الله من عذاب جهنم في الآخرة، و«إن الإسلام دين سلام، وعقيدة حب، ونظام يستهدف أن يظلل العالم كله بظله، وأن يقيم فيه منهجه، وأن يجمع الناس تحت لواء الله إخوة متعارفين متحابين. وليس هنالك من عائق يحول دون اتجاهه هذا إلا عدوان أعدائه عليه وعلى أهله. فأما إذا سالموهم فليس الإسلام براغب في الخصومة ولا متطوع بها كذلك! وهو حتى في حالة الخصومة يستبقي أسباب الود في النفوس بنظافة السلوك وعدالة المعاملة، انتظارا لليوم الذي يقتنع فيه خصومه بأن الخير في أن ينضووا تحت لوائه الرفيع، ولا ييأس الإسلام من هذا اليوم الذي تستقيم فيه النفوس. فتتجه هذا الاتجاه المستقيم»[3]، ولهذا يقول الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ [سورة الممتحنة:8] أي: «لا ينهاكم الله عن البر والصلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين، من أقاربكم وغيرهم، حيث كانوا بحال لم ينتصبوا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن تصلوهم، فإن صلتهم في هذه الحالة، لا محذور فيها ولا مفسدة كما قال تعالى عن الأبوين المشركين إذا كان ولدهما مسلما: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [سورة لقمان:15]»[4]. ولعل بهذا الذي تقدم بيانه تتضح الرؤية أمام كل مسلم

---

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص89.

(2) ينظر: جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل" (2/ 57)، وينظر: سيد قطب، "في ظلال القرآن" (188/1).

(3) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (3544/6).

(4) عبد الرحمن السعدي: "تيسير الكريم الرحمن"، ص857.

فيما يجب عليه اتجاه الآخرين سواء من الموافقين من أهل الإسلام أو من غيرهم، إذ «لا تعارض في مفهوم القرآن بين الأخوة الدينية بين المؤمنين وبين الأخوة الإنسانية العامة؛ لكل منهما مجاله وحدوده وقيوده، فأخوة الدين والإيمان تتطلب الترابط والتضامن ... وأما الأخوة الإنسانية تتضمن العمل الجاد لإصلاح البشرية وإنقاذها من مهاوي التردي والانحراف والضياع والضلالة والذوبان في الأهواء.»[1]

وبهذا يتبين أن القرآن الكريم جعل ضوابط صارمة وحدودا معلومة في التعامل مع الناس بما يعود على الإنسانية جمعاء بالصلاح والإصلاح، كما أن هذه الضوابط تمنع المسلم من الذوبان في حياة الآخرين بحيث يصبح لا يميز بين حق وباطل ولا بين معروف ومنكر، وكذلك تمنع المسلم من المساواة الجائرة بين المصلحين وبين من دونهم ممن لا يعلمون الحق فهم معرضون ولا اللذين يجادلون في الله بغير علم، فـ «معيار التآلف مع الإنسانية، والإحساس بحب الخير للناس قاطبة: هو تقوى الله والتزام حدوده واجتناب نواهيه وصدق الانتماء للإنسانية كلها»[2]، كما قال الله تعالى عن نبيه محمدﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء:107]. ونص القرآن الكريم على قواعد يعيشها المسلمون وغير المسلمين، تضمنت هذه القواعد حفظا للنفس البشرية ورعاية لفطرتها وتحقيقا لمصالحها وصونا للكرامة الإنسانية عن كل ما يتلفها أو يخدشها، فجعل الحفاظ على النفوس البشرية من مقاصده ورتب على ذلك الفضل العظيم ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾ [سورة المائدة:32] الآية نص صريح في أن من اعتدى على نفس بشرية واحدة وأزهق روحها –بغير حق[3]– فكأنما اعتدى على سائر البشر بالقتل وإزهاق الأرواح، وذلك أن من طاوعته نفسه على قتل إنسان بغير وجه حق فلا يبعد عليه أن يهم بقتل الناس جميعا، وعكس ذلك من استبقى على حياة امرئ وداعي القتل موجود فإنه –ولا ريب– أبعد الناس عن الاستخفاف بالأرواح، ومن صور الاعتداء على النفس البشرية هو ازهاق روح الولد –بشتى أنواع اتلاف النفس وازهاق الروح– خوف الفقر وعدم الكفاية ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ﴾ [سورة الأنعام:151]، وجعل بعض أهل

(1) وهبة الزحيلي، "القرآن الكريم بنيته التشريعية وخصائصه الحضارية"، ص97.

(2) المرجع نفسه، ص97.

(3) كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ﴾ [سورة الإسراء:33].

العلم الآية نصا في حرمة تعاطي الأدوية المتلفة للجنين في بطن أمه؛ خاصة بعد نفخ الروح فيه وأوجب بعضهم على من انقطع عنها الحيض من النساء ذوات البعول أن تتوقى الأدوية التي يخاف على الجنين منها[1]. وحرم الله سبحانه وتعالى –صونا لعرض الانسان وحفاظا على كرامته– كل شكل من أشكال الاحتقار والسخرية التي قد تكون من الأفراد والجماعات اتجاه أفراد وجماعات آخرين، وخاصة بعد النزاعات والمخاصمات التي تجر ما تجر من الفجور في الخصومة والفحش في القول، وفي سورة الحجرات أوجب الله على عباده المؤمنين السعي في الحفاظ على النفوس بإقامة الصلح بين الطوائف المتقاتلة﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ [سورة الحجرات:9]، وأوجب جبر رابطة الأخوة الإيمانية ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [سورة الحجرات:10] ثم بعد ذلك نبه إلى حرمة ما قد يكون من علائق الحروب والنزاعات من سخرية قوم من قوم لأي سبب كان من أسباب السخرة أو أسباب الاستعلاء ... قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [سورة الحجرات:11]، إن الاستخفاف بأعراض الناس بأي نوع من أنواع الاستخفاف –في الإسلام– من الظلم العظيم الذي تجب منه التوبة والرجوع عنه إلى جادة الإسلام في حرمة عرض المسلم كحرمة دمه وماله.

الفرع الثالث: إنسانية المرأة في القرآن

حقوق المرأة في الإسلام تم إعلانها في القرآن الكريم إعلانا صريحا في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ [سورة البقرة:228]، وتحت هذا الإعلان العام عدة تأكيدات له في مجالات شتى خاطب الله في الذكر والأنثى على حد سواء فقال تعالى في الترغيب: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ﴾ [سورة آل عمران:195]، وقال في الترهيب: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [سورة الأحزاب:73]، وفي شأن الآداب والصيانة قال تعالى في شأن الرجال: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ﴾

(1) ينظر: جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل" (536/4).

[سورة النور:30] وقال تعالى في شأن النساء: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [سورة النور:31] .... [1] وفي مثل هذه الخطابات الإلهية دفع للعقيدة التي كانت سائدة عند الإفرنج وغيرهم ممن يعدون المرأة دون الرجل أو هي أدنى من أن تقارن به إذ هي من الحيوان الأعجم ... وأثبت الشرع للمرأة حق الميراث بعد أن كانت لا حظ لها فيه، بل وكانت يضيق عليها في التصرف فيما تملك فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾ [سورة النساء:7].[2]

وموضوع حقوق المرأة مقام لا بد فيه وفي هذا الشأن من استحضار قاعدة ربانية إلهية عامة تضع الأمور في مقاديرها وتزنها بموازينها ألا وهي قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ [سورة آل عمران:36]، في هذه الآية إعلان صريح من الله جل جلاله على قدر كوني وفطرة فطر الله عليها بني آدم في أن خلقة الذكر مختلفة عن خلقة الأنثى وأن الله مايز بين الجنسين، ويتجلى هذا التمايز في عدة أمور، ولا ينكر هذه الأمور أي شخص مهما كابر وعاند ولا يستطيع أحد تبديل سنة الله في خلقه مهما حاول، فليس الذكر كالأنثى في التكوين الخلقي والصفة الجسمانية فما كانت الأنثى أنثى إلا بما ميزها الله به عن الذكر، وليس الذكر كالأنثى في الوظائف البيولوجية ... فهي توطأ ولا تطأ وهي التي تحمل الجنين وتضع الولد وترضع الرضيع ، وليس للرجل ذلك وأنى له ذلك. وتبعا لتلك الاختلافات بين الذكر والأنثى مايز الله بين الذكر والأنثى في وظائف دينية وأخرى اجتماعية، فللذكر السعي والكسب وللمرأة التربية ورعاية شؤون البيت وقد يضطر الله بعض من عباده فيؤدي وظيفة هي من وظيفة الجنس الآخر كما حكى الله عن ابنتي شعيب لما خرجتا ترعيان الغنم: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة القصص:23]، فهما إذا بنتان «تعانيان من رعي الغنم، ومن مزاحمة الرجال على الماء، ومن الاحتكاك الذي لا بد منه للمرأة التي تزاول أعمال الرجال. وهي تتأذى وأختها من هذا كله وتريد أن تكون امرأة تأوي إلى بيت امرأة عفيفة

(1) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"، ص97 وما بعدها.

(2) ينظر: محمد رشيد رضا، "الوحي المحمدي"، ص235.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مستورة لا تحتك بالرجال الغرباء في المرعى والمسقى، والمرأة العفيفة الروح، النظيفة القلب، السليمة الفطرة، لا تستريح لمزاحمة الرجال، ولا للتبذل الناشئ من هذه المزاحمة»[1]، ولهذا السبب طلبت إحدى البنتين من أبيها أن يستأجره ليرعى له غنمه ويكفيهما هذا الأمر[2]: ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾ [سورة القصص:26]، وليس الذكر كالأنثى في وظائف دينية تسقط عن المرأة إما مطلقا كحضور الجمعة والجماعات فليست تحضرها إلزاما بل تطوعا منها على عكس الرجل، وإما تسقط عنها في أحوال دون أحوال كمثل أنها لا تصلي ولا تصوم أيام عادتها الشهرية وما أشبه ذلك. وعلى المقدمة السابقة فإن أي محاولة لوضع قواعد لتعزيز حقوق المرأة لا تراعي خصائص المرأة الخلقية والفطرية والاجتماعية والدينية ماهي في حقيقتها إلا قواعد لهدم المجتمع وتنكيس لفطرة الله التي فطر عليها خلقه ... وفي هذا المعنى يعلن محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره الصوتي أنه «معلوم أن الله تبارك وتعالى فرق بين الذكر والأنثى جبلة وكونا وقدرا وشرعا، فمن يقول: إن المرأة كالرجل في جميع الميادين، وأنها تزايل ما يزايله الرجل فهو مجنون كاذب مغلوب؛ لأنه يعاند القدر، ومن أراد أن يعاند قدر الله فهو المغلوب»[3]وفي هذا المعنى يقول الطاهر بن عاشور – تأصيلا للنظرة الإسلامية– في نظرية الإسلام الاجتماعية: «ملاك الأحكام التي تثبت فيها بين الرجال والنساء هو الرجوع إلى حكم الفطرة فإذا كان بين الصنفين فوارق جبلية من شأنها أن تؤثر في اكتساب الأعمال أو اتقانها كانت تؤثر تفرقة في أسباب الخطاب بالأحكام الشرعية بحسب غالب أحوال الصنف ولا التفات إلى النادر فلاعبرة بالمرأة المترجلة كما لا عبرة بالرجل المخنث فكما حرمت المرأة من الجهاد حرم الرجل من الحضانة»[4]، ونظرا لما تعرضت له المرأة على مر الأزمان وما بقيت تتعرض له من بعد نزول القرآن ونظرا لضعفها الجبلي أعاد القرآن في الوصاية على الحفاظ على كرامة المرأة وأنها كرامة تابعة لكرامة بني آدم الإنسانية التي حبي بها الذكر والأنثى ف«أعطى الله النّساء بكتابه الذى أنزله عليه، وبسنته التي بين بها كتاب الله تعالى بالقول والعمل، جميع الحقوق التي أعطاها للرجال إلا ما يقتضيه اختلاف طبيعة المرأة ووظائفها النسوية من الأحكام، ومع مراعاة تكريمها والرحمة بها والعطف عليها، حتى كان النبي ﷺ يقول: (ما أكرم النساء إلا

(1) سيد قطب، "في ظلال القرآن"، (2687/5).

(2) ينظر: المرجع نفسه، (2687/5).

(3) محمد الأمين الشنقيطي، "العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير" (4/ 403).

(4) محمد الطاهر بن عاشور، "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"، ص100.

كريم، ولا أهانهن إلا لئيم)[1]»[2]، والحديث وإن كان من جهة الصنعة الحديثية يعتبر ضعيفا إلا أنه صحيح المعنى، له ما يشهد له من صحيح السنة، منها قول النبي ﷺ: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)[3]، ومقاصد الشرع تؤيده؛ وفيما يلي صور من صور تبين أن من مقاصد الشرع تكريم الإسلام للمرأة:

أولا: إبطال النظرة الجاهلية

عقائد الناس وتصوراتهم حول المرأة في مختلف الأمم لا تكاد تحصى ففي كل أمة من الأمم خرافات وتخيلات باطلة حول المرأة، غالبا ما تترجم تلك العقائد إلى سلوكات وتشريعات فيها احتقار للمرأة وسلب لشيء ولو يسير من خصائصها الإنسانية و كرامتها، فقد «كانت المرأة في البلاد العربية – قبل الإسلام – متاعاً أو كالمتاع، لم يكن لها حقوق قبل وليها، يزوجها من يشاء، وليس لها رأي في أي أمر من أمورها، ولا تستحق شيئاً من ميراث، فإذا انتقلت من أسر الولاية الأبوية أو ما يتشعب عنها إلى الزواج، حلت ولاية الزوج محل ولاية الآباء من عصبيتها، فهي في أسر دائم مستمر منذ أن ينبثق لها فجر الوجود إلى أن يضمها القبر ... ثم جاءت شريعة القرآن فصانت للمرأة إنسانيتها، واعتبرتها إنساناً كاملاً. وهي كالرجل في الحقوق والواجبات التي تثبتها الإنسانية المجردة، منعت أن تنتقل الزوجة بالميراث، وعضلها – أي منعها قشراً وظلماً أن تتزوج الأكفاء من الرجال، كما تركت لها حرية الاختيار في الزواج، ولا خلاف بين الفقهاء في منع الإجبار عن البالغة العاقلة المجربة ... وهذا مما لم تصل إليه المرأة في الأمم الأوربية إلا منذ عهد قريب، والقانون الفرنسي الذي يقدسه علماء القانون لا يعطي الفتى أو الفتاة حرية الاختيار قبل الخامسة والعشرين للفتى، والحادية والعشرين للفتاة، ولا يجوز زواجهما قبل هذه السن إلا بإذن ورضا الولي ... وشريعة القرآن منحتها حرية التصرف في أحوالها، إذ اعتبرها مستقلة تمام الاستقلال عند ذويها، بينما القانون الروماني مصدر القوانين الحديثة لم يعترف للمرأة بالشخصية المالية المنفصلة، وبينما القانون الفرنسي الذي حل

(1) الحديث موضوع!، قال الشيخ الألباني: «رواه الشريف أبو القاسم علي الحسيني في " الفوائد المنتخبة " (2/25/18)، ومن طريقه الحافظ ابن عساكر في " تاريخه " (1/282/4) وعنه ابن أخيه أبو منصور بن عساكر في " الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين " (ص101 الحديث 39)». [ينظر: محمد ناصر الدين الألباني، "سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء في الأمة"، رقم: 845، (241/2)].

(2) محمد رشيد رضا، "الوحي المحمدي"، ص234.

(3) أخرجه أبو داود في "سننه" (4 / 426) برقم: (4899) والترمذي في "جامعه" (6 / 188) برقم: (3895)، وقال عنه الشيخ الألباني: **حديث صحيح**. [ينظر: "تحقيق حقوق النساء في الإسلام"، ص40.]

في بلادنا محل الشريعة الإسلامية في المعاملات تعد فيه المرأة المتزوجة ناقصة الأهلية»[1] وفيما مضى من مطلع هذا الفرع بيان لدور القرآن الكريم في تحرير المرأة من قيود الجاهلية بل وتكريم لها بما يبطل تلك العقائد السخيفة التي كانت تنسج للحط من مكانتها وسلبها ما أكرمها الله به من كونها فردا إنسانيا يتمتع بكل ما يتمتع به الإنسان في الوجود.

ثانيا: نهي القرآن الكريم عن ظلم المرأة

القرآن الكريم صريح في النهي عن ظلم المرأة فضلا عن احتقارها أو ازدرائها، بل وبالغ في التشديد على من تعرض للمرأة بأي نوع من الأذى بغير حق وأنه «من ظلم المرأة تعرض إلى بطش ملك جبار عظيم، حيث قال في سورة النساء: ﴿فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾ [سورة النساء:34] أي: لا تظلموهن إن أطعنكم وكن غير ظالمات، ثم أتبع ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾ [سورة النساء:34] يعني: من يحافظ على حقوقهن وينتقم لمن ظلمهن علي كبير عظيم، يرهب منه وتخاف سطوته.»[2] ولما كانت المرأة تظلم في حقها في الميراث نبه الله تبارك وتعالى إلى أنها لا يمكن أن يهضم حقها فيه مهما كان المال الموروث قليلا فقال سبحانه وتعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ٧﴾ [سورة النساء:7]، فنصيب المرأة في الميراث مفروض من عند الله عزوجل كما هو مفروض نصيب الرجل مما قل من المال أو كثر وتوعد الله تبارك وتعالى من تعدى على هذا التشريع فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [سورة النساء:10].

ثالثا: المرأة كالرجل

المرأة في الخطابات القرآنية كالرجل سواء بسواء إلا فيما استثني مما مضى بيانه سالفا وعدد بعضهم ما ساوى فيه القرآن بين الرجل و المرأة صراحة في القرآن بما لا يدع مجالا للشك في تسوية الرجل بالمرأة في الخطابات الإنسانية التشريعية و الجنائية ... فقال: «**إذا كان ثمت تفرقة بين نوعى الإنســان من حيث الكفر والإيمان، فلا تجد تفرقة بين نوعيه من حيث الذكورة والأنوثة. وقد**

(1) محمد أبو زهرة، "شريعة القرآن من دلائل إعجازه"، (ص66-67).

(2) محمد الأمين الشنقيطي، "العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير" (2/ 505).

تحدث القرآن الكريم عن الذكر والأنثى فى آياته الكريمة، مؤكدا على قيم العدل، والمساواة بينهما، فمن **العدل** بينهما:

أ- دخول الجنة لمن عمل صالحا، دون تفرقة بين الذكر والأنثى يقول تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾ [سورة النساء:**124**].

ب- أن يحيى الله من عمل صالحا حياة طيبة، دون تفرقة بين الذكر والأنثى، يقول تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ [سورة النحل:**97**].

ج- أن يجزى الله من عمل صالحا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون، دون تفرقة بين الذكر والأنثى، يقول تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [سورة النحل:**97**].

د- أن يعذب الله من يفتنون المؤمنين والمؤمنات عن دينهم ويعذبونهم، دون تفرقة بين أن يكون المفتون ذكرا أو أنثى، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠﴾ [سورة البروج:**10**]، ويقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨﴾ [سورة الأحزاب:**58**].

هـ- أن يعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات، دون تفرقة بين الذكر والأنثى، يقول تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [سورة الأحزاب:**73**].

ز- أن يتوب الله على المؤمنين والمؤمنات دون تفرقة بين الذكر والأنثى، يقول تعالى: ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا﴾ [سورة الأحزاب:**73**].

ومن المساواة بينهما:

أ- وعد الله بالرحمة للمؤمنين والمؤمنات، دون تفرقة بين الذكر والأنثى، يقول تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [سورة التوبة:71].

ب- وعد الله للمؤمنين والمؤمنات بجنات تجرى من تحتها الأنهار .. إلخ، دون تفرقة بين الذكر والأنثى. يقول تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [سورة التوبة:72].

ج- وجوب الطاعة عليهما لله ولرسـوله، دون تفرقة بين الذكر والأنثى، يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦﴾ [سورة الأحزاب:36].

د- أن الله- عز وجل أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً بسـبب الصـلاح دون تفرقة بين الذكر والأنثى، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [سورة الأحزاب:35].

هـ- أصل الخلقة:يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ [سـورة الحجرات:13]، والقيمة الإنسـانية، حيث لا تفاضـل إلا بميزان التقوى، دون تفرقة بين الذكر والأنثى، يقول تعالى: ﴿لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [سورة الحجرات:13].

ز- المسئولية الجنائية: يقول تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾ [سورة المائدة:38]، ويقول تعالى:

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ **[سورة النور:2]**»[1].

رابعا: وظيفة المرأة الاجتماعية ودورها الحضاري

الزواج هو الرابطة الأسرية التي تمثل النواة الأولى لأول لبنة في تكوين المجتمع وهذه اللبنة هي اللبنة الأساس في بناء المجتمع، وجعل الإسلام الزواج «عقدا دينيا مدنيا لقضاء حقّ الفطرة بسكون النفس من اضطرابها الجنسي بالحب بين الزوجين وتوسيع دائرة المودة والألفة بين العشيرتين، واكتمال عاطفة الرحمة الإنسانية وانتشارها من الوالدين إلى الأولاد، على ما أرشد إليه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١﴾ [سورة الروم:21]»[2]. ولما كانت الأسرة تمثل جماعة مصغرة عن جماعة المجتمع الواحد احتاج أفرادها إلى تقسيم للعمل والمهام والوظائف وقسم الإسلام وظائف الأسرة من حقوق وواجبات بين الرجل والمرأة بالمعروف فقال تعالى ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾ [سورة البقرة:228]، وقد بين هذه الدرجة بقوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ﴾ [سورة النساء:34]. فلما كانت قيادة أي جمع بشري أو حتى غير بشري لابد أن تكون في يد فرد واحد مع الحفاظ على مبدأ التشاور، كانت قيادة الأسرة والقوامة عليها بيد الرجل لما جبل عليه من قوة البدن والعقل على وجه العموم. وعلى الأساس السابق يتجلى الدور الحضاري للمرأة فـ«الله تبارك وتعالى خلق المرأة –لما جبلها عليه من الطبيعة– مستعدة للمشاركة في بناء المجتمع الإنساني على أكمل الوجوه وأبدعها وأحسنها، ولا تقل خدمتها عن خدمة الرجل، إلا أن الله جعل تلك الخدمة التي تقوم بها المرأة لمجتمعها جعلها في داخل بيتها في عفاف وصيانة وستر، ومحافظة على الشرف ومكارم الأخلاق، فيذهب الرجل يكدح في الحياة يبيع ويشتري، أو يناجز الأقران في ميدان القتال، والمرأة في بيتها عاطفة على الصغير من أولادها، عاطفة على المريض، عينها من وراء جميع ما في البيت، ترضع الرضيع، وتعالج المريض، وتفعل كل شيء، فإذا جاء قرينها الآخر من عمله

(1) "الموسوعة القرآنية المتخصصة" (1/ 777).

(2) محمد رشيد رضا، "الوحي المحمدي"، ص237.

وكده في الحياة وجد كل شيء حاضرا، وجد أولاده الصغار مرضعين، والمرضى ممرضين، وكل شيء جاهز، فهذه الخدمة التي قامت بها في داخل بيتها لا تقل عن خدمته هو في الخارج في ميدان الحياة، ومع هذا هي في صيانة وستر، ومحافظة على الشرف والفضيلة، ومرضاة لخالق السماوات والأرض (جل وعلا) ولا شك أن هذا التعاون بين الرجل والمرأة أنه تعاون كريم نزيه بمقتضى جبلتهما وما طبعهما الله عليه» [1] هذا على وجه العموم الذي عليه غالبية النساء ولا ينكر وجود نساء على مر التاريخ و الأزمان تخطى دورهن الحضاري هذا الحد بكثير فكانت منهن العالمات المعلمات كعائشة أم المؤمنيين رضي الله عنهن وكانت منهن الصالحات كمريم بنت عمران وحفصة بنت سيرين وكانت منهن الملكات الحكيمات كبلقيس ملكة سبأ ... والله الموفق.

خامسا: المرأة عِرضٌ والعرض مصون

لا شك أن التقرير السابق حول قضية المرأة في القرآن لا يعجب كثيرا من أعداء الانسان كالشيطان الذي أخذ على عاتقه أنه يظل الانسان وأن يقعد له بكل سبيل كما أضل آدم وحواء في الجنة بالدعاية والتضليل، فالجنة التي يعيشها عباد الله المؤمنين ذكرانا واناثا في ظل النظام الاجتماعي والتشريعي الإلهي لن يرضاها الشيطان وأولياؤه لعباد الله المخبتين، فهو نظام «يغيظ الشيطان ولا يرضي إبليس... [فهو] على حالة خبيثة، فيقرأ فلسفته في آذان أوليائه فيفلسفون في أذن المسكينة فيضللونها بالشعارات الزائفة والكلمات الكاذبة السخيفة من اسم الحضرية، والتمدن، والحضارة، والتقدم، ويقولون للمرأة التي كانت في بيتها تخدم زوجها وأولادها ومجتمعها على أكمل الوجوه وأتمها، في صيانة وستر، ومحافظة على الشرف والفضائل، ومرضاة لخالق هذا الكون، يحسدهم الشيطان على هذا، ويغضبه هذا التعاون الكريم النزيه، فيقول لأوليائه أن يقولوا للمرأة: أنت محبوسة في البيت، أنت مجرمة، أنت دجاجة، فلك أن تخرجي وتشمي الهواء، وتفعلي كما يفعل الرجل!! وهذا خديعة لها وغرور للمسكينة الجاهلة؛ لأنها تخرج من حيائها وسترها وخدمة بيتها، فإذا خرجت تكدح في الحياة مع الرجل عرضت جمالها لأعين الخائنين؛ لأن المرأة هي أعظم شيء يتعرض لخيانة الخائنين؛ لأن العين الفاجرة الخائنة إذا نظرت في جمالها استغلت ذلك الجمال والنعمة الإلهية مكرا وغدرا وجناية على الشرف والفضيلة وعلى الإنسانية، وإذا مسها واحد -مس بدنها في الزحام- بدعوى أنها تخرج باسم التقدم والحضارة والمدنية. وما هذه إلا ألفاظ جوفاء خبيثة كلبة خنزيرة يراد بها ضياع الشرف والفضيلة -والعياذ بالله- فإذا خرجت بقيت جميع خدمات البيت ضائعة، بقي الرضيع

(1) محمد الأمين الشنقيطي، "العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير" (4/ 399).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من الأولاد ليس عنده من يرضعه، والمريض ليس عنده من يمرضه، وليس هناك من يهيئ طعاما لهم إذا جاءوا، فلو قدرنا أنهم أجروا إنسانا ليجلس مكان المرأة كان هذا الإنسان الأجير هو الذي يأكل علقة الدجاج والحبس، صار هو المحبوس في البيت ولا ذنب له، وإنما حبس هذا لتخرج المرأة وتضيع شرفها وفضيلتها وكرامتها، والمرأة إذا ضاع شرفها وفضيلتها وكرامتها وصارت مائدة لعيون الخونة فإنها لا خير لها في الحياة، فبطن الأرض خير لها من ظهرها ولا شك في ذلك»(1). والقرآن الكريم صان المرأة بما شرعه لها من الحجاب والستر والقرار في البيت في آيات كثيرات تراجع في بابها من أبواب الفقه الأخلاق و أجمل به وأحسن به قول الشاعر الجزائري-محمد العيد آل خليفة-:(2)

ما بال سر فتاة العصر منحرفا ... يهوي بها في مهاوي الإفك والزور

إن الجزائر أمست بنتها غرضا ... لكل رام بسهم الغي مأجور

ما بالها هجرت آداب ملتها ... ما بالها أعرضت عن خير دستور

إن الذي برأ الجنسين خولها ... حقوقها في كتاب منه مسطور

لو انها اقتبست من نوره وجنت ... من روضه التحقت في الطهر بالحور

عافت تقاليدها المثلى وقد سطعت ... أنوارها وارتمت في كل ديجور

ما جل آرائها المستحدثات سوى ... مستوردات مداها غير مشكور

في كل مرحلة تزداد ظلمتها ... في الرأي فاقرأ عليها سورة النور

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) محمد الأمين الشنقيطي، "العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير" (4/ 399-400).

(2)"ديوان محمد العيد آل خليفة" ص254.

المطلب الثالث: خصائص القيم الإنسانية في القرآن الكريم

المؤمن القوي خير وأحب عند الله من المؤمن الضعيف وفي كليهما خير، وقوة المؤمن ظاهرة في كل ما له علاقة بالقوة، فهو قوي في جسده .. قوي في شخصه ..قوي في سلوكه وفي عقيدته ... وكذلك في قيمه هو قوي فهي تتميز بالرسوخ في النفس(1)، وتلك هي التربية بالقيم كما هي في القرآن الكريم تصديقا لقول الله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ [سورة مريم:12]، والإسلام تجاوز مسألة التأصيل للقيم إلى الدفاع على حق الناس في العيش بالقيم(2)، فوضع طرقا عملية لترسيخ فكرة الحق والخير في النفس البشرية وتطهير الاجتماع من خسائص العقل المادي وردّ هذه الطبيعة الحيوانية المحكومة في ظاهرها بالقوانين المحررة ... ومن ذلك –على سبيل المثال– مسألة الرق والعبودية؛ فنجد أن الإسلام تعامل مع أصل المرض أكثر مما تعامل مع أعراضه الظاهرة: فذم العنصرية وأسس لمبدئ التعارف بين الأمم والشعوب وجعل أصل التفاضل عند الله هو التقوى، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [سورة الحجرات:13]، ومن جهة أخرى حث على أسباب فكاك الرقاب من ربقة العبودية والرق ليتدرج في القضاء على هذا النظام شيئا فشيئا، فجعل تحرير الرقاب قربة من القربات وكفارة للكثير من المحرمات في الشريعة الإسلامية، ومن جهة ثالثة حرم استرقاق الأحرار وجعله من الكبائر ... ونص الباحثون في غير ما موضع وفي كثر مما يناسب مثل هذا المقام على خصائص عديدة للقيم الإنسانية القرآنية منها على سبيل التمثيل: الشمولية فهي شاملة لكل مناحي الحياة، ومنها أن هذه القيم القرآنية موافقة للفطرة وما جعل الله عليه الانسان فهي سهلة التطبيق، ومن خصائص القيم القرآنية عدم معارضتها للعقل الصريح الذي يوازن بين المصالح والمفاسد، وهي تسعى لتحقيق الغايات الاجتماعية الحميدة للفرد والجماعات في العاجل والآجل وفي الدنيا والآخرة ... وهذه الخصائص ترجع في الجملة إلى خاصيتين محوريتين تجتمع فيهما كل الخصائص الأخرى –على تقدير الباحث– هما خاصيتي الربانية والوسطية، بين الباحث شيئا من المقصود منهما في الفرعين التاليين:

---

(1) صالح آل الشيخ، " تعميق الصلة بين الشباب والقيم الإسلامية/ سلسلة المحاضرات العلمية" (509/5).

(2) ينظر: فاضل سليمان، "قيم إنسانية أم سنن إلهية؟"، محاضرة الصفحة الرسمية على اليوتيوب؛ تحت الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=vXoOZZF88iM، تاريخ الإطلاع: 07-06-2020.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفرع الأول: خاصية الربانية

يقول صاحب الظلال مبينا محورية هذه الخاصية في المنظومة القيمية القرآنية ودورها في تنظيم حياة الناس عل أسس متينة لا يعتريها الخلل والنقص أبدا مهما امتد الزمن ومهما اختلفت الأعراق البشرية: «إنه لا بد من ضوابط للحياة.. حياة المرء مع نفسه التي بين جنبيه وحياته مع غيره من الناس ومن الأحياء والأشياء عامة.. الناس من الأقربين والأبعدين، من الأهل والعشيرة، ومن الجماعة والأمة ومن الأصدقاء والأعداء.. والأحياء مما سخر الله للإنسان ومما لم يسخر.. والأشياء مما يحيط بالإنسان في هذا الكون العريض.. ثم.. حياته مع ربه ومولاه وعلاقته به وهي أساس كل حياة، **والإسلام يقيم هذه الضوابط في حياة الناس؛ يقيمها ويحددها بدقة ووضوح ويربطها كلها بالله سبحانه** ويكفل لها الاحترام الواجب، فلا تنتهك، ولا يستهزأ بها ولا يكون الأمر فيها للأهواء والشهوات المتقلبة ولا للمصالح العارضة التي يراها فرد، أو تراها مجموعة أو تراها أمة، أو يراها جيل من الناس فيحطمون في سبيلها تلك الضوابط.. فهذه الضوابط التي أقامها الله وحددها هي (المصلحة) ما دام أن الله هو الذي أقامها للناس.. هي المصلحة ولو رأى فرد، أو رأت مجموعة أو رأت أمة من الناس أو جيل أن المصلحة غيرها! فالله يعلم والناس لا يعلمون! وما يقرره الله خير لهم مما يقررون! وأدنى مراتب الأدب مع الله– سبحانه– أن يتهم الإنسان تقديره الذاتي للمصلحة أمام تقدير الله، أما حقيقة الأدب فهي ألا يكون له تقدير إلا ما قدر الله. وألا يكون له مع تقدير الله، إلا الطاعة والقبول والاستسلام، مع الرضى والثقة والاطمئنان»[1]. لا يختلف اثنان في أن المذاهب الفلسفية البشرية التي تفسر القيم وتبين حقيقتها وتعالج مشكلاتها هي في النهاية نظريات بشرية يعتريها ما يعتري الفكر البشري من النقص والتناقض والخلل، على عكس من ذلك تماما التفسير القرآني للقيم الذي هو تفسير لمنظومة القيم الربانية، تظهر في صورة متكاملة ومنسجمة مع الواقع لا يعتريها الخلل بوجه من الوجوه. وترتبط النظرية في الفكر الإنساني بمختلف مجالاته باسم مخترعها الأول فيقال مثلا نظرية نيوتن في الفيزياء ونظرية أرخميدس كذلك ونظرية فرويد في علم النفس ... وهكذا مما يعزز بشرية النظرية مهما سمت مكانة مؤسس النظرية، فهو في الأخير لن يعدو كونه بشرا، إلا أن الإسلام امتاز بنسبة نظمه وعلومه إلى القرآن الكريم الذي هو كلام الله رب العالمين، فعلوم القرآن المستنبطة منه ربانية المصدر والغاية، وهذا لا ينفي «دور العلماء في فهم النصوص والقواعد الكلية واستنباط أحكام الفروع والأحكام الجزئية للأمور الطارئة، أي أن العلماء شراح للقواعد الكلية

(1) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (835/2).

ومقننون في الفروع على هدى هذه القواعد»[1] فالمرجعية العلمية للعلماء من أهل ملة الإسلام هي مرجعية ربانية بالأساس.

وبناء على المقدمة السابقة يمكن أن نستخلص المعنى المقصود من وراء قول القائل أن القيم القرآنية هي قيم تمتاز بكونها ربانية، والمعنى المراد هو: «الانتساب إلى الرب أي الله سبحانه وتعالى، ويطلق على الانسان أنه رباني إذا كان وثيق الصلة بالله عالما بدينه وكتابه ومعلما له»[2]، والحديث عن مزية الإسلام على غيره من النظم والشرائع بميزة الربانية وأثر هذه الميزة في القيم يدور عند الباحثين على محورين اثنين؛ ربانية الغاية والوجهة، وربانية المصدر والمنهج. فالقيم الإسلامية وحي فيكسبها ذلك صفة القدسية والطهارة والنزاهة، وإذا كانت غاية القيم هي الرقي بالنوع الإنساني في درجات الكمال قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنبياء:10] أي: «تالله لقد أعطيناكم هذا القرآن المشتمل على دستور الحياة الإنسانية الفاضلة، وفي هذا الكتاب عظة وتذكير بمحاسن الأخلاق، ومكارم الشيم، أفلا تعقلون، أي تتدبرون أمركم، وتقدّرون هذه النّعمة، وتتلقونها بالقبول»[3] ومن ثمرات هذه الخصيصة و الميزة في القيم الإنسانية القرآنية:

<u>أولا</u>: العصمة من التناقض والتطرف ويشهد لهذا قول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء:82]، دلالة الآية ظاهرة في حض العباد على تدبر القرآن «التدبر: هو النظر في إدبار الأمور وعواقبها، وتدبر الكلام هو النظر والتفكر في غاياته ومقاصده التي يرمي إليها، وعاقبة العامل به والمخالف له»[4]، وحض الله العباد على تدبر القرآن الكريم؛ لأن ذلك سبيل القطع بربانيته من جهة مصدره فهو «كلام الله تعالى وليس كلام بشر، إذ لو كان كلام بشر لوجد فيه التناقض والاختلاف والتضاد، ولكنه كلام خالق البشر، فلذا هو متسق الكلم متآلف الألفاظ والمعاني محكم الآي هادٍ إلى الإسعاد والكمال»[5]، والآية نص في أن من مميزات ما في القرآن من علوم وآداب سليم من التناقض بأي شكل من الأشكال، فهو من عند العليم الخبير وليس في «استطاعة أي مخلوق أن يأتي بمثل هذا

(1) محمد شلتوت، "من توجيهات الإسلام"، ص445.
(2) يوسف القرضاوي، "الخصائص العامة للإسلام"، ص7.
(3) وهبة الزحيلي، "التفسير الوسيط للزحيلي" (2/ 1568).
(4) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (5/ 233).
(5) أبو بكر جابر الجزائري، "أيسر التفاسير" (1/ 515).

القرآن في تصوير الحق بصورته كما هي لا يختلف ولا يتفاوت في شيء منها»[1]، وهذا سر في تميز النظام القيمي القرآني على وجه الخصوص وسائر علوم القرآن على وجه العموم؛ منزل من عند الخبير العليم الذي أحاط بكل شيء علما ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [سورة البقرة:282]، وهو كذلك من عند الغني الكبير الذي لا يحتاج إلى غيره وغيره محتاج إليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [سورة فاطر:15].

فالقرآن مؤثر ولا يتأثر وهو مغير ولا يتغير ومطور ولا يتطور لأنه من عند الغني الحميد «ولا يستطيع منصف أن ينزه أكابر الفلاسفة –وإن توافر فيهم الاخلاص في طلب الحقيقة– من التأثر بأزمانهم وبيئاتهم فضلا عن التأثر بوراثاتهم وأمزجتهم الشخصية»[2] وتظهر هذه الميزة في واقع الناس –والحسن يظهر حسنه الضد– ماهي عليه مختلف الأنظمة والفلسفات البشرية من مظاهر التناقض وكثرة الجدليات الفلسفية المختلفة التي يحاول كل طرف منها أن يلغي الطرف الآخر أو على الأقل يعدل في مذهبه «كما هو واضح من موقفها من الروحية والمادية أو من الفردية والجماعية أو من الواقعية والمثالية أو من العقل والقلب أو من الثبات والتطور وغيرها من المتقابلات التي وقف كل مذهب أو نظام عند طرف منها مغفلا الطرف الآخر أو جائرا عليه»[3] ولما كان القرآن الكريم ربانيا كان هو الفرقان بين الناس فيما اختلفوا فيه فـ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾ [سورة الفرقان:1]، و﴿هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ﴾ [سورة فصلت:44] ولما كانت القيم الإنسانية قيما قرآنية بالدرجة الأولى تجلت للناظرين بعيدة عن الغموض بعيدة عن الاشتباه بعيدة عن التناقض فـ: «حين تكون القيم (الإنسانية) والأخلاق (الإنسانية)– كما هي في ميزان الله– هي السائدة في مجتمع، فإن هذا المجتمع يكون متحضراً متقدماً.. أو بالاصطلاح الإسلامي.. ربانياً مسلماً.. والقيم (الإنسانية) والأخلاق (الإنسانية) ليست مسألة غامضة ولا مائعة وليست كذلك قيماً وأخلاقاً متغيرة لا تستقر على حال– كما يزعم اللذين يريدون أن يشيعوا الفوضى في الموازين، فلا يبقى هنا لك أصل ثابت يرجع إليه في وزن ولا تقييم..»[4].

---

(1) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار"، (5/ 233).

(2) يوسف القرضاوي، "الخصائص العامة للإسلام"، ص45.

(3) المرجع نفسه، ص45.

(4) سيد قطب، "في ظلال القرآن"، (1258/3).

ثانيا: النظام القيمي القرآني نظام معجز؛ فهو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وليس في استطاعة أي بشر مهما سمت معارفه أن يأتي بمثله في بيان العلوم الدينية من أصول العقائد، وقواعد الشرائع، وفلسفة الآداب والأخلاق، ولا في بيان العلوم الاجتماعية من بيان سنن الاجتماع، ونواميس العمران، وطبائع الملل والأقوام، وسياسة الشعوب والأقوام، مع اتفاق جميع الأصول، وعدم الاختلاف والتفاوت في شيء من الفروع، ولا أن يأتي بمثل اساليبه في إبراز هذه العلوم من مثل؛ إيراد الشواهد وضروب الأمثال، وتكرار القصة الواحدة، بالعبارات البليغة المتشابهة، تنويعا للعبر، وتلوينا للموعظة، مع تجاوب ذلك كله على الحق، وتواطئه على الصدق، وبراءته من الاختلاف والتناقض، وتعاليه على التفاوت والتباين[1]؛ ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [سورة هود:1]، «إن تعجب فعجب أن تمر السنون والأحقاب وتكر القرون والأجيال، وتتسع دوائر العلوم والمعارف، وتتغير أحوال العمران، ولا تنقض كلمة من كلمات القرآن، لا في أحكام الشرع، ولا في أحوال الناس وشؤون الكون، ولا في غير ذلك من فنون القول ... كتب ابن خلدون مقدمته في فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع والعمران فكانت أفضل الكتب وأحكمها في عصر مؤلفها وبعد عصره بعدة عصور، ثم ارتقت العلوم وتغيرت أصول العمران فظهر الاختلاف والخطأ في كثير مما فيها، بل نرى العالم النابغ في علم معين من علماء هذا العصر يؤلف الكتاب فيه ويستعين عليه بمعارف أقرانه من العلماء الباحثين، ثم يطيل التأمل فيه وينقحه ويطبعه فلا تمر سنوات قليلة إلا ويظهر له الخطأ والاختلاف فيه، فلا يعيد طبعه إلا بعد أن يغير منه ويصحح ما شاء، فما بالك بما يظهر للإنسان من الاختلاف والتفاوت في الكتب التي يؤلفها غيره من أول وهلة لا بعد مرور السنين، واتساع دائرة العلوم، وقد ظهر هذا القرآن في أمة أمية لا مدارس فيها ولا كتب على لسان أمي لم يتعلم قراءة ولا كتابة، فكيف يمر عليه ثلاثة عشر قرنا يتغير فيها العمران البشري كما قلنا، ولا يظهر فيه اختلاف ولا تفاوت حقيقي يعتد به، ويصلح أن يكون مطعنا فيه! أليس هذا برهانا ناصعا على كونه من عند الله أوحاه إلى عبده ورسوله محمد ﷺ؟»[2]، فهو رباني المصدر رباني الغاية ليس لبشر أن يأتي بمثله في أسلوبه ولا في بيانه ولا في إصابته للحقائق من كل شيء ...

ثالثا: السلامة من الفساد والإفساد بوجه من الوجوه الظاهرة والخفية، والنظام القيمي الرباني ليس فيه من الثغرات ما يعتمده المفسدون فاسدوا الطبع مكانا يختبؤون من ورائه، وهو قائم على الحق والخير

(1) ينظر: محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (5/ 234). بتصرف

(2) المرجع نفسه، (5/ 235).

والجمال والعدل والمساواة ضامن لكل أنواع الأمن، النفسي والاجتماعي والعالمي ... وأرباب النظم الأرضية كثيرا ما يصدق فيهم قول الله جل وعلا: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة البقرة:11-12]، هذه الآيات نزلت في بيان حال يهود المدينة على ما يذكره أرباب السير والتفسير، ولكن الكلام عل عمومه فـ«اللذين يفسدون أشنع الفساد، ويقولون: إنهم مصلحون، كثيرون جدا في كل زمان، يقولونها لأن الموازين مختلة في أيديهم، ومتى اختل ميزان الإخلاص والتجرد في النفس اختلت سائر الموازين والقيم، واللذين لا يخلصون سريرتهم لله يتعذر أن يشعروا بفساد أعمالهم، لأن ميزان الخير والشر والصلاح والفساد في نفوسهم يتأرجح مع الأهواء الذاتية، ولا يثوب إلى قاعدة ربانية»(1). والنظم القيمية الربانية تربط الانسان بالخلق وتجعل عمله له وحده دون غيره، فهو مخلص له في السر والعلن دون الحاجة إلى الرقابة تضبط أعماله، ومع ذلك فللنظام القيمي القرآني من الآليات ما يجعله آية للناس في إحكامه فهو يقطع الطريق أمام المفسدين ويصلح نظام حياة الناس أجمعين.

رابعا: إزالة الوهم والتخيلات، فالله هو الحق وكتابه الكريم ووحيه إلى نبيه ﷺ ليس فيهما إلا الحق قال الله جل وعلا ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [سورة الأحزاب:4]، ويقول جل وعلا: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [سورة النجم:3-4]، ويقول جل شأنه وهو اللطيف الخبير بعباده: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ هذه الفاصلة القرآنية الأخيرة تكررت في القرآن الكريم في ثلاث آيات في ثلاث مواضع متفرقة وهي نص في الدلالة على «أن الله يعلم الأشياء على ما هي عليه والناس يشتبه عليهم العلم فيظنون الملائم نافعا والنافع ضارا»(2)، ولما كان كلام الله هو الحق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكلام البشر إن سلمت فيه النيات وصدقت العزائم إلا أنه لا يسلم من إمكانية الوقوع في والوهم أو ما شابه ذلك من تخيلات وغفلة ...كانت «طريقة القرآن إذا وقع في بعض النفوس عند سياق الآيات بعض الأوهام، فلا بد أن تجد ما يزيل ذلك الوهم، لأنه تنزيل مَنْ يعلم الأشياء قبل وجودها، ومَنْ رحمته وسعت كل شيء ... ليتضح

(1) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (44/1).

(2) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (2/ 323).

الحق، ويزول التوهم والإشكال، فسبحان من أودع في كتابه ما يبهر عقول العالمين»[1].ومثال هذا ما بينه الله بعد بيان حرمة موالاة الكافرين اللذين اعتدوا وأخرجوا المؤمنين من ديارهم؛ أنه لا حرج على المؤمنين في الإحسان والبر بمن ليس من شيمه الاعتداء ولا إخراج المؤمنين، فقال سبحانه في الفريق الأول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ﴾ [سورة الممتحنة:1] الآيات، بين بعد هذه الآيات في نفس السياق الموقف الحق من الفريق الثاني لئن لا تختلط على الناس الأحكام فيقعون في الظلم والاعتداء من حيث لا يعلمون. و«إن القرآن المجيد يخرج المؤمنين به من ظلمات الكفر والشّرك والوثنية، والوهم والخرافة، وانحراف التفكير، إلى نور التوحيد الخالص»[2] قال الله تعالى عن القرآن الكريم ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ﴾ [سورة المائدة:15-16].

خامسا: التمام والكمال، فالإسلام لا ينكر وجود قيم في الشعوب والأمم التي لم تر نور الإسلام بعد، فالرسول ﷺ يقول –يوم أن بعث-: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))[3] وهذا الحديث النبوي فيه تأسيس للعقلية الإسلامية اتجاه قيم ومبادئ الأمم فهو يثمن الإيجابي منها ويسعى في تكميله ويؤسس لقيم جديدة تجعله نظاما اجتماعيا متميزا بالكمال والشمول، وهذا عمرو بن العاص رضي الله عنه يقر للروم ما كانوا عليه من خصال حميدة وقيم رشيدة، جعلتهم يكونون أكثر الناس يوم دنو قيام القيامة لقول الرسول ﷺ: ((تقوم الساعة والروم أكثر الناس))؛ فقال عمرو بن العاص رضي الله عنه –معللا ذلك-: (إن فيهم لخصالا أربعا: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة، وأمنعهم من ظلم الملوك)[4]. والحاصل أن «الأخلاق والقيم كانتا موجودتين عند العرب قبل الإسلام ... الإسلام لم يلغ القيم والأخلاق النافعة في الجاهلية، بل استفاد مما هو موجود ونمّاه؛ لأنه لا يمكن تجاهل القيم المفيدة في أي

---

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص54.

(2) وهبة الزحيلي، "التفسير الوسيط" (1/ 444).

(3) رواه الامام أحمد في "المسند" (14/512-513) بلفظ (محاسن الأخلاق) برقم: (8952)، ورواه البخاري في "الأدب المفرد" (104) بلفظ (صالح الأخلاق) برقم: 273، والحاكم في "المستدرك" (2/670) برقم: (4221). **وصححه الألباني** في السلسلة الصحيحة، (1/112) برقم: 45.

(4) أخرجه مسلم في "صحيحه" (8 / 176) برقم: (2898) ، (8 / 176) برقم: (2898).

مجتمع ما؛ لأن روح الشريعة جاءت لرفع الإنسان إلى المستوى الذي أذن الله ﷻ له به من كرامته ... فالأخلاق الكريمة والقيم الكريمة هذه يستفاد منها ... بما يتفق مع روح الإسلام في تحديد عبودية البشر لخالقهم ﷻ»[1].

الفرع الثاني: خاصية الوسطية والاعتدال

الوسطية لفظ كثير الاستعمال؛ وكل من انتهج نهجا أو قال مقالة يزعم في ذلك أنه سلك فيها مسلك الوسطية والاعتدال، مما جعل بعض الباحثين يسلك مسلك التحرير والبيان لهذا المصطلح في القرآن الكريم[2] ويذهب في العموم إلى أن للوسطية معنى شائع ؛ وهو ما توسط أمرين، ومعنى قرآني أكد عليه في سياقات مختلفة وهو: «البحث عن الحقيقة، وتحصيلها والاستفادة منها» [3] ولا يمنع هذا كونها قد تشارك المتعارف عليه من مدلول هذا المصطلح في بعض الأمور فـ«إن الله تعالى جعل نظام الوجود في هذا العالم بتولد الشيء من بين شيئين وهو المعبر عنه بالازدواج، غير أن هذا التولد يحصل في الذوات بطريقة التولد المعروفة قال تعالى: ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ [سورة الرعد:3]. وأما حصوله في المعاني، فإنما يكون بحصول الصفة من بين معنيي صفتين أخريين متضادتين تتعادلان في نفس فينشأ عن تعادلهما صفة ثالثة. والفضائل جعلت متولدة من النقائص فالشجاعة من التهور والجبن، والكرم من السرف والشح»[4]، وهذه الخاصية من خصائص القيم قد دلّ عليها القرآن الكريم في عدة مواضع، وجاءت الآيات المبينة لهذه الخاصية من خصائص الدين الإسلامي عامة لا تخص موضوعا بعينه كما جاءت أخرى خاصة بمواضيع محددة: فأما ما كان منها عاما فيشهد له قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [سورة البقرة:143]، فهذه الأمة وسط في كل أمورها [5]، والإسلام –عقيدة وشريعة وأخلاقا– وسط بين أمرين، فلا تشديد فيه ولا تساهل، ولا إفراط ولا تفريط، ولا غلو فيه ولا تعصب ولا تهاون، ويجب على من ينكر التطرف والغلو أن ينكر أيضا التساهل والتفريط، فنحن نرى الانكار اليوم كله

(1) صالح آل الشيخ، "تعميق الصلة بين الشباب والقيم الإسلامية/ سلسلة المحاضرات العلمية" (510/5)

(2) ينظر: محمد علي الصلابي، "الوسطية في القرآن الكريم"، ص33 وما بعدها.

(3) المرجع نفسه، ص37.

(4) محمد رشيد رضا، "التحرير والتنوير" (2/ 323).

(5) عبد الرحمن السعدي، "فتح الرحيم الملك العلام"، ص139.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

على الغلو والتطرف وهذا صحيح، نعم ننكر التطرف والغلو لكن يجب أن لا ننسى التساهل والانحلال والإلحاد يجب أن نركز على الجانبين وأن نحذر من هذا وهذا[1]، ووسطية الدين تبرز فيه جانب المثالية حيث يقرن في تشريعه بين المادة والروح ويحرص على التوازن وتحقيقه في جميع الأمور، فيشرع ما يحقق التواؤم والانسجام بين مطالب الروح ومطالب الجسد، ووسطيته أبرزت فيه كذلك جانب الواقعية حيث يقيم التوازن بين مصالح الفرد والجماعة، هو الدين الحنيف فلا رهبانية فيه، ولا تضييع لمصلحة الفرد والأمة. وعلى هذا فالمسلمون أمة وسط عدول خيار، بلا إفراط ولا تفريط في أي شأن من شؤون الدنيا والدين، وقد أهّلت هذه الوسطية المسلمين العدول أن يكونوا شهداء على الأمم يوم القيامة، ويكون الرسول عليهم شهيدا[2].

عدد بعض الباحثين جوانب الوسطية في الإسلام يُذكر طرفا منها[3]: وسطية الإسلام في جانب قيمه المتعلقة بالتصورات والعقائد؛ أصوله الدينية هي الحق الذي قامت عليه الشواهد وأيدته الأدلة وقررته الفطرة، نأى الإسلامُ بعقيدته الصافية عن كلِّ الإفراطات فلم يتجاوز في تقدير الفضل لذوي الفضل عن الحد المقرر في الفطرة والشرع والعقل وارتقى عن كل التفريطات في حق الألوهية لله رب العامين وكل ما يستحقه من المعرفة والتوحيد والعبودية، المسلم الحق لا يغلو ويتجاوز الحد كما لا يقصر ويدع بعض الحق[4] وهذا يشمل كل العلوم والأعمال المتعلقة بأصول الدين سواء ما كان في معرفة الله ومعرفة ما يجب له أو ما كان يتعلق بمعرفة مبحث النبوات وما يتصل بذلك أو ما كان يتعلق بسائر المغيبات. ومن جوانب الوسطية كذلك؛ يذكر وسطية الإسلام في جانب قيمه المتعلقة بالتكاليف الشرعية فهو وسط في العبادات والمعاملات، فالتكاليف التي ألزم الله بها عباده لا تخرج أن تكون في حدود الاستطاعة التي تسمح بها الطاقة البشرية، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا﴾ [سورة البقرة:286]، والوسطية ميزة عامة تشمل كل التكاليف الشرعية على حد سواء. وهذه الميزة في القيم الإسلامية لها ثمرتها في تكوين الفرد وتكوين الجماعة المسلمة، إذ لما يكون

---

(1) ينظر: صالح بن فوزان الفوزان، "الوسطية في الإسلام"، محاضرة منشورة على الموقع الرسمي للشيخ: https://www.alfawzan.af.org.sa/ar/node/2345 تاريخ الإطلاع: 2021/02/07م.

(2) ينظر: وهبة الزحيلي، "التفسير الوسيط" (1/ 64-65) بتصرف.

(3) عفاف بنت يحيى آل حريد، "علامات في سماء الوسطية"، كتاب نشر في موقع الإسلام التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، بدون بيانات: www.al-islam.com. بتصرف

(4) عبد الرحمن السعدي، "القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن"، ص72.

كل فرد من أفراد هذه الأمة تتمثل فيه سمات الوســطية؛ تكون الأمة بمجموعها وســط معتدلة بين الإفراط والتفريط[1].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) ينظر: صالح بن فوزان الفوزان، "الوسطية في الإسلام"، محاضرة منشورة على الموقع الرسمي للشيخ: https://www.alfawzan.af.org.sa/ar/node/2345 تاريخ الإطلاع: 2021/02/07م.

المطلب الرابع: الإنسانية في أدبيات المفسرين

الإنسانية معنى يرتكس ويعاني من القلق والحيرة والأمراض النفسة والعصبية ... والعقلاء من أبناء الإنسانية يصرخون هنا وهنالك وقليل منهم من يهتدي إلى منهج الله وهو وحده العلاج والدواء ولكن قليل من أبناء الإنسانية من يلتفت إلى نداء هؤلاء. والإنسانية اليوم هي الجناح الكسير من جناحي الحضارة الإنسانية ولا معنى لحضارة ترتقي في جانبها المادي وترتكس في المعنى الإنساني.[(1)]

ونجد في مؤلفات ورسائل وخطب المفسرين وصف لحالة الإنسانية اليوم وما تعانيه من آلام وما تتطلع إليه من آمال، وعن حقيقة الإنسانية كما يتصورها المسلم يقول محمد البشير الإبراهيمي: «الإنسانية تلك الأم الرؤوم التي لا تحابي واحدا من أبنائها دون آخر ولا تميز بين بار منهم وفاجر، ولا تفرق بين مؤمن منهم وكافر، تلك الأم المعذبة بالويلات والمحن، من ويلات الحروب التي أتلفت الملايين إلى ويلات الأمراض والطواعين إلى ويلات الزلازل والبراكين»[(2)]؛ إن الإنسانية في نظر الإمام أم رؤوم لبني آدم كلهم وهم إخوة منها، وهي أم عقها أبناؤها وصبت فوق رأسها المصائب من صنوف البلايا التي سببها الأقدار الإلهية، وكأنه يشير إلى أن مثل هذه البلايا التي سببها الأقدار الإلهية التي هي من سنن الله في الكون لم تعالج بما أوجبه الله على بني الإنسان بما أودعه فيهم من فطرة تجعل ضعيفهم يرحم قويهم وصحيحهم يواسي مريضهم وغنيهم يؤازر فقيرهم ... وإنما هي الإنسانية لم تر من أبنائها إلا التنافر والتدابر بل تعدى ذلك إلى الظلم وضياع الحقوق. وكأن الإنسانية تنعى القيم التي تنظم شؤون الحياة وتحفظ لكل فرد من بني الإنسان كرامته وعزته وتضمن له وجودا يليق بالمقام الذي وجد من أجله، «عجيب لهذه الإنسانية ما كفاها من مصائب الدهر تقاطع أبنائها وتدابرهم، ونصب الحبائل وبث المكائد لبعضهم بعضا، ما كفاها من مصائب الدهر أن يكون في أبنائها قوي يستعبد ضعيفا، وشريف يستخدم مشروفا، ما كفاها أن تنقلب الحقائق على أبنائها المارقين العاقين فيركبون مطايا الخير للشر، ويستعملون سلاح النفع للضر، ويتوسلون بالدين لجمع الدنيا»[(3)]، إن واقع الإنسانية اليوم ليدعو إلى الخوف على مستقبل الإنسان نفسه في هذه المعمورة، إنه خوف على الحق أن يضيع بين ركام الباطل ظهر وطغى وخوف على العدل والقسط الذي لم يعد موجودا إلا في رمز الميزان الذي يصور في كل مدخل من مداخل مباني مجالس القضاء، وخوف على حرية المرء الذي أصبح رهين أفكار يعيش بها أو أرغم على العيش بها على أنها حقيقة يجب أن يعقد قلبه على الإيمان بها ... حقا

(1) ينظر: سيد قطب، "في ظلال القرآن" (17/1). بتصرف

(2) محمد البشير الإبراهيمي، "الآثار" (62/1).

(3) المرجع نفسه: (62/1).

إن واقعا مثل هذا الواقع يبعث على الحيرة؛ حيرة ترجمانها سؤال ورجاء: «ألا فليرحم الإنسانية من في قلبه رحمة، ألا وإن الإنسانية تستغيث فهل من مغيث، وتستنجد فهل من منجد؟»[1]، ولا يظنن ظان أن هذه الحيرة المشار إليها سابقا أقعدت الصادقين عن العمل وعن وضع الخطط للخروج بالإنسانية من المآزق التي هي فيها، بل إن أهل القرآن كانت لهم رؤية واحدة رؤية ملؤها نور الإيمان وطريقها مبصرة بكلام الله رب العالمين، فكل واحد من أبناء الأمة الإسلامية ممن آتاهم الله الفقه في سننه الكونية وفي سننه الشرعية؛ كل واحد منهم ينادي بملىء فيه أن «القرآن كتاب الإنسانية العليا استشرفت إليه قبل أربعة عشر قرنا حين ضامها أبناؤها فعقوها فارتكسوا في الحيوانية السفلى فأخلدوا إلى الأرض فأكثروا فيها الفساد، فأنزله الله من السماء ليصلح به الأرض وليدل أهلها المستخلفين عليها من بني آدم على الطريق الواصلة بالله، ويجدد ما رث من علائقهم به»[2]. نعم القرآن الذي انتقل بعرب الجاهلية من القيم السفلى في الدين والدنيا إلى القيم العليا فيهما بل القرآن هو الذي انتقل بالعرب من نظام قبلي تسوده الوحشية إلى أن يكونوا سادة الأمم ينشرون دين الله تبارك وتعالى في مشارق الأرض ومغاربها ولنا أن نتأمل مقالات فصحائهم يخبرونا كيف انتقل بهم الإسلام من المقامات الدنيا إلى المقامات العليا في أبهى صور للقيم الإنسانية الإسلامية فهذا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يكلم النجاشي يصف دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نحن نعبد، وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان. وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ...)[3] إن الذي يتأمل فيما وصفه جعفر بن أبي طالب من الحالة التي كانوا عليها والحالة التي أصبحوا فيها بعد إسلامهم ثم يلحظ العز والسؤدد الذي رزقه المسلمون فيما بعد ليحمد الله سبحانه وتعالى على نعمة الهداية إلى القرآن والهداية به ويبعثه على تدبره والتأمل فيه فما «أشد شبه الإنسانية اليوم بالإنسانية قبيل نزول القرآن في جفاف العواطف وضراوة الغرائز وتحكم الأهواء والتباس

---

(1) محمد البشير الإبراهيمي، "الآثار" (62/1-63).

(2) المرجع نفسه: (249/2).

(3) أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (4 / 20) برقم: (2260)، وصححه مقبل بن هادي الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (538/2) برقم: (1651).

السبل وتحكيم القوة وتغول الوثنية المالية. وما أحوج الإنسانية اليوم إلى القرآن وهي في هذا الظلام الحالك من الضلال وقد عجز العقل عن هدايتها وحده كما عجز قديما عن هدايتها لولا تأييد الله له بالأمداد السماوية من الوحي الذي يقوي ضعفه إذا أدركه الوهن ويصلح خطأه إذا اختل ميزانه. وكما أتى القرآن لأول نزوله بالعجائب والمعجزات في إصلاح البشر فإنه حقيق بأن يأتي بتلك المعجزات في كل زمان إذا وجد ذلك الطراز العالي من العقول التي فهمته، وذلك النمط السامي من الهمم التي نشرته وعممته، فإن القرآن لا يأتي بمعجزاته ولا يؤتي آثاره في إصلاح النفوس إلا إذا تولته بالفهم عقول كعقول السلف وتولته بالتطبيق العملي نفوس سامية وهمم بعيدة كنفوسهم وهممهم»[1].وإن القيم التي تحلى بها النبي ﷺ وهو المثل الأكمل للمؤمنين وهو الذي وصفه أنه قرآن يمشي جعلت قيصر الروم في زمانه بعدما سمع من أبي سفيان رضي الله عنه -ولم يكن قد أسلم بعد؛ بل كان أشد قريش مخاصمة لرسول الله ﷺ- سمع منه جانبا من الهدي والأخلاق والقيم التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه، جعلته يتنبأ يقينا بأن العز والتمكين لن يكونا إلا من نصيب من رسول الله ﷺ ومن نصيب صحبه وأتباعه من بعده لا لشيء سوى أنهم غرست فيهم قيم كانوا هم أنفسهم يدعون أليها و مثل هذه القيم لا يمكن أن ترفض ومحال أن يغلب صاحبها، فعن أبي سفيان رضي الله عنه قال: «أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش ، وكانوا تجارا بالشام، في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسبا، فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه. فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذبا لكذبت عنه. ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا. ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه، قال:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) محمد البشير الإبراهيمي، "الآثار" (249/2).

ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشـركوا به شـيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة، فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول، فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله، لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله. وسألتك هل كان من آبائه من ملك، فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك، قلت رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل. وسألتك أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. وسألتك هل يغدر، فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك بما يأمركم، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه، لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه. ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل ، فقرأه، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة آل عمران:64].

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أَمِر أمر ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر. فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام»[1] فأكرم بقوم رسول الله قائدهم وقدوتهم وأكرم بقوم كتاب الله مربيهم. وهذا الكاتب البريطاني الشهير برنارد شو ينقل عنه محمد تقي الدين الهلالي

(1) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في "صحيحه" (8/1) برقم: (7)، (19/1) برقم: (51)، (180/3) برقم: (2681)، (19/4) برقم: (2804)، (45/4) برقم: (2940)، ومسلم في "صحيحه" (163/5) برقم: (1773)، (166/5) برقم: (1773).

شهادته -وأنعم بها شهادة لرجل العالم كله يقدر تكهناته الفلسفية والأدبية لعظيم قدره فيهما- يشهد بأن دين محمد ﷺ هو الدين المنقذ للبشرية والمخلص لها مما هي فيه فقال: «إنني دائما أحترم الدين الإسلام غاية الاحترام لما فيه من القوة الحيوية. فهو وحده الدين الذي يظهر لي أنه يملك القوة المحولة التي تغير صورة الكون، ذلك لأنه يوافق كل جيل ويتمشى مع مصلحة البشر في كل زمان. لا شك ان العالم يقدر تكهنات رجل مثلي. أنا على يقين أن دين محمد سيكون دين أوروبا في غد (المستقبل) كما أنه قد أخذ الأوروبيون يقبلونه من اليوم ... لقد درست سيرة محمد الرجل العجيب وفي رأيي هو بعيد جدا من أن يكون عدوا للمسيح. إنما ينبغي أن يدعي "منقذ البشرية". لاريب أنه لو كان في أمريكا رجل مثله قد تولى دكتاتوريتها لنجح أعظم نجاح في حل مشكلاتها بطريق يضمن لها السلام والسعادة التي هي في أشد الحاجة إليهما. وقد رأى عظماء المفكرين من أهل النزاهة مثل كار ليل وغوتي وجيبون في القرن التاسع عشر وجوب تقدير وإجلال دين محمد، وقد أحدث رأيهم شيئا من التغيير في سلوك الأوروبيين مع الإسلام. لكن أوربا هذا القرن (العشرين) قد تقدمت في ذلك تقدما بعيد الشأو، وقد أخذوا يقعون في الهيام بعقيدة محمد. وفي القرن التالي سيكون أهل أوربا أكثر معرفة بفائدة إعتقاد محمد في حل مشكلاتهم وبهذا يمكنك أن تفهم ما تكهنت به، وقد انضم كثير من قومي والأروبيين إلى دين محمد ويمكن أن يقال أن إسلام أوربا سيكشف النقاب عن قضيتكم (الخطاب للشرقيين) الخاصة»[1] فالإمام محمد تقي الدين الهلالي حفل بهذه الشهادة من مفكر أديب غربي على عظم المبادئ والقيم التي كان يتحلى بها رسول الله ﷺ مما يعطيها سمة المرونة والقابلية لمسايرة كل الأزمنة على مر العصور فكتاب الله لا يفنى ولا تنقضي عجائبه، وهذه الشهادة هي من باب وشهد شاهد من أهلها ليزداد اللذين آمنوا إيمانا ويزول الشك والريب عن كل من اشتبه عليه الأمر فحار سبيلا، وفي نفس الموضوع يشكر تقي الدين الهلالي صنيع أستاذه وقرينه محمد رشيد رضا في كتابه "الوحي المحمدي" في تقريظ بعث به إليه ونشر في مجلة المنار فقال: «ذكر اعتراف حكماء الغرب بهذا الفساد وتمنيهم أن يبعث نبي يحدث انقلابًا روحيًّا ينقذ الإنسانية من نصبها وشرورها، وإطباقهم على أن أديانهم لا تنجع في علاج هذا الداء، بل ربما كانت إحدى عوامله، فأراد هذا الإمام الحجة أن يريهم أن الذي يطلبون بين أيديهم، وأن الدواء الناجع على طرف الثمام، ويرفع عنهم حجب الجهل والتعصب التي حرمتهم من اقتباس أنوار الدين الأصلي الخالد، دين الفطرة، ويضع أيديهم على محاسنه وفضائله ليتفقهوا فيه باتخاذهم (الوحي المحمدي) دليلاً وهاديًا، ولينذروا

(1) محمد تقي الدين الهلالي، "كلمة برنارد شو في الإسلام: محمد منقذ البشرية"، مجلة السنة النبوية المحمدية، قسنطينة: 13 محرم 1352هـ، العدد:05، ص4-5.

قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون»[1]. غير أن الشيخ عبد الحميد بن باديس[2] يلفت الانتباه إلى أن حملة القرآن اليوم ينقسمون قسمين منهم من يحمله يعمل به ويهتدي بهديه ومنهم من يحمله اتخذه عملا، وعلى الصنف الأول من أهل العلم وطلبته وسائر المثقفين المعول في اصلاح الإنسانية؛ ذكر بعد أن بين حال السلف مع القرآن علما وعملا أنه «خلفت من بعدهم خلوف اتخذوه حرفة وتجارة، وجاءوا بقراءته على الأموات بوجوه من البشاعة والمهانة والحقارة فأذلوا أنفسهم وأذلُّوا اسم حامل القرآن بقبيح أعمالهم فأذلهم الله: على أن الله- ولله الحمد- لا يخلي الأرض من قائم لله بحجة، ومستجيب لداعي الله في سلوك المحجة، فقد أخذ كثير من حملة القرآن يعرفون قيمة ما حملوا. وينهضون بما حمّلوا، ويعملون لعز الإسلام ورفع راية القرآن، راية الحق والعدل والأخوة والإحسان لبني الإنسان، أيدهم الله وأنقذ بهم الإنسانية ومد بهم رواق السلام»[3] فرب حامل للقرآن يعمل به، ورب حامل للقرآن اتخذه عملا، وشتان ما بينهما أثرا وهديا وتأثيرا، ويا لعظيم الفرق بينهما في الفضل والمنزلة في الدنيا والآخرة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) محمد تقي الدين الهلالي، تقريظ كتاب: "الوحي المحمدي"، مجلة المنار، مصر، المجلد 33، عدد: ذو الحجة 1353هـ- أبريل1934م.

(2) **عبد الحميد بن باديس:** هو عبد الحميد بن المصطفى بن مكي بن باديس الصنهاجي، ولد في قسنطينة سنة 1308هـ-1889م، حفظ القرآن الكريم صغيرا، وتعلم على حمدان الونيسي، ارتحل إلى الزيتونة 1326هـ-1908م، وتتلمذ على علمائها: محمد الطاهر بن عاشور، محمد الخضر حسين ... تخرج منها سنة 1331هـ-1912م، بشهادة التطويع وفي نفس السنة سافر إلى الحج والتقى بعدد من العلماء وتكونت مع البشير الإبراهيمي فكرة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أصدر عددا من الصحف والمجلات: المنتقد، السنة، الشهاب، الشريعة، البصائر، ...أسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م مع عدد من العلماء، أثر عنه قوله: شغلنا تأليف الرجال عن تأليف الكتب، ومع ذلك ترك جملة من الآثار منها: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، العقائد الإسلامية، رجال السلف ونساؤه .... وجملة من المقالات السياسية والاجتماعية والخطب جمعها عمار طالبي وطبعت سنة: 1968م ... توفي في: 135هـ-1940م. [ينظر: خير الدين الزركلي، "الأعلام"(3/289)،و عادل نويهض، "معجم المفسرين" (1/259).]

(3) "آثار ابن باديس" (4/ 280).

المبحث الثالث: مشكلة القيم ومكانتها في كتب التفسير

المطلب الأول: ميلاد نظرية القيم

المطلب الثاني: تفسير القيم

المطلب الثالث: مكونات القيم

المطلب الرابع: تقسيم القيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: مشكلة القيم ومكانتها في كتب التفسير

البحث في القيم والمشكلات التي تندرج في مباحث هذا الفن من العلوم؛ يعتبر قديما جديدا في الثقافة الإسلامية؛ قديما باعتبار الروح والجوهر، وجديدا في صورته الموضوعية والشكلية المعاصرة، تسلل إلى الثقافة الإسلامية المعاصرة لعدة عوامل لعلها تجتمع تحت باب هيمنة الثقافة الغربية المتغلبة وولع الأمم الشرقية المغلوبة بتقليد الغالب فيما يفيد وفيما لا يفيد على حد سواء. وقد آثرت طائفة من أمة الإسلام نهج المغالبة والمدافعة من أجل الحفاظ على مقومات الهوية الإسلامية لدى الشعوب الإسلامية، عن طريق أسلوب الغربلة والتمحيص من أجل استئناف الحياة الرشيدة في ظل الشريعة الربانية. يقول أحد العلماء في هذا الصدد: «لابد من أن نكون مميزين فالله عز وجل قال: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩﴾ [سورة آل عمران:139]، فإذا تحققنا بالإيمان فنحن الأعلى؛ ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ أي: يا أمة الإسلام، يا أمة الإيمان أنتم الأعلون دائما مادام أنكم على الإيمان، وعلى الإسلام، ومن العلو: عدم التبعية، من العلو: عدم التقليد، من العلو: الاستقلال، وقد علمنا الشرع الاصطلاح،علمنا كيف نستقل بمصطلحاتنا،وألفاظنا؛ لهذا أدعو أن تكون خدمة المصطلحات المؤثرة عبر الاستقلالية، وعدم التقليد في ذلك فيما يدخله الهوى»[1] .

يحاول الباحث في هذا المبحث؛ إبراز حركة انتقال مشكلات القيم (مدلول مصطلح القيم) إلى الدرس التفسيري مرورا بانتقاله من الثقافات المجاورة إلى الثقافة الإسلامية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) صالح آل الشيخ، "محاضرة المصطلحات وأثرها على العلم والثقافة والرأي/ سلسلة المحاضرات العلمية" (761/4).

المطلب الأول: ميلاد نظرية القيم

القيم نوع حادث في علوم الفلسفة فهي جد عصرية، لم تظهر كفلسفة مستقلة؛ لها منهج مستقل وخصوصية في التناول ومشاكل يراد لها الحل؛ إلا في بداية القرن العشرين للميلاد أو قبله بقليل[1] والبحث في موضوع القيم قديم في الإسلام قدم الكتابات الإسلامية وإن لم يكن تحت هذا المسمى الذي هو حديث النشأة، بل غالبا ما كان يتم تحت مسمى (الحسن والقبيح) خاصة في كتابات الغزالي وابن مسكويه[2]، ويمكن القول أن «القيم تدخل تحت مسمى الأخلاق لدى الأقدمين، مما يجعل كثيرا من الدارسين المعاصرين، يستخدمون لفظة القيم كمرادف للفظة الأخلاق، بحيث يدرس بعضهم الأخلاق الإسلامية تحت اسم (القيم الإنسانية)» [3] بل من المعاصرين من جعل مصطلح القيم من الدخيل على العلوم الإسلامية يمكن الاستغناء عنه بما هو مأثور عن سلفنا في هذا الباب[4]. في العصر الحديث وفي البلدان العربية نجد توفيق الطويل قد تناول مبحث الأكسيولوجيا –نظرية القيم– في كتابه أسس الفلسفة عام 1952م ثم تابع دراسته للقيم وخاصة من الوجهة الخلقية في كتبه ودراساته التالية مثل (مذهب المنفعة العامة 1953م) و (المشكلة الخلقية 1954م) و (الفلسفة الخلقية 1960م) الذي يعرض في نهايته نزعة مثالية معدلة في الأخلاق. وكذلك أفرد الدكتور عادل العوا بجامعة دمشق كتابا لـ:(القيمة الأخلاقية) عام 1960م تناول فيه مسائل الأخلاق والقيمة بوجه عام من وجهة نظر وجودية وتلاه كتاب (نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية) للدكتور الربيع ميمون سنة 1980م، إلا أن الكتابة في موضوع القيم يبقى قليلا في الكتابات الاسلامية[5]. وفي مجال الدراسات القرآنية كانت هناك محاولات لدراسة القيم من منظور القرآن الكريم منها على سبيل المثال: القيم الإنسانية في الإسلام للدكتور يوسف القرضاوي ومنها القرآن والقيم الإنسانية للدكتور عبد اللطيف محمد عامر. أما مفردات القيم التي تناولها الناس بالبحث من منظور إسلامي بغض النظر عن طريقة البحث فيها فهي كثيرة جدا لا تستقصى. وفي

---

(1) الربيع ميمون، "نظرية القيم في الفكر المعاصر"، ص16.

(2) ينظر: فاضل سليمان، "قيم إنسانية أم سنن إلهية؟"، محاضرة الصفحة الرسمية على اليوتيوب؛ تحت الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=vXoOZZF88iM، تاريخ الإطلاع: 07-06-2020.

(3) عبد الرحمن الزنيدي، "السلفية وقضايا العصر"، 461.

(4) ينظر: تقي الدين الهلالي، "تقويم اللسانين"، ص46.

(5) ينظر: صلاح قنصوة، "نظرية القيم في الفكر المعاصر"، ص23.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مجال الدرس التفسيري المكتوب أو الشفهي فعلى حسب تقدير الباحث –في حدود اطلاعه- لا يوجد من اعتمد القيم الإنسانية بمشكلاتها مقصدا من مقاصد علوم القرآن ولا من اتخذه غرضا ظاهرا يبغي من ورائه الوصول إلى حلول لمشكلات القيم في واقعها المعاصر من خلال تصور قرآني، إلا ما وجد عند البعض كـ: وهبة الزحيلي وسيد قطب(1). وهذا الأخير اعتمد في تفسيره مصطلح القيم وكل ما له به صلة من مصطلحات مشابهة أو مرادفة بشكل بارز جدا وتعمد كذلك إظهار خصائص النظرية القيمية كما يتصورها من خلال القرآن الكريم، ولعل ذلك انعكاس لما كان يستخدمه من أدوات في النقد الأدبي والاجتماعي في الأدب المعاصر وخاصة نقده للأدب الغربي(2)، ففي تفسير الظلال ناقش عديدا من القضايا التي هي من صميم مشكلة القيم في الفكر المعاصر منها: مسألة الغموض الذي يريد البعض إلصاقه بمفهوم القيم، ومنها مسألة العلاقة بين القيم الإنسانية القرآنية الربانية وعلاقتها المتكاملة (غير المتناقضة) مع القيم المادية(3)، ومنها جناية بعض المذاهب الفلسفية والدينية على القيم الإنسانية(4). أما ما كتبه وهبة الزحيلي حول القيم الإنسانية في القرآن الكريم فهو موجود في مواضع مختلفة من مقالاته ومداخلاته العلمية في الملتقيات والمؤتمرات. ومما يمكن الإشارة إليه كذلك في هذا الصدد ما جرى من ذكر للقيم –على حسب اطلاع الباحث- في بعض كلام المفسرين عرضا دون تقصد للمدلول الفلسفي وكل ذلك على قلة.

---

(1) **سيد قطب**: سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط ولد سنة: 1324هـ-1906م، تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة: 1353هـ -1934م، وعمل في جريدة الأهرام، وكتب في مجلتي (الرسالة) و (الثقافة) وعين مدرسا للعربية، فموظفا في ديوان وزارة المعارف. ثم مراقبا فنيا للوزارة. وأوفد في بعثة لدراسة (برامج التعليم) في أميركا (1948– 1951م، انضم إلى الإخوان المسلمين، وسجن معهم، وكتبه كثيرة منها: النقد الأدبي، أصوله ومناهجه والعدالة الاجتماعية في الإسلام والتصوير الفني في القرآن ومشاهد القيامة في القرآن وفي ظلال القرآن ... اختلف الناس حول كثير من الأمور تتعلق بفكره ونهجه في الدعوة وطريقته في التفسير، توفي سنة: 1387هـ-1967م. [ينظر: خير الدين الزركلي، "الأعلام" (148/147/3)، وسعد الحصين، "سيد قطب بين رأيين"].

(2) ينظر: سيد قطب، "في ميزان القيم/ أيها العرب استيقظوا واحذروا"، ص115 وما بعدها.

(3) ينظر: "في ظلال القرآن"، (1257/3-159) و(2447/4).

(4) المرجع نفسه: (1754/3).

المطلب الثاني: تفسير القيم

تفسير القيم يرجع بالأساس إلى استمداد هذا العلم، وفي هذا الموضع بالأساس تظهر عدة مشكلات تتجاذبها -بالتفسير والنقاش-مختلف المدارس الفكرية من مختلف الثقافات البشرية، وتبعا للخلاف في مدد هذا العلم ينتج كثير من الصدامات الفكرية في مختلف الفروع العلمية والعملية المندرجة في هذا الحقل المعرفي والأخلاقي. ولكي يبين الباحث موقف المفسرين المعاصرين ومن يسير في فلكهم من مشكلة تفسير القيم رتّب عناصر هذه النقطة في ثلاثة فروع بيّن في الأول منها أن أساس أي تفسير للقيم يعود للمرجعية التي يعتمد عليها كأصل مولّد لتلك القيم وموجّه لها، ثم بين في الفرع الثاني موقف القرآن الكريم من الصدام الحاصل -حقيقة كان أو وهما- بين القيم الإنسانية بمختلف فروعها وبين القيم المادية الناتجة عن التطور العلمي والتكنولوجي ويحاول الباحث من خلاله الإجابة عن السؤال؛ ماهي العلاقة العلمية والعملية التي تربط بين القيم الإنسانية القرآنية وبين العلوم المادية والطبيعية المعاصررة؟ أو بشكل أكثر وضوحا وصراحة هل القيم القرآنية تعيق نضج وتطور الإنسانية؟ ثم انتقل في الفرع الثالث ليبيّن موقف الإسلام من مختلف القيم الوافدة مع الثقافات الأجنبية عن الثقافة الإسلامية في ظل الهيمنة الغربية -باعتبارها ثقافة غالبة-وفي ظل العولمة الثقافية العالمية.

الفرع الأول: تعدد المرجعيات

الانسان في نشأته الأولى يكتسب قيمه التي يعيش بها من خلال تفاعله مع البيئة التي وجد فيها، إلى أن تكتمل أهليته العلمية ليختار لنفسه ما يراه يصلح معبرا عن شخصيته الإنسانية الخاصة به فيبقى محافظا على بعض ما ألفه من مجتمعه في حين ينتقل انتقالا قد يكون عنيفا وقد يكون لطيفا عن كثير من عادات محيطه وتعبداته. ويرجع هذا التحول إلى التحول في نوعية القيم التي يؤمن بها الإنسان «على حسب طبيعة القيم التي يؤمن بها الإنسان يتحدد سلوكه، ومواقفه اتجاه الأحداث ومدى تفاعله مع المستجدات فكرا وسلوكا ... وليس على المستوى الشخصي فقط بل حتى على مستوى المجتمعات ككل»(1) وفي هذا الصدد يظهر السؤال عن القيم والأخلاق وكيف يتم اكتسابها: هل بالطبع؟ أم بالتطبع؟ ليليه سؤال آخر ماهي الخلفية التي يرجع إليها في تعلم القيم والأخلاق؟ هل هو الدين؟ أو غيره مما أنتجته بعض الفلسفات البشرية من رؤى وتصورات؟(2)

(1) عمر بوساحة، "العولمة الثقافية -المفهوم والتحديات-"، ص32.

(2) ينظر: طه عبد الرحمن، "سؤال الأخلاق"، ص29 وما بعدها.

قيمة أي مبدإ من المبادئ الإنسانية تكمن فيما تتضمنه من حقائق تصدقها، وروابط تعقد بها أواصر المجتمع، ويستدل على ذلك بالقرائن من مصدرها الذي صدرت عنه ومرجعها التي تستند إليه والبراهين التي تشهد لها بالصحة، و«قيمة الدعوة الدينية إلى المبادئ التي تدعو إليها، هو سلطان الدين المستمد من سلطان الله، فما يقوله فلان وعلان علام يستند؟ وأي سلطان له على النفوس والضمائر؟ وماذا يملك للناس حين يعودون إليه بكدحهم وكدهم في تحقيق هذه المبادئ؟ يهتف ألف هاتف بالعدل. وبالتطهر. وبالتحرر. وبالتسامي. وبالسماحة. وبالحب. وبالتضحية. وبالإيثار ... ولكن هتافهم لا يهز ضمائر الناس ولا يفرض نفسه على القلوب، لأنه دعاء ما أنزل الله به من سلطان! ليس المهم هو الكلام ... ولكن المهم من وراء هذا الكلام! ويسمع الناس الهتاف من ناس مثلهم بالمبادئ والمثل والشعارات-مجردة من سلطان الله-ولكن ما أثرها؟»(1). وجدير بالتنبيه أن القيم والخلال الكريمة تكون طبعا في الإنسان كما تكون منه بالتطبع والتعليم وهذه منة إلهية على الإنسان يشترك فيها كل الناس على حد سواء، ويستدل على ذلك بشواهد كثيرة من مصادر الإسلام العلمية والعملية؛ منها حديث النبي ﷺ مثل ما روي عنه أنه قال لأحد أصحابه -أشج عبد القيس-: ((إن فيك لخلقين يحبهما الله: الحلم والأناة)) قال يا رسول الله، أهما خلقان تخلقت بهما، أم جبلني الله عليهما، قال: ((بل جبلك الله عليهما))، فقال: ((الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله))(2)، وبين الله تعالى في كتابه العزيز أنه هو الذي يهيئ قلوب عباده للتخلق بأخلاق الإيمان والتزين بلباس التقوى والعمل بالرشد ونبذ ما يخالف ذلك من القبول للحق والعمل به والدعوة إليه بما نصب من الآيات البينات والبراهين الساطعات كما في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [سورة الحجرات:7]، وأظهر من تجلت فيه قيم القرآن الكريم فكان كأنه قرآن يمشي هو نبي الله محمد ﷺ مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [سورة القلم:4]؛ قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عندما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : ((كان خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن، قول الله عز وجل : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [سورة القلم:4]؟))(3) فالله تبارك وتعالى بيّن في هذه الآية من

---

(1) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (853/2)

(2) أخرجه أبو داود في "السنن" (512/7) برقم: (5225) والترمذي في "السنن" (540/3) برقم: (2011) والبخاري في "الأدب المفرد" (302) برقم: (584) **وصححه الألباني** في "صحيح الأدب المفرد" برقم: (454).

(3) أخرجه مسلم في "صحيحه" (2 / 168) برقم: (746).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة الحجرات أن ما يحصل للمؤمنين من اكتساب صفة الرشد الذي هو: «حسن التصرف، وهو في كل موضع بحسبه»[1] إنما يحصل بـ: أن الله تعالى يحبب إلى من يشاء من عباده الإيمان، ويزينه في قلوبهم، بما أودع الله في قلوبهم من محبة الحق وإيثاره، وبما ينصب على الحق من الشواهد، والأدلة الدالة على صحته، وقبول القلوب والفطر له[2]. ونتيجة لذلك كانوا من الراشدين أي: اللذين صلحت علومهم وأعمالهم، واستقاموا على الدين القويم، والصراط المستقيم[3]. وهذا الذي حصل لهم لا مزية لهم فيه ولامنة لهم به على أحد بل يعد كما قال الله تعالى: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الحجرات:8]، ولهذا السبب مهما ترقى الانسان في علومه ومعارفه تبقى حاجته ملحة ومتجددة عصرا بعد عصر وجيلا بعد جيل إلى الاهتداء بما في كلام الله لاستخراج حل للمشكلات التي تمر على البشر فتحيرهم وتربكهم، فالقرآن الكريم هو المرجع الأول لاستنباط معالم سبل السلام التي تخرج الناس من الظلمات إلى النور، وفي هذا الصدد يقول الامام ابن باديس في معرض تفسير قول الله تعالى ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [سورة المائدة:16]: «إن الحاجة إلى إرشاد الله وتوفيقه دائمة متجددة، فكل عمل من أعمال الإنسان وكل حالة من أحواله هو محتاج فيه إلى هداية الله ودلالته؛ ليعرف ما يرضاه الله منه مما لا يرضاه. وهو محتاج فيه إلى توفيق الله وتيسيره ليقوم بما يرضاه منه، وشرّعه له ودلّه عليه، ولن يزال العبد-غير المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم) - تغشاه ظلمات الشبهات والشهوات، فيحتاج إلى دلالة الله وتوفيقه، ليخرج منها إلى نور الإيمان والاستقامة. فالعبد محتاج دائماً إلى الرجوع إلى كتاب الله، وما ثبت من سنة نبيه-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- ليهتدي إلى ما يرضي الله، مما شرّعه له من أحواله وأفعاله، وإلى ما يدفع عنه شبهاته، وينقذه من شهواته. ومحتاج إلى التوسل بذلك الرجوع إليهما وذلك الاتباع لهما إلى الله، ليفتح له أبواب المعرفة، ويمد له أسباب التوفيق، وهذا هو القصد من صيغة المضارع، المفيدة للتجدد، في قوله تعالى: ﴿يَهْدِي﴾ و ﴿يُخْرِجُهُمْ﴾ و ﴿يهديهم إلى صراط مستقيم﴾»[4]. وفي هذا السياق يوضح صاحب الظلال دور الأمة الإسلامية وواجبها اتجاه البشرية كلها من أجل أن يكون

---

(1) ابن عثيمين، "تفسير سورة الحجرات والحديد"، ص31.

(2) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص800. بتصرف يسير

(3) المرجع نفسه، ص800.

(4) عبد الحميد بن باديس، "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، ص333.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القرآن الكريم هو الكتاب الذي يرجع إليه الناس كلهم في تأسيس مختلف الأنظمة الاجتماعية وما يتصل بها من شؤون وأحوال مؤسسة على القيم والمبادئ والمثل، وكل ذلك تصديقا لقول الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [سورة المائدة:3] وقول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ [سورة المائدة:48] حيث قال ﷺ: «إن دور هذه الأمة هو أن تكون الوصية على البشرية تقيم العدل في الأرض، غير متأثرة بمودة أو شنآن، وغير ناظرة في إقامة العدل إلى ما أصابها أو يصيبها من الناس فهذه هي تكاليف القوامة والوصاية والهيمنة.. وغير متأثرة كذلك بانحرافات الآخرين وأهوائهم وشهواتهم فلا تنحرف فيه شعرة عن منهجها وشريعتها وطريقها القويم لاسترضاء أحد أو لتأليف قلب وغير ناظرة إلا إلى الله»[1] ولكن لما فرط المسلمون في أسباب التمكين في الأرض وضاع منهم العز والسؤدد كانوا لغيرهم من الأمم فتنة عن القيم القرآنية ووقعوا فيما كان يخافه الأنبياء والمرسلون من أن يكون ضعفهم فتنة للذين كفروا عن دين الإسلام كما حكى القرآن مقالة إبراهيم عليه السلام ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٥﴾ [سورة الممتحنة:5]، فالحسرة كل الحسرة على الإنسانية! ماذا خسرت بتأخر المسلمين؟!

الفرع الثاني: مكانة العلم المادي

(تأخر العرب!) أو لنقل (تأخر المسلمين!) هي قضية أسالت الكثير من الحبر وأثارت كثيرا من الجدل ممزوجا باللغط في أحيان كثيرة في المنتديات العلمية والثقافية والأوساط الاجتماعية؛ ففريق يحاول جاهدا إقامة البينات إثباتا للدعوى: الدين وقيمه سبب تأخرالمسلمين عن الركب الحضاري بما أحدثه من أزمات في العقل العربي، وجعله عقيما عن الإبداع –بل قاتل لكل روح تظهر منه-؛ والابداع هو روح الحضارة التي عليها تقوم، فالقيم التي مرجعيتها هي نفس مرجعيات الدين هي قيم كاذبة خاطئة تصدق فيها مقالة (الدين أفيون الشعوب)!، وفي المقابل فريق يرد الدعوى ويفند دلائلها وينقض أركانها بما يظهرها على حقيقتها التي هي عليها في واقع الأمر دون لبس ولا ضبابية، هي من وحي الشيطان تلقاه عنه مغرض متربص أو مغفل ساذج أو بعيد مغيب عنه الحقيقة. ولا يشك مثقف مسلم أن مثل هذه القضايا ماهي في حقيقتها إلا قضايا مؤسسة على السفسطة للتعمية وتغييب العقل وقتل الضمير

(1) "في ظلال القرآن" (829/2).

الإنساني، لأنه لا براهان لها ولا واقع يشهد لها فيقال هي من السنن، بل هي كما قال الله تعالى فيمن يريد أن يصرف الناس عن الحق: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [سورة فصلت:26]، يقول صاحب الظلال: «إن هناك عصابة من المضللين الخادعين أعداء البشرية، يضعون لها المنهج الإلهي في كفة والإبداع الإنساني في عالم المادة في الكفة الأخرى ثم يقولون لها: اختاري!!! اختاري إما المنهج الإلهي في الحياة والتخلي عن كل ما أبدعته يد الإنسان في عالم المادة، وإما الأخذ بثمار المعرفة الإنسانية والتخلي عن منهج الله!!! وهذا خداع لئيم خبيث»(1)، الخلل يكمن أساسا في أصل تصور المسألة قبل كل شيء، الصورة التي تسوق بها المشكلة مشوهة بعيدة عن التحرير والتدقيق العلمي والمعرفي، وهي في نفس الوقت صورة يراد تضليل البشرية عن صوت الحق وعن داعي الخير ... ولا يصنع مثل هذا الصنيع إلا عدو للبشرية عديم الروح الإنسانية قليل الإحساس بآلام الإنسانية، وإلا ف«وضع المسألة ليس هكذا أبدا.. إن المنهج الإلهي ليس عدوا للإبداع الإنساني. إنما هو منشئ لهذا الإبداع وموجه له الوجهة الصحيحة.. ذلك كي ينهض الإنسان بمقام الخلافة في الأرض. هذا المقام الذي منحه الله له، وأقدره عليه، ووهبه من الطاقات المكنونة ما يكافئ الواجب المفروض عليه فيه وسخر له من القوانين الكونية ما يعينه على تحقيقه ونسق بين تكوينه وتكوين هذا الكون ليملك الحياة والعمل والإبداع.. على أن يكون الإبداع نفسه عبادة لله، ووسيلة من وسائل شكره على آلائه العظام، والتقيد بشرطه في عقد الخلافة وهو أن يعمل ويتحرك في نطاق ما يرضي الله»(2)، وحسب تقدير الباحث يمكن القول أن للمفسرين والمفكرين المسلمين أساليب شتى في نقد هذه القضايا ونقض هذه الدعاوى نلخصها في أساليب أربعة:

---

(1) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (16/1)

(2) المرجع نفسه، (16/1).

الأسلوب الأول: التحليل المنطقي؛ نجده عند المفسرين من مثل محمد الأمين الشنقيطي(1) وعند المفكرين من مثل مالك بن نبي(2) ويعتمد هذا الأسلوب على إبراز التباين الموجود بين التقدم العلمي وبين القيم الدينية فلا أحدهما يمكن أن يعيق سير الآخر، قد يتطور المتدين ويتطور غيره معه كما أن التطور حاصل في الموحد والوثني وعابد البقر وعابد الفأر .... كما أنه يتدين الشخص في المجتمع البدائي ويتدين الشخص الآخر في المجتمع ذو الطابع المترف المتقدم والحاصل أن التقدم والرجعية تدرس أسبابهما بعيدا عن القيم الدينية (3).

الأسلوب الثاني: الاستقراء التاريخي والاستدلال على الحاضر بالماضي؛ جريا على قاعدة أن سنن الله في الكون والاجتماع والعمران واحدة لا تتغير مع مرور الأيام وتطور الأزمان؛ واعتمده محمد رشيد رضا –وهو كثير عنده في تفسيره –ويوجد منه عند غيره، والقصد من هذا الأسلوب إثبات أن الإسلام أخرج من كانوا أشد جهلا وأكثر تخلفا من الظلمات إلى النور على مر القرون وسادوا الأمم من يومها إلى أن أذن الله بانحطاطهم لما تركوا أسباب عزهم ولله في كونه سنن لا تحابي ولا تتبدل ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الفتح:23].

الأسلوب الثالث: هو أسلوب دعوي فيه استثارة للنفوس وشحذ للهمم من أجل تأسيس نظام حضاري متكامل على أسس متينة وبأيدي أبناء الشرق بما يتلاءم مع ثقافتهم ويتناسق مع قيمهم

---

(1) **محمد الأمين الشنقيطي**: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: مفسر مدرّس من علماء شنقيط (موريتانيا)، ولد بها سنة: 1325هـ-1907م وتعلم بمسقط رأسه، وحج سنة: 1367هـ واستقر مدرسا في المدينة المنورة ثم الرياض وأخيرا في الجامعة الإسلامية بالمدينة سنة:1381هـ وتوفي بمكة سنة: 1393هـ-1973م. له كتب، منها أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ومنع جواز المجاز، ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، ودفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، وآداب البحث والمناظرة. ينظر: [خير الدين الزركلي، (45/6)، وعادل نويهض، "معجم أعلام المفسرين" (496/2)]

(2) **مالك بن نبي**: كاتب ومفكر جزائري ولد بقسنطينة سنة:، 1323هـ- 1905م، درس القضاء في المعهد الاسلامي المختلط، وتخرج- في الثلاثينيات- مهندسا ميكانيكيا في معهد الهندسة العالي بباريس، وزار مكة وبعض الأقطار الاسلامية، وأقام في القاهرة سبع سنوات أصدر فيها معظم آثاره باللغة الفرنسية وترجم بعضها الى العربية. تولى إدارة التعليم العالي سنة 1964م بوزارة الثقافة والارشاد القومي. وكان عضوا في مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة. من آثاره: الظاهرة القرآنية ومشكلاة الثقافة وشروط النهضة ووجهة العالم الاسلامي ... توفيي سنة: 1393هـ-1971م. ينظر: [عادل نويهض، "معجم أعلام الجزائر"، ص282]

(3) ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان" (3/ 520 وما بعدها ط عطاءات العلم)

وينظر: محاضرة مالك بن نبي، "دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين".

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومبادئهم؛ انتهجه الأئمة المفسرون من مثل الإمام عبد الحميد بن باديس في تفسيره وفيه استنهاض للعرب بأن يعرفوا قيمتهم وأنهم على صنع الحضارات قادرون كما صنعها آباؤهم الأولون، ونجد هذا النفس بارزا كذلك عند كثير من المفسرين البارزين من مثل عبد الرحمن بن ناصر السعدي في حثه على اكتساب العلم المادي وأنه داخل في حقيقة العلوم الشرعية وأنه من الجهاد في سبيل الله تعالى(1).

الأسلوب الرابع: الأسلوب الهجومي النقدي، انتهجه دعاة الاستغراب كردة فعل ناتجة عن حركة الاستشراق الغرض منها كشف حقيقة المجتمعات الغربية كشفا دقيقا يبرز جناية المادة على الإنسانية وقيمها والنموذج الأول لهذا الأسلوب –على حسب اطلاع الباحث- هو ما قدمه سيد قطب من دراسات اجتماعية نقدية للمجتمع الأمريكي خلال زيارته الدراسية له كما في سلسلة مقالاته: "في ميزان القيم الإنسانية" المنشورة في مجلة الرسالة سنة 1951م، الأعداد: 959-960-961-963.

ومن جانب آخر ينعى عقلاء الأمة الشرقية من علماء وأدباء ومفكرين على الأمة الإسلامية ما تعانيه من انهزام حضاري وضياع تربوي ناجم عن الغزو الثقافي الغربي يكاد يفقد الأمة ثقتها في مبادئها وقيمها، يصف أحد الشعراء هذا الغزو الثقافي وما يعانيه من غربة القيم الشرقية ومن يتمسك بها؛ فيقول(2):

الغرب أقبل تغزونا خطاياه ... ونترك الدين والدنيا لدنياه

وقد بقيت بدنيا الروح منفردا ... يودع الشرق بي أسمى مزاياه

فالشاعر هنا يبكي ضياع فضائل الشرق وغياب قيمه بعد الثورة العلمية المادية المحضة التي انتجها الغرب وما تبعها من ضياع للروح الإنسانية، وأديب آخر كتب يستجدي الشباب أن ينقذوا الثقافة الإسلامية من وثنيات المادة الغربية: «يا شباب العرب! ... أنقذوا فضائلنا من رذائل هذه المدينة الأوروبية ... إن هذا الشرق حين يدعو إليه الغرب؛ ﴿يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحج:13]، لبئس المولى إذا جاء بقوته وقوانينه، ولبئس العشير إذا جاء برذائله ... أيها الشرقي! لا يقول لك الأجنبي إلا ما قال الشيطان: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا أَنفُسَكُم﴾ [سورة إبراهيم:22]»(3) تبين بهذا النقل عن المفكرين والأدباء –وهم مرآة المجتمع- أن مشكلة العلاقة

---

(1) ينظر: " مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، ص383 وما بعدها.

(2) أحمد الصافي النجفي، "هواجس"، ص7.

(3) مصطفى صادق الرافعي، "وحي القلم" (201/2).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بين القيم الإنسانية وبين القيم المادية بسلبياتها وإيجابياتها هي مشكلة أثارت المخاوف وشغلت الفكر الإنساني وحركت الأقلام ... ولا غرابة -والحالة هذه- أن تنتقل هذه المشكلة إلى من يشتغل بإصلاح الناس مهتديا بهدي القرآن الكريم من المفسرين ومن يقتبس من كلامهم ممن هو دونهم في الرتبة والكفاءة في فهم هدايات القرآن الكريم؛ فظهرت مقالات ورسائل مستقلة تعالج هذه الجزئية من مشكلة القيم في ضوء القرآن الكريم منها على سبيل المثال: "الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخلة في الدين الإسلامي" للشيخ عبد الرحمن السعدي، وكذلك رسالة "الدين الصحيح يحل جميع المشاكل" له أيضا ...كما تكلم المفسرون عن هذه القضية كلما دعت الحاجة إلى ذلك محذرين من خطر الأخذ المطلق لحضارة الغرب «لأن ما فيها من الانحطاط الخلقي وضياع الروحية والمثل العليا للإنسانية أوضح من أن أبينه، ويكفي في ذلك ما فيها من التمرد على نظام السماء، وعدم طاعة خالق هذا الكون جل وعلا: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝٥٩﴾ [سورة يونس:59]، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [سورة الشورى:21] »[1].

وتكلم المفسرون عن هذه القضية من عدة جوانب منها بيان أن الحياة الدنيا التي يعيشها الانسان لها ظاهر وباطن؛ ظاهر مادي بحت يتجسد في مختلف أطوار حياة الانسان وباطن يتميز به الشقي عن السعيد والولي عن الغوي ... وإلى هذا أشار قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [سورة الروم:7] ف«قوله: ظاهرا من الحياة الدنيا يفيد أن للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها، والتنعم بملاذها وباطنها، وحقيتها أنها مجاز إلى الآخرة، يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة»[2]، وفي هذه الآية الكريمة إيماء بيّن أن العلوم التي في أيدي الكفار قليلة جدا بالنسبة إلى ما أظهره الله لهم من عجائب الكون ومما سخره الله لهم من أجل عمارة الارض التي استخلفهم فيها ف«في تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون إلا ظاهرا واحدا من ظواهرها»[3]، وقال بعض المفسرين أن «في تنكير قوله: ظاهرا تقليل لمعلومهم، وتقليله يقربه من النفي»[4]. ومن الجوانب التي تكلم المفسرون فيها عن قضية العلم المادي جانب بينوا فيه خطأ اعتبار التفوق العلمي والتطور التكنولوجي هو معيار معرفة الحق من الباطل فالأمة التي ينعم أهلها بالترف

(1) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (3/506 ط الفكر)

(2) جار الله الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل" (3/ 468)

(3) المرجع نفسه: (3/ 468)

(4) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (6/ 167 ط الفكر)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المادي والرفاهية المعيشية هي الأمة المرجع في كل القضايا المختلفة للوصول إلى الحق فيها، حيث إنه «من أعظم فتن آخر الزمان التي ابتلى الله بها ضعاف العقول من المسلمين شدة إتقان الإفرنج لأعمال الحياة الدنيا، ومهارتهم فيها على كثرتها، واختلاف أنواعها مع عجز المسلمين عن ذلك، فظنوا أن من قدر على تلك الأعمال أنه على الحق، وأن من عجز عنها متخلف وليس على الحق، وهذا جهل فاحش، وغلط فادح»(1) والجواب عن هذه الفتنة العظيمة من عدة وجوه أهمها أن علم هؤلاء الكفار مهما اتسع وتطور لا يخرجهم عن قوله تعالى ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [سورة الروم:6]«فقد أوضح جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن أكثر الناس لا يعلمون، ويدخل فيهم أصحاب هذه العلوم الدنيوية دخولا أوليا، فقد نفى عنهم جل وعلا اسم العلم بمعناه الصحيح الكامل، لأنهم لا يعلمون شيئا عمن خلقهم، فأبرزهم من العدم إلى الوجود، ورزقهم، وسوف يميتهم، ثم يحييهم، ثم يجازيهم على أعمالهم، ولم يعلموا شيئا عن مصيرهم الأخير الذي يقيمون فيه إقامة أبدية في عذاب فظيع دائم، ومن غفل عن جميع هذا فليس معدودا من جنس من يعلم؛ كما دلت عليه الآيات القرآنية المذكورة، ثم لما نفى عنهم جل وعلا اسم العلم بمعناه الصحيح الكامل، أثبت لهم نوعا من العلم في غاية الحقارة بالنسبة إلى غيره»(2). ومن وجوه بيان هذه الفتنة العظيمة ودفعها هو بيان عوار هذا العلم المادي المحض من خلال قصوره عن استيعاب العلوم التي شرف الله بها بني آدم ومن خلال بيان دنو منزلة مقاصده التي يسعى إلى تحقيقها فلا يكاد يتجاوز اشباع الرغبات الجسدية للانسان وهذا بين في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [سورة الروم:7] فالله جل وعلا «عاب ذلك النوع المذكور من العلم، بعيبين عظيمين؛ **أحدهما**: قلته وضيق مجاله، لأنه لا يجاوز ظاهرا من الحياة الدنيا، والعلم المقصور على ظاهر من الحياة الدنيا في غاية الحقارة وضيق المجال بالنسبة إلى العلم بخالق السماوات والأرض جل وعلا، والعلم بأوامره ونواهيه، وبما يقرب عبده منه، وما يبعده عنه، وما يخلد في النعيم الأبدي والعذاب الأبدي من أعمال الخير والشر. **والثاني منهما**: هو قلة العائد المرجو ذلك العلم، وعدم بلوغه النهاية في نبل الغاية وشرف الغاية، لأنه مهما علا شأنه فلا يمكن أن يتجاوز قدرا محدودا من هذه الحياة الدنيا، وهي سريعة الانقطاع والزوال، ويكفيك من تحقير هذا العلم الدنيوي أن أجود أوجه الإعراب في قوله سبحانه: ﴿يعلمون ظاهرا﴾، أنه بدل من

(1) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (6/ 166 ط الفكر)

(2) المرجع نفسه (6/ 166 ط الفكر)

قوله قبله لا يعلمون، فهذا العلم كلا علم لحقارته»[1] ونقل صاحب أضواء البيان عن الزمخشري ما نصه «وقوله: يعلمون بدل من قوله: لا يعلمون، وفي هذا الإبدال من النكتة أنه أبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه، ويسد مسده ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل، وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا» [2] وهذا يزداد وضوحا إذا لاحظنا أثر تفريط المسلمين في قيمهم التي أرشدهم إليها القرآن الكريم -فـ«من أعظم علوم الغيب التي أخبر بها القرآن وابداها وأعادها أنه أخبر أنه لا سبيل إلى إصلاح البشر وسعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة إلا باتباع هذا الدين والأخذ بإرشاده وهدايته، وهذا أمر لا يستريب فيه أحد ...»[3] فللوهلة الأولى يعرف العارف غير الجاحد ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، «فالعلوم المادية والقوة المادية المحضة ضررها أكثر من نفعها وشرها أكثر من خيرها، حيث لم تبن على الدين الحق. وانظر بعينك تر العجائب؛ فهذا الارتقاء المادي الذي لم يشهد العالم له نظيرا إذ خلا من روح الدين، هو الحبوط والهبوط الحقيقي والدنيا الآن كلها في خطر مزعج لا يعلم مدى ضرره وفظائعه إلا الله تعالى»[4].

ومن الجوانب التي تكلم عنها المفسرون في بيان وجهة النظر الصحيحة لتحليل ومناقشة جدلية القيم والعلم المادي؛ هو بيان أن على المسلمين الأخذ بأسباب القوة المادية بمختلف أشكالها من قوة علمية أو اقتصادية أو غيرها مما استجد في هذا العصر فيجب على المسلمين « تعلم هذه العلوم الدنيوية، ... وهذه العلوم الدنيوية التي بينا حقارتها بالنسبة إلى ما غفل عنه أصحابها الكفار، إذا تعلمها المسلمون، وكان كل من تعليمها واستعمالها مطابقا لما أمر الله به على لسان نبيه – صلى الله عليه وسلم –، كانت من أشرف العلوم وأنفعها؛ لأنها يستعان بها على إعلاء كلمة الله ومرضاته جل وعلا، وإصلاح الدنيا والآخرة، فلا عيب فيها إذن؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [سورة الأنفال:60]، فالعمل في إعداد المستطاع من القوة امتثالا لأمر الله تعالى وسعيا في مرضاته، وإعلاء كلمته ليس من جنس علم الكفار الغافلين عن الآخرة كما ترى، والآيات بمثل ذلك كثيرة»[5] واستدل محمد الأمين الشنقيطي على وجوب الأخذ بما عند الكفار من علوم مادية بحوادث من سيرة النبي ﷺ منها:

---

(1) المرجع نفسه (6/ 166 ط الفكر)

(2) جار الله الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل" (3/ 468)

(3) عبد الرحمن السعدي، "فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأحكام المستنبطة من القرآن"، ص119.

(4) المرجع نفسه، ص120.

(5) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان" (6/166-167 طبعة دار الفكر).

الأول: أنه ﷺ انتفع بحفر الخندق في غزوة الأحزاب، مع أن ذلك خطة عسـكرية كانت للفرس، أخبره بها سلمان فأخذ بها، ولم يمنعه من ذلك أن أصلها للكفار[1].

الثاني: همه ﷺ بأن يمنع وطء النساء المراضع خوفا على أولادهن؛ لأن العرب كانوا يظنون أن الغيلة – وهي وطء المرضع – تضعف ولدها وتضره، فأخبرته ﷺ فارس والروم بأنهم يفعلون ذلك ولا يضر أولادهم، فأخذ ﷺ منهم تلك الخطة الطبية، ولم يمنعه من ذلك أن أصلها من الكفار[2].

الثالث: انتفع ﷺ بدلالة ابن الأريقط الدؤلي له في سـفر الهجرة على الطريق، مع أنه كافر[3].

وخلاصـة القول «أن الموقف الطبيعي للإسـلام والمسـلمين من الحضـارة الغربية هو أن يجتهدوا في تحصـيل ما أنتجته من النواحي المادية، ويحذروا مما جنته من التمرد على خالق الكون جل وعلا فتصلح لهم الدنيا والآخرة، والمؤسف أن أغلبهم يعكسون القضية، فيأخذون منها الانحطاط الخلقي، والانسـلاخ من الدين، والتباعد من طاعة خالق الكون، ولا يحصـلون على نتيجة مما فيها من النفع المادي، فخسروا الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين. وما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل»[4].

مسألة في أن عمارة الأرض لا تنافي مقاصد الدين:

بين صاحب المنار أن ثمرة الدين الحق هي سعادة المرء في الدارين وهذا يقتضي بدلالة الالتزام ان يكون أهل الحق في تمام القوة والعزة والمنعة وسعة ذات اليد لا كما ألفه المسلمون من تصور أهل الدين أنهم القلة المستضعفون الفقراء جهلة بأمر الدنيا وعمارتها فقال في قوله تعالى ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ [سورة هود:3] قوله تعالى ﴿ويؤت كل ذي فضل فضـــله﴾ «عام مطلق في جزاء الأفراد في الآخرة، مقيد في جزائهم في الدنيا، ومعناه مع الذي قبله: إنكم أيها المخاطبون بهذه الآيات من قوم محمد رسـول الله وخاتم النبيين، إن تجتنبوا الشـرك وتؤمنوا بالله ورســوله وتســتغفروا ربكم، وتتوبوا إليه عقب كل ذنب يقع منكم، يمتعكم بجملتكم ومجموعكم متاعا حسنا تكونون به خير الأمم نعمة وقوة وعزة ودولة، ويعط كل ذي فضل من علم وعمل جزاء

(1) ينظر: الواقدي: "المغازي"(445/2)، ومحمد بن سعد: "الطبقات الكبرى" (66/2).

(2) أخرجه مسلم في "صحيحه" (4 / 161) برقم: (1442).

(3) ينظر: مهدي رزق الله احمد، "السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصيلة" (249/1).

(4) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان"، (506/3).

فضله في الآخرة مطردا كاملا، وأما في الدنيا فقد يكون هذا الجزاء جزئيا ناقصا، ومشوبا لا خالصا، ولا يكون عاما كاملا مطردا لقصر أعمار الأفراد، والتعارض والترجيح في سنن الأسباب والمسببات، وهذا من أدلة البعث وجزاء الآخرة الذي يظهر فيه عدله – تعالى – كاملا شاملا. وبهذا التفسير الذي وفقنا الله – تعالى – له يظهر ... أن ثمرة الدين سعادة الدنيا والآخرة كلتيهما، وقد غفل عنه المفسرون الذين يعارضون أمثال هذه النصوص بما جعلوه أصلا يرجعونها إليه بالتأويل، كأحاديث ذم الدنيا وتسميتها (سجن المؤمن وجنة الكافر) وما يصح منها كهذا الحديث فهو محمول على النسبة بينهما، بالإضافة إلى حال كل منهما في الدنيا والآخرة، وحديث ((أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل)) وهو صحيح» [1] وهذا الذي ذكره صاحب المنار هنا تؤيده نصوص الشريعة وكتابات أهل العلم الراسخين [2]، وإنما ألصقت التهمة بالدين الإسلامي بأنه ينافي التقدم العلمي وينقضه جراء تصرفات بعض من ينتسب إلى الزهد والتقشف والتفرغ لعمل الآخرة وفي هذا الصدد يقول أحد المستشرقين «... لقد كان في الإسلام كما كان في بعض الأحوال سعي لتوقيف التقدم العلمي ...» [3] وقال يصف ردة فعل من ظن أن سبب التأخر في مثل هذا هو الدين جراء ما تسببت فيه العقلية الدينية الرهبانية المنتشرة السالفة الذكر «لقد كان بعد عصر النهضة من أن تكون ردة الفعل الطبيعية للعلماء وهي الثأر لأنفسهم من خصوم الأمس وتتابع ذلك حتى أيامنا هذه» [4] وعلى هذا يكون العداء للدين وقيمه في المسلمين سببه هو نفس سبب العداء للدين في المجتمعات المسيحية ألا وهو الرهبانية المفرطة التي ما كتبها الله على عباده أبدا.

وفي هذا السياق من الحديث نلحظ أن إرشادات القرآن على أنواع من البيان والتفصيل نلخصها في المسائل التالية:

مسألة وجوب التفريق بين الحضارة وبين المدنية:

يجب في هذا المقام وضع الفوارق بين هذين الأمرين فنصف العلم التقاسيم، والفيصل في الأمر هو القيم كما نص على ذلك فلاسفة الحضارة فإنه يفرق عند أهل الشأن بين المدنية والحضارة، فالحضارة: هي مجموعة القيم والمثل التي ترقي الروح؛ وتأخذ بالكيان الإنساني إلى مدارج الكمال،

---

(1) "تفسير المنار" (12/ 8)

(2) ينظر موريس بوكاي، "التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ص144.

(3) المرجع نفسه، ص144.

(4) المرجع نفسه، ص145.

وأما المدنية؛ فهي ما يتعلق بالتقدم المادي في جوانب الحياة بلون من ألوان التبسيط [1]. وجدير بالذكر أن تفاضل المدنيات ليس أساسه القوة، لكن إحسان استعمال القوة في سبيل الحق[2]؛ ولا ريب أن الحق يأتي على هرم القيم التي يحفل بها المجتمع الإنساني فهو من القيم العليا. ولا ريب أيضا «أن الفنون العصرية إذا لم تبن على الدين وتربط به فضررها أكبر من نفعها وشرها أكبر من خيرها ولكن هذا الأصل الكبير يحتاج إلى أمرين؛ أحدهما: معرفة ما دل عليه الكتاب والسنة إجمالا وتفصيلا. والثاني: معرفة بالأمور الواقعة والحقائق الصحيحة التي يعترف بها العقلاء المنصفون»[3] فإذا علم هذا هكذا وجب استقراء آيات القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية والبحث في دلالاتهما لاستخراج الموقف القرآني من مختلف العلوم الكونية المادية وغيرها من العلوم والمعارف بشرط أن تكون تلك المعارف من قبيل ما لا يمكن جحده من قبل عاقل عارف منصف.

مسألة إكبار العلم في القرآن الكريم:

إن المتأمل في نصوص القرآن الكريم وفي واقع المسلمين اليوم يلحظ «أن الْعِلْم على إطلاقه لم يُكْبَرْ فِي دين من الأديان كما أكبر فِي الإِسلام، وأن دينًا لم يلزم أهله بالْعِلْم والتعلم كما ألزم الإسلام المسلمين»[4] ويشهد لهذا الأمر الكتاب وحال المسلمين على عهد رسول الله ﷺ فأما من الكتاب فـ «الآياتِ الواردةَ لِتَلْفِتَ الإنسانَ إِلَى أسرار الفطرة، وتَحُثَّهُ على تفقهها، لا تكاد تقل عَنْ سُبُعِ آيات القرآن، ... ولم تلق ناحية من نواحي المدنية مثل هذا التوكيد فِي الإسلام؛ إلا ناحية الأخذ بالعدل والإحسان فِي المعاملة. فكأن المدنية فِي الإسلام شطران: شطر يقوم على الْعِلْم، وشطر يقوم على العدل، ومن وراء ذَلِكَ كله مخافة الله ومحبته»[5] وأما حال المسلمين على عهد رسول الله ﷺ فالذي

---

(1) نقلا عن: محمد سعيد رسلان، "تحديد الصلة بين المدنية الحديثة والإسلام، وبيان أن العلم الحديث قرآني في موضوعه"، محاضرة منشورة في موقعه: https://www.rslan.com/vad/items_details.php?id=4219، تاريخ الاطلاع: 22-12-2020.

(2) المرجع السابق.

(3) عبد الرحمن السعدي، "الدلائل القرآنية في أن العلوم العصرية والأعمال النافعة العصرية داخلة في الدين الإسلامي/ مجموع المؤلفات" (473/3).

(4) محمد سعيد رسلان، "تحديد الصلة بين المدنية الحديثة والإسلام، وبيان أن العلم الحديث قرآني في موضوعه"، المرجع السباق.

(5) المرجع نفسه.

يعرف ما فعله ﷺ بعد غزوة بدر، من جعله فداء بعض فقراء الأسرى من المشركين تعليم عشرة من أولاد المسلمين الكتابة(1)؛ الذي يعرف ذلك؛ يعرف من غير شك أن الإسلام هو دين العلم والتعلم. وإذا كان العلم بتلك المكانة المبينة في هذه المسألة، فهل المقصود من ذلك العلم مطلق العلم؟ بما فيه العلم الطبيعي أو المادي الذي نحن بصدد بيان موقف القرآن الكريم منه؟ وللجواب على هذا السؤال قرر بعض أهل العلم ما يلي:

أولا: إذا استقرأنا ورود مادة (ع ل م) ومشتقاتها في القرآن الكريم وجدناها تأتي في سياقات واضح أن المراد بها مدح تعلم العلم الطبيعي ومدح أهله إن كانوا من أهل الإيمان، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٩٧﴾ [سورة الأنعام:97]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢﴾ [سورة الرومك:22]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [سورة فاطر:27-28]، فواضح من السياق أن المراد بالْعِلْماء هنا: هم العالمون بالآيات وأسرار الخلق التي أودعها الله سبحانه وتعالى فِيما أشارت إِليه هذه الآيات الكونية، هَؤُلَاءِ العلماء إذا كانوا مؤمنين؛ حملهم علمهم بأسرار الفطرة على خشية الله فاطر الفطرة؛ لِأَنَّهُم يكونون بعلمهم أبصر بعظمة الله سبحانه، وجلالِه وقدرتِه المتجلية فِي آيات صنعه، «ورود كلمة علم في القرآن الكريم بمعنى العلم الي يسمونه الآن بالعلم الطبيعي(2)» .

ثانيا: في القرآن الكريم حث للعقل البشري للاعتناء بمجالات العلم المادي المختلفة التي يحفل الناس بها اليوم ويسمونها العلم الطبيعي من خلال الحض على تطلب آيات الله في الكون وتعرف أسرار الخلق، وآيات الله فِي الكون التي ندبت تلك الآياتُ القرآنيةُ الكريمة إِلَى طلبها ليست بأكثر ولا أقل من أسرار الفطرة التي هي مطمع الْعِلْم ومرماه، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا

(1) ينظر: مسند الإمام أحمد: (47/4، ح:2216؛ ت: شاكر)، قال: إسناده صحيح.

(2) محمد أحمد الغمراوي، "في سنن الله الكونية"، ص1.

رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [سورة الرعد:3-4]، وقول الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة النحل:12] وقول الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ﴾ [سورة العنكبوت:20] وفي مثل هذه الآية يقول أحد الغربيين «لقد أدهشني في البداية هذه الصورة العلمية الخاصة بالقرآن إلى حد بعيد لأني لم أكن أظن أبدا أنه يمكن حتى هذا الزمن أن نكشف في نص مكتوب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا عددا من اليقينيات المتصلة بموضوعات شديدة التنوع ومتفقة تماما مع المعارف العلمية الحديثة»(1).

ثالثا: إن كانت الحكمة الكبرى من أمر الله جل وعلا عباده النظر في آيات الكون هي معرفة عظمة الخالق من خلال عظمة خلقه ومعرفة حكمته من خلال النظر في دقة صنعه، فهنالك حكم أخرى منها ما يتبع طلب هذه العلوم الكونية من منافع مادية، آتية من استخدام حقائق الْعِلْم فِي شؤون الإنسان؛ كالانتفاع – مثلًا – بخواص الكهرباء والبخار والحديد في هذه القطارات والسفن التجارية ، وهذه المركبات والمصابيح الكهربائية، والحكم كلها مرادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حين أمر الإنسان بالنظر فِي ملكوت السماوات والأرض. والخلاصة مما سبق أن «العلم في نظر القرآن ليس خاصا بعلم الشرائع والأحكام من حلال وحرام، وإنما العلم في نظره هو كل إدراك يفيد الإنسان توفيقا في القيام بمهمته العظمى التي ألقيت على كاهله منذ قدر خلقه وجعل خليفة في الأرض وهي عمارتها واستخراج كنوزها وإظهار أسرارها»(2).

مسألة في العلاقة بين القرآن والعلوم الطبيعية:

في الواقع العلوم الطبيعية هي علوم قرآنية ويظهر ذلك من وجوه عدة نذكر منها:

- **العلم قرآني في موضوعه:**

---

(1) موريس بوكاي، "التوراة والانجيل والقرآن والعلم"، ص147-148.

(2) محمود شلتوت، "من توجيهات الإسلام"، ص122.

هناك زهاء خمسين آية في القرآن الكريم يتطابق موضوعها مع موضوع العلم الطبيعي كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة النحل:66-70]، ومثل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الجاثية:12-13]. فموضوع هذه الآيات هو نفس موضوع العلم الطبيعي بأوسع معانيه ما عرف الانسان منه وما سيعرفه، ولابد —كذلك— من معرفة هذه العلوم الطبيعية لكشف الكثير من أسرار هذه الآيات القرآنية مما كشفت عنه بصائر الناس وهو داخل في معانيها.(1) ونبه الله تبارك وتعالى بموضوع العلوم الطبيعية المتعلقة بأطوار خلق الانسان وفناءه وإحياء الأرض وإماتتها على صحة موضوع علوم أخرى دينية عقدية والرابط بينهما هو أنه الذي أنشأ النشأة الأولى قادر على النشأة الأخرى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ

(1) ينظر: محمد أحمد الغمراوي، "في سنن الله الكونية"، ص4-5.

ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا﴾ [سورة الحج:5-7]. ففي هذه الآيات أمور خمسة يتميز بها المؤمنون، ويثبتونها تصديقا لله ولرسله واستدلالا بهذه البراهين العقلية الحسية [1].

- **العلم قرآني في طريقته:** قيمة العلم اليوم مكتسبة من الطريقة التي يسلكها من يقوم بالبرهان على تقريرات أهل الشأن من العلوم التي التدرس، وهذا الطريق الذي يسلكه الانسان اليوم ليس ببدع من الطرق في التدليل والبرهان وكيفية النظر وتقليب الأمور، والقرآن الكريم فيه من القواعد العلمية والأساليب الحجاجية النقدية في النظر والتأمل ما شباهه فيه أهل العلوم العصرية في كثير من النقاط ومحاور الجوهرية في البحث العلمي، نجملها فيما يلي:

أولا: العلم لا يقول عن شيء أنه حق إلا إذا قام عليه البرهان اليقيني القاطع، والقرآن كذلك لا يسمح بأن يقبل الإنسان شيئا أنه حق إلا إذا قام عليه البرهان [2]، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١﴾ [سورة البقرة:111]، وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨﴾ [سورة الأنعام:148].

ثانيا: أن العلم يحاذر كل المحاذرة أن يجعل يقينيا ما ليس بيقيني، ولأن ينزل الظن منزلة اليقين، أو أن ينزل الفرض والتخمين منزلة الظن والترجيح، فهو يقيس مقدار اقتراب القضية من الحق بمقدار متانة الحجة التي تشهد للقضية فإذا كانت الحجة قاطعة فالقضية حق، وإذا كانت الحجة غير قاطعة فالقضية ظن ويسميها العلم في هذه الحالة نظرية إذا كانت أرجحيتها كبيرة ...، وهذا التفريق من العلم في المنزلة بين ما هو حق وما هو راجح وما هو دون الراجح يتفق تماما مع روح القرآن الكريم في النظر ومع طريقته المتجلية في القرآن الكريم كله [3]. قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ

---

(1) عبد الرحمن السعدي، "الدلائل القرآنية في أن العلوم العصرية والأعمال النافعة العصرية داخلة في الدين الإسلامي/ مجموع المؤلفات" (473/3).

(2) محمد أحمد الغمراوي، "في سنن الله الكونية"، ص5.

(3) المرجع نفسه، ص6.

ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ٢٣﴾ [سورة النجم:19-26]، وقال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٢٤﴾ [سورة الجاثية:24]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾ [سورة يونس:36].

ثالثا: العلم يمنع التقليد من غير دليل ولا اقتناع بمحمل الدليل، فالتقليد الأعمى أي الأخذ بالرأي من غير دليل أو رغم الدليل متابعة لزيد أو لبكر من الناس، محرم على أهل النظر في حكم العلم وفي حكم القرآن الكريم(1)، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾ [سورة البقرة:170]، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٠٤﴾ [سورة المائدة:104]، وقال الله تعالى: ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١١ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ١٢ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ١٣ وَإِنَّآ﴾ [سورة الزخرف:22-25].

رابعا: أصلان قرآنيان يتمسك بهما العلم الحديث؛ أصل أن لا تناقض بين الحقائق مطلقا كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾ [سورة الملك:3]، وأصل اطراد الفطرة كما قال الله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢﴾ [سورة الأحزاب:62]، وقال الله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ [سورة الفتح:23]، وقال تعالى ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ٤٣﴾ [سورة فاطر:43]، وقال الله تعالى: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [سورة الروم:30](2).

---

(1) ينظر: محمد أحمد الغمراوي، "في سنن الله الكونية"، ص7-8.

(2) المرجع نفسه، ص8 وما بعدها.

الفرع الثالث: القيم والثقافة الغالبة

هناك من القيم قيم مطلقة تستحق صفة الشمولية لتكون قيما مشتركة بين جميع مجتمعات المعمورة يطلق عليها (قيم كونية)، وهناك قيم تخضع لسلطة الثقافة الغالبة إما أن المغلوب يحاول محاكاة الغالب أو أن الغالب نفسه يحاول –بطريقة أو أخرى- قهر المغلوب ليتحلى بها ويتخذها مرجعا ثقافيا له، أي هي قيم تكتسب صفة العالمية بالعنوة والقهر[1]، وفي هذا الصدد يتحدث أحد مفكري الغرب عن أهمية القيم الدينية الحقيقية لا المحرفة والمبدلة في مواجهة القيم المادية الالحادية: «ماهي القوى الروحية المتصدية لهذا الإسفاف الفكري من كثير من العلماء المعاصرين؟ اتجاه هذه الموجة المادية وانغمار الغرب بالالحاد تعلن اليهودية والمسيحية مثلها عن عجزهما وكلامهما اتجاهها في كامل الاضطراب ... »[2]. والقيم –بهذا الشكل–تعتبر ميدانا من الميادين الكثيرة التي تبرز فيها واحدة من أبرز سنن الله في الكون ألا وهي سنة التدافع بين بني الإنسان كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ١١٨﴾ [سورة هود:118]. والدفع في اصطلاح المفسرين هو: «دفع ما يلحق من الغير مما يعوق المسلم عن العمل للغاية التي خلق لأجلها، من كفر، وطغيان، وفساد، وشر، وإيذاء»[3]، وتظهر صورة التدافع في القيم عن طريق المحاجة للباطل وأهله في كتب التفسير التي عني أصحابها فيها بالانتصار للقرآن الكريم وعلومه في شتى الميادين ولابد أن موضوع القيم يمثل ميدانا من تلك الميادين. والقرآن الكريم تعامل مع هذا النوع من الجدل القيمي منذ اللحظة الأولى لنزول القرآن الكريم، فالقرآن جاء بقيم جديدة يزاحم بها القيم المعيارية الأخرى السائدة في المجتمعات البشرية آنذاك من أمثلة ذلك: «تبيين القرآن الكريم كثيرا من القيم الجاهلية ويقدم البدائل عنها بعد أن يبين زيفها فحين ينقل جل شأنه عن المشركين قولهم: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [سورة الزخرف:31] لا شك أن العظمة قيمة عندهم بدليل أنهم وصفوا من يرون أنه الأحق بنزول الوحي عليه، ويبين لنا أن العظمة عند هؤلاء تقوم على أن يكون ذا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) ينظر: سيف الدين عبد الفتاح، "قيم الواقع، وواقع القيم، ما المعنى العلمي للقيم؟/ القيم في الظاهرة الاجتماعية "، ص50.

(2) موريس بوكاي، "التوراة والانجيل والقرآن والعلم"، ص146.

(3) موسوعة التفسير الموضوعي، 09/15.

مال وبنين، وجاه عريض بني عليهما»[1]. وفي العصر الحاضر نوه محمد الأمين الشنقيطي في هذا الصدد إلى أهمية الالتفات إلى مثل هذه الصراعات الحضارية بين أمة الإسلام وغيرها من الأمم مرشدا إلى ضرورة التوازن بين القوة المادية والقيم الدينية الإسلامية من أجل ضمان عدم الوقوع في فخ الهزيمة النفسية فقال: «إن جميع الطرق والميادين إلى الحصول على ما يتطلَّبه الجسم من المادِّيات بحسب تطوُّر الحياة في أحوالها الراهنة كلها إنما نَظَّمها ومَهَّدها قومٌ غير مسلمين ملأوا كل الطرق إليها من الألغام؛ من العقائد الفاسدة، والنظريات الملحدة، وتصوير الإسلام ورجاله بصورة مشوَّهة منفِّرَة بعيدة عن الحقيقة والواقع بُعْد الشمس عن اللمس، فعلى المسلمين أن يجتهدوا في نزع الألغام من طرق الحياة ليمكنهم أن يعلموا أبناءهم ما يقدرون معه على سدِّ الفراغ المادِّي الذي لا بد من سده في الظروف الراهنة لتطور الحياة البشرية، فيستجلبون بأموالهم الرجال البارعين في العلوم المادية ويجعلون على مناهج تعليمها وفي تطبيق تلك المناهج رقباء من رجال الدين العالمين لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وبذلك يحصل لهم ما تتطلبه الأجسام البشرية مع المحافظة على التراث الروحي الذي هو علامة الاصطفاء من خالق السموات والأرض، المنوَّه عنه بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة فاطر:32]»[2]، ولا يخفى على أحد أن صور الصراع الثقافي في ميدان القيم كثيرة جدا منها «إعادة تعريف وتشكيل معان جديدة لقيم ذات معان متداولة سابقا»[3] وهذا النوع من الصراع ليس جديدا في الطرح الثقافي والمعرفي لا نقول موجود منذ القدم بل هو موجود منذ الأزل ودليل ذلك صنيع إبليس مع آدم عليه السلام الذي أغواه بالشجرة التي نهي عنها تحت مسمى شجرة الخلد وملك لا يبلى كما قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة طه:120]. فالملاحظ أن إبليس استطاع الانحراف بآدم وزوجه عن القيم التي ألزمهما الله بها عن طريق أمرين اثنين: الأول أنه أتاه في صورة الناصح الأمين الذي يريد به الخير والثاني أنه لبس عليه أمر المعصية بأن أغراه بشيء فطر عليه وهو حب البقاء الأبدي

(1) طه جابر العلواني، "القيم بين الرؤية الإسلامية والرؤية الغربية في المنهج المعرفي القرآني/القيم في الظاهرة الاجتماعية"، ص106.

(2) "المثل العليا في الإسلام / محاضرات الشنقيطي ط عالم الفوائد"، ص145.

(3) ماجد بن محمد الأسمري، "الاسترقاق القيمي وجذور الممانعة"، ص16.

وحب التملك «فأتاه بصورة ناصح، وتلطف له في الكلام، فاغتر به آدم، وأكلا من الشجرة فسقط في أيديهما، وسقطت كسوتهما، واتضحت معصيتهما، وبدا لكل منهما سوأة الآخر، بعد أن كانا مستورين، وجعلا يخصفان على أنفسهما من ورق أشجار الجنة ليستترا بذلك، وأصابهما من الخجل ما الله به عليم»(1). واليوم في ظل الصراع القيمي بين مختلف الحضارات يطرح الفرد المسلم سؤالا على نفسه وعلى أفراد مجتمعه قائلا: هل يمكن للمسلمين أن يوقفوا مد الثقافات الأخرى وتأثيرها على شباب المسلمين؟ أم لا يمكن؟!(2) والواقع أن الساحة الثقافية العالمية في الظروف الراهنة وبكل مستوياتها يكاد يسيطر عليها اتجاه قيمي واحد لا ديني –البتة–، حيث أن «المنظومة الإعلامية [العالمية] يغلب على نتاجها الطابع الهدمي للقيم [بكل أنواعها الإيجابية ومهما كان مصدرها ومرجعها] ولا تتورع في البوح والمجاهرة بهذا الميل، بل وتتفنن كل يوم في كشف كل ما يرسخ المفاهيم الهدمية في الذاكرة المسلمة»(3). ولكن مع ذلك لا تزال تتراءى سنن الله في الكون للناظرين من خلال التدافع بين الحق والباطل ولا يزال الله يخلق للحق من يسعى في نشره.

ومن أهم مظاهر الهيمنة الغربية الإلحادية على فلسفة القيم هو التفاوت الحاصل بين القيم في ظهورها على ألسنة المثقفين والمفكرين، فإذا تأملت حالهم سترى قيما حاضرة وبكثافة؛ كالحرية والمساواة والنقد والتعددية، وستجد هناك قيما غير موجودة أصلا وظلت مهجورة على لسان أولئك؛ كالسمو الروحي، والحشمة والعفة. وستجد أيضا أن هناك قيما صرفت عن معناها وأعيد شحنها دلاليا بمعان جديدة؛ كالتسامح، وستجد أن هناك قيما قيدت وحصرت على معان ضيقة كالاحترام والعدل والرحمة، وستجد أن هناك قيما سذجت وشوهت؛ كالقيم الأخلاقية ... (4) ومن الأمثلة على القيم التي هي في حقيقتها ليست بقيم –وإن شئنا قلنا هي قيم سلبية– وهي تلقى رواجا كبيرا في الأوساط الاجتماعية المعاصرة؛ وسعى الأئمة من المفسرين إلى إبطالها ظاهرة الاعتزاز بالقوميات العرقية مزاحمة بذلك رابطة الأخوة الإسلامية التي قال الله تعالى مبينا منة الله على عباده بها: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة الأنفال:63]، وقال الله تعالى موصيا بالحفاظ على هذه الرابطة الاجتماعية: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ

---

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص515.

(2) ينظر: صالح آل الشيخ، "سلسلة المحاضرات العلمية"، (509/5).

(3) ماجد بن محمد الأسمري، "الاسترقاق القيمي وجذور الممانعة"، ص70.

(4) ينظر: ماجد بن محمد الأسمري، "الاسترقاق القيمي وجذور الممانعة"، ص183-184. بتصرف

ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة آل عمران:103]، وحذر المؤمنين من كل ما قد يعكر صفو هذه الرابطة الاجتماعية الأخوية التي تحفظ للمؤمنين تماسكهم وتضمن استمرار كيانهم وأمر بجبر بنيان المجتمع المسلم مما قد يعتريه من الخلل فقال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ [سورة الحجرات:9-13]، وعلى هذا كان الأمر الأول الذي يجتمع عليه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها من المحيط الهندي إلى المحيط الأطلسي، «ومما يبين أن الرابطة الصحيحة هي رابطة الإسلام الفرق البعيد بين سلمان الفارسي، وأبي لهب عم رسول الله ﷺ وهو من أشرف القبائل، وقد قال رسول الله ﷺ في سلمان: ((سلمان منا أهل البيت))(1) ... وأبو لهب في غاية الحقارة والذلة لا يساوي شيئا، وقال الشاعر فيهما:

لقد رفع الإسلام سلمان فارس كما وضع الكفر الشريف أبا لهب

(1) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (3 / 598) برقم: (6604) والطبراني في "الكبير" (6 / 212) برقم: (6040).

فالأخوة الحقة هي أخوة الإسلام»[1] إلى أن نبتت في المسلمين نابتة أحيت مذهب الشعوبيين[2] قديما فيما بات يعرف اليوم بالقوميات الجنسية أو ما يعرف بوجوب إعادة تقسيم الدول على أساس العرقيات القديمة «وإنما وضع القوميات ودعا إليها المستعمرون، لأنها ضد الإسلام ليفككوا بها روابط الدين الإسلامي، وهي الروابط السماوية الصحيحة ... »[3].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) محمد الأمين الشنقيطي، "معارج الصعود إلى تفسير سورة هود"، ص223-224.

(2) الشعوبية: هي حركة اجتماعية قومية ظهرت بوادرها في العصر الأموي، إلا أنها ظهرت للعيان في بدايات العصر العباسي. وهي حركة من يرون أن لا فضل للعرب على غيرهم من العجم. وقد تصل إلى حد تفضيل العجم على العرب والانتقاص منهم. ينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B4%D8%B9%D9%88%D8%A8%D9%8A%D8%A9 تاريخ الإطلاع: 2021/02/02م.

(3) محمد الأمين الشنقيطي، "معارج الصعود إلى تفسير سورة هود"، ص224.

المطلب الثالث: بناء القيم

بناء القيمة في الشخصية الإسلامية السوية أو المثالية لا يخلو من ثلاثة مكونات متسلسلة من المعرفة إلى الممارسة كما يلي: «مكون معرفي: ومعياره القدرة على فحص الخيارات واختيار الأجود. مكون وجداني: وهو الاعتزاز بذلك الاختيار. مكون سلوكي: ويشمل الممارسة الفعلية والتخلق بتلك القيمة»[1]. وفي هذا البناء يواجه المفكرون والباحثون مشكلة تعرف بـ: مشكلة (صدام القيم)[2]، والتي مفادها: «أن بعض القيم الأساسية التي تنبني عليها الحياة الطيبة -أو الحياة الخيرة- تكون متعارضة أو متنازعة أو قل متصادمة فيما بينها، بحيث لا يمكن رفع هذا التصادم برد هذه القيم بعضها إلى بعض ولا بترجيح بعضها على بعض ... ولا يرجع هذا التصادم القيمي إلى أسباب تطبيقية كالنقص في المعلومات أو الاعوجاج في الاستدلالات ... كما لا يرجع إلى ارتباط هذه القيم بذات الانسان كما تزعم "الذاتية القيمية"، ولا هو يرجع إلى ارتباط هذه القيم بثقافة بعينها كما تزعم "النسبية القيمية" ... »[3] وعبر عن هذه المشكلة الفلسفية الإمام الطاهر بن عاشور في تفسيره بـ: الإزدواج وجعله حسب ما يفهم من سياق كلامه أقرب ما يكون إلى أنه سنة من سنن الله في الكون حيث قال رحمه الله: «إن الله تعالى جعل نظام الوجود في هذا العالم بتولد الشيء من بين شيئين وهو المعبر عنه بالازدواج، غير أن هذا التولد يحصل في الذوات بطريقة التولد المعروفة قال تعالى: ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الرعد:3] وأما حصوله في المعاني، فإنما يكون بحصول الصفة من بين معنيي صفتين أخريين متضادتين تتعادلان في نفس فينشأ عن تعادلهما صفة ثالثة»[4] وهذه الإشكالية في الثقافة الإسلامية تعد مشتركة بين مباحث في تخصصات شتى فهي في تعرف عند المسلمين بـ: «فقه الأولويات» تدخل ضمن مباحث مقاصد الشريعة وقواعد الفقه وفقه الدعوة إلى الله وفقه السياسة الشرعية ...

وطريقة القرآن في معالجة مثل هذه المشكلات هي طريقة تعتمد على الموازنة والمغالبة بين أطراف النزاع السلوكي بما يحفظ مصالح الانسان وكيان المجتمع ومقاصد الدين، فحين نتأمل القرآن في بعض آياته

---

(1) ماجد بن محمد الأسمري، "الاسترقاق القيمي وجذور الممانعة"، ص80.

(2) ينظر: طه عبد الرحمن، "تعددية القيم"، ص10.

(3) المرجع نفسه، ص14.

(4) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (2/ 323).

التشـريعية و الأخلاقية نجده يلفت انتباهنا إلى هذا الأسـلوب من النظر والموازنة بين الأمور كما في قولـه تعـالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ [سورة البقرة:219]. فعند سؤال الناس عن الخمر والميسر نبه الله تبارك وتعالى إلى منافع موجودة فيهما؛ ومن تلك المنافع منافع أخلاقية قيمية وغيرها، ومنها منافع دنيوية مادية ومنها صحية وذلك أنها تساعد على هضم الطعام وتقوي الضعف وتنشط النفس، ومنها منافع أخلاقية، تسـخي البخيل وتشـجع الجبان ... [1] إلا أن كل تلك المنافع لا تقوى على تغطية الاثم الموجود فيهما و«لم يبين هنا ما هذا الإثم الكبير؟ ولكنه بين في آية أخرى أنه إيقاع العداوة والبغضاء بينهم، والصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهي قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة المائدة:91]»[2] فواضح أن الخمر و الميسر مفسدان للقيم الأخلاقية والاجتماعية إذ بسببهما يقع التشاحن والتباغض مما يجر إلى تشتت أواصر الأخوة الإيمانية وتمزق روابط التلاحم الاجتماعي ... وهذه المفاسد – ولا شك - رابية على ما فيهما من منافع تزينهما للناظرين. فالقيم الإنسانية القرآنية «تعتمد على تحقيق مبدأ التوازن والانسجام بين المصلحتين الخاصة والعامة وإذا تحقق الخير العام استفاد المجتمع والأمة كما استفاد الفرد أيضا لتأثر مصالحه بتأثرات البيئة والوسط الذي يعيش فيه، بل إن امردود النهائي العام بالنفع يعود للانسان ذاته»[3]

وفي هذا الصدد يوضح ابن السعدي قاعدة تعتبر عادة من عادات القرآن التي بها يوازن بين الأمور ويعالج المشكلات المشاكلة لما نحن فيه الآن من تزاحم القيم وتنازعها في المحل الواحد حيث قال في كتابه القواعد الحسان «قاعدة [قرآنية]: تقديم أعلى المصلحتين وأهون المفسدتين؛ في القرآن عدة آيات في الحث على: أعلى المصلحتين وتقديم أهون المفسدتين ومنع ما كانت مفسدته أرجح من مصلحته، وهذه قاعدة جليلة. نبه الله عليها في آيات كثيرة.»[4]، وهذه القاعدة تأتي في الدرجة الثانية من درجات القيم الإنسانية التي جعلها الله تبارك وتعالى في شرعه، إذ تسبقها قاعدة تشريعية نبه عليها

(1) ينظر: رفيق يونس المصري، "التفسير الاقتصادي للقرآن"، ص16 وما بعدها.

(2) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان ط دار الفكر"، (91/1).

(3) وهبة الزحيلي، "المبادئ الإنسانية في القرآن الكريم/ موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر"، (162/6).

(4) عبد الرحمن السعدي، "القواعد الحسان في تفسير القرآن"، ص98-99.

محمد الأمين الشنقيطي حين قال: « ومن مثله [يعني القرآن] العليا: أنه يشرع فيه الحَسَن ثم يرشد فيه أيضًا إلى ما هو أحسن منه، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [سورة النحل:126]، فالانتقام من الظالم حَسَن بين تعالى حُسْنه بقوله: ﴿فعاقبوا بمثل ما عوقبتم﴾. ومعلوم أن انتصاف المظلوم من الظالم حَسَن، ثم أرشد إلى ما هو أحسن بقوله: ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾. فالعفو والتجاوز أحسن من الانتقام.»(1) فالحاصل أن تعدد القيم من وجهة نظر القرآن الكريم يخضع لقواعد عامة تضبطه وتجعل منه بناء قيميا مستويا أساسه الأول الحث على الأحسن، فإن تزاحمت الأمور نظر إلى الأصلح فيقدم وإلى الأفسد فيؤخر. ولهذا التشريع القيمي مجالات إنسانية عديدة منها:

<u>في مجال السياسة الخارجية</u>: نجد قول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [سورة البقرة:217] ففي هذه الآية قدم الله عزوجل أدنى المفسدتين المتعلقتين بالمصالح الإنسانية: الأولى تتمثل في احترام الأشهر الحرم التي كانت العرب تعظمها وتحرم القتال والقتل فيها حتى إن الرجل يلقى قاتل أبيه في الكعبة فلا يمسه بسوء تعظيما لهذه الأشهر «كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يقر الناس على غير القبيح مما كانوا عليه، وترك القتال أربعة أشهر من السنة حسن; لأنه تقليل للشر»(2) ، والمصلحة الثانية التي رجحت على الأخرى هي استعمال القوة من أجل نصرة الحق وأهله، ومعلوم أن نصرة الحق هو الذي من أجله شرع القتال في الإسلام كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الحج:40]، فجاء التشريع هنا على « قاعدة لا ينكرها عقل، وهي وجوب ارتكاب أخف الضررين إذا لم يكن بد من أحدهما، ولا شك أن القتال في نفسه أمر كبير

---

(1) محمد الأمين الشنقيطي، "الآثار/المثل العليا في الإسلام" (11/135-136).

(2) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (2/251).

وجرم عظيم، وإنما يرتكب لإزالة ما هو أعظم منه» [1] فقد عددت الآيات مفاسد ترك مواجهة المشركين بالقوة في الأشهر الحرم، وهي التي كانوا يعظموها ويحرمون القتال فيها وأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وهو تشريع باق على ما هو عليه لم ينسخ كما صرح به بعض المفسرين[2]، إلا إذا كان القتال «قتال الدفع فإنه يجوز في الأشهر الحرم، كما يجوز في البلد الحرام»[3]، أو إذا رجحت مفاسد ترك المدافعة على جملة مزية الأشهر الحرم، بل أكبر مزاياها، تحريم القتال فيها، كما هو الحال هنا «وذلك قوله تعالى: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ﴾ أي: وصد الناس ومنعهم عن الطريق الموصل إليه تعالى وهو الإسلام، وهو الذي يفعله المشركون من اضطهاد المسلمين وفتنتهم عن دينهم؛ إذ يقتلون من يسلم أو يؤذونه في نفسه وأهله وماله، ويمنعونه من الهجرة إلى النبي – عليه الصلاة والسلام – ﴿وَكُفْرٌ بِهِۦ﴾ أي: بالله تعالى ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: وصد عن المسجد الحرام; وهو منع المؤمنين من الحج والاعتمار ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ﴾ وهم النبي – صلى الله عليه وسلم – والمهاجرون، وذلك كقوله في آيات الإذن بالقتال في سورة الحج: (﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ كل واحدة من هذه الجرائم التي عليها المشركون (أكبر عند الله) من القتال في الشهر الحرام فكيف بها وقد اجتمعت! ! !»[4] وهذا الأمر بالقتال في القرآن لما فيه من جلب للمصالح ودرئ للمفاسد ليس مطردا في كل حين وحال، بل الأمر فيه مرونة تتحكم فيها السياسة الشرعية المنضبطة، فقد ترجح مصالح ترك القتال على مغانم القتال و المدافعة فيكون السلم والمهادنة هما السبيل الأوفق الذي اختاره الله لعباده، وقد سطر القرآن الكريم حادثتين من هذا النوع:

الأولى: في سورة الفتح حين قص علينا قصة صلح الحديبية وما فتح الله به على المسلمين بالرغم من أنهم تركوا القتال وولوا إلى المدينة غير معتمرين ولا حاجي البيت الحرام وكانوا ما خرجوا إلا لذلك فمنعهم صناديد قريش من ذلك ظلما وعدوانا، وليس لكفار قريش صد الناس عن بيت الله الحرام، لكن الله جل وعلا قال: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ [سورة الفتح: 25] «فكف الله المؤمنين عن القتال في المسجد الحرام في صلح الحديبية مع وجود المقتضي من

(1) المرجع نفسه، (251/2).

(2) ينظر: محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (250/2)، عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص97.

(3) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص97.

(4) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (250/2).

الكفار اتقاء للمفسدة المترتبة على ذلك: من إصابة المؤمنين والمؤمنات المستضعفين اللذين حبسهم المشركون بمكة عن الهجرة بأنواع من الأذى أو القتل، ما يكون سبباً في لحوق المعرة بجيش المؤمنين.»[1]، فما رضي الله لعباده أن يشيع بين الناس قاطبة أن المسلمين يقتل بعضهم بعضا فيفتتن الخلق عن المقصود الأساس من دعوة الناس إلى العبودية لله وحده لا شريك له بسبب ما يشيع وتتناقله الركبان من أمور لم تكن مقصودة لم يتخذ المسلمون لها أي حساب فتصاب دعوة الحق التي معهم في مقتل من حيث لا يشعرون.

الثانية: قد يصاب أهل الحق في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم بأنواع من الأذى بسبب الحق الذي معهم يدعون إليه، ولا شك أن الظلم يشرع للمظلومين حق الدفاع عن أنفسهم ورد العدوان بالمثل، ولكن من أجل بقاء القيم الكبرى والمتمثلة في قيم الحق وكبرى اليقينيات الإسلامية وذلك بالحفاظ على أرواح الحاملين لتلك القيم والداعين إليها مع ما يقاسونه من مرارة الظلم أمرو بالصبر وترك البلاد و الهجرة وترك الأوطان ... ومن ذلك «أمره بكف الأيدي عن القتال قبل أن يهاجر الرسول إلى المدينة، لأن الأمر بالقتال في ذلك الوقت أعظم ضرراً من الصبر والإخلاد إلى السكينة، مع متابعة تبليغ الرسالة وإقامة الحجة والجهاد الكبير بالقرآن. ولعل من هذا مفهوم قوله في سورة الأعلى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾ [سورة الأعلى:9]. يعني فإن ضرت فترك التذكير الموجب للضرر الكثير هو المتعين. والآيات في هذا النوع كثيرة جداً»[2].

في المجال الاجتماعي: جعل الله القصاص السبيل الأوفق والأرفق للحفاظ على كيان المجتمع الإسلامي من التشتت والإنقسام الذي قد يؤدي إلى التناحر بين أفراد وعشائر المسلمين، ولا أحسن من وصف القرآن الكريم للقيمة الإنسانية الكامنة تحت تشريع القصاص حين قال: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٧٩﴾ [سورة البقرة:179]، ف«في الآية من براعة العبارة وبلاغة القول ما يذهب باستبشاع إزهاق الروح في العقوبة، ويوطن النفوس على قبول حكم المساواة إذ لم يسم العقوبة قتلا أو إعداما، بل سماها مساواة بين الناس تنطوي على حياة سعيدة لهم»[3] كما أن فيه تطهيرا للمجتمع من المفسدين «لأنَّ الساعيَ في الأرضِ فسادًا يجبُ إعدامُهُ حتى

(1) عبد الرحمن السعدي، "القواعد الحسان"، 98

(2) عبد الرحمن السعدي، "القواعد الحسان"، 98.

(3) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار"، 107/2.

الآدميّ»[1] كما استثنى الله تبارك وتعالى رد عادية الظالم بمثل ما اعتدى به مما لا يحبه الله في قوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ [سورة النساء:148]. ولا شك أن هذه التشريعات فيها من إقامة العدل و الحفاظ على روابط المجتمع الإسلامي ما تضمن به سعادته وتضمن به بقائه، ومع ذلك لم يغفل الله تبارك وتعالى التنبيه على ما هو أحسن من الأخذ بالثأر و المقابلة بالمثل مما يتضمن قيم الإحسان إلى الخلق و الرحمة بين المؤمنين؛ فبعد أن قال﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [سورة الشورى:40] «فهذا حسَن ... أرشد إلى ما هو أحسن منه بقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ الآية. وكقوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [سورة الشورى:41] فهذا حسَن، ثم أرشد إلى ما هو أحسن منه بقوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة الشورى:43]. وكقوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ [سورة النساء:148]، ثم أرشد إلى ما هو أحسن منه وهو العفو عن السوء بقوله: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [سورة النساء:149]. وكقوله: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ﴾ [سورة المائدة:45] ثم أرشد إلى ما هو أحسن بقوله: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ﴾ على أصح التفسيرين[2]. وكقوله: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ﴾ [سورة البقرة:280] ثم أرشد إلى ما هو أحسن بقوله: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فإنظار المعسر إلى الميسرة حسَن وإبراؤه من الدَّين أحسن منه. وكقوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ﴾ [سورة البقرة:237]، ثم أرشد إلى ما هو أحسن بقوله: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ

(1) محمد بن صالح العثيمن، "تفسير سورة الشورى"، ص246

(2) قال ابن جزي في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾: «فيه تأويلان: أحدهما من تصدق من أصحاب الحق بالقصاص وعفا عنه، فذلك كفارة له يكفر الله ذنوبه لعفوه وإسقاطه حقه، والثاني من تصدّق وعفا فهو كفارة للقاتل والجارح بعفو الله عنه في ذلك لأن صاحب الحق قد عفا عنه» ينظر: "التسهيل لعلوم التنزيل" (1/ 233).

﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ هو فأَخْذ كلٍّ واحد من الزوجين نصف المهر في حالة الطلاق من قبل الدخول حَسَن، وعفو كل واحد منهما عن الآخر في نصفه حسن، وقد أرشد الله إليه بقوله: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾، ثم نهى عن نسيان هذا الفعل الكريم بقوله: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾»[1] وفي نفس السياق يفرق محمد الطاهر بن عاشور بين ما هو نفع محض وما يواليه ويقاربه في الطبيعة ويوافقه في الحكم من النفع الراجح، فيقول: «والفساد ضد الصلاح، ومعنى الفساد: إتلاف ما هو نافع للناس نفعا محضا أو راجحا، فإتلاف الألبان مثلا إتلاف نفع محض، وإتلاف الحطب بعلة الخوف من الاحتراق إتلاف نفع راجح والمراد بالرجحان رجحان استعماله عند الناس لا رجحان كمية النفع على كمية الضر، فإتلاف الأدوية السامة فساد، وإن كان التداوي بها نادرا لكن الإهلاك بها كالمعدوم لما في عقول الناس من الوازع عن الإهلاك بها فيتفادى عن ضرها بالاحتياط رواجها وبأمانة من تسلم إليه، وأما إتلاف المنافع المرجوحة فليس من الفساد كإتلاف الخمور بله إتلاف ما لا نفع فيه بالمرة كإتلاف الحيات والعقارب والفيران والكلاب الكلبة، وإنما كان الفساد غير محبوب عند الله لأن في الفساد بالتفسير الذي ذكرناه تعطيلا لما خلقه الله في هذا العالم لحكمة صلاح الناس فإن الحكيم لا يحب تعطيل ما تقتضيه الحكمة، فقتال العدو إتلاف للضر الراجح ولذلك يقتصر في القتال على ما يحصل به إتلاف الضر بدون زيادة، ومن أجل ذلك نهى عن إحراق الديار في الحرب وعن قطع الأشجار إلا إذا رجح في نظر أمير الجيش أن بقاء شيء من ذلك يزيد قوة العدو ويطيل مدة القتال ويخاف منه على جيش المسلمين أن ينقلب إلى هزيمة وذلك يرجع إلى قاعدة: الضرورة تقدر بقدرها»[2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) محمد الأمين الشنقيطي، "الآثار/المثل العليا في الإسلام" (11/135-136).

(2) "التحرير والتنوير" (2/ 270).

المطلب الرابع: تقسيم القيم

قسّم محمد الأمين الشنقيطي القيم تحت مسمى المثل العليا إلى قسمين اثنين: الأول القسم الأعلى الذي لا يماثل إنما هو لله جل وعلا وحده، كما قال الله جل جلاله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة النحل:60]. فالله هو الأفضل والأطيب والأحسن والأجمل؛ كما نقل ذلك عن ابن جرير الطبري من تفسيره، وسرد الآيات الشاهدة على هذا القسم من القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة النحل:74]،و قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة الإخلاص:4]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة يونس:104-107] وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الحج:73]، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة العنكبوت:41]، فهذه الآيات مما توضح المثل الأعلى وهو الله جل وعلا وحده.[1]، وهذا ليس مما انفرد به علماء الإسلام وحدهم بل هو مما أقر به فلاسفة اليونان قديما مثل أفلاطون الذي «ربط الكائن بالقيمة بالمثل الأخلاقي الأعلى باعتبار أن جميع الموجودات تستمد وجودها وماهيتها من الخير

(1) ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، "المثل العليا في الإسلام/المحاضرات/ الآثار" (11/128-129).

الأعلى وهي فضيلة التشبه بالله»[1]. أما القسم الثاني من أقسام المثل العليا فبينه ببيان فروعه الثلاثة التي أرشده إليها استقراؤه لنصوص الكتاب والسنة وهي:

1. المثل العليا في التشريع بحيث يكون النظام التشريعي جاريا على أكمل الوجوه وأحسنها
2. المثل العليا في أعمال وأخلاق العاملين بمثل التشريع العليا
3. المثل العليا في جزاء أولئك العاملين بمثل التشريع العليا يوم القيامة

ويلاحظ في هذا التقسيم اعتبار التأسيس والتسلسل في البناء القيمي، فأولى القيم أساس لما بعدها، فالله خالق الكون وما فيه وهو وحده العالم بما يصلحه، فالله هو الحق، أنزل كتبه وأرسل رسله بالحق، فكانت أولى القيم بعد ذلك ما تضمنته الشريعة الربانية ثم تلتها قيم الإنسان الأخلاقية وبهذه الثلاثة تصلح جماعة المسلمين وتنتظم حياتهم في أبهى الصور وأرقى المجتمعات الإنسانية وإذا استكمل هذا في الدنيا كانت له القيم البالغة في الحسن غايته وفي الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس. وهذه الأخيرة –القيم في الدار الآخرة– لا يعلم الباحث من نبه إليها من المؤلفين والكتاب إلا ما وجده عند محمد الأمين الشنقيطي.

ونحا وهبة الزحيلي منحا آخر في تقسيمه للقيم الإنسانية القرآنية حيث ألهمه تأمله في القرآن الكريم وتتبعه لآيات القيم والأخلاق إلى أن يجعلها في أربعة أقسام؛ هي: قيم دينية إنسانية وقيم شخصية أخلاقية وحياتية وقيم اجتماعية وقيم عالمية.[2] وفيما يلي بعض الأمثلةالقرآنية لما احتواه كل قسم من الأقسام السالفة الذكر:

أولا: القيم الدينية الإنسانية؛ فهي الإيمان بشعبه وما يتبعه من قيم العبودية لله والاستسلام والخضوع له وشكر نعمه والتوكل عليه[3]، قال الله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [سورة البقرة:136]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ

(1) جميل قاسم، "فلسفة القيمة معناها ودلالتها من سقراط إلى أزمنة الحداثة"، مجلة الاستغراب، العدد: 04، السنة الثانية، صيف 2016م-1437هـ

(2) وهبة الزحيلي، "المبادئ الإنسانية في القرآن الكريم/ موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر" (131/6).

(3) ينظر: المرجع نفسه (137/6).

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ [سورة البقرة:21]، وقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [سورة البقرة:112]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [سورة البقرة:176]، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة آل عمران:122].

ثانيا: القيم الشخصية الحياتية؛ وتتمثل في الحفاظ على الكرامة الإنسانية ومكارم الأخلاق [1]، وهذا القسم جعله عبد الرحمن السعدي النوع الثاني من أنواع علوم القرآن الثلاثة التي هي مقاصد القرآن وبين عظيم أهمية الأخلاق ودور القرآن في بناء شخصية المسلم بها وثمرة ذلك فقال رحمه الله: «القرآن الكريم كتاب تعليم وإرشاد وكتاب تربية على أكمل الأخلاق وأحسن الآداب وأسمى الأوصاف، وحث عليها بكل وسيلة وزجر عن ضدها، لا يوجد خلق كامل إلا وقد دل عليه القرآن ... والأخلاق الكاملة والآداب السامية تجعل صاحبها مستقيم الظاهروالباطن معتدل الأحوال مكمل الأوصاف الحسنة طاهر القلب نقيه ... »[2].

ثالثا: القيم الاجتماعية وهي كثيرة في القرآن الكريم منها صلة الأرحام والجار والوفاء بالعقود والعهود والإحسان للفقراء والمساكين ومنع الفساد وصيانة السمعة والأعراض وإصلاح المعاملات والإلزام بالعدل ومنع الظلم وتطهير المجتمع من الرذيلة والفاحشة[3]....

رابعا: القيم العالمية فهي حب الإنســـانية من خلال حب الهداية لدين الله الحق واحترام العهود والمواثيق والتزم العدل[4].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) ينظر: وهبة الزحيلي، "المبادئ الإنسانية في القرآن الكريم/ موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر"، (138/6).

(2) "فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن"، ص125.

(3)ينظر: وهبة الزحيلي، "المبادئ الإنسانية في القرآن الكريم/ موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر"، (138/6 وما بعدها).

(4) ينظر: المرجع نفسه، (141/6وما بعدها).

المبحث الرابع: القيم في علوم القرآن ومقاصده

المطلب الأول: دور القرآن الكريم في صناعة وحراسة القيم

المطلب الثاني: القيم في العقائد القرآنية

المطلب الثالث: القيم في الشرائع القرآنية

المطلب الرابع: القيم في النظام الاجتماعي القرآني

المطلب الخامس: القيم في العلاقات السياسية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع: أصول القيم في علوم القرآن ومقاصده

القيم الإنسانية هي من العلوم التي يمكن للناظر في القرآن الكريم المتمكن من التفسير وأصوله والمتشبع بروح الشريعة ومقاصدها أن يستنبطها منه، «والاستنباط عند المفسرين هو استخراج دلالة الآية على معنى ليس معنى اللفظ المباشر»(1) وهذه الميزة هي التي تميز المفسر الحقيقي من غيره الذي تشبه بالمفسرين وليس منهم. وعلى هذا الأساس اشترط أهل العلم من المعاصرين فيمن يتكلم في التفسير أن يكون قادرا «على التأمل في سنن الله في الكائنات ودراسة ما تنتجه العلوم الاختبارية من كشف لتلك السنن وعجائبها»(2)، وتتفاوت همم الناس وفهومهم في استخراج العلوم من القرآن الكريم ويشهد لذلك قول علي ﷺ وقد سئل: (هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟) قال: (لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن ...)(3)، وبهذا الاستنباط الذي هو ثمرة من ثمار الفهم لكتاب الله يظهر وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم وهو«أن الله تعالى أنزل القرآن وأودع فيه من العلوم ما علم أن حاجة الخلق تمس إليه إلى قيام الساعة»(4) كما جاء في الأثر عن بعض السلف أنه قال في وصف القرآن أنه لا تنقضي عجائبه وفي هذا الصدد يقول الامام المربي عبد الحميد بن باديس بعد أن بين بعضا من علوم القرآن: «فيه من علم مصالح العباد في المعاش و المعاد، وبسط أسباب الخير والشر والسعادة والشقاوة في الدنيا والآخرة، وعلم النفوس وأحوالها، وأصول الأخلاق والأحكام، وكليات السياسة والتشريع، وحقائق الحياة في العمران والاجتماع، ونظم الكون المبنية على الرحمة والقوة والعدل والاحسان إلى ما تقصر عن عده الألسنة وتعجز عن الإحاطة به الأفهام»(5).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) محمد عمر بازمول، "الاستنباط عند المفسرين"، ص25.

(2) البشير الإبراهيمي، "الآثار" (250/2)

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير، رقم:3047.

(4) جار الله الزمخشري، "إعجاز سورة الكوثر"، ص33.

(5) عبد الحميد بن باديس، "مجالس التذكير" (77/2).

المطلب الأول: دور القرآن الكريم في صناعة القيم وحراستها

المحتوى التربوي –الذي يحمل النفس والجماعة على حلية القيم وزينتها– في القرآن الكريم هو محتوى وصل به إلى حد الإعجاز الذي هو آية في صدق محمد ﷺ وصدق كون القرآن حق من عند الله رب العالمين حيث إن الناظر الباحث المدقق المنصف يرى أن مضمونه «تعليم وإرشاد إلهي يملك الوجدان، وتذعن له النفس بالإيمان، فيكون هداية تزع صاحبها عن الباطل والشر، وتوجهه إلى الحق والخير، وأن القرآن قد بلغ مرتبة الكمال فيها، فاهتدت به الأمم والشعوب، فمن كان يؤمن بها على علم بحقيقتها، لا تقليدا لآبائه وقومه فيها، لا يسعه أن يؤمن بالتوراة أو الإنجيل أو الفيدا أو غيرها من الكتب المنسوبة إلى المرسلين الأولين ولا يؤمن بالقرآن، وهو أكملها في موضوعها، وأصحها نسبا إلى من جاء به. ...إن هذه الحياة الاجتماعية الإنسانية لا يستقيم فيها التعاون بين الأفراد ولا بين الجماعات إلا بالأخذ بتعاليم اعتقادية وأدبية وعملية لا تختلف فيها الأهواء والشهوات؛ لأن الوازع فيها نفسي وجداني لصدورها عن الرب الحكيم العليم، بوحي أوحاه إلى من اختصه بهذا الفضل العظيم»[1] وفي تنوع القيم التي جاء بها الإسلام الذي مصدر علومه المختلفة الأول هو القرآن الكريم يقول البشير الإبراهيميّ –رحمه الله–: (الإِسلَامُ تَجِدُ فِي عَقَائِدِهِ غِذَاءَ العَقلِ، وفِي عِبَادَاتِه تَزكِيةَ النَّفْسِ، وفِي أَحكَامِه رِعَايَةَ المَصلَحَةِ، وفِي آدَابِه خَيرَ المُجتَمَعِ)[2].

والله رب السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما؛ رب العالمين مربي الخلائق أجمعين بنعمه وآلائه، رباهم بالفطرة التي فطرهم عليها ورباهم بما سخره لهم من وسائل العيش والبقاء وزاد في تكريم بني آدم فجعل لهم من العقول والألباب ما به سموا عن سائر المخلوقات وزاد لهم في نعمه وآلائه الدنيوية و الدينية ومن نعمه الدينية رسله اللذين أرسل وكتبه التي أنزل، وكيف لا يكون هو مربيهم؟! وهو من خلقهم وجعلهم خلائف الأرض وهو العليم بما يصلحهم ويصلح أحوالهم وينظم معيشتهم ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [سورة آل عمران:15]، أي «عالم بما فيهم من الأوصاف الحسنة والأوصاف القبيحة، وما هو اللائق بأحوالهم، يوفق من شاء منهم ويخذل من شاء»[3]. فالسعيد هو من رضي لنفسه ما اختاره الله له من الهدى والبينات واللبيب العاقل هو المؤثر لما يحبه الله ورسوله المتحلي بزينة الإيمان والمتجلبب بجلباب التقوى المنقاد لما أمر الله به والمجتنب لما نهاه ربه عنه لأن الله تبارك وتعالى

(1) "تفسير المنار" (1/ 186)

(2) "آثار البشير الإبراهيمي" (108/1)

(3) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص124.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

«عالم بمصالحهم فيجب أن يرضوا لأنفسهم ما اختاره لهم من نعيم الآخرة، وأن يزهدوا فيما زهدهم فيه من أمور الدنيا» [1]، وتربية الله وهدايته تشمل نوعين من الهداية والتربية، الأولى هي الهداية العامة: التي مضمونها أنه هدى كل مخلوق لمصلحته، وتذكر فيها نعمه الدنيوية [2] مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [سورة الأعلى:3]. أما الهداية الأخرى فهي الهداية الموجهة إلى بني آدم وخصهم الله بها من بين سائر المخلوقات وتذكر فيها نعمه الدينية من الرسل والرسالات والكتب المنزلة وهذه الهداية هي صبغة الله التي قال الله عنها في كتابه: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ۝١٣٨﴾ [سورة البقرة:138]، فالإيمان بالنسبة للمؤمن كاللباس يصطبغ العبد به ولا أحسن من لباس هو صنعة الباري جل وعلا والمقصود في هذه الآية الانقياد التام لهدى القرآن الكريم، أي: «الزموا صبغة الله، وهو دينه، وقوموا به قياما تاما، بجميع أعماله الظاهرة والباطنة، وجميع عقائده في جميع الأوقات، حتى يكون لكم صبغة، وصفة من صفاتكم ... ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ أي: لا أحسن صبغة من صبغته» [3]. ويظهر أثر الاصطباغ بما أرسل الله به رسله من خلال التحلي و التخلي، التحلي بما أمر به الله وحث عليه من مكارم الأخلاق ومعالي القيم، و التخلي عما نهى الله عنه من سفاسف الأخلاق ورذائل الأمور، «وإذا أردت أن تعرف نموذجا يبين لك الفرق بين صبغة الله وبين غيرها من الصبغ، فقس الشيء بضده، فكيف ترى في عبد آمن بربه إيمانا صحيحا، أثر معه خضوع القلب وانقياد الجوارح، فلم يزل يتحلى بكل وصف حسن، وفعل جميل، وخلق كامل، ونعت جليل، ويتخلى من كل وصف قبيح، ورذيلة وعيب، فوصفه: الصدق في قوله وفعله، والصبر والحلم، والعفة، والشجاعة، والإحسان القولي والفعلي، ومحبة الله وخشيته، وخوفه، ورجاؤه، فحاله الإخلاص للمعبود، والإحسان لعبيده، فقسه بعبد كفر بربه، وشرد عنه، وأقبل على غيره من المخلوقين فاتصف بالصفات القبيحة، من الكفر، والشرك والكذب، والخيانة، والمكر، والخداع، وعدم العفة، والإساءة إلى الخلق، في أقواله، وأفعاله، فلا إخلاص للمعبود، ولا إحسان إلى عبيده. فإنه يظهر لك الفرق العظيم بينهما، ويتبين لك أنه لا أحسن صبغة من صبغة الله، وفي ضمنه أنه لا أقبح صبغة ممن انصبغ بغير دينه» [4]. ولا تظهر قيم الإسلام فقط في مكارم الأخلاق التي دعا إليها وإنما

---

(1) جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل" (293/2).

(2) ينظر: عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص920.

(3) المرجع نفسه، ص69.

(4) المرجع نفسه، ص69.

تظهر كذلك متجلية في جميع العقائد التي أخبر عنها و كذلك الشرائع التعبدية التي ألزم بها، ففي مجال العقيدة تظهر أعلى قيمة يمكن للإنسان أن يحفل بها وتطمئن نفسه لها ألا وهي قيمة الغاية من الوجود، فحين «نتأمل الطريق الطويل الذي سلكه أنبياء الله وهم يحملون الدين إلى أقوامهم تجدهم لا يخدعون الناس ولا يعدونهم بالطعام الشهي و الطساء الفاخر، لكنهم يعرضون عليهم الحقيقة التي بعثوا بها من عند الله فيقول نوح لقومه: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١﴾ [سورة هود:31] ... إن ضرورة الدين للإنسان في كل عصر لا تتمثل في الرغيف الذي يأكله أو القرش الذي ينفقه، أو الثوب الذي يرتديه، ، ولكنها تتمثل في مصاحبته لهذا الانسان في طريق الحياة موجها ومرشدا وصديقا ... »[1].

ولا شك أن القرآن هو مستودع العلوم ونبراس الأمة والهادي إلى أقوم الطرق والعاصم من الضلال المبين وهو المصدر الأول لجميع التشريعات الأخلاقية الإسلامية، وهو الذي تعلو به كلمة الأمة وتحسن به صورتها أمام جميع الأمم الأخرى. وإن القرآن الكريم يضع الحد الفاصل بين القيم التي تعطي للإنسان الطابع الإنساني الرباني وبين ما يتحلى به غيره من الإنسان الطبيعي المادي من قيم نفعية براغماتية. وهذا الحد الفاصل بينه قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [سورة آل عمران:79]، «أي ولكن يقول كونوا ربانيين أي كونوا منسوبين للرب، وهو الله تعالى، لأن النسب إلى الشيء إنما يكون لمزيد اختصاص المنسوب بالمنسوب إليه»[2]، فلما اختصوا بكونهم منسوبين إلى الله ﷻ بعلمهم وعملهم بشريعته فهم بذلك متميزون على غيرهم بكونهم علماء بما يصلح الإنسان في الدين والدنيا وفي العاجلة و الآجلة وهم حكماء يزنون الأمور بميزان العلم والعدل والإنصاف حلماء لا يتعسفون في رد الناس إلى الحق ولا يحملونهم ما لا طاقة لهم به فهم يعلمون الناس «بصغار العلم قبل كباره، عاملين بذلك، فهم يأمرون بالعلم والعمل والتعليم التي هي مدار السعادة، وبفوات شيء منها يحصل النقص والخلل» [3]، ويدل على ذلك أوصاف القرآن الكريم التي وصفه بها الله تبارك وتعالى وهي أوصاف

(1) عبد اللطيف محمد عامر، "القرآن والقيم الإنسانية"، ص24.

(2) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (3/ 295).

(3) عبد الرحمن السعدي، " تيسير الكريم الرحمن"، ص136.

لها أثرها البالغ في تهذيب النفوس وتكوين العلوم النافعة والإرشاد إلى ما يصلح الله به أحوال المجتمع البشري، « وصفه بالهدى والرشد، والفرقان، وأنه مبين وتبيان لكل شيء؛ فهو في نفسه هدى، ويهدي الخلق لجميع ما يحتاجونه من أمور دينهم ودنياهم، ويرشدهم إلى كل طريق نافع، ويفرق لهم بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وبين أهل السعادة والشقاوة بذكر أوصاف الفريقين، وفيه بيان الأصول والفروع بذكر أدلتها النقلية والعقلية، فوصفه بهذه الأوصاف المطلقة العامة التي لا يشذ عنها شيء في آيات كثيرة... ووصفه بأنه رحمة، وهي الخير الديني والدنيوي والأخروي المترتب على الاهتداء بالقرآن، فكل من كان أعظم اهتداء به فله من الرحمة والخير والسعادة والفلاح بحسب ذلك. ووصفه بأنه نور، وذلك لبيانه وتوضيحه العلوم النافعة، والمعاني الكاملة، وأن به يخرج العبد من جميع الظلمات: ظلمات الجهل والكفر والمعاصي والشقاء، إلى نور العلم واليقين والإيمان والطاعة والرشاد المتنوع. ووصفه بأنه شفاء لما في الصدور، وذلك يشمل جميع أمراض القلوب؛ فهو يوضح أمراض القلوب ويشخصها، ويرشد العباد إلى كل وسيلة يحصل بها زوالها وشفاؤها، فيذكر لهم أمراض الجهل والشكوك والحيرة وأسباب ذلك، ويرشدهم إلى قلعها بالعلوم النافعة واليقين الصادق، وسلوك الطرق الصحيحة المزيلة لهذه العلل، ويذكر لهم أمراض الشهوات والغي، ويبين لهم أسبابها وعلاماتها وآثارها الضارة، ويذكر لهم ما به تعالج من المواعظ والتذكر والترغيب والترهيب، والمقابلة بين الأمور، وترجيح ما ترجحت مصلحته العاجلة والآجلة... ووصفه بأنه كله صلاح، ويهدي إلى الإصلاح، وإلى أقوم الأمور وأرشدها وأنفعها في كل شيء من دون استثناء، وهذا الوصف المحيط لا يخرج عنه شيء، فهو إصلاح للعقائد والقلوب، وللأخلاق والأعمال، ويهدي إلى كل صلاح ديني ودنيوي بحيث تقوم به الأمور، وتعتدل به الأحوال، ويحصل به الكمال المتنوع من كل وجه بالإرشاد إلى كل وسيلة نافعة تؤدي إلى المقاصد والغايات المطلوبة، فلا سبيل إلى الهداية والصلاح والإصلاح لجميع الأمور إلا بسلوك الطرق التي أرشد إليها القرآن، وحث العباد عليها»[1].

وفي هذا السياق يمكن أن يطرح السؤال التالي: كيف السبيل إلى أن نجد في القرآن الكريم حلا لمشكلة القيم في العصر الحديث وهي متأخرة عنه في الظهور بقرون طويلة؟ فالجواب في قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [سورة الأنعام:38]، ويزيده بيانا ما وضحه الإمام الشاطبي بقوله: «لما انبنت الشريعة على قصد المحافظة على المراتب الثلاث من الضروريات والحاجيات والتحسينات، وكانت هذه الوجوه مبثوثة في أبواب الشريعة وأدلتها، غير مختصة بمحل دون محل، ولا بباب دون

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير اللطيف المنان" (1/5-7).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

باب، ولا بقاعدة دون قاعدة؛ كان النظر الشرعي فيها أيضا عاما لا يختص بجزئية دون أخرى؛ لأنها كليات تقضي على كل جزئي ... »[1] فعلى تفسير الكتاب في قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ﴾ أنه مقصود به القرآن الكريم، نقل صاحب الأضواء في تفسيره عن الإمام السيوطي بيانا لشيء مما جاء به القرآن في شتى فنون الحياة منها ما نحن بصدده الآن[2]: أن كتاب الله اشتمل على كل شيء! أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها، زاد على طب الأجساد بطب القلوب وشفاء الصدور، وأما الجدل فقد حوت آياته من البراهين والمقدمات والنتائج والقول بالموجب والمعارضة وغير ذلك شيئاً كثيراً، ومناظرة إبراهيم أصل في ذلك عظيم، المقصود بيان أن في القرآن الكريم آيات تدل دلالة واضحة على أنه أين ما وجد ما نص عليه القرآن فتحته الحق المبين والخير العميم والجمال الباهر، فأينما وجد كلام الله فثم موجود القيم فوق ما يتصوره المتصورون من فلاسفة وحكماء وأدباء ومفكرين ...

وجاء في الصحيح بَابُ مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْۚ﴾ [سورة العنكبوت:51]، وفيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ليس منا من لم يتغن بالقرآن))[3]، رجح كثير من السلف أن معنى الحديث هو وجوب الاستغناء بالقرآن الكريم عن غيره[4] مما نسخ به من الكتب السماوية المتقدمة عليه أو غيرها مما نتج عن العلوم البشرية العقلية. وفي هذا المعنى كتب -بل أعلن- محمد رشيد رضا في تفسيره «إلا أنني أقول: إن أعلم الحكماء الغربيين في هذا العصر قد بينوا في مباحثهم في طبائع البشر أن الإنسان إذا ترك إلى مداركه الحسية، ونظرياته العقلية، وتسلل من وجدان الدين والإلهام الإلهي بالحياة الأخرى، يكون أشقى من جميع أنواع الحيوان الأعجم، ويكون جل شقائه من نظرياته العقلية، فهو إذا فكر في هذه الحياة القصيرة التي تساورها الآلام الشخصية، من جسدية ونفسية، والآلام المنزلية (العائلية) والقومية والوطنية والدولية، يراها عبثا ثقيلا، ويرى من السخف أو الجنون أن يحمل شيئا منها مختارا لأجل زوجة أو ولد أو وطن أو أمة، ويرى أن الطريقة المثلى في الحياة ألا يتعرض لألم من هذه الآلام، فلا يتزوج ولا يعمل أدنى عمل ولا يتكلف أدنى تعب لأجل غيره، وأن يطلب لذاته الجسدية من

(1) أبو إسحاق الشاطبي، "الموافقات في أصول الشريعة" (171/3-172).

(2) ينظر: جلال الدين السيوطي، "الإكليل في استنباط التنزيل"، ص16-20، بتصرف.

(3) أخرجه البخاري في "صحيحه" (9 / 154) برقم: (7527) .

(4) ينظر: ابن حجر، "فتح الباري"، (686/8).

أقرب الطرق إليها، وينتظر الموت للاستراحة من هذه الحياة، فإن أبطأ عليه ونزلت به آلام يشق عليه احتمالها من مرض أو فقر مدقع أو ذل مخز فليبخع نفسه ويتعجل الموت انتحارا. ... ولئن انتصرت الأفكار المادية على الهداية الدينية انتصارا تاما كاملا ليتحولن جميع ما اهتدى إليه البشر من أسرار الكون والفنون والصناعات إلى ذرائع الفتك والتدمير، وبئس المثوى والمصير. وهو ما جزم هربرت سبنسر شيخ فلاسفة أوربا الاجتماعيين بأنه سيكون عاقبة انتشار الأفكار المادية في أوربا: صرح به لشيخنا عند التقائه به في انجلترا»[1] والكلام في هذا المعنى من أساطين التفسير كثير لكن اخترت منه هذا لما فيه من شهادات غربية وشرقية يقوى بها، فكان الأولى بالذكر.

وفي سياق دراسة دور القرآن الكريم في صناعة القيم نتناول قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [سورة الإسراء:9]، تضمنت هذه الآية الكريمة وصفا للقرآن الكريم وأنه يهدي إلى الأقوم من كل شيء في كل ما يأمر به أو ينهى عنه أو يرشد إليه و«ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن هذا القرآن العظيم الذي هو أعظم الكتب السماوية، وأجمعها لجميع العلوم، وآخرها عهدا برب العالمين جل وعلا، يهدي للتي هي أقوم؛ أي الطريقة التي هي أسد وأعدل وأصوب... وهذه الآية الكريمة أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا والآخرة»[2] ولقد نظم حياة البشر في منهج قويم من جميع جوانبه. واسترشادا بهذه الآية الكريمة قسم بعض أهل العلم الجوانب التي شملها تنظيم القرآن وهدايته فيها إلى أقوم السبل إلى ثلاث نواح:[3] ناحية العقيدة وناحية الأخلاق وناحية الأحكام، فقيمة العقائد في كونها تطهر القلب وتزكيه وتبعده عن الوثنية وجميع أشكال الخرافة القديمة منها والحديثة، والأخلاق تزكي النفس وتهذبها وتقوى عرى التماسك والتآخي الاجتماعي في المجتمع الواحد، والأحكام أوضح الله أصولها في الكتاب وبين مقاصدها التي تخدم الإنسان وتجعله يرقى عن نظام المجتمعات الحيوانية.

(1) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (186/1).

(2) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ط دار الفكر" (17/3).

(3) محمد شلتوت، "إلى القرآن الكريم"، ص5.

المطلب الثاني: القيم في العقائد القرآنية

يصف صاحب الظلال رحلة الانسان للترقي في مدارج الكمال مبينا دور عقائد الإيمان في ذلك الشأن العظيم فيقول في تفسيره لسورة التين: « ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ .. فطرة واستعدادا.. ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾﴾ .. حين ينحرف بهذه الفطرة عن الخط الذي هداه الله إليه، وبينه له، وتركه ليختار أحد النجدين ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ .. فهؤلاء هم اللذين يبقون على سواء الفطرة، ويكملونها بالإيمان والعمل الصالح، ويرتقون بها إلى الكمال المقدر لها، حتى ينتهوا بها إلى حياة الكمال في دار الكمال ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ دائم غير مقطوع. فأما اللذين يرتكسون بفطرتهم إلى أسفل سافلين، فيظلون ينحدرون بها في المنحدر، حتى تستقر في الدرك الأسفل. هناك في جهنم، حيث تهدر آدميتهم، ويتمحضون للسفول! فهذه وتلك نهايتان طبيعيتان لنقطة البدء.. إما استقامة على الفطرة القويمة، وتكميل لها بالإيمان، ورفع لها بالعمل الصالح.. فهي واصلة في النهاية إلى كمالها المقدر في حياة النعيم.. وإما انحراف عن الفطرة القويمة، واندفاع مع النكسة، وانقطاع عن النفخة الإلهية.. فهي واصلة في النهاية إلى دركها المقرر في حياة الجحيم. ومن ثم تتجلى قيمة الإيمان في حياة الإنسان.. إنه المرتقى الذي تصل فيه الفطرة القويمة إلى غاية كمالها. إنه الحبل الممدود بين الفطرة وبارئها. إنه النور الذي يكشف لها مواقع خطاها في المرتقى الصاعد إلى حياة الخالدين المكرمين. وحين ينقطع هذا الحبل، وحين ينطفئ هذا النور، فالنتيجة الحتمية هي الارتكاس في المنحدر الهابط إلى أسفل سافلين، والانتهاء إلى إهدار الآدمية كلية، حين يتمحض الطين في الكائن البشري، فإذا هو وقود النار مع الحجارة سواء بسواء!»(1)، وإذا تأملنا الثمار –في مجال القيم– التي يمكن أن يجنيها صاحب العقيدة القرآنية المتشبع بها في الحياة الدنيا دون غيرها نلخصها في مقام التزكية أو الاحسان الذي هو مقام المراقبة وهو الواعظ الأول للفرد والرادع الأول عن التعدي والظلم وهو حامي حمى القيم والدين والأخلاق ولله در القائل العلم الموصل لمقامات الاحسان(2):

علم به تصفية البواطن من كدورات النفس في المواطن

---

(1) "في ظلال القرآن" (3933/6-3934).

(2) محمد ميارة، "المورد المعين" (875/2).

وهو العلم يحقق الله به جل وعلا ما في كتابه من وصـــفه لعباده المتقين بأنهم زينة الأرض وبهجتها(1) ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [سورة الكهف:7]، في القرآن مثال يظهر جمال هذه القيمة الإنسانية النفسية في شخصية يوسف عليه السلام الذي أبى الانصياع لشهواته –بعدما تهيأت له كل الظروف– وهي شـــهوة لو لبى داعيتها لكان من ورائها الخيانة للأمانة الإلهية وخيانة لعزيز مصر وهتك لأعراض الناس، ولكن كل ذلك لم يحدث لا لشيء إلا أنه أشرب قلبه ما نطق به لسانه قال الله سبحانه وتعالى حكاية عن هذا: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [ســورة يوســف:23]، وعلم العقيدة هو العلم الذي يقوي جماعة المســلمين حين يرســخ بينهم تلك الأخوة الإيمانية الناتجة عن العقيدة الإســلامية تلك نعمة كبرى يصورها القرآن أحسن تصوير مقارنا بينها وبين ما كان عليه أهل الإسلام في جاهليتهم فيقول جل وعلا: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ﴾ [سورة آل عمران:103]. ويذكرهم بهذه الرابطة الاجتماعية وما تستوجبه من ترك النعرات وحث على الإصــلاح عند حلول النزاعات ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الحجرات:10]، ويذكرهم بما تستوجبه هذه الاخوة من واجب التعاون بين الاخوة فيقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ﴾ [ســورة المائدة:2]، وما أجمل تلك الصـورة الاجتماعية لهذه الرابطة العقدية في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ

(1) ورد عن كثير من السلف أن زينة الأرض المذكورة في الآية مقصود بها: العلماء، أو الرجال العباد العمال لله بالطاعة. ينظر: "موسوعة التفسير المأثور" (13/ 415 -416)

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ٱلسُّجُودِۚ﴾ [سورة الفتح:29]، وفي قوله ﷺ ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة))[1].

تلك هي عنوان الثمرات القيمية للعقيدة الإسلامية القرآنية في الحياة الدنيا فيها من الجلال والجمال والنظام ما يعجز عنه البشر قال الله تعالى ﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [سورة الأنفال:63]، نعم هي صورة اجتماعية فيها من الاعجاز الرباني ما فيها نلاحظ ذلك على مر الزمن أينما حل الإسلام وارتحل ويضرب ابن باديس مثلا بصورة اجتماعية صنعها الإسلام بعقائده القرآنية لما أن حل في بلاد الأمازيغ فصهر بينهم وبين العرب في لحمة واحدة يصعب على الشيطان تفكيك روابط تلك اللحمة فقال رحمه الله تحت عنوان ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان: «إن أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضع عشرة قرنا، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء، وتؤلف بينهم في العسر واليسر، وتوحدهم في السراء والضراء، حتى كونت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصراً مسلما جزائرياً، أمه الجزائر وأبوه الإسلام. وقد كتب أبناء يعرب وأبناء مازيغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشرف لإعلاء كلمة الله، وما أسالوا من محابرهم في مجالس الدرس لخدمة العلم. فأي قوة بعد هذا يقول عاقل تستطيع أن تفرقهم؟ لولا الظنون الكواذب والأماني الخوادع يا عجبا!»[2].

ومن الثمرات القيمية الأخرى للعقائد الإيمانية نذكر شيئا منها تحت قول الله تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [سورة النحل:97]، ورأس تلك القيم هي قيم اليقين الذي يكسب صاحبه الطمأنينة ويجلب عليه الأمن النفسي ويجنبه متاهات الفكر القاصر

(1) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في "صحيحه" (3 / 128) برقم: (2442) ، (9 / 22) برقم: (6951) ومسلم في "صحيحه" (8 / 18) برقم: (2580)

(2) "آثار ابن باديس" (3/ 483).

والضد يظهر حسنه الضد؛ يقول محمد الطاهر التليلي في بيان عوار العقائد الفلسفية وما تورثه من التيه والشك والحيرة[1]:

بحر التفلسف لا قرار له … يا ويح من سبحت فيه عقائده
الشرك والشك والتشكيك لؤلؤه … والكفر والزيغ والإلحاد مورده
وعلة الكون سر الغيب مبحثه … تحليل ربك والأملاك مقصده

ويا حبذا ... عقائد لا مجال للشك فيها والله تعالى يقول تصديقا لرسله: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة إبراهيم:10]. وعودا على بدء؛ وعد الله من عمل صالحا ممن آمن بما أخبر الله عنه عن طريق رسله ورسالاته أنه يحيي حياة طيبة؛ وهي الحياة التي فيها طمأنينة القلب وسكون النفس وترفع عن المنغصات والمشوشات والمكدرات[2] وفيها من الرزق ما هو دائر بين الكسب الحلال وغنى القلب وقناعة النفس [3]. ومن الثمرات الجليلة للإيمان ما يورثه من رضا الله رب العالمين و«هو أكبر شيء، فما نال أحد رضا الله في الدنيا والآخرة إلا بالإيمان وثمراته، بل صرح الله به في كتابه في مواضع كثيرة، وإذا رضي الله عن العبد قبل اليسير من عمله ونماه، وغفر الكثير من زلله ومحاه»[4]، ومن الثمرات أن الإيمان مجلبة للأمن في الدنيا والآخرة كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الأنعام:82]، «الأمن من المخاوفِ والعذاب والشقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقا، لا بشرك، ولا بمعاص، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة. وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده،

---

(1) نقلا عن: موقع قمار: "رسالة الشيخ محمد الطاهر التليلي إلى هيئة تحرير المنبر الثقافي – الجمعية الثقافية بقمار"، https://guemar.org/%d8%b1%d8%b3%d8%a7%d9%84%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d8%b4%d9%8a%d8%ae-%d9%85%d8%ad%d9%85%d8%af-%d8%a7%d9%84%d8%b7%d8%a7%d9%87%d8%b1-%d8%a7%d9%84%d8%aa%d9%84%d9%8a%d9%84%d9%8a-%d8%a5%d9%84%d9%89-/%d8%a7%d9%84

تاريخ الاطلاع: 2022/08/27م.

(2) ينظر: عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص449.

(3) ينظر: "موسوعة التفسير بالمأثور" (669/12 وما بعدها).

(4) عبد الرحمن السعدي، "تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن" (1/ 48).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها»[1] وهذا الأمن كما هو حاصل للأفراد المتمسكين به هو كذلك حاصل للمجتمعات ما تمسكت بالإيمان ولوازمه من قول وعمل ونظم ؛كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢﴾ [سورة النحل:112]، وهذه القرية هي «مكة المشرفة التي كانت آمنة مطمئنة لا يهاج فيها أحد، وتحترمها الجاهلية الجهلاء حتى إن أحدهم يجد قاتل أبيه وأخيه، فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم، والنعرة العربية فحصل لها من الأمن التام ما لم يحصل لسواها وكذلك الرزق الواسع. كانت بلدة ليس فيها زرع ولا شجر، ولكن يسر الله لها الرزق يأتيها من كل مكان، فجاءهم رسول منهم يعرفون أمانته وصدقه، يدعوهم إلى أكمل الأمور، وينهاهم عن الأمور السيئة، فكذبوه وكفروا بنعمة الله عليهم، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه، وألبسهم لباس الجوع الذي هو ضد الرغد، والخوف الذي هو ضد الأمن، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم ﴿وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [سورة النحل:33]»[2]. ومن أعظم الأمثلة التي ضربها الله للناس في القرآن ليعتبرها الناظر ما قصه علينا من قصص حول قرية سبأ حيث قال الله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ١٦ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ١٨ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٠ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص263.

(2) المرجع نفسه، ص451.

يُؤْمِنُ بِٱلْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ [سورة سبأ:15-21]، فالسبئيون كانت لهم مع الإيمان بالله وما يقتضيه من العمل الصالح حالتان:

الحالة الأولى: ما كانوا ينعمون به في مجتمعهم من النعم الظاهرة[1]: بأن أسكنهم بلدة طيبة، لحسن هوائها، وقلة وخمها، وحصول الرزق و الرغد فيها ... وبأن الله وعدهم -إن شكروه - أن يغفر لهم وَيرحمهم، ولهذا قال: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ وبما هيأ لهم من الأسباب ما به تيسير تجارتهم ومكاسبهم، من الأرض المباركة والأمن وعدم الخوف، وتواصل القرى بينهم وبينها، بحيث لا يكون عليهم مشقة بحمل الزاد والمزاد، و هو الذي يقتضي منهم أن يعبدوا الله ويشكروه.

الحالة الثانية: لما أعرضوا عن المنعم، وعن عبادته، وبطروا النعمة، وملوها، حتى إنهم طلبوا وتمنوا، أن تتباعد أسفارهم بين تلك القرى، التي كان السير فيها متيسرا. ﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بكفرهم بالله وبنعمته، فعاقبهم الله تعالى بهذه النعمة، التي أطغتهم، فأبادها عليهم، فأرسل عليها السيل المتوعر، الذي خرب سدهم، وأتلف جناتهم، وخرب بساتينهم، فتبدلت تلك الجنات ذات الحدائق المعجبة، والأشجار المثمرة، وصار بدلها أشجار لا نفع فيها ...ولما أصابهم ما أصابهم، تفرقوا وتمزقوا، بعدما كانوا مجتمعين، وجعلهم الله أحاديث يتحدث بهم، وأسمارا للناس[2].

أوضح القرآن الكريم العقائد الإلهية وما يتبعها من الغيبيات في أركان الإيمان الستة [3] وفي هذا الجانب من جوانب البحث في موضوعات القرآن الكريم وعلومه تظهر **قيمة العبودية لله تبارك وتعالى**: فمن ذلك ما يعد أكبر الحقائق وأعلى القيم والمتمثل في الغاية الكبرى من وجود الإنسان على وجه الأرض ألا وهو توحيد الله جل وعلا أو تحقيق العبودية التي هي حق الله على العبيد، فقد هدى القرآن فيه للطريق التي هي أقوم الطرق وأعدلها، وهي توحيده جل وعلا في ربوبيته، وفي عبادته، وفي أسمائه وصفاته. وبهذا تتبين مزية القرآن الكريم على كل العلوم الفلسفية التي تبحث عن العلوم الغيبية أو ما يعرف بالميتافيزيقا وهو علم قائم على التخمين المحض دون ما يعضده من نقل أو عقل أو حس وهذه الثلاثة هي مدارك اليقين، «وقد علم جميع اللذين خبروا كلام أرسطوا وذويه في العلم الإلهي، أنهم أقل الناس نصيبا في معرفة العلم الإلهي، وأكثر اضطرابا وضلالا، وهو مع قلته كثير الضلال عظيم المشقة، وهذا يعرفه من له نظر صحيح في العلوم الإلهية، فكيف يستدل بكلام هؤلاء

(1) ينظر عبد الرحمن السعدي، " تيسير الكريم الرحمن" ص677.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص677.

(3) عطية محمد سالم، "وصايا الرسول ﷺ"، ص15.

في العلم الإلهي وحالهم هذه الحال؟»[1] فبان بفضل هذه المقارنة بين علوم الأنبياء وعلوم غيرهم مزية كتاب الله عزوجل، وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام[2]:

الأول: توحيده في ربوبيته، وهذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ الآية [سورة الزخرف:87]، وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة يونس:31]، وإنكار فرعون لهذا النوع من التوحيد في قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الشعراء:23]. تجاهل عن عارف أنه عبد مربوب؛ بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [سورة الإسراء:102]. وقوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة النمل:14].

وهذا النوع من التوحيد لا ينفع إلا بإخلاص العبادة لله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة يوسف:106]. والآيات الدالة على ذلك كثيرة جدا. ولا شك أن معرفة ربوبية الله لخلقه وتصرفه فيهم يبعث في النفوس قيما نفسية كثيرة تعود في مجملها إلى التعلق بالله من أجل رعاية مصالح الفرد والجماعة بربوبيته سواء الربوبية الكونية وما يتبعها من النعم والنقم التي يبتلي الله بها عباده، أو ربوبيته الشرعية وما يتبعها من الأوامر والنواهي ومجمل الإرشادات الشرعية التي تنظم حياة بني الإنسان في هذه المعمورة، ولا أدل على أن عقيدة الربوبية لله تورث القلب طمأنينة من قول إبراهيم عليه السلام لربه بعد أن طلب منه أن يريه كيف يحيي الموتى كما قص الله تعالى علينا خبره فقال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾

---

(1) ابن تيمية نقلا عن: عبد الرحمن السعدي، "طريق الوصول إلى العلم المأمول"، ص52.

(2) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (3/ 17 ط عطاءات العلم)

[سورة البقرة:260]. «قال بعض العلماء إن الاطمئنان الذي طلبه إبراهيم عليه السلام هو الاستدلال بالعيان بعد الاستدلال بالبرهان، فإن الحس يحمل الإنسان على الإذعان أكثر مما يحمل الدليل العقلي»[1] وبعضهم زاد بيانا في وجه هذه القيمة المعرفية وماتورثه من اليقين و الطمأنينة مجريا فيها قواعد علم المنطق ليبين أن إبراهيم أراد أن ينتقل من العلم النظري الاستدلالي إلى العلم الضروري الحسي، فقول إبراهيم عليه السلام «ليطمئن قلبي معناه لينبت ويتحقق علمي وينتقل من معالجة الفكر والنظر إلى بساطة الضرورة بيقين المشاهدة وانكشاف المعلوم انكشافا لا يحتاج إلى معاودة الاستدلال ودفع الشبه عن العقل»[2] والأكثر من المفسرين على أن هذا الوجه من تعليل سؤال إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى وجه ضعيف لمقام إبراهيم عليه السلام في الإيمان وقوة اليقين، لكنه «التشوف إلى ملابسة سر الصنعة الإلهية. وحين يجيء هذا التشوف من إبراهيم الأواه الحليم، المؤمن الراضي الخاشع العابد القريب الخليل.. حين يجيء هذا التشوف من إبراهيم فإنه يكشف عما يختلج أحياناً من الشوق والتطلع لرؤية أسرار الصنعة الإلهية في قلوب أقرب المقربين! إنه تشوف لا يتعلق بوجود الإيمان وثباته وكماله واستقراره وليس طلباً للبرهان أو تقوية للإيمان.. إنما هو أمر آخر، له مذاق آخر.. إنه أمر الشوق الروحي، إلى ملابسة السر الإلهي، في أثناء وقوعه العملي. ومذاق هذه التجربة في الكيان البشري مذاق آخر غير مذاق الإيمان بالغيب ولو كان هو إيمان إبراهيم الخليل، الذي يقول لربه، ويقول له ربه. وليس وراء هذا إيمان، ولا برهان للإيمان. ولكنه أراد أن يرى يد القدرة وهي تعمل ليحصل على مذاق هذه الملابسة فيستروح بها، ويتنفس في جوها، ويعيش معها.. وهي أمر آخر غير الإيمان الذي ليس بعده إيمان»[3].

الثاني: توحيده جل وعلا في عبادته؛ وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى «لا إله إلا الله» وهي متركبة من نفي وإثبات، فمعنى النفي منها: خلع جميع أنواع المعبودات غير الله كائنة ما كانت في جميع أنواع العبادات كائنة ما كانت. ومعنى الإثبات منها: إفراد الله جل وعلا وحده بجميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام. وأكثر آيات القرآن في هذا النوع من التوحيد، وهو الذي فيه المعارك بين الرسل وأممهم ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [سورة ص:5]. ومن الآيات الدالة على هذا النوع من التوحيد

(1) محمد أبو زهرة، "زهرة التفاسير" (2/ 965).

(2) محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (3/ 39).

(3) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (302/1).

قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ الآية [سورة محمد:19]، وقوله: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [سورة النحل:36]، وقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [سورة الأنبياء:25]، وقوله: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ٤٥﴾ [سورة الزخرف:45]، وقوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٨﴾ [سورة الأنبياء:108]، فقد أمر في هذه الآية الكريمة أن يقول: إنما أوحي إليه محصور في هذا النوع من التوحيد، لشمول كلمة: «لا إله إلا الله» لجميع ما جاء في الكتب لأنها تقتضي طاعة الله بعبادته وحده. فيشمل ذلك جميع العقائد والأوامر والنواهي، وما يتبع ذلك من ثواب وعقاب، والآيات في هذا النوع من التوحيد كثيرة.

النوع الثالث: توحيده جل وعلا في أسمائه وصفاته؛ وهذا النوع من التوحيد ينبني على أصلين:الأول: تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة المخلوقين في صفاتهم، كما قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [سورة الشورى:11]، والثاني: الإيمان بما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ على الوجه اللائق بكماله وجلاله، كما قال بعد قوله: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير مع قطع الطمع عن إدراك كيفية الاتصاف، قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾ [سورة طه:110].(1)

وتوحيد الله في ربوبيته وفي أسمائه وصفاته يعرف عند أهل العلم بتوحيد المعرفة والإثبات وهو توحيد علمي خبري(2)، وأكرم به من علم جاء ليعلمنا صفات الله تبارك وتعالى حيث أن معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله والإيمان بذلك؛ يورث العبد طمأنينة وراحة يجدها في نفسه ويرى ثمرتها من يحيط به ممن حوله، ألا نرى أن من أسماء الله سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم فالإيمان بهذين الاسمين حق الإيمان بمعرفة الاسم ومعرفة مايترتب عليه من الصفات الإلهية والأفعال الربانية، فإنه من علم هذا يقينا أورثه ذلك فرحا وسرورا بنعمة الله تعالى وأذهب عنه ما قد يشوش عليه ذلك من منغصات في الحياة تأتيه من هنا أو هناك، حيث كلما وجد العبد من ذلك شيئا في نفسه فر إلى الله تعالى يدعوه باسمه الرحمن

(1) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"(3/ 490 ط عطاءات العلم). بتصرف يسير
(2) ينظر: حافظ الحكمي، "معارج القبول"، (139/1).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [سورة الأعراف:180]؛ يدعوه أن يكشف عنه الضر ويزيل الهم ويرفع الكرب كيف لا! ورسول الله ﷺ يخبر عن الله تعالى أنه كتب عنده فوق عرشه: ((إن رحمتي سبقت غضبي))(1). ومن علم ربوبية الله على خلقه لم يقنط من أن يشمله الله بفضله الواسع فضلا عن أن يصل به القنوط إلى حد يجد في نفسه رغبة في الموت، وهيهات هيهات أن يقدم مؤمن عرف ربه واشرأب قلبه بحبه والتعلق به أن يقدم على وضع حد لحياته التي هي أكبر منة من الله بها عليه إذ هي وديعته التي أودعها في جسده على يوم معلوم عنده سبحانه وتعالى، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: ((لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه، فإن كان لا بد فاعلا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي))(2)، ولهذا نجد في السنة أن النبي ﷺ علمنا وهو الأسوة الحسنة أن نتوسل إلى الله بكل أسمائه الحسنى: ((... أسألك بكل اسم هو لك ...))(3) كما أن العلم بالربوبية والأسماء والصفات ملزم وموجب للإقرار لله بحق العبودية، وهو المعبر به عند أهل العلم بدعاء العبادة وهو نظير لدعاء المسألة السالف الذكر ويوضح هذا الوجه وصف الله تعالى لأنبيائه وحالهم مع عبادته بعد أن قص علينا خبر دعائهم إياه كشف الضر والنصر على الأعداء وأن يهبهم الذرية تخلفهم من بعدهم... قال عن حالهم مع العبادة له وحده كما في سورة الأنبياء: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [سورة الأنبياء:90]، هذه «جملة واقعة موقع التعليل للجمل المتقدمة في الثناء على الأنبياء المذكورين، وما أوتوه من النصر، واستجابة الدعوات، والإنجاء من كيد الأعداء، وما تبع ذلك ... وحرف التأكيد مفيد معنى التعليل والتسبب، أي ما استحقوا ما أوتوه إلا لمبادرتهم إلى مسالك الخير وجدهم في تحصيلها. وأفاد فعل الكون أن ذلك كان دأبهم وهجيراهم.» (4) فسبحان من عرفه الخلق بآياته ومخلوقاته وعلمهم من أسمائه وصفاته ما به يتقربون إليه، وسبحان من إذا شكر بالعبادة

(1) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في "صحيحه" (4 / 106) برقم: (3194)، ومسلم في "صحيحه" (8 / 95) برقم: (2751).

(2) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في "صحيحه" (7 / 121) برقم: (5671)، ومسلم في "صحيحه" (8 / 64) برقم: (2680)

(3) أخرجه أحمد في "مسنده" (246/6) برقم: (3712)، (341/7) برقم: (4318). وضعفه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه على المسند.

(4) محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (17/ 136)

زاد في الفضل والنعم. كما يستفاد من هذا معرفة طريقة القرآن الكريم في التدليل على العبودية كقيمة من القيم العلمية النظرية والعملية العليا التي يجب صرفها خالصة لله من دون ما سواه فإنه «يكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جل وعلا على وجوب توحيد في عبادته؛ ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير، فإذا أقروا بربوبيته احتج بها عليهم على أنه هو المستحق لأن يعبد وحده، ووبخهم منكرا عليهم شركهم به غيره، مع اعترافهم بأنه هو الرب وحده؛ لأن من اعترف بأنه هو الرب وحده لزمه الاعتراف بأنه هو المستحق لأن يعبد وحده»[1]، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة يونس:31]، فلما أقروا بربوبيته وبخهم منكرا عليهم شركهم به غيره، بقوله: فقل أفلا تتقون ... ونظير هذه الآيات في الباب كثيرة [2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (3/ 490 ط عطاءات العلم).

(2) ينظر: المرجع نفسه، (3/ 490 وما بعدها/ ط عطاءات العلم).

المطلب الثالث: القيم في الشرائع القرآنية

وتظهر قيم القرآن في الجانب التشريعي في الفضائل التي تثمرها تشريعاته فهي عدل ورحمة وهدى ونور للناس ففي الآية الواحدة منه يجمع الله تشريعات فيها من قيم الفرد والمجتمع ما يبهر العقول بحسن نظامها وسلامة تركيبها بما يتفق مع الفطرة البشرية وبديع صورتها التي تظهر بها لقارئ القرآن المتدبر له الفقيه لمعناه الخبير بمقاصده، كما في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [سورة البقرة:177]. عدد بعض أهل التفسير الفضائل التي حوتها وأثمرتها هذه التشريعات التي ذكرت في الآية الكريمة فقال: «فلله هذا الاستقراء البديع الذي يعجز عنه كل خطيب وحكيم غير العلام الحكيم. وقد جمعت هذه الخصال جماع الفضائل الفردية والاجتماعية الناشئ عنها صلاح أفراد المجتمع من أصول العقيدة وصالحات الأعمال. فالإيمان وإقام الصلاة هما منبع الفضائل الفردية، لأنهما ينبثق عنهما سائر التحليات المأمور بها، والزكاة وإيتاء المال أصل نظام الجماعة صغيرها وكبيرها، والمواساة تقوى عنها الأخوة والاتحاد وتسدد مصالح للأمة كثيرة ويبذل المال في الرقاب يتعزز جانب الحرية المطلوبة للشارع حتى يصير الناس كلهم أحرارا، والوفاء بالعهد فيه فضيلة فردية وهي عنوان كمال النفس، وفضيلة اجتماعية وهي ثقة الناس بعضهم ببعض.» (1)

وإحصاء كامل القيم في شتى تشريعات القرآن أمر يطول بحثه ففي كل جزئية من تشريعاته تظهر قيم كثيرة من كل الجوانب وفي شتى مجالات الحياة، ولكن حسبنا أننا «إذا نحن استقرينا موارد الشريعة الإسلامية الدالة على مقاصدها من التشريع استبان لنا – من كليات دلائلها، ومن جزئياتها المستقراة – أن المقصد العام من التشريع فيها هو حفظ نظام الأمة، واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو نوع الإنسان. ويشمل صلاحه وصلاحَ عقله وصلاحَ عمله وصلاحَ ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه، قال الله تعالى حكاية عن رسوله شعيب وتنويهاً به: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا

(1) محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (132/2).

ﭐلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [سورة هود:88]، فعلمنا أنّ الله أمر ذلك الرسول بإرادة الإصلاح بمنتهى الاستطاعة، وقال: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [سورة الأعراف:142]، وقال: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤﴾ [سورة القصص:4]»[1]، فاعل بها من قيم تحفظها الشريعة الإسلامية للإنسانية جميعا في كل شؤون الفرد والمجتمع إذ غاية ما في القيم هو رعاية الإنسانية التي أكرم الله بها بني آدم وتعزيزها بما هو صلاح لها.

والمصالح التي عليها مدار الشرائع الربانية كما دل عليه استقراء علماء الأمة وتقصيهم ثلاثة[2]؛ الأولى: درء المفاسد المعروف عند أهل الأصول بالضروريات، والثانية: جلب المصالح، المعروف عند أهل الأصول بالحاجيات، والثالثة: الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، المعروف عند أهل الأصول بالتحسينيات والتتميمات. وكل هذه المصالح الثلاث هدى فيها القرآن العظيم للطريق التي هي أقوم الطرق وأعدلها، فالضروريات التي هي درء المفاسد إنما هي درؤها عن ستة أشياء[3]:

الأول: الدين، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعدلها، فجعل الدين تكرمة لبني آدم وجعل مناط الصلاح والفلاح والنعيم واللذة والسرور بقدر ما يحصله الإنسان من الهدى والعلم والعمل الصالح وقال الله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ۝١٢٤﴾ [سورة طه:124] ولا شيء يعطيه الله لبني آدم تكرمة لهم في الدنيا والآخرة أحب إليهم من الإيمان به ومحبتهم له وحاجتهم إليه في عبادتهم له ... وتلك هي الغاية المقصودة التي بها سعادتهم وفوزهم. حفظه الله تعالى بإيجاب التفقه فيه على طائفة من المؤمنين ترجع لهم الأمة في سائر شؤونها ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ۝١٢٢﴾ [سورة التوبة:122]، وحفظ الله تعالى الدين بالتحذير من الشرك وسد الذرائع أمام كل ما يؤدي إليه ومدار

---

(1) محمد الطاهر بن عاشور، "مقاصد الشريعة الإسلامية" (3/ 194)

(2) ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (3/ 532 وما بعدها / ط عطاءات العلم)

(3) المرجع نفسه، (3/ 532 وما بعدها / ط عطاءات العلم) بتصرف

ذلك على ثلاثة أصول هي الإخلاص لله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [سورة البينة:5] وموافقة الهدى والدين الحق الذي أوحي به إلى النبي الخاتم محمد ﷺ ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [سورة الأحزاب:21]، وثالثة الأصول المحبة والتعظيم لله جل وعلا ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [سورة البقرة:165]، وما شرع القتال في الإسلام إلا صيانة للدين من أن يفتن عنه الناس كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ [سورة البقرة:193]...[1].

الثاني: النفس، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليها بأقوم الطرق وأعدلها، ولذلك أوجب القصاص درءا للمفسدة عن الأنفس، كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ الآية [سورة البقرة:179]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾ [سورة البقرة:178]، وقال: ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ﴿وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ﴾ الآية [سورة الإسراء:33]، وحسبنا هنا بحث ودراسة –على سبيل الإيجاز- قيم تظهر في جانب واحد من جوانب تشريعه؛ كثر الحديث عنه وعن كونه من قيم الإنسانية من قبل العدو والصديق ألا وهو جانب الحدود و التعزيرات الشرعية؛ ويعد (حد القصاص) أكثرها جلبا للجدل والحديث. وهو من «قاصصته مقاصة وقصاصا من باب قاتل إذا كان لك عليه دين مثل ما له عليك فجعلت الدين في مقابلة الدين مأخوذ من اقتصاص الأثر ثم غلب استعمال القصاص في قتل القاتل وجرح الجارح وقطع القاطع ... وأقص السلطان فلانا إقصاصا قتله قودا وأقصه من فلان جرحه مثل جرحه واستقصه سأله أن يقصه»[2] والقصاص من الحدود التي أمر الله تبارك وتعالى بتطبيقها وإعمالها وجعلها الله جزاءا وفاقا لمن سولت له نفسه فتعدى على إنسانية واحد من بني آدم فأذهبها بالكلية بإزهاق روحه من غير وجه حق معتبر شرعا؛ والقصاص من أول ما جاءت به الشريعة الإسلامية بعد الهجرة، وهو صنف من التشريع لأحكام ذات بال في صلاح المجتمع الإسلامي واستتباب نظامه وأمنه حين صار المسلمون بعد الهجرة جماعة ذات استقلال بنفسها ومدينتها، والآيات الواردة في

(1) ينظر: سميح عبد الوهاب الجندي، "مقاصد الشريعة عند ابن القيم الجوزية"، ص85-107.

(2) الفيومي، "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير" (2/ 505).

النص على أحكام القصاص كانت من أول ما أنزل بالمدينة عام الهجرة كما ذكره المفسرون[1]، وتبرز قيمة هذا التشريع في كونه كابح لانتشار جريمة القتل؛ فالقصاص: تتبع الدم بالقود [2]والإنسان إذا غضب وهم بأن يقتل إنسانا آخر فتذكر أنه إن قتله قتل به، خاف العاقبة فترك قتله، وحيي هو، لأنه لم يقتل فيقتل قصاصا، أي أن القصاص يكبح القتل ابتداء ويمنع توسع دائرة القتل بعد وقوعه بله ويمنع نشوب النزاعات و الحروب بين الناس، فقتل القاتل يحيا به ما لا يعلمه إلا الله كثرة كما ذكرنا، قال تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [سورة البقرة:179]، ولا شك أن هذا من أعدل الطرق وأقومها، ولذلك يشاهد في أقطار الدنيا قديما وحديثا قلة وقوع القتل في البلاد التي تحكم بكتاب الله؛ لأن القصاص رادع عن جريمة القتل. كما ذكره الله في الآية المذكورة آنفا[3]. والملاحظ في هذه الآية أن الله تبارك وتعالى خص بالنداء أولي الألباب وهم العقلاء اللذين يعرفون العواقب ويعلمون جهات الخوف[4] لأنهم وحدهم اللذين يمعنون النظر ويتعقلون ما في الآيات التشريعية من الحكم الباهرة التي تحير العقول وتهدي إلى أقوم السبل لاستمرار الحياة ونفي الهلاك المترتب عن الإسراف في القتل كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الإسراء:33]، وذكر كون القصاص فيه حياة فيه «بيان الأسباب والحكم لوضع الأحكام العملية، كإقامة البراهين والدلائل للمطالب العقلية، بهذه يعرف الحق من الباطل، وبتلك يعرف العدل وما يتفق مع المصالح»[5] ولا شك أن من تعقل حكم هذا التشريع ونظر في مقاصده فإنه بذلك يدرك أن الحكم « أوقع في النفس وأبعث على المحافظة عليه، وأدعى إلى الرغبة في العمل به»[6] وبهذا يدفع الاعتراض عن مثل هذا الحد بكمثل «ما يزعمه أعداء الإسلام من أن القصاص غير مطابق للحكمة؛ لأن فيه إقلال عدد المجتمع بقتل إنسان ثان بعد أن مات الأول، وأنه ينبغي أن يعاقب بغير القتل فيحبس، وقد يولد له في الحبس فيزيد المجتمع. كله كلام ساقط، عار من الحكمة؛ لأن الحبس لا يردع

---

(1) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (2/ 134).

(2) محمد علي الصابوني، "روائع البيان تفسير آيات الأحكام" (1/ 169).

(3) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان" (32/3).

(4) جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل" (11/2).

(5) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (105/2).

(6) المرجع نفسه (105/2).

الناس عن القتل، فإذا لم تكن العقوبة رادعة فإن السفهاء يكثر منهم القتل، فيتضاعف نقص المجتمع بكثرة القتل»[1] والله تعالى يوصي عباده في كتابه العزيز بتحقيق مثل هذه المقاصد كما قال ﷻ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [سورة الأعراف:56]، فالقصاص لم يكن شريعة عبثية تفسد أحوال البشر ولم تراعي فيهم عواطفهم الإنسانية كما يروج له أعداء الديانات وإنما هو في المآل يعود على الخصائص الإنسانية بالحفظ والحراسة من الضياع.

الثالث: **العقل**، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعدلها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة المائدة:90]، وللمحافظة على العقل أوجب النبي ﷺ حد الشارب درءا للمفسدة عن العقل[2].

الرابع: **النسب**[3]، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعدلها، ولذلك حرم الزنى وأوجب فيه الحد الرادع، وأوجب العدة على النساء عند المفارقة بطلاق أو موت، لئلا يختلط ماء رجل بماء آخر في رحم امرأة محافظة على الأنساب؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الإسراء:32]، ونحو ذلك من الآيات، وقال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ الآية [سورة النور:2]، وقال تعالى في إيجاب العدة حفظا للأنساب: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ الآية [سورة البقرة:228]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [سورة البقرة:234] وإن كانت عدة الوفاة فيها شبه تعبد لوجوبها مع عدم الخلوة بين الزوجين، ولأجل المحافظة على النسب منع سقي زرع الرجل بماء غيره؛ فمنع نكاح الحامل حتى تضع، قال تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [سورة الطلاق:4]. والفاحشة من الآفات الاجتماعية التي تشوف الشارع إلى تطهير المجتمع منها وحد دونها حدودا وسد الذرائع الموصلة إليها ابتداء حيث قال الله تعالى في حق رجال المؤمنين: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ

(1) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان" (32/3 ط دار الفكر).

(2) ينظر المرجع نفسه (32/3 وما بعدها ط دار الفكر) بتصرف يسير.

(3) ينظر المرجع نفسه (32/3 وما بعدها ط دار الفكر) بتصرف.

﴿وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [سورة النور:30] وقال تعالى في حق النساء ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ [سورة النور:31].

ورتب على التعدي على أعراض الناس بجريمة الزنا زواجر رادعة مانعة من انتشارها، لكن جعل العقوبة المترتبة على هتك أعراض الناس تختلف باختلاف حال من وقع في هذا الجرم؛ «من هدي القرآن للتي هي أقوم: رجم الزاني المحصن ذكرا كان أو أنثى، وجلد الزاني البكر مائة جلدة ذكرا كان أو أنثى»(1) ففرق الله تبارك وتعالى في إقامة الحد بين المحصن وغير المحصن، فجعل الجلد لغير المحصن وضاعف العقوبة للمحصن إلى حد القتل رجما. وهذا ما يبين أن مقصد الشارع مقصود شريف يعتني بمصلحة الجماعة بما يقطع طمع الطامعين في تدنيس أعراض الناس باختلاف أحوالهم فـ«غلظ جل وعلا عقوبة المحصن بالرجم تغليظا أشد من تغليظ عقوبة البكر بمائة جلدة؛ لأن المحصن قد ذاق عسيلة النساء، ومن كان كذلك يعسر عليه الصبر عنهن، فلما كان الداعي إلى الزنى أعظم، كان الرادع عنه أعظم وهو الرجم»(2). أما الرجم: فهو منصوص بآية منسوخة التلاوة باقية الحكم، وظاهر هذا الحد من حدود الله أنه ينافي الفطرة ويخدش الإنسانية لأنه يلغي صفة الرحمة منها بما ينقض سمة الإنسانية في القيم القرآنية في الدين الإسلامي «والملحدون يقولون: إن الرجم قتل وحشي لا يناسب الحكمة التشريعية، ولا ينبغي أن يكون مثله في الأنظمة التي يعامل بها الإنسان، لقصور إدراكهم عن فهم حكم الله البالغة في تشريعه. والحاصل: أن الرجم عقوبة سماوية معقولة المعنى؛ لأن الزاني لما أدخل فرجه في فرج امرأة على وجه الخيانة والغدر، فإنه ارتكب أخس جريمة عرفها الإنسان بهتك الأعراض، وتقذير الحرمات، والسعي في ضياع أنساب المجتمع الإنساني، والمرأة التي تطاوعه في ذلك مثله، ومن كان كذلك فهو نجس قذر لا يصلح للمصاحبة، فعاقبه خالقه الحكيم الخبير بالقتل ليدفع شره البالغ غاية الخبث والخسة، وشر أمثاله عن المجتمع، ويطهره هو من التنجيس بتلك القاذورة التي ارتكب، وجعل قتلته أفظع قتلة؛ لأن جريمته أفظع جريمة، والجزاء من جنس العمل»(3). ولا يعني تقرير أهل العلم أن مقصود الشرع هو تطهير المجتمع من هذه الرذيلة والقيم السلبية أنه قطع الطريق أمام مقترف هذا الجرم وأخرجه من دائرة الانتماء الإنساني إلى صنف المنبوذين ممن قاربوا جنس المخلوقات

(1) محمد الأمين الشنقيطي؛ "أضواء البيان"، (36/3 ط دار الفكر).

(2) المرجع نفسه، (37/3 ط دار الفكر).

(3) المرجع نفسه، (36/3-37 ط دار الفكر).

الوحشـية؛ لا! والله ﷺ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [سـورة البقرة:222]، وقال تعالى: ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [سورة الزمر:53]. ولا شك أن الزاني مذنب قد جعل الله له من ذنبه مخرجا وطهرا وإلى هذا المعنى أشـــار محمد الأمين الشـــنقيطي فقال: «وقد دل الشرع المطهر على أن إدخال الفرج في الفرج المأذون فيه شرعا يوجب الغسل، والمنع من دخول المسجد على كل واحد منهما حتى يغتسل بالماء، فدل ذلك أن ذلك الفعل يتطلب طهارة في الأصـل، وطهارته المعنوية إن كان حراما قتل صـاحبه المحصـن، لأنه إن رجم كفر ذلك عنه ذنب الزنى، ويبقى عليه حق الآدمي؛ كالزوج إن زنى بمتزوجة، وحق الأولياء في إلحاق العار بهم»[1]. والقيمة الاجتماعية المنوطة بحد الزاني والزنية إذا كانا غير محصنين فيبينها الشنقيطي كذلك بقوله: «وأما جلد الزاني البكر ذكرا كان أو أنثى مائة جلدة فهذا منصـوص بقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾ الآية[سورة النور:2]؛ لأن هذه العقوبة تردعه وأمثاله عن الزنى، وتطهره من ذنب الزنى ... وتشـريع الحكيم الخبير جل وعلا مشـتمل على جميع الحكم من درء المفاسـد وجلب المصـالح، والجري على مكارم الأخلاق، ومحاسـن العادات، ولا شـك أن من أقوم الطرق معاقبة فظيع الجناية بعظيم العقاب جزاء وفاقا»[2].

الخامس: العرض، العرض في عرف الشـــرع أوســـع منه فيما تعارف عليه الناس في واقع ثقافاتهم المختلفة، إذ هو عندهم أهل الرجل وخاصته ممن يمثلون حرماته وفي اصطلاح الشرع هو كل ما يذكر به الرجل فيزينه أو يذم به فيشـينه. وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعدلها، فنهى المسـلم عن أن يتكلم في أخيه بما يؤذيه، وأوجب عليه إن رماه بفرية حد القذف ثمانين جلدة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾ [سـورة الحجرات:12]، وقبح جل وعلا غيبة المسـلم غاية التقبيح بقوله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ﴾ [سورة الحجرات:12]، وقال: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سـورة الحجرات:11]، وقال في إيجاب حد القاذف: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ

(1) "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (3/ 517 ط عطاءات العلم).

(2) المرجع نفسه، (3/ 517 ط عطاءات العلم).

ﭐلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾ [سورة النور:4-5] [1].

السادس: المال[2]، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعدلها، ولذلك منع أخذه بغير حق شرعي، وأوجب على السارق حد السرقة وهو قطع اليد كما تقدم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ﴾ [سورة النساء:29]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٨﴾ [سورة البقرة:188]، وقال: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾ [سورة المائدة:38]، وكل ذلك محافظة على المال ودرءا للمفسدة عنه. ومن الحدود التي انفرد بها التشريع السماوي وتظهر فيها حكمة الله تعالى من حفظ نظام العالم من أن تعبث به يد عابث، وهو خاص بجانب حفظ أموال الناس من أن تمتد إليها أيدي الخائنين، وسد لذريعة الفساد في الأرض وتعطل تحرك رؤوس الأموال بما ينفع الناس فـــ«من هدي القرآن للتي هي أقوم: قطع يد السارق المنصوص عليه بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾ [سورة المائدة:38]، وقال النبي ﷺ: ((لو سرقت فاطمة لقطعت يدها))[3]»[4] ومقصود الشارع من قطع يد السارق هو استئصال آفة السرقة من المجتمع ليسود الأمن ويطمئن الناس على أموالهم فيسهل نقل رؤوس أموالهم وتنميتها، وهذا ما يشير إليه قول الله تعالى (نكالا من الله) أي نكالا وعبرة لغيرهما فاتضح أن «الحكمة في قطع اليد في السرقة، أن ذلك حفظ للأموال، واحتياط

(1) ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (3/ 534 ط عطاءات العلم). بتصرف

(2) ينظر: المرجع نفسه، (3/ 534 ط عطاءات العلم). بتصرف

(3) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في "صحيحه" (3 / 170) برقم: (2648) ومسلم في "صحيحه" (5 / 114) برقم: (1688).

(4) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، (3/32 ط دار الفكر).

لها، وليقطع العضو الذي صدرت منه الجناية»[1] وفي هذا الحكم حث للناس على استعمال طاقاتهم البشـرية التي أنعم الله بها عليهم فيما يرضـي الله ويعود على الفرد والمجتمع بالخير العميم، لا أن تعطل عن ذلك كله وتستخدم في غير ما خلقت له بل فيما يجعل صاحبها يلحق بصنف المفسدين في الارض لذا قال الله تبارك وتعالى ﴿جزاء بما كسبا﴾ «وذلك أن هذه اليد الخبيثة الخائنة، التي خلقها الله لتبطش وتكتسب في كل ما يرضيه من امتثال أوامره واجتناب نهيه، والمشاركة في بناء المجتمع الإنساني، فمدت أصابعها الخائنة إلى مال الغير لتأخذه بغير حق، واستعملت قوة البطش المودعة فيها في الخيانة والغدر، وأخذ أموال الناس على هذا الوجه القبيح، يد نجسة قذرة، ساعية في الإخلال بنظام المجتمع، إذ لا نظام له بغير المال، فعاقبها خالقها بالقطع والإزالة؛ كالعضو الفاسد الذي يجر الداء لسائر البدن، فإنه يزال بالكلية إبقاء على البدن وتطهيرا له من المرض، ولذلك فإن قطع اليد يطهر السارق من دنس ذنب ارتكاب معصية السرقة، مع الردع البالغ بالقطع عن السرقة»[2] ويظهر في حد السرقة بقطع اليد إشكالان يوردهما كثير ممن يريد التشويش على القرآن الكريم منذ القدم، وأجاب عنها أهل العلم. **الإشكال الأول**؛ كيف تقطع يد السارق في نصاب محدود وإن اختلف فيه الفقهاء فهو لا يتجاوز ربع دينار على أعلى تقدير[3] مع أن دية اليد هي نصف دية القتل ودية القتل ألف دينار ذهبي فتكون دية اليد خمسمائة دينار[4]، يورد محمد الأمين الشنقيطي هذا الإشكال ويجيب عنه فيقول: « ... عرف من الشرع أن اليد فيها نصف الدية، ودية الذهب ألف دينار. فتكون دية اليد خمسمائة دينار، فكيف تؤخذ في مقابلة ربع دينار؟ وما وجه العدالة والإنصاف في ذلك. فالجواب: أن هذا النوع من اعتراضات الملحدين اللذين لا يؤمنون بالله ورسوله، هو الذي نظمه المعري بقوله:

يد بخمس مئين عسجد وديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار

وللعلماء عنه أجوبة كثيرة نظما ونثرا؛ منها قول القاضي عبد الوهاب مجيبا له في بحره ورويه:

عز الأمانة أغلاها وأرخصها ... ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

وقال بعضهم: لما خانت هانت. ومن الواضح: أن تلك اليد الخسيسة الخائنة لما تحملت رذيلة السرقة وإطلاق اسم السرقة عليها في شيء حقير كثمن المجن والأترجة، كان من المناسب المعقول أن

(1) عبد الرحمن السعدي،"تيسير الكريم الرحمن" ص231.

(2) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، (3/32-33 ط دار الفكر)

(3) ينظر: ابن جزي، "القوانين الفقهية"، ص590 وما بعدها.

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص577.

تؤخذ في ذلك الشيء القليل، الذي تحملت فيه هذه الرذيلة الكبرى.»[1] فواضح أن الشارع الحكيم تشوف في التشريع إلى مراعاة القيم وحفظها فغلظ في عقوبة الخيانة للمجتمع والتي تعد من القيم السلبية التي تضر بتلاحم المجتمع وتعطل السير الحسن لمصالحه وإن قلت قيمة ما يخون به مجتمعه وتشوف لقيمة حفظ النفوس وحفظ إنسانية الإنسان فغلظ في دية اتلاف عضو من أعضائه مهما كان. فالقرآن يرفع من درجة مكارم الأخلاق، ويحث على التنزه عما لا يليق، وقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدا يدل على أن التشريع السماوي يضع درجة الخائن ويحطها هذا الحط العظيم لدرجته بسبب ارتكاب الرذائل. قال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة: «ثم إنا أجبنا عن هذا الطعن بأن الشرع إنما قطع يده بسبب أنه تحمل الدناءة والخساسة في سرقة ذلك القدر القليل، فلا يبعد أن يعاقبه الشرع بسبب تلك الدناءة بهذه العقوبة العظيمة»[2]. **الإشكال الثاني**: قال محمد الأمين الشنقيطي: «وقد استشكل بعض الناس قطع يد السارق في السرقة خاصة دون غيرها من الجنايات على الأموال، كالغصب، والانتهاب، ونحو ذلك»[3]. وظاهر هذا الإشكال أن الشرع فرق بين المتماثلات في إقامة الحد فالمتبادر للذهن جريا على قواعد القياس أن يكون كل اتلاف لأموال الناس فعقوبته تكون من جنس عقوبة السرقة لاشتراكهما في نفس العلة وترتب نفس الضرر من كل تلك الجنايات. و«شرح ذلك: أن الدية لو كانت ربع دينار لكثرت الجنايات على الأيدي، ولو كان نصاب القطع خمسمائة دينار لكثرت الجنايات على الأموال، فظهرت الحكمة في الجانبين، وكان في ذلك صيانة من الطرفين»[4]. فجلي واضح أن المعتبر في التشريع الإسلامي هو صيانة القيم والمثل في النظام الاجتماعي وليس معتبرا البتة الانتقام من نفس الشخص الجاني.

المصلحة الثانية:[5] جلب المصالح، وقد جاء القرآن بجلب المصالح بأقوم الطرق وأعدلها، ففتح الأبواب لجلب المصالح في جميع الميادين، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الجمعة:10]، وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [سورة البقرة:198]، وقال: ﴿مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ

(1) ا محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، (35/3 ط دار الفكر)

(2) فخر الدين الرازي، "مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير" (11/ 354).

(3) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، (36/3 ط دار الفكر).

(4) المرجع نفسه، (36/3 ط دار الفكر).

(5) ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (3/ 535 ط عطاءات العلم)، بتصرف يسير.

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ﴾ [سورة المزمل:20]، وقال: ﴿بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ﴾ [سورة النساء:29] ولأجل هذا جاء الشرع الكريم بإباحة المصالح المتبادلة بين أفراد المجتمع على الوجه المشروع، ليستجلب كل مصلحته من الآخر، كالبيوع والإجارات والأكرية والمساقاة والمضاربة، وما جرى مجرى ذلك.

المصلحة الثالثة:[1] الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، وقد جاء القرآن بذلك بأقوم الطرق وأعدلها، والحض على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات كثير جدا في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولذلك لما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ قالت: (كان خلقه القرآن)[2] لأن القرآن يشتمل على جميع مكارم الأخلاق؛ لأن الله تعالى يقول في نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [سورة القلم:4]، فدل مجموع الآية وحديث عائشة على أن المتصف بما في القرآن من مكارم الأخلاق: أنه يكون على خلق عظيم، وذلك لعظم ما في القرآن من مكارم الأخلاق، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ الآية [سورة البقرة:237]، في هذه الآية الحض على مكارم الأخلاق من الأمر بالعفو والنهي عن نسيان الفضل، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْ﴾ الآية [سورة المائدة:2] وقال تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [سورة المائدة:8]، وقال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ﴾ [سورة النساء:36]، في هذه الآيات من القيم الأخلاقية أعلاها كالأمر بالإحسان إلى المحتاجين والضعفاء، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [سورة

---

(1) "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (3/ 535 وما بعدها/ ط عطاءات العلم)، بتصرف يسير.

(2) أخرجه مسلم في "صحيحه" (2 / 168) برقم: (746)، (2 / 170) برقم: (746)، (2 / 170) برقم: (746)، (2 / 170) برقم: (746)، (2 / 171) برقم: (746)، (2 / 171) برقم: (746).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

النحل:90]، وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ الآية [سورة الأعراف:31]، وقال: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ﴾ [سورة الأنعام:151]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾ [سورة الفرقان:72]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ٥٥﴾ [سورة القصص:55] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ما يدعو إليه القرآن من مكارم الأخلاق، ومحاسن العادات.

المطلب الرابع: القيم في النظام الاجتماعي القرآني

يبين محمد البشير الإبراهيمي القيمة الكبرى في القرآن الكريم فيما يخص تقوية الروابط الاجتماعية بين أفراد المسلمين قاطبة فيقول: «أي شباب الإسلام؛ إن الأوطان تجمع الأبدان، وإن اللغات تجمع الألسنة، وإنما الذي يجمع الأرواح ويؤلفها ويصل بين نكرات القلوب فيعرفها هو الدين، فلا تلتمسوا الوحدة في الآفاق الضيقة ولكن التمسوها في الدين والتمسوها من القرآن تجدوا الأفق أوسع، والدار أجمع، والعديد كثير، والقوى أوفر»(1)، وبهذا يتبين أن الجامعة الإسلامية هي صورة راقية للترابط الروحي قبل البدني وهي جامعة أكثر رقيا —في جوهرها ومظهرها– من تلك الصور التي تمثل فكرة التآلف والتناصر بين جميع البشر من عهد نشأتهم في هذه الأرض، إذ أن الرابطة التي تربط الناس في الدول والمجتماعات في سائر المعمورة منذ القدم لا تخرج عن ثلاث: إما رابطة القوة والقهر كما هو الشأن في مختلف الإمبراطوريات الكبرى، أو رابطة المصالح المشتركة وهي في جملتها مصالح مادية تنقضي تلك الروابط بانقضاء المصالح، وإما روابط قومية عرقية عنصرية فهي للإنسان كبيت العنكبوت وهنا وهشاشة، «ومن هدي القرآن للتي هي أقوم هديه إلى أن الرابطة التي يجب أن يعتقد أنها هي التي تربط بين أفراد المجتمع، وأن ينادى بالارتباط بها دون غيرها إنما هي دين الإسلام، لأنه هو الذي يربط بين أفراد المجتمع حتى يصير بقوة تلك الرابطة جميع المجتمع الإسلامي كأنه جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فربط الإسلام لك بأخيك كربط يدك بمعصمك، ورجلك بساقك، كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن مثل المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))(2). ولذلك يكثر في القرآن العظيم إطلاق النفس وإرادة الأخ تنبيها على أن رابطة الإسلام تجعل أخا المسلم كنفسه، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ الآية [سورة البقرة:84]، ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [سورة النور:12]، أي بإخوانهم على أصح التفسيرين، وقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [سورة الحجرات:11]، أي إخوانكم على أصح التفسيرين، وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم﴾

---

(1) "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي" (1/ 163).

(2) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في "صحيحه" (1 / 20) برقم: (52) ، (3 / 53) برقم: (2051) ، ومسلم في "صحيحه" (5 / 50) برقم: (1599) ، (5 / 51) برقم: (1599) ، (5 / 51) برقم: (1599) ، (5 / 51) برقم: (1599).

[سورة البقرة:188]، أي لا يأكل أحدكم مال أخيه، إلى غير ذلك من الآيات»(1)، ويبين صاحب المنار فضل الإسلام على البشرية بأن وحدها في جميع أنواع الخطابات الإلهية وسعى إلى إزالة كل الفوارق الاجتماعية وألغى نظم الطبقية ووضع كل الكوابح أمام كل ما يؤدي إلى البغي والعدوان فيما بين بني الأجناس البشرية المختلفة فقال: «جاء الإسلام والبشر أجناس متفرقون. يتعادون فى الأنساب والألوان، واللغات والأوطان والأديان، والمذاهب والمشارب، والشعوب والقبائل، والحكومات والسياسات، يقاتل كل فريق منهم مخالفة فى شىء من هذه الروابط البشرية وإن وافقه فى البعض الآخر، فصاح الإسلام بهم صيحة واحدة دعاهم بها إلى الوحدة الإنسانية العامة، الجامعة، وفرضها عليهم، ونهاهم عن التفرق والتعادى وحرمه عليهم، وبيان هذا التفرق ومضاره بالشواهد التاريخية وبيان أصول الكتاب الإلهى وسنة خاتم النبيين فى الجامعة الإنسانية»(2)، و حاول ابن باديس أن يلفت انتباه البشرية إلى هذه الرابطة الإلهية التي أنعم بها على بني الإنسان ويبين ما تحتويه من حمولة قيمية تجعلها في صدارة الحلول التي تقضي على كل القيم السلبية التي يعاني منها المجتمع الإنساني ويحاول المرة بعد المرة فك الأغلال التي تطوق الانسان فتجعله عبدا للإنسان أو الأوهام والتخيلات الباطلة؛ «أيها البشر: في مثل هذا اليوم، ولد محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب فولدت الإنسانية ولادة جديدة وأشرق على الكون نور لم يلح من قبل، أضاء لبني آدم طريق العلم والعمل والحرية والسلام في حظيرة الإخاء العام، فعودوا بالذكرى، إلى حياة هذا الرجل الإنساني، كيف ارضعته بدوية عربية وحضنته أمة حبشية، وتبنى مملوكا رقيقا ثم اتخذه أخا ومولى، ثم عقد ألوية الإمارة للموالي على العرب، غير مرة، وأدنى بلالا الحبشي وسلمان الفارسي وصهيبا الرومي، لفضلهم وسابقتهم على كثير من كبراء العرب وساداتهم وذاق آلام الإنسانية في اليتم والفقر والفقد، وباشر العمل في الرعى وتاجر، وبلا الحياة في الشدة والرخاء والسلم والحرب، فقضى حياته يرفع طبقات وضعها الظلم والجهل، ويخفض طبقات رفعها الطغيان والجبروت حتى سوى بين بني آدم، في الكرامة البشرية، وأسقط اعتبار الأجناس والألوان في الأفضلية، وأعلن أن لا فضل لأحد على أحد إلا بتقوى الله، فعودوا إلى الأصول التي جاء بها هذا الرجل، إنها جربت، فصحت تجربتها، فقد بنيت عليها مدنية، ما في مدنية اليوم من خير هو من أثرها، ولن تسعد الإنسانية إلا بالاحترام والتسامح والتعاون وبالوفاء في التعاقد. وتلك أمهات مما جاء به، فاتبعوه تعيشوا في رغد آمنين»(3) نستشف من كلام هذا الإمام أن دين الإسلام

(1) محمد الأمين الشنقيطي، "ضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"(3/ 524 ط عطاءات العلم).
(2) محمد رشيد رضا، "الوحي المحمدي"، ص187.
(3) عبد الحميد بن باديس، "مجالس التذكير من حديث البشير النذير"، ص303-304.

هو أقوى الروابط التي تحمي حمى الإنسـانية من أن تنتهك كرامة واحد منها مهما كان جنسـه ولونه وأن دين الإسلام هو دين القيم كبيرها وصغيرها، تلك القيم التي لن يسعد الإنسان إلا بها ولن تكون هي في أكمل صورها مثل ما تكون في دين الإسـلام. والإسـلام جاء ليعزز بنيان المجتمع الإسـلامي بمختلف الروابط العقدية الإيمانية والروابط الأسـرية وروابط الجوار ... وفي المسـائل التالية جمل من أصول تلك القيم الاجتماعية القرآنية:

المسألة الأولى: الإسلام يلغي كل ما يعود على الرابطة الاجتماعية بالنقض

المسلم مطلوب منه وهو يعيش بين ظهراني إخوانه المسلمين أن يحذر من كل كلمة مفرقة من كل ما يثير عصبية للباطل وحمية جاهلية يدعو بها. وفوق هذا هو مطالب كذلك بأن ينكر على من صدر منه مثل هذه الدعاوى الجاهلية فلا يجيب من دعا إليها فإن بلاءا كثيراً حل بالمجتمعات من تلك الكلمات المفرقة. وإذا دعا فلتكن دعوته بالكلمات الجامعة التي تشعر بالأخوة العامة وتبعث على القيام بالواجب بأيد متشابكة وقلوب متحدة [1] فالرابطة التي تجمع أفراد المجتمع الإسلامي أقوى من أن تفرقها كلمة وأمتن من أن تقطعها عصبية قومية أو عرقية فما جمعته يد الله لا تفرقه يد عابث ولا حاقد متكبر ولا جاهل كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ﴾ [سورة الفتح:29]، ﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣﴾ [سورة الأنفال:63]. و«من الآيات الدالة على أن الرابطة الحقيقية هي الدين، وأن تلك الرابطة تتلاشى معها جميع الروابط النسبية والعصبية: قوله تعالى ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾ [سورة المجادلة:22]، إذ لا رابطة نسبية أقرب من رابطة الآباء والأبناء والإخوان والعشائر، وقوله: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ الآية [سورة التوبة:71]، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [سورة الحجرات:10]، وقوله: ﴿فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ الآية [سورة آل عمران:103]، إلى غير ذلك من الآيات، فهذه الآيات ومثيلاتها تدل على أن النداء برابطة أخرى غير الإسلام كالعصبية المعروفة بالقومية لا يجوز، ولا شك أنه ممنوع بإجماع

(1) عبد الحميد بن باديس، "مجالس التذكير من حديث البشير النذير"، ص92، بتصرف.

المسلمين»[1]. ويبين صاحب التحرير والتنوير قصور جميع الروابط التي تجمع بين مختلف الجماعات البشرية عن أن تبلغ ما بلغته رابطة الدين الإسلامي إذ أنها رابطة واسعة جدا وهي من الأواصر التي تمت إلى جانب الإنسانية؛ قال: «... إذا غصت بتفكيرك إلى شواهد العقل وقضايا الحكمة تجد جميع الأواصر والجوامع التي انتحاها البشر من وقت تكوين حضارته إلى وقت ظهور الإسلام هي أواصر موصوفة بنقصين عظيمين: **أولهما**؛ أن جميعها مرتكزة على الرابطة المادية الجسمانية لأن مرجعها إلى تسلسل الولادة من قريب أو من بعيد، **ثانيهما**؛ إنها أواصر قاصرة ويبدوا لك قصورها فاحشا أو مقتصدا بمقدار سعة مرجعها وضيقه، ومقدار صلوحيتها للدوام والطول، والاضمحلال والقصر، فآصرة العائلية آصرة ضعيفة جد الضعف لضيق انتشارها، وآصرة الصهر أوسع انتشارا وأوهن في الاعتبار ...»[2] وهذه الجامعة الإسلامية يستحيل أن تحل محلها جامعة أخرى مهما كانت للأسباب والاعتبارات السابقة، ولن تحل الجامعة البشرية محلها بأي حال من الأحوال لأنها جامعة لا يلتئم تحتها البشر لأن البشرية قد تختلف بالعقائد والأعمال فلا يرجى لهم توحد واجتماع واتفاق[3]؛ على عكس ما هم عليه من هم على دين الإسلام إذ يأمرهم الله تبارك وتعالى بالتوحد والاعتصام بما يجعل لحمتهم واحدة فيقول جل وعلا: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [سورة آل عمران:103].

المسألة الثانية: بطلان القوميات أمام رابطة الإسلام.

جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية))[4]. جاء في شرح الدعوة إلى العصبية الجاهلية؛ الدعوى الجاهلية أي ينادي قومه: يا لبني فلان[5] وهو الدعاء الذي كان يدعو به الجاهلية بنعرة العصبية لإثارة الحمية يدعو الرجل قومه لينصروه ولو على الباطل[6]، قال صاحب النهاية في غريب الحديث: (ما بال دعوى الجاهلية) هو قولهم: يال فلان، كانوا يدعون بعضهم بعضا عند الأمر

(1) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (3/ 525 ط عطاءات العلم).

(2) "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"، ص107.

(3) المرجع نفسه، ص108، بتصرف

(4) رواه أبو داود، رقم: (5121)، ضعفه شعيب الأرناؤوط في حاشيته على سنن أبي داود وقال" «لكن الحديث صحيح بمعناه». ينظر: ["سنن أبي داود" (7/ 441 ت الأرنؤوط)]

(5) محمد الطاهر بن عاشور، "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"، ص108.

(6) عبد الحميد بن باديس، "مجالس التذكير من حديث البشير النذير"، ص89.

الحادث الشديد»[1]، من هذا الأساس المتين الذي ينبني عليه المجتمع الإسلامي -مهما اتسع أو ضاق- بين علماء الدين خطورة ما يتنادى به بعض الناس اليوم من أبناء أمة الإسلام من التنادي بدعوى القومية هو أمر يناقض تمام النقض ما هم عليه من الانتماء إلى هذا الدين -على اختلاف أجناسهم وتباعد بلدانهم وتغاير ألسنتهم-، ولعل أبرز تلك الدعاوى في العصر الحديث هي دعوى القومية العربية، وجاء نكير أهل العلم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ أشد النكير، ولنتأمل ما في أضواء البيان من بيان لما عليه الأمر من خطورة فيقول: «رؤساء الدعاة إلى نحو هذه القومية العربية: أبو جهل، وأبو لهب، والوليد بن المغيرة، ونظراؤهم من رؤساء الكفرة. وقد بين تعالى تعصبهم لقوميتهم في آيات كثيرة كقوله: ﴿قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ الآية [سورة المائدة:104] وقوله: ﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ الآية [سورة البقرة:170]، وأمثال ذلك من الآيات، واعلم أنه لا خلاف بين العلماء في منع النداء برابطة غير الإسلام، كالقوميات والعصبيات النسبية، ولا سيما إذا كان النداء بالقومية يقصد من ورائه القضاء على رابطة الإسلام وإزالتها بالكلية، فإن النداء بها حينئذ معناه الحقيقي: أنه نداء إلى التخلي عن دين الإسلام، ورفض الرابطة السماوية رفضا باتا. فالعروبة لا يمكن أن تكون خلفا من الإسلام، واستبدالها به صفقة خاسرة. وقد علم في التاريخ حال العرب قبل الإسلام وحالهم بعده كما لا يخفى»[2].

المسألة الثالثة: الإسلام رابطة بين من في السماء والارض[3]

الحاصل -مما سبق من مسائل وأصول- أن الرابطة الحقيقية التي تجمع المفترق من الجنسيات والقوميات المختلفة وتؤلف بين المختلف من الرؤى والفلسفات هي رابطة (لا إله إلا الله)؛ هذه الرابطة التي تجعل المجتمع الإسلامي كله كأنه جسد واحد، وتجعله كالبنيان يشد بعضه بعضا، عطفت قلوب حملة العرش ومن حوله من الملائكة على بني آدم في الأرض مع ما بينهم من الاختلاف، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ

---

(1) ابن الأثير، "النهاية في غريب الحديث والأثر" (2/ 120).

(2) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، (3/ 528 ط عطاءات العلم).

(3) ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، (3/ 531 وما بعدها /ط عطاءات العلم) بالتصرف.

وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [سورة غافر:7-9]، أشار سبحانه وتعالى إلى أن الرابطة التي ربطت بين حملة العرش ومن حوله، وبين بني آدم في الأرض حتى دعوا الله لهم هذا الدعاء الصالح العظيم، إنما هي الإيمان بالله جل وعلا؛ لأنه قال عن الملائكة: ويؤمنون به فوصفهم بالإيمان، وقال عن بني آدم في استغفار الملائكة لهم: ويستغفرون للذين آمنوا فوصفهم أيضا بالإيمان، فدل ذلك على أن الرابطة بينهم هي الإيمان، وهو أعظم رابطة وهي من الله سبحانه وتعالى أكرم منة لبني آدم أن جعل لهم ذكرا محمودا على لسان ملائكته عنده سبحانه. ومما يوضح أن الرابطة الحقيقية هي دين الإسلام في سيرة النبي القدوة ﷺ ما جاء في قوله تعالى في أبي لهب عم النبي ﷺ: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾﴾ [سورة المسد:3] ويقابل ذلك بما لسلمان الفارسي من الفضل والمكانة عند النبي ﷺ والمسلمين، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال فيه: ((سلمان منا أهل البيت))(1) وفي هذا المعنى ذو الطابع الوجداني الجمالي في نظام الاجتماع الإسلامي يقول الشاعر مبينا اللحمة الإسلامية الدينية التي تطغى باذن الله على كل العصبيات:

لقد رفع الإسلام سلمان فارس … وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب

وقد أجمع العلماء: على أن الرجل إن مات وليس له من القرباء إلا ابن كافر، أن إرثه يكون للمسلمين بأخوة الإسلام، ولا يكون لولده لصلبه الذي هو كافر، والميراث دليل القرابة، فدل ذلك على أن الأخوة الدينية أقرب من البنوة النسبية. وفي مجمل القول ومتينه يقال: لا خلاف بين المسلمين أن الرابطة التي تربط أفراد أهل الأرض بعضهم ببعض، وتربط بين أهل الأرض والسماء، هي رابطة (لا إله إلا الله)، فلا يجوز البتة النداء برابطة غيرها. ولا يمنع كون الإسلام يمثل الرابطة الأساس بين من يدينون به أفراده من بذل الخير والإحسان إلى غيرهم من الشعوب والملل الأخرى معتزين بالحق منضبطين بقيم العدل والرحمة وباذلين الخير والنصح للجميع، و«قد بين الله جل وعلا في محكم كتابه: أن الحكمة في جعله بني آدم شعوبا وقبائل هي التعارف فيما بينهم، وليست هي أن يتعصب كل شعب على غيره، وكل قبيلة على غيرها، قال جل

(1) أخرجه الطبراني في "الكبير" (6 / 212) برقم: (6040)، قال الألباني: «ضعيف جداً» وذكر الألباني -كذلك- في (ضعيف الجامع) أنه صح موقوفاً على علي بن أبي طالب رضي الله عنه» ينظر: ["سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة" (8/ 176) و "تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن"ص491].

وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [سورة الحجرات:13]، فاللام في قوله: لتعارفوا لام التعليل، والأصل لتتعارفوا، فالتعارف هو العلة المشتملة على الحكمة لقوله: وجعلناكم شعوبا وقبائل.

المسألة الرابعة: انتفاع المسلم بنسبه

ومن جانب آخر -غير الذي سبق- لا يخفى على ناظر في أصول الإسلام من الكتاب والسنة؛ كيف راعى الإسلام ما جبل عليه الإنسان من الرابطة التي بين الإنسان وبين من هم رحمه ونسبه، واعتد بها في كثير من العلاقات الاجتماعية من مثل الإحسان إلى الوالدين وإن كانا كافرين كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ﴾ [سورة لقمان:15]، ومن مثل الإحسان إلى المخالف من أهل الملل الأخرى إن لم يكن لهم أذية للمسلمين: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة:8] إلى غير ذلك من الآيات. وفي مقابل ذلك قد ينتفع المسلم من رحمه النسبية اللذين يخالفونه في الدين في بعض أموره، والقاعدة في هذا الباب أن يقال: «جامعة الدين هي الجامعة الحق للمسلمين وما عداها من الجوامع جوامع فرعية تعتبر صالحة مالم تعد على الجامعة الكبرى بالانحلال»[1]، ويمكن أن تكون الرابطة النسبية خادمة للرابطة الدينية ان كانت قائمة على الإعانة على الحق ونصرته لذا وجب التمييز بين الأمر ودعوى الجاهلية وهذا من الفروق الدقيقة التي تفطن لها أهل العلم إذ أن «كل من سعى إلى تحصيل شيء مستعينا بذوي عصبية له لنسبة جنس أو قبيلة أو بلد أو شيخ أو حرفة أو فكرة غير ناظر إلى أنه على حق أو على باطل -فقد دعا دعوى الجاهلية وكل من أجابه فقد شاركه في دعواه. أما من عرف الحق وتيقن من نفسه الصدق في طلبه واستعان على تحصيله بمن تربطهم به روابط خاصة ولا يأبى أن يعينه عليه من لم يكن من جماعته لأن قصده إلى تحصيل الحق بإعانة أي كان- فهذا لا يكون دعا دعوى الجاهلية بل دعا دعوى إسلامية لأنها لم تخرج عن التعاون على الحق وهو من التعاون على البر والتقوى»[2]. وتوسع الأمين الشنقيطي في بيان وتوضيح هذا الأمر مستعينا -على عادته- بآيات القرآن الكريم التي فيها تصريح أو تلويح إلى هذا

(1) محمد الطاهر بن عاشور، "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"، ص107.

(2) "مجالس التذكير من حديث البشير النذير"، ص91.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأمر وخاصة فيما ورد في كتاب الله من قصص للأنبياء وحكاية لحال النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب الذي كان يكفله وينصره ويذب عنه أذى المشركين، فقال ﷺ: «ونحن حين نصرح بمنع النداء بالروابط العصبية والأواصر النسبية، ونقيم الأدلة على منع ذلك، لا ننكر أن المسلم ربما انتفع بروابط نسبية لا تمت إلى الإسلام بصلة، كما نفع الله نبيه صلى الله عليه وسلم بعمه أبي طالب، وقد بين الله جل وعلا أن عطف ذلك العم الكافر على نبيه صلى الله عليه وسلم من منن الله عليه، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾ [سورة الضحى:6]، أي آواك بأن ضمك إلى عمك أبي طالب. ومن آثار هذه العصبية النسبية قول أبي طالب فيه ﷺ:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم   حتى أوسد في التراب دفينا

وقد نفع الله بتلك العصبية النسبية شعيبا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، كما قال تعالى عن قومه: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ﴾ [سورة هود:91]. وقد نفع الله بها نبيه صالحا أيضا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام؛ كما أشار تعالى لذلك بقوله: ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝٤٩﴾ [سورة النمل:49]، فقد دلت الآية على أنهم يخافون من أولياء صالح، ولذلك لم يفكروا أن يفعلوا به سوءا إلا ليلا خفية. وقد عزموا أنهم إن فعلوا به ذلك أنكروا وحلفوا لأوليائه أنهم ما حضروا ما وقع بصالح خوفا منهم، ولما كان لوط عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لا عصبة له في قومه ظهر فيه أثر ذلك حتى قال: ﴿قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ۝٨٠﴾ [سورة هود:80]. فيلزم الناظر في هذه المسألة أن يفرق بين الأمرين، ويعلم أن النداء بروابط القوميات لا يجوز على كل حال، ولا سيما إذا كان القصد بذلك القضاء على رابطة الإسلام، وإزالتها بالكلية بدعوى أنه لا يساير التطور الجديد، أو أنه جمود وتأخر عن مسايرة ركب الحضارة - نعوذ بالله من طمس البصيرة - وأن منع النداء بروابط القوميات لا ينافي أنه ربما انتفع المسلم بنصرة قريبه الكافر بسبب العواطف النسبية والأواصر العصبية التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، كما وقع من أبي طالب للنبي ﷺ ، وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: ((إن

جامع عبد القادر للعلوم الإسلامية

الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر))[1] ولكن تلك القرابات النسبية لا يجوز أن تجعل هي الرابطة بين المجتمع، لأنها تشمل المسلم والكافر، ومعلوم أن المسلم عدو الكافر»[2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (73/1) برقم: (111) وأحمد في "مسنده" (453/13) برقم: (8090).

(2) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان" (3/530-531 ط عطاءات العلم)

المطلب الخامس: القيم في العلاقات السياسية

جوهر الإسلام في علاقات الأمة مع مختلف الشعوب والأمم يتمثل في حب الخير لكل الناس أفرادا وشعوبا وأكبر ما يحتفي به المسلمون من الخير هو تعميم العقيدة الصحيحة والشريعة الربانية التي ما أرسل بها محمد ﷺ إلا رحمة للعالمين، و«إن الإسلام دين سلام، وعقيدة حب، ونظام يستهدف أن يظلل العالم كله بظله، وأن يقيم فيه منهجه، وأن يجمع الناس تحت لواء الله إخوة متعارفين متحابين، وليس هنالك من عائق يحول دون اتجاهه هذا إلا عدوان أعدائه عليه وعلى أهله. فأما إذا سالموهم فليس الإسلام براغب في الخصومة ولا متطوع بها كذلك! وهو حتى في حالة الخصومة يستبقي أسباب الود في النفوس بنظافة السلوك وعدالة المعاملة، انتظارا لليوم الذي يقتنع فيه خصومه بأن الخير في أن ينضووا تحت لوائه الرفيع. ولا ييأس الإسلام من هذا اليوم الذي تستقيم فيه النفوس. فتتجه هذا الاتجاه المستقيم»[1]. هذا هو الإسلام في نظرته للناس بمختلف أجناسهم وشعوبهم، وهذا هو الإسلام في سياسته مع الدول والأمم.

ويقيم الإسلام دولته على ركنين رئيسين، الركن الأول: يتمثل في النظم الحقة التي تؤسس عليها جميع التشريعات والقوانين والركن الثاني: هو القوة التي تكسب الحق هيبة له وإجلالا ورهبة منه ومخافة لمصادمته وتمنع أي تعد عليه داخليا كان أو خارجيا. فالقاعدة الواجب العمل بها هنا وتؤيدها سنن الله في الكون هي أنه لا يجب أن تكون على حق فقط بل ويجب عليك أيضا أن تكون قويا في الحق تمسكا ودفعا عنه ودفاعا عليه. وهو نفسه المبدأ الذي يطلق عليه في العلوم السياسيةالمعاصرة بمبدأ السيادة التي تعني الحق الكامل للهيئة الحاكمة وسلطتها على نفسها، دون أي تدخل من جهات أو هيئات خارجية[2]. وهذا المبدأ في الجملة ما هو إلا الضامن الأساسي للركن الثالث من أركان الدولة الثلاثة المتمثلة في[3]: **أولا:** الأمة والرعية والتي قد تطرأ عليها مشكلة الخلاف والتحزب والتمزق. **ثانيا:** الإقليم الجغرافي. **ثالثا:** السلطة والسيادة وهي التي تطرِ عليها مشاكل الضعف والخور وتسلط الأعداء بشكل أو بآخر. وقد استنبط بعض الباحثين هذه الأركان الثلاثة من القرآن الكريم من مثل

---

(1) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (3544/6).

(2) https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%AF%D8%A9

تاريخ الاطلاع: 2022/09/27م.

(3) ينظر: "موسوعة التفسير الموضوعي"، (193/24 وما بعدها)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [سورة النساء:75] وليس من المناسب للبحث مزيد بسط لهذا في هذا الموضع.

والعلاقات الدولية تبنى في الجملة بين دول قوية ذات سيادة وقوة وعزة ومنعة تجعل التعامل بين هذه الدول هو تعامل عنوانه التعارف بين الشعوب والأمم والتعاون بينها، وهو قانون دلت عليه سنن الكون وشهدت عليه أحداث التاريخ، بغيابه يحل مكانه قانون الاستغلال والاستبداد والاستعمار، ومن هدي القرآن للتي هي أقوم: هديه إلى حل المشاكل العالمية التي تواجه مجتمع الإسلامي أينما كان بأقوم الطرق وأعدلها، ومشكلة ضعفهم وتحولهم من العزة إلى الذل ومن المنعة إلى الهلكة والانصهار هي مشكلة جعلها محمد الأمين الشنقيطي نتيجة لثلاثة اختلالات كبرى رتبها في ثلاثة محاور:[1] المحور الأول: المسلمون عزتهم وتأخرهم، المحور الثاني: تسلط الكافرين على المؤمنين، المحور الثالث: اختلاف المسلمين وتفرقهم، وفي هذه المحاور الكبرى تنبيها بها على غيرها:

المشكلة الأولى: هي ضعف المسلمين في أقطار الدنيا عن مقاومة الكفار، ويوضح محمد رشيد رضا أن الحلول العملية التي اتخذتها الأمم الإسلامية هي حلول خالية عن التربية المصلحة على حد تعبيره حين قال: «قد شاهدنا ولا نزال نشاهد في بلادنا أن طلب العلوم والفنون مع إهمال التربية المصلحة للنفس لم تحل دون استعباد الأجانب لنا، كما جرى في دولتي الأستانة والقاهرة وغيرهما. ترى الرجل المتعلم المتفنن يتولى ولاية أو وزارة فيكون أول همه منها تأسيس ثروة واسعة لنفسه وولده، لأجل التمتع بالشهوات واللذات والزينة، وهكذا تفعل كل طبقة من رجال الدولة، يستنزفون ثروة الأمة بالرشى والحيل وأكل السحت، ويكون كل ما فضل عن شهواتهم بل جل ما ينفقونه عليها نصيب الأجانب»[2] ويبن في موضع آخر أن غياب مثل هذه التربية المصلحة في النخب الإسلامية ما هو إلا مظهر لمرض؛ وليس هو المرض في حد ذاته، حيث إن المرض هو البعد عن القرآن الكريم وتربيته للنفوس؛ قال رحمه الله: «وإننا نعتقد أن المسلمين ما ضعفوا وزال ما كان لهم من الملك الواسع إلا بإعراضهم عن هداية القرآن، وأنه لا يعود إليهم بشيء مما فقدوا من العز والسيادة والكرامة إلا بالرجوع إلى هدايته، والاعتصام بحبله»[3] والإمام محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله يقترح الحل القرآني لدول المسلمين اللذين أرهقهم ذل الاستعمار الغربي الذي اذل ساداتهم واستنزف ثرواتهم وهو يسعى

(1) ينظر: "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (3/ 537 وما بعدها ، ط عطاءات العلم):

(2) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (1/ 7).

(3) المرجع نفسه، (1/ 26).

للقضـاء على كيانهم فقال: «وقد هدى القرآن العظيم إلى حل هذه المشـكلة بأقوم الطرق وأعدلها، فبين أن علاج الضـعف عن مقاومة الكفار إنما هو بصـدق التوجه إلى الله تعالى، وقوة الإيمان به والتوكل عليه؛ لأن الله قوي عزيز، قاهر لكل شـيء، فمن كان من حزبه على الحقيقة لا يمكن أن يغلبه الكفار ولو بلغوا من القوة ما بلغوا.» (1) وواضـح من طرح الشـيخ أنه يركز على القوة المعنوية الروحية المتمثلة في الإيمان الراسخ بالحق واليقين به مع صدق التوكل على الله وتجنب الذل على غيره مها علا شأنه وكبر جده ويصر الشيخ في هذا الموضع على كفاية هذه القوة لسبيل العزة والتمكين في الأرض للمسلمين، ويبرهن على ذلك من الكتاب العزيز وما وقع للمسلمين مع أعدائهم مما يذكر في السـيرة. واختار لذلك أنموذجين للدراسـة والتحليل؛ غزوة الأحزاب وبيعة الرضـوان فتح مكة.

أولا: غزوة الأحزاب؛ وغزوة الأحزاب من أهم محطات التاريخ الإسـلامي في مهده الأول وكانت في شـوال من العام الخامس لهجرة النبي ﷺ «وكانت من الحوادث التي لها أثر بعيد في تاريخ الإسـلام والمسلمين، وفي تقرير مصير الدعوة الإسلامية، وفي المد الإسلامي، وكانت معركة حاسمة، ومحنة ابتلي فيها المسـلمون ابتلاء لم يبتلوا بمثله»(2) وقد خلد ذكرها القرآن الكريم في الآيات المتلوة في سـورة الأحزاب وهي التي اتكأ عليها الأمين الشنقيطي في تأكيد عامل القوة الإيمانية وصدق اللجئ إلى الله في صد عدوان الكفار، قال رحمه الله:(3) الكفار لما ضربوا على المسلمين ذلك الحصار العسكري العظيم في غزوة الأحزاب، المذكور في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [سـورة الأحزاب:10-11]، كان علاج ذلك هو ما ذكرنا، فانظر شدة هذا الحصار العسكري وقوة أثره في المسلمين، مع أن جميع أهل الأرض في ذلك الوقت مقاطعوهم سـياسـة واقتصـادا، فإذا عرفت ذلك فاعلم أن العلاج الذي قابلوا به هذا الأمر العظيم، وحلوا به هذه المشـكلة العظمى، هو ما بينه جل وعلا (في سـورة الأحزاب) بقوله: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الأحزاب:22]، فهذا الإيمان الكامل، وهذا التسـليم العظيم لله

(1) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (3/ 537 ط عطاءات العلم).

(2) أبو الحسن الندوي، "السيرة النبوية"، ص345.

(3) ينظر: "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (3/ 537 وما بعدها ط عطاءات العلم)، بتصرف يسير.

جل وعلا، ثقة به، وتوكلا عليه، هو سبب حل هذه المشكلة العظمى. وقد صرح الله تعالى بنتيجة هذا العلاج بقوله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ٢٦ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ٢٧﴾ [سورة الأحزاب:25-27]. وهذا الذي نصرهم الله به على عدوهم ما كانوا يظنونه، ولا يحسبون أنهم ينصرون به وهو الملائكة والريح، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾ [سورة الأحزاب:9].

ثانيا: بيعة الرضوان وفتح مكة: لما علم جل وعلا من أهل بيعة الرضوان الإخلاص الكامل، ونوه عن إخلاصهم بالاسم المبهم الذي هو الموصول في قوله: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ﴾ [سورة الفتح:18]: أي من الإيمان والإخلاص، كان من نتائج ذلك ما ذكره الله جل وعلا في قوله: ﴿وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ٢١﴾ [سورة الفتح:21]، فصرح جل وعلا في هذه الآية بأنهم لم يقدروا عليها، وأن الله جل وعلا أحاط بها فأقدرهم عليها، وذلك من نتائج قوة إيمانهم وشدة إخلاصهم، فدلت الآية على أن الإخلاص لله وقوة الإيمان به، هو السبب لقدرة الضعيف على القوي وغلبته له: ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة البقرة:249]، وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا﴾ فعل في سياق النفي، والفعل في سياق النفي من صيغ العموم، فقوله: ﴿لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا﴾ بمعنى: لا قدرة لكم عليها، وهذا يعم سلب جميع أنواع القدرة، ولكن الله جل وعلا أحاط بها فأقدرهم عليها، لما علم من الإيمان والإخلاص في قلوبهم ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ [سورة الصافات:173] (1).

(1) ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (3/ 538 وما بعدها ط عطاءات العلم)، بتصرف يسير.

المشكلة الثانية:[1] هي تسلط الكفار على المؤمنين بالقتل والجراح وأنواع الإيذاء، مع أن المسلمين على الحق، والكفار على الباطل. وهذه المشكلة استشكلها أصحاب النبي ﷺ فأفتى الله جل وعلا فيها، وبين السبب في ذلك بفتوى سماوية تتلى في كتابه جل وعلا؛ وذلك أنه لما وقع ما وقع بالمسلمين يوم أحد: فقتل عم رسول الله ﷺ وابن عمته، ومثل بهما، وقتل غيرهما من المهاجرين، وقتل سبعون رجلا من الأنصار، وجرح ﷺ، وشقت شفته، وكسرت رباعيته، وشج ﷺ. استشكل المسلمون ذلك، وقالوا: كيف يدال منا المشركون ونحن على الحق وهم على الباطل؟ فأنزل الله قوله تعالى مبين: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [سورة آل عمران:165]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢﴾ [سورة آل عمران:152]، ففي هذه الفتوى السماوية بيان واضح؛ لأن سبب تسليط الكفار على المسلمين هو فشل المسلمين، وتنازعهم في الأمر، وعصيانهم أمره صلى الله عليه وسلم، وإرادة بعضهم الدنيا مقدما لها على أمر الرسول ﷺ.

المشكلة الثالثة:[2] هي اختلاف القلوب الذي هو أعظم الأسباب في القضاء على كيان الأمة الإسلامية، لاستلزامه الفشل، وذهاب القوة والدولة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [سورة الأنفال:46]. وتآلف القلوب ووحدة الصفوف من مقاصد الشرع الذي تضمنت آدابه ما يضمن ذلك منها ما يستشف من قول الله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [سورة آل عمران:103]، ففي الآية بيان لسبب التنازع والشقاق بين المسلمين

(1) محمد الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، (3/ 540 وما بعدها ط عطاءات العلم) بتصرف

(2) المرجع نفسه، (3/ 541 ط عطاءات العلم).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وهو ترك الاعتصـــام بما أنزله الله على عباده والتفرق عنه، ومتى حققوا الالتزام بما أنزل الله عليهم من النور والهدى كان لهم الاجتماع عليه والألفة[1].

على عكس مقاصـد الشـارع في تأسـيس النظام القيمي الإسـلامي القائم على الإعتصـام بالحق والإجتماع عليه والتآخي فيه، ترى في أقطار الدنيا اليوم ما ترى من تفرق الكيانات الإسـلامية وما يضمر بعضهم لبعض من عداوة وبغضاء وشحناء، وهذا الأمر هو عين ما حذر نبي الله ﷺ أمته منه في ما نقل عنه وتواتر من الحديث كقوله ﷺ: ((لَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْـرِبُ بَعْضُـكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ))[2]. وفي قوله كفارا إشـارة قوية إلى أن الجامعة الإسـلامية تمنع من تفرق المسـلمين وتقاتلهم، وعلى هذا الأساس يقرر صاحب المنار الجامعة الأساسية التي تعصم الوحدة الإسلامية من داء التفرق والتشـرذم ويردفها بالدواء الشـافي لما قد يعتري تلك الجامعة من خلل طارئ فيقول «ومن القواعد المسلمة: أنه لا تقوم لقوم قائمة إلا إذا كان لهم جامعة تضمهم ووحدة تجمعهم وتربط بعضهم ببعض، فيكونون بذلك أمة حية كأنها جسد واحد، ... فإذا كانت الجامعة الموحدة للأمة هي مصدر حياتها – سواء أكانت مؤمنة أم كافرة – فلا شك أن المؤمنين أولى بالوحدة من غيرهم لأنهم يعتقدون أن لهم إلها واحـدا يرجعون في جميع شـؤونهم إلى حكمـه الـذي يعلو جميع الأهواء، ويحول دون التفرق والخلاف، بل هذا هو ينبوع الحياة الاجتماعية لما دون الأمم من الجمعيات حتى البيوت (العائلات) ولما كان لكل جامعة وكل وحدة حفاظ يحفظها أرشدنا – سبحانه وتعالى – إلى ما نحفظ به جامعتنا التي هي مناط وحدتنا – وأعني بها الاعتصـام بحبله – فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٤﴾ [سـورة آل عمران:104]. فـالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حفـاظ الجـامعـة وسـيـاج الوحـدة»[3].

ومن المقرر أنه من سنن الله في كونه أن الخلاف لابد منه بين البشر وبين مختلف المذاهب الفلسفية، بل وبين أصـحاب المذهب الإيديولوجي الواحد، وقد يتعداه إلى الشـقاق و النزاع فتجد« الرأسماليين مختلفين والاشتراكيين مختلفين والاختلاف من طبائع البشر ... بل قد يختلف الإنسان مع نفسه»[4]

---

(1) ينظر: عبد الوهاب الجنيدي، "مقاصد الشريعة عند ابن قيم الجوزية"، ص243.

(2) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في "صحيحه" (1 / 35) برقم: (121)، (5 / 177) برقم: (4405)، (9 / 3) برقم: (6869)، (9 / 50) برقم: (7080) ومسلم في "صحيحه" (1 / 58) برقم: (65).

(3) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (4/ 22).

(4) رفيق يونس المصري، "الأزمة المالية العالمية"، ص39.

وذالك مصداق قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ﴾ [سورة هود:118-119]. ولكن لما جعل الله سبحانه وتعالى هذا الداء الاجتماعي، أنزل الله تعالى له الدواء ليبتلي به عباده بل ويقرر المفسرون أن الله سبحانه وتعالى بين أسباب الشقاق وحفظ جماعة المسلمين بما يلزم من التكليفات الشرعية من مثل وجوب طاعة ولاة الأمور في المعروف ووجوب تعاون المسلمين ووجوب الصلح بين المتاقتلين من أهل الإسلام ووجوب نصرة المظلوم على من بغى عليه حتى يرجع إلى أمر الله يقول الأمين الشنقيطي: «وقد بين تعالى في سورة الحشر أن سبب هذا الداء [داء التفرق] الذي عمت به البلوى إنما هو ضعف العقل؛ قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ﴾ [سورة الحشر:14]، ثم ذكر العلة لكون قلوبهم شتى بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة الحشر:14]»(1)، ومقصود الشيخ -كما يدل عليه سياق كلامه- أن لا عاصم للأمة من التفرق والتشتت وحالة أمرهم هي الضعف فإن الإنسان مهما علا شأنه وظهرت حكمته يبقى ضعيفا عقله عن كل المدارك والمآلات التي تؤول إليها تخميناته، وكذلك العقول تختلف وتتفاوت فلا مطمع للتآلف إلا بعاصم آخر ذكره من بعد فقال: «ولا شك أن داء ضعف العقل الذي يصيبه فيضعفه عن إدراك الحقائق، وتمييز الحق من الباطل، والنافع من الضار، والحسن من القبيح، لا دواء له إلا إنارته بنور الوحي؛ لأن نور الوحي يحيا به من كان ميتا ويضيء الطريق للمتمسك به، فيريه الحق حقا والباطل باطلا، والنافع نافعا، والضار ضارا، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٢٢﴾ [سورة الأنعام:122]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ﴾ [سورة البقرة:257].

ومن أخرج من الظلمات إلى النور أبصر الحق؛ لأن ذلك النور يكشف له عن الحقائق فيريه الحق حقا، والباطل باطلا، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢٢﴾ [سورة الملك:22]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ

(1) "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (3/ 541 ط عطاءات العلم)

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢﴾ [سورة فاطر:19-22]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا﴾ الآية [سورة هود:24]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الإيمان يكسب الإنسان حياة بدلا من الموت الذي كان فيه، ونورا بدلا من الظلمات التي كان فيها. وهذا النور عظيم يكشف الحقائق كشفا عظيما، كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [سورة النور:35]»(1).

ولما كان القرآن هو الجامعة الرئيسة بين المسلمين ومناط الأخوة بينهم هو درجة التمسك به؛ جعل الشارع الحكيم سياجا يحفظ هذه الجامعة من التشتت ويرد الشارد من الأمة إلى الجامعة الإسلامية، ألا وهو سياج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قرر ذلك صاحب المنار فقال: «ولما كان لكل جامعة وكل وحدة حفاظ يحفظها أرشدنا – سبحانه وتعالى – إلى ما نحفظ به جامعتنا التي هي مناط وحدتنا – وأعني بها الاعتصام بحبله – فقال: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران:104]، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حفاظ الجامعة وسياج الوحدة»(2) .

(1) "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (3/ 542 ط عطاءات العلم)

(2) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (4/ 22).

الفصـل الثاني: قيم الحق في التفاسـير المعاصرة

وفيه المباحث التالية:

- المبحث الأول: التعريف بقيم الحق
- المبحث الثاني: مقاييس الحق
- المبحث الثالث: الواجب الإنساني نحو الحق
- المبحث الرابع: الصوارف عن الحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ [سورة فصلت:41-42].

الحق قيمة إنسانية كبرى في علوم القرآن ومقاصده، وعلى هذه القيمة مدار حياة المسلم، تلك الحياة التي لا يرضاها لنفسه إلا به ولا يعيش فيها إلا في سبيله، يقول ابن القيم الجوزية: «حياة القلب وصحته لا تحصل إلا بأن يكون **مُدركًا للحقِّ مريدًا له،** مُؤْثِرًا له على غيره؛ لما كان في القلب قوتان: قوة العلم والتمييز، وقوة الإرادة والحب كان كماله وصلاحه باستعماله هاتين القوتين فيما ينفعه، ويعود بصلاحه وسعادته، فكماله باستعمال **قوة العلم في إدراك الحق ومعرفته، والتمييز بينه وبين الباطل،** واستعمالِ **قوة الإرادة والمحبة في طلب الحق ومحبته وإيثاره على الباطل،** فمن لم يعرف الحق فهو ضالٌّ، ومن عرفه وآثر غيرَه عليه فهو مغضوب عليه، ومن عرفه واتبعه فهو مُنعَم عليه»[(1)] المؤمن بالله لا يجد في وجدانه إلا محبة الله الحق سبحانه وتعالى ولا يجد إلا التعلق بكل سبيل توصل إليه على الوجه الأكمل المرضي الذي يحقق به طمأنينته وأنسه، إن «الحق هو سبيل الله الذي يجاهد فيه اللذين آمنوا ويصد عنه اللذين كفروا وبه تتميز صفوف الناس وتعرف مواقفهم ويكون حسابهم وجزاؤهم ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ٣﴾ [سورة محمد:1-3] والحق لا يحدده الناس ولا يتبع أهواءهم ولا يتأتى أن يكون منهم بل هو من الله وحده لا شريك له»[(2)]. فيما يلي من مباحث يحاول الباحث رصد وإظهار معالم لقيم الحق في القرآن الكريم كنها ومقاييسا وواجبات ...

(1) "إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان" (1/ 35 ط عطاءات العلم).

(2) محمد الراوي،"كلمة الحق في القرآن الكريم"، (526/2).

المبحث الأول: التعريف بقيم الحق

وفيه المطالب التالية:

- **المطلب الأول**: المعنى اللغوي
- **المطلب الثاني**: المعنى الاصطلاحي
- **المطلب الثالث**: الحق في الاستعمال القرآني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: التعريف بقيم الحق

قال الشيخ السعدي مبينا أهمية موضوع الحق ومعرفته في حياة المسلمين اللذين كتاب الله هو إمامهم؛ «صلاح القلوب أن تكون عارفة بالحق معترفة به منقادة له، تابعة له»(1) إن في هذه العبارة لملخص لوظيفة الناس في الحياة الدنيا التي بها يحيون حياة حقيقية تطمئن بها قلوبهم وبها تستقر أحوالهم وتسعد أيامهم، وفيما يلي من مطالب مقاربات ترسم معالم الحق الذي ينشده أهل القرآن ومن اعتنى بتفسيره:

(1) عبد الرحمن السعدي، "أصول عظيمة من قواعد الإسلام"، ص27.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: المعنى اللغوي

الحاء والقاف أصل واحد، وهو يدل على إحكام الشيء وصحته(1)، ويطلق الحق في اللغة على عدة مسميات ومدلولات منها: أنه «من أسماء الله تعالى، أو من صفاته، والقرآن، وضد الباطل، والأمر المقضي، والعدل، والإسلام، والمال، والملك، والموجود الثابت، والصدق، والموت، والحزم، وواحد الحقوق»(2) وأحصى صاحب المنجد في معجمه عدة وجوه من المعاني لهذا الأصل تنطبق على عدة إطلاقات لما اشتق من هذا الأصل منها(3): الموجود الثابت واليقين والصواب وحقُّ المعرفة تمامها وحقَّ الخبر وقف على حقيقته وتحقق الأمر تيقنه وأحق الأمر أوجبه وصيره لا يشك فيه، والحقيقة جمعها حقائق وهي ما يجب على الانسان أن يعتقده ويحميه والحقيقة ضد المجاز وحقيقة الشيء منتهاه وأصله ومحقق محكم فكلام محقق أي محكم منظم.

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة" (15/2).

(2) الفيروز آبادي، "القاموس المحيط" ص874.

(3) ينظر: لويس معلوف، "المنجد في اللغة"، ص144.

المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي

اختلف الباحثون في فهمهم لطبيعة الحق من حيث حده وإمكانية حصره في قضايا محددة من عدمها وثباته وتطوره وتغيره ...، والحق هو غاية كل معالج لقضايا العلم والعمل، فالفيلسوف يبدأ تفكيره باحثا عن الحق معتمدا على معايير تطمئن إليها نفسه تمكنه من التمييز بينه و بين ماهو مردود باطل أو ضعيف زائل، فمن الفلاسفة من اعتمد وضوح الأفكار وسلامة مقدماتها وعدم ورود الاعتراضات عليها ليجزم بحقيقة النتائج، ومنهم من اعتمد مقياس العمل المنتج وليس مجرد العقل؛ فقيمة الرأي في منفعته في الحياة، وصدقه مرهون بهذه المنفعة، أما الحق ذاته فلفظ أجوف لا يحمل معنى، ومنهم من اعتمد مبدأ التحقق الحسي فاستبعد القضايا العقدية من مجال بحثه لأنه لا يمكن التحقق منها في حدود الخبرة الحسية... إلى غير ذلك من النظريات[1]، وفي حقل الدراسات الإسلامية عرفه بعضهم بأنه: «الحكم المطابق للواقع يطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك ويقابله الباطل»[2] وعرفه بعضهم باعتبار ما يجب أن يكون عليه في ذاته لا بما يدعيه من يهتم بالبحث و الدرس فيه فقال: «والحق هو القضية الثابتة المقدرة التي لا تتغير»[3] أو «الأمر الثابت المتحقق»[4]، واهتم البعض ببحث طبيعته وصفته التي يظهر بها مما يجعله واضحا بائنا عن غيره فقال في حده: «الحق ليس مجرد حكم مستخف في الأشياء يبحث عنه الإنسان بل هو ذو معان ظاهرة ودلالات بينة فالله حق ودينه حق »[5] أو «والحق: هو ما تقرر من حقيقة ثابتة أرشد إليها دليل قاطع، أو عيان ومشاهدة، أو شريعة صحيحة جاء بها نبي معصوم»[6]، وعلى هذا الحد لا يمكن أن يكون في الوجود إلا حق أو باطل ولا مكان فيه للمنطقة الضبابية في ذات الأمر لا في مدارك الناس على اختلاف ثقافاتهم وفلسفاتهم التي نشؤوا عليها. وفي ميدان العلوم التي جاء بها الإسلام في الكتاب والسنة «ليس هناك إلا حق، وباطل؛ وإذا تأملت القرآن والسنة وجدت الأمر كذلك ؛ قال تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن

(1) ينظر: توفيق الطويل، "أسس الفلسفة"، ص317-336.

(2) علي الجرجاني، "التعريفات"، ص120.

(3) متولي الشعراوي، "تفسير الشعراوي" (299/1).

(4) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (338/10).

(5) مانع بن محمد المانع، "القيم بين الإسلام والغرب"، ص25.

(6) أحمد بن مصطفى المراغي، "تفسير المراغي" (234/30).

دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [سورة الحج:62]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سورة سبأ:24]، وقال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ [سورة يونس:32]، وقال تعالى : ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [سورة الكهف:29]، وقال النبي ﷺ : ((القرآن حجة لك أو عليك)) ...»[1] على أن ادراك الحق بالنسبة للناظرين متفاوت بينهم على قدر وضوح أدلة الحق وجلائها وعلى قدر سعة مدارك الشخص الناظر في المسائل وهذا كله منوط بتوفيق الله ومنته على عبده. وما أجمل الكلمة الجامعة لمعاني الحق ومفرداته في فلسفة الاسلام إذ يقول صاحبها[2]: «الأشياء التي تحق تستمد وجودها من الله الحق وتدين له ولا تدين لغيره، فالثابت في ألوهيته تدين له الأشياء التي تحققت بقدرته ولا قدرة لأحد غيره». الله جل في علاه خالق كل شيء وهو المعطي المانع؛ فلا أحد له الأمر والتدبير كله غيره سبحانه وتعالى وأمره وتدبيره على وفق الحكمة المتناهية والعلم المحيط بكل شيء فأمره وخلقه وكل ما سواه محكم من عنده سبحانه خلقه بالحق وهو الحق جل وعلا.

(1) صالح العثيمين، "تفسير الفاتحة والبقرة" (153/1).

(2) محمد الراوي، "كلمة الحق في القرآن الكريم" (796/2).

المطلب الثالث: الحق في الاستعمال القرآني.

من الألفاظ المحورية التي كثر ورودها في القرآن الكريم؛ لفظ الحق ولا عجب في ذلك فمن صفات القرآن التي وصفه الله بها في القرآن الكريم أنه الحق الذي يقذف به الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، وإحقاق الحق وإبطال الباطل من أهم مقاصد القرآن التي أنزل من أجلها لذلك سمي الفرقان و﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ①﴾ [سورة الفرقان:1]، وعطفا على محورية كلمة الحق في القرآن الكريم؛ سنعرج على ذكر ما ورد عليه الجذر (ح ق ق) في القرآن الكريم حيث ورد ثمان وسبعون ومائتي (278) مرة، يخص موضوع البحث منها سبع وأربعون ومائتي (247) مرة[1]، فكما تعددت مواضع ورود هذا الجذر تعددت كذلك وجوه معانيه و قد اختلف المفسرون في حصر تلك الأوجه وعدها[2]، وحصر بعض الباحثين تلك الأوجه فذكر منها:[3]

1- يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة، ولهذا يقال: فعل الله تعالى كله حق، نحو قولنا: الموت حق والبعث حق، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ⑤﴾ [سورة يونس:5]، قال الله تعالى في القيامة: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة يونس:53].

2- ويقال في الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه، كقولنا اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق، قال الله تعالى: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ [سورة البقرة:213].

---

(1) مركز تفسير للدراسات القرآنية، "موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم"، (413/12).

(2) أورد لها الإمام مقاتل أحد عشر وجها، وزاد الإمام الدامغاني وجها، وزاد عليهما ابن الجوزي وجهين.

ينظر:

- مقاتل بن سليمان البلخي، "الوجوه والنظائر"، ص65.
- الدامغاني، "الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز" (248/1).
- ابن الجوزي، "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر" (161).

(3) سليمان بن صالح القرعاوي، "الموسوعة القرآنية في الوجوه و النظائر" (218/1-220).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3- ويقال للفعل والقول بحسب ما يجب وبقدر ما يجب وفي الوقت الذي يجب كقولنا فعلك حق وقولك حق، قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٣﴾ [سورة يونس:33]، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [سورة السجدة:13].

4- وفي قوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٨﴾ [سورة الأنفال:8]، إحقاق الحق بإكمال الشريعة وبثها في الكافة، كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [سورة التوبة:33].

5- الحاقة إشارة إلى القيامة، كما في قول الله تعالى: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٢﴾ [سورة الحاقة:1-2].

6- يستعمل استعمال الواجب واللازم والجائز نحو قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾ [سورة الروم:47]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [سورة يونس:103].

7- حقيق بمعنى جدير، قال الله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [سورة الأعراف:105].

والحق في الاصطلاح القرآني على ما مر بيانه يدور على معنى الفيصلة في كل الأمور والقضايا بين الثابت القائم على القطع واليقين به وبين غيره مما اشتبه على الناس أمره من الباطل الزائل والوهم الخادع والظنون التي لا تغني من الحق شيئا. فالله الحق وكل معبود سواه باطل ، والله الحق أي ذو الحق في أمره ونهيه ووعده ووعيده وجميع ما أنزله على لسان رسله وأنبيائه وكل شيء من عند الله حق وكل ما عاد إلى الله حق.(1) واستخلص بعض المعاصرين معنى فلسفيا للحق استنبطه عن طريق التتبع والاستقراء لورود هذا المصطلح في القرآن الكريم فقال: «استخدم لفظ " الحَقِّ قرآنيا لِلدَّلالَةِ على مفاهيمَ عدة، وبعبارةٍ أكثر تدقيقًا فَالحَقُّ هُوَ مفهومٌ قرآنيٌّ مركبٌ يجمعُ في تكوينه

(1) ينظر: عبد الرحمن السعدي، " تيسير الكريم الرحمن" ص 949، و أبي القاسم الزجاجي، "اشتقاق أسماء الله"، ص178.

العديدَ مِنَ المفاهيمِ الفرعيَّةِ ... وَقد جمع المفهوم القرآنيُّ لِلْحَقِّ خمسةَ مفاهيمَ دَلَّ عليها اللفظُ بشكل مستقلٍّ أحيانًا ومشترك أحيانًا أُخرَى وهي: الْحَقيقة، والصدق، والْحسن العقليُّ (أو الاستقامة والسويَّة الفطريَّة الإنسانيَّة)، ثم الأحكام الشرعيَّة، وأخيرًا العدل.»[1] فالحق بمعنى الحقيقة مثل قول الله تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [سورة يوسف:51]، والحق بمعنى الصدق الذي هو الإخبار عن الشيء كما هو عليه في ذاته وواقعه كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٩٤﴾ [سورة يونس:94]، وفي المقابل استخدم في بعض الآيات لفظ الصدق كذلك بديلاً عن الْحق في أكثر من موقع؛ منها قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦﴾ [سورة الأحقاف:16]، ويستخدم القرآن الكريم "الْحق" في بعض المواضع مرادفًا للمصالِح المعتبرة أو المقدرة شرعًا لآحاد الناس أو جماعاتهم في صيغة أحكام شرعيَّة ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾ [سورة الذاريات:19]. ويستخدم النص القرآني أحيانا لفظ الحق تعبيرا عن معنى الصواب والحسن العقلي والسوية الفطرية والمناسب من منظور خالق الكون. كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣﴾ [سورة الأحزاب:53]، وَقَدْ استُخدمَ الْحَقُّ بمعنى العدلِ في العديد من الآيات القرآنيَّة منها قوله تعالى: ﴿۞وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ٢١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ

(1) أماني صالح، "القرآن الكريم وتأصيل فلسفة الحق"، ص13.

فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ [سورة ص:21-22] [1].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) ينظر: أماني صالح، "القرآن الكريم وتأصيل فلسفة الحق"، ص13-21.

المبحث الثاني: مقاييس الحق

وفيه المطالب التالية:

- المطلب الأول: الفطرة
- المطلب الثاني: العلم
- المطلب الثالث: الحكمة
- المطلب الرابع: النظر والتفكر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: مقاييس الحق

نبه القرآن الكريم في عديد الآيات إلى ضرورة التبصر واستعمال المقاييس السليمة في تطلب الأمور كما قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢٢﴾ [سورة الملك:22]، وقال الله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾ [سورة الأنفال:8]، يحق الحق بما يظهره من الشواهد الصادقة التي لا ينكرها إلا من طمس على قلبه وسمعه وبصره والبراهين البينة التي لا يماري فيها ذو لب سليم وفطرة سوية على صحته وصدقه ويبطل الباطل بما يقيم من الأدلة والشواهد على بطلانه ولو كره المجرمون فلا يبالي الله بهم[1]، جعل الله للحق منارات يعرف بها وسبلا يتوصل بها إليه، منها ما جعله في الانسان فطرة من ملكتي العقل وقدرة على الإدراك؛ ف«العقل هو الذي بحصوله يتحصل معرفة التوحيد، وتجري العدالة وتعلم حروف التهجي، بل بحصوله تعلّم كل ما في طوق البشر تعلّمه، وفعل ما في طوقهم من الجميل فعله، وبه فضّل على كثير ممّن خلقه»[2]، ومنها ما أنعم الله به على عباده من إرسال الرسل للناس إذ لم يتركهم هملا بل أرسل إليهم رسلا مبينين للحق كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد:25]، ومنها أن يسر لهم الله أسباب الهداية بأن جعل الأمر سجالا بين الحق الباطل فهو عز وجل« يقيض للحق، المعاندين له فيجادلون فيه، فيتضح بذلك الحق، وتظهر آياته وأعلامه، ويتضح بطلان الباطل، وأنه لا حقيقة له، ولولا قيامه في مقابلة الحق، لربما لم يتبين حاله لأكثر الخلق، وبضدها تتبين الأشياء، فلولا الليل، ما عرف فضل النهار، ولولا القبيح، ما عرف فضل الحسن، ولولا الظلمة ما عرف منفعة النور، ولولا الباطل ما اتضح الحق اتضاحا ظاهرا، فلله الحمد على ذلك»[3]، وفي هذا المبحث جملة من القيم الإنسانية التي نبه عليها وأبانها وجلاها القرآن الكريم وهي بمثابة العمد والأسس التي يقوم عليها الحق ويثبت في قلوب الخلق وبها ينعمون ببرد اليقين.

(1) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص315.

(2) الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن"، ص90.

(3) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص74.

المطلب الأول: الفطرة

فطرة الناس جميعا، من غير استثناء، نزاعة للحق وإن جحد من جحد وكابر من كابر فذلك لعلة في نفسه حملته على الكبر وظلم النفس وغيرهما من الآفات الطارئة التي قد تعمي بصيرته فينكر بلسانه ما استيقنه قلبه كما قال الله تعالى حكاية عن فرعون وقومه لما جاءته آيات موسى مبصرة: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ [سورة النمل:14]، فكان الكبر وحب العلو حاجزا عن قول الحق والاعتراف لأصحابه به برغم ما في القلوب من اليقين به كما أخبر بذلك اللطيف الخبير. ولهذا وصف الله دينه الحق الذي أرسل به رسله بأنه الفطرة التي فطر الناس عليها وأن من ألحد عن دينه فقد ألحد عن الفطرة الإنسانية التي جبل الناس عليها، قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [سورة الروم:30] فالفطرة هي الحق وهي السبيل لمعرفة الحق والحق المقصود به هاهنا ليس عرضا ملموسا يكتشفه المكتشف أو يصنعه من يمتلك العلم والتقنية فيكون طارئا على حياة الناس، و هو كذلك ليس دخيلا على طائفة من الناس يعانون شيئا من التدهور وسوء المعاش يهاجر إليهم من العالم المتقدم أو المتحضر وليس لجيل من بني البشر دون جيل آخر بل هو أصل في فطرتهم التي عليها جبلهم الخالق عز وجل والحق الذي فطروا عليه يعتبر مقومات حياتهم وبه يكون خلقهم ويكون موتهم وبعثهم وعليه يقوم حسابهم وجزاؤهم [1] وعلى هذا المعنى أكدت كتب العقائد والجدال عن الدين فهم يقررون «أن الله عز وجل ما كان ليدعوا الناس إلى عبادته وهم لا يعرفونه عز وجل إذ أن ذلك يعني دعوتهم إلى مجهول يحتاج أولا إلى تعريفه ثم الدعوة إلى عبادته. وكم كان يحتاج الرسل إلى تعريف الناس بخالقهم قبل أن يعبدوه لولا أن الله عز وجل قد أودع في فطرتهم معرفة خالقهم والقصد إلى تعظيمه وتقديسه. وكون المعرفة فطرة في القلوب مما أكده القرآن الكريم والسنة النبوية ثم شهد به واقع المجتمعات البشرية»[2] فالحاصل المتقرر عند علماء ملة الإسلام وغيرهم أن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها ... والله تبارك وتعالى فطر الخلق كلهم وحتى البهائم على الإيمان به وبعلُوّه فما من عبد يتوجه إلى ربه بدعاء أو عبادة إلا وجد من نفسه ضرورة بطلب العلو فالفطرة لا تدل على ثبوت الربوبية للخالق الفاطر فقط وإنما تدل كذلك على

(1) ينظر: محمد الراوي، "كلمة الحق في القرآن الكريم" (527/2).

(2) أحمد بن سعد حمدان، "فطرية المعرفة وموقف المتكلمين منها"، ص16.

ثبوت صفات الكمال لله فالنفوس مجبولة على تعظيم من له صفات الكمال الجمال والجلال[1]. وفي مايلى تقريرات لأهل التفسير على آيات حوت من المعنى السابق ودعت إليه وقررته:

الفرع الأول: تعريف الفطرة

ومصـــطلح الفطرة أصـــله اللغوي اســـم هيئة من الفطر؛ (ف ط ر) والفاء والطاء والراء في استعماله اللغوي أصل صحيح يدل على فتح شيء وإبرازه ... والفطرة: الخلقة نقول فطر الله الخلق أي خلقهم، وبرأهم، والفطرة: الخلقة التي خلق عليها المولود في رحم أمه، والفطرة الدين [2]، وفطره خلقه ابتداء. ومنه: فاطر السماوات والأرض. وفطرة الله: التي خلق الخلق عليها[3].

لم تخرج لفظة الفطرة في الاستعمال القرآني عن الاستعمال اللغوي[4]؛ حيث وردت لفظة (فطر) وما اشتق منها تسعة عشر مرة في القرآن الكريم[5]؛ مرة بصيغة الفعل الماضي: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام:79]، ومرة بصيغة اسم الفاعل: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [سورة الأنعام:14]، ومرة بصيغة المصدر: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [سورة الروم:30]، وهي في الاستعمال القرآني بنفس المعنى اللغوي الوارد سابقا[6].

والفطرة في الاصطلاح هي الجبلة المتهيئة لقبول الدين[7] وأسهب الشيخ ابن عاشور في تفسيره في التعريف بالفطرة فقال: «الفطرة هي النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق، والفطرة التي تخص نوع الإنسان هي ما خلقه الله عليه جسدا وعقلا، فمشي الإنسان برجليه فطرة جسدية، ومحاولته أن يتناول الأشياء برجليه خلاف الفطرة الجسدية، واستنتاج المسببات من أسبابها والنتائج من مقدماتها فطرة عقلية، ومحاولة استنتاج أمر من غير سببه خلاف الفطرة العقلية ...، وجزمنا بأن ما نبصره من الأشياء

(1) ينظر: ابن عثيمين، "شرح الأصول الثلاثة"، ص80.

(2) ينظر: ابن فارس، "مقاييس اللغة" (4/ 510)، الفيروزأبادي "القاموس المحيط" ص457.

(3) ابن جزي، "التسهيل لعلوم التنزيل" (1/ 40)

(4) "موسوعة التفسير الموضوعي"، (329/26).

(5) المرجع نفسه، (329/26).

(6) ينظر: المرجع نفسه (329/26).

(7) الجرجاني، "التعريفات"، ص128.

هو حقائق ثابتة في الوجود ونفس الأمر فطرة عقلية، وإنكار السوفسطائية ثبوت المحسوسات في نفس الأمر خلاف الفطرة العقلية.» [1] فتبين من هذا أن الفطرة من خصائص كل المخلوقات التي خلقها الله في الكون غير أن لكل مخلوق فطرة فطرها الله عليه خاصة به تناسب الوظيفة الحياتية التي خلق لها، والإنسان كائن ميزه الله بفطرتين الأولى فطرة جسدية قد يشاركه فيه غيره من المخلوقات كما قال الله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [سورة الأعلى:1-3] أي أن الله تبارك وتعالى قد هدى كل مخلوق إلى ما يصلح مع حاله، والفطرة الأخرى هي الفطرة العقلية التي بها مدارك العلوم وهي المقصودة هاهنا بالبحث، ويذكر محمد شلتوت معالم الفطرة من المنظور القرآني فيقول: «في سبيل الشعور النفسي والوجدان الباطني يرشدنا القرآن ويسترعي إلى حقيقة نفسية واقعية تعبر عن قبس الإيمان بوجود الخالق ووحدانيته وعن فطرية الشعور الديني في نفس الإنسان»[2]، فأول الإيمان بالحق يحصل للإنسان عن ضرورة وجدانية نفسية لا عن عملية نظرية كسبية، لذا كان كل الناس محاسبون عن الإيمان عند الله عزوجل على حد سواء بين الذكي ومن دونه.

الفرع الثاني: الفطرة التي خلق عليها الانسان

دلت شواهد الخلق المنظورة المشاهدة على كمال الفطرة التي فطر الله عليها الناس أجمعين منذ النشأة الأولى لآدم عليه السلام إلى يوم الناس هذا وأحصى الامام ابن عاشور خصائص هذه الفطرة التي تحدث عنها القرآن الكريم واعتبرها من شواهد الوحدانية[3]:

1. آدم وبنوه خلقوا في أحسن تقويم جسما وعقلا كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [سورة التين:4]، أي لقد خلقنا بقدرتنا جنس الإنسان في أكمل صورة وأحكم عقل[4] فالمراد: «جمال الخلقة والتكوين والتركيب، والتميز بالعقل والفكر، والتدبير والحكمة، وانتصاب القامة، فجميع هذه الأشياء هو حسن التقويم، وليس المراد الجمال الظاهري»[5] فالإنسان بهذا قد منحه الله تبارك وتعالى ما لم يمنحه لغيره، من بيان فصيح، ومن عقل راجح، ومن علم واسع،

(1) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، (21/ 90)
(2) محمد شلتوت، "الإسلام عقيدة وشريعة"، ص23.
(3) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، 303/2.
(4) ينظر: محمد سيد طنطاوي، "التفسير الوسيط " (15/ 446).
(5) وهبة الزحيلي، "التفسير الوسيط" (3/ 2898).

ومن إرادة وقدرة على تحقيق ما يبتغيه في هذه الحياة ...[1] وهذا «الجمال في الخلق والتكوين الإنساني هو الظاهرة الإلهية الإبداعية التي تقتضي شكران المنعم، والوفاء لقدر النعمة بالطاعة والخضوع والامتثال لله»[2].

2. ألهم الله النوع الإنساني معرفة الخير واتباعه ومعرفة الشر وتجنبه. كما قال الله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [سورة البلد:10]. «أي: طريقي الخير والشر، بينا له الهدى من الضلال، والرشد من الغي»[3] فالله سبحانه وتعالى خلق الانسان في أكمل صورة حسية وأحسن تقويم خلقي ولم يترك سبحانه وتعالى «الإنسان سادرا في صنوف الجهالة، بل زوده بما يمكنه من التمييز بين الخير والشر، بخلق مفاتيح المعرفة لديه، من أعين ولسان وشفتين وعقل نيّر، حيث قال الله تعالى عنه: ... ألم نبين لك وندلك على طريق الخير والشر، وجعلنا لك من العقل والفطرة ما تستطيع به إدراك محاسن الخير، ومفاسد الشر، وتختار لنفسك طريق النجاة؟!»[4] قال الله عز وجل عن جنس الإنسان: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [سورة الإنسان:3].

3. يستوي في أمر الفطرة الرجل مع المرأة كما استوت حواء مع آدم عليه السلام كما قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [سورة النساء:1].

4. لا شك أن أقوى عنصر في تقويم البشر عند الخلقة هو العقل فبالعقل تأتى لجنس البشر أن يتصرف في خصائصه وأن يضعها في مواضع الحاجة إليها.

5. الصلاح هو الأصل الذي خلق الله عليه البشر ودام عليه دهرا ليس بالقصير.

6. ارتداد الانسان إلى أسفل سافلين إنما عرض له بعوارض كانت في مبدأ الخليقة قليلة الطرو أو معدومته قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم:30]، ففي قوله تعالى: ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾ دليل على أنه «لا ينبغي لأحد أن يبدّل أو يغير فطرة الله أي الخلقة الأصلية والملة السليمة، وهو خبر في معنى النهي أو الطلب، أي لا تبدلوا خلق الله

---

(1) محمد سيد طنطاوي، "التفسير الوسيط" (15/ 446).

(2) وهبة الزحيلي، "التفسير الوسيط " (3/ 2897).

(3) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن" ص925.

(4) وهبة الزحيلي، "التفسير الوسيط" (3/ 2880).

ودينه بالشرك، فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها. وهذا دليل على سلامة الخلقة العقدية، ونقاوة العقل البشري في أصل التكوين والوجود، ثم يحدث التغيير بتأثيرات البيئة من أهواء وعلوم ومعارف زائغة، وموروثات باطلة وتقليد مستمر للأسلاف، دون إعمال الفكر وتكوين الاعتقاد بالنظرة المستقلة الصائبة، ولو ترك الإنسان وشأنه لما اختار غير الإسلام دينا؛ لأنه دين الفطرة والعقل»(1).

الفرع الثاني: دلالة الفطرة على الحق

تدل الفطرة البشرية على كبرى الحقائق الإنسانية والدينية من الإقرار بربوبية الخالق لهذا الكون واستحقاقه للعبودية التامة وما يتبع ذلك من البعث والمعاد والحساب وهي الحقائق التي اتفقت عليها دعوة الأنبياء والرسل منذ خلق الله تبارك وتعالى آدم أبا البشرية الأول، ويدل على هذا الأصل من أصول معرفة الحق كثير من آي القرآن الكريم؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ١٧٣ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ١٧٤﴾ [سورة الأعراف:172-174]، ففي الآية دلالة على أن الانسان مفطور على معرفة الخالق وما يتبع ذلك من معرفة كثير من أصول قيم الحق وقيم الخير وقيم الأخلاق وهذا منذ يوم نفخت فيه الروح أو قبل ذلك يوم خلق الله الخلائق، وذكر الله جل وعلا في هذه الآية حجة عامة على جميع الخلق من بني آدم ألا وهي الميثاق العام الذي أخذه عليهم وهم في صلب آدم. وهذا الميثاق الذي يتلقاه الانسان بمثابة الدرس الذي يتلقاه التلميذ عن معلمه ويدونه في دواوينه ثم تنزع عنه تلك الدواوين ليمتحن فيه في الحياة الدنيا ولله المثل الأعلى، وعلى هذا يكون لكل فرد من النوع الإنساني ميثاقان ميثاق عام وهو ما سبق الإشارة إليه من قريب، وآخر خاص بالرسول الذي أرسل إلى قومه وأمته خاصة إلى أن جاء محمد ﷺ الذي أرسل إلى الناس كافة. وهذا الإقرار بلسان المقال من بني آدم في القدم هو أرجح القولين في تفسير الآية؛ إذ ذهب من خالف قول الجمهور إلى أن هذا الإقرار إنما هو بلسان الحال لما أودعه الله في الكون من آيات دالة عليه لمن كان له عقل ولب(2). وإلى القول

(1) وهبة الزحيلي، "التفسير المنير" (21/ 83)

(2) ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، "العذب النمير من مجالس التفسير" (4/309-318). وهبة الزحيلي، "التفسير المنير" (157/9).

الثاني ذهب ابن عاشور في تفسيره حيث يقول: «فوصف الإسلام بأنه فطرة الله معناه أن أصل الاعتقاد فيه جار على مقتضى الفطرة العقلية، وأما تشريعاته وتفاريعه فهي: إما أمور فطرية أيضا، أي جارية على وفق ما يدركه العقل ويشهد به، وإما أن تكون لصلاحه مما لا ينافي فطرته»[1] وكلا القولين يدلان على أن في الانسان فطرة تهديه ولو بطرف خفي إلى أصول الحق وتحتم عليه الانقياد لها كما قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الروم:30] ففي الآية دليل على أن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة التي أمر الناس بالانقياد لها قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم، الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق وهذا حقيقة الفطرة[2]. ومعنى فطر الناس على الدين الحنيف: «أن الله خلق الناس قابلين لأحكام هذا الدين وجعل تعاليمه مناسبة لخلقتهم غير مجافية لها، غير نائين عنه ولا منكرين له مثل إثبات الوحدانية لله لأن التوحيد هو الذي يساوق العقل والنظر الصحيح حتى لو ترك الإنسان وتفكيره ولم يلقن اعتقادا ضالا لاهتدى إلى التوحيد بفطرته»[3]. ومما يشهد أن الله قد فطر الناس على أمور كثيرة متعلقة بمكارم الأخلاق قول النبي ﷺ من حديث أبي حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يحدثهم: ((الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعملوا من القرآن، وعلموا من السنة ...))[4] فقوله ﷺ: ((إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال)) يعني في أصلها، ثم أنزل عليهم من القرآن والسنة ما يثبت ويؤيد هذا الأصل، فجاء الوحي من القرآن والسنة مؤيدا الفطرة التي فطر الناس عليها، وعلموا من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فازدادوا بذلك إيماناً وثباتاً وأداءً للأمانة[5]. وفطرة الإنسان غير مستقلة بتحصيل كمال التوحيد للخالق وكمال المعرفة له والعبودية له تمام العبودية، بل تحتاج إلى سبب معين ومقو لها على دفع كل ما يعترضها فبعث الله النبيين يدعون العباد إلى موجب هذه الفطرة فإذا لم يحصل مانع يمنع الفطرة عن مقتضاها استجابت لدعوة الرسل.... فنداء الإيمان محبب إلى قلوب الصادقين في طلب الحق المتشوفين

(1) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، (21/ 91)

(2) ينظر: عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص641.

(3) ابن عاشور، "التحرير والتنوير" (21/ 90)

(4) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في صحيحه (104/8) برقم: (6497)، ومسلم في صحيحه: (88/1) برقم: (143).

(5) ابن عثيمين، "شرح رياض الصالحين" (2/ 473).

لمعرفة الله تعالى، لأن نداء الرسل هو نداء الفطرة الداعي إلى الله تبارك وتعالى وإلى الخير كله وإلى النور والطمأنينة والحياة السعيدة في الدنيا ويبشر بالحياة الكريمة الأبدية في الدنيا والآخرة[1].

الفرع الثالث: موافقة الشرع القرآني للفطرة

بين الله تبارك وتعالى أن الفطرة والإسلام شيء واحد بحيث يتطابقان ويكمل الثاني منهما الأول، ونهى عن تغيير الفطرة التي فطر عليها عباده فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم:30]، فتضمنت هذه الآية جملة من الأمور المتعلقة بموافقة الفطرة لدين الحق منها[2]:

- الدين الذي شرعه الله هو دين الفطرة السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فإنه خلقهم على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره، وأمر بذلك نبيه ﷺ وأمته من بعده أن يكونوا بذلك مائلين عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق.
- قال النبي ﷺ في الحديث القدسي: ((إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم))[3] وفي حديث آخر: ((كل مولود يولد على الفطرة، حتى يكون أبواه هما اللذان يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة جمعاء، هل تحسّون فيها من جدعاء))[4]،فكل من الآيتين[5] والحديثين دليل على نقاوة أصل الخلق، وأن الله تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وعلى الإسلام الصافي[6].

---

(1) محمد عبد الله دراز، "النبأ العظيم"، 40. بتصرف

(2) «التفسير المنير - الزحيلي» (21/ 82 -83)، بتصرف

(3) أخرجه مسلم في صحيحه (159/8) برقم: (2865)، و ابن حبان في "صحيحه" (466/5) برقم: (4756).

(4) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في "صحيحه" (2 / 94) برقم: (1358) ، (2 / 95) برقم: (1359) ، (2 / 100) برقم: (1384) ، (2 / 100) برقم: (1385) ، (6 / 114) برقم: (4775) ، (8 / 123) برقم: (6598) ، (8 / 123) برقم: (6599) ومسلم في "صحيحه" (8 / 52) برقم: (2658) ، (8 / 52) برقم: (2658) ، (8 / 53) برقم: (2658) ، (8 / 53) برقم: (2658) ، (8 / 53) برقم: (2658) ، (8 / 53) برقم: (2658) ، (8 / 53) برقم: (2658) ، (8 / 54) برقم: (2659) ، (8 / 54) برقم: (2659) ، (8 / 54) برقم: (2659).

(5)سورة الأعراف:172، سورة الروم: 30.

(6) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، (21/91-93) بتصرف.

- في الآية دليل على سلامة الخلقة العقدية، ونقاوة العقل البشري في أصل التكوين والوجود، ثم يحدث التغيير بتأثيرات البيئة من أهواء وعلوم ومعارف زائغة(1).
- فكون الإسلام هو الفطرة، وأحكامه ملازمة لمقتضيات هذه الفطرة، صفة اختص بها من بين سائر الأديان في تفاريعه، أما أصوله فاشتركت فيها الأديان الإلهية. فالإسلام عام خالد مناسب لجميع العصور وصالح بجميع الأمم، وذلك لا يستتب إلا إذا بنيت أحكامه على أصول الفطرة الإنسانية ليكون صالحا للناس كافة وللعصور عامة وقد اقتضى وصف الفطرة أن يكون الإسلام سمحا يسرا لأن السماحة واليسر مبتغى الفطرة (2).
- وفي قوله سبحانه وتعالى في الآية السابقة ﴿التي فطر الناس عليها﴾ بيان لمعنى الإضافة في قوله ﴿فطرت الله﴾ وتصريح بأن الله خلق الناس سالمة عقولهم مما ينافي الفطرة من أديان باطلة وعادات ذميمة، وأن ما يدخل عليهم من الضلالات ما هو إلا من جراء التلقي والتعود، وقد قال النبي ﷺ: ((يولد الولد على الفطرة ثم يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء))(3)، أي كما تولد البهيمة من إبل أو بقر أو غنم كاملة جمعاء أي بذيلها، أي تولد كاملة ويعمد بعض الناس إلى قطع ذيلها وجدعه وهي الجدعاء، و (تحسون) تدركون بالحس، أي حاسة البصر. فجعل اليهودية والنصرانية مخالفة الفطرة، أي في تفاريعهما. وفي صحيح مسلم أن النبيء ﷺ قال فيما يرويه عن ربه: (وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم- أي غير مشركين- وأنهم أتتهم الشياطين فأجالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا) الحديث (4).

ويتجلى دور الفطرة في الدلالة على الخالق واجب الوجود حينما «تتحرر من سلطان الوهم والهوى ويتفلت [القلب] من حكم المادة المظلمة، أو حينما يفجأ بالسؤال عن مصدر هذا الكون أو حينما تنزل به شدة تحيط به، ولا يرى طريقا للخلاص منها»(5) ويشهد القرآن لمثل هذا قوله تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾ [سورة

(1) ينظر: المرجع نفسه، (21/91-93) بتصرف.

(2) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، (21/91-93) بتصرف.

(3) سبق تخريجه

(4) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، (21/91-93) بتصرف.

(5) محمد شلتوت، "الإسلام عقيدة وشريعة"، ص23.

الزخرف:9]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ [سورة فصلت:51]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة لقمان:32]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة يونس:22].

الفرع الرابع: مفسدات الفطرة

قال الله تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾﴾ [سورة الشمس:7]، سوى الله تبارك وتعالى النفوس خلقة وسواها فطرة؛ سواها خلقة حيث خلق كل شيء على الوجه الذي يناسبه ويناسب حاله، وكذلك سواها فطرة ولا سيما البشر فإن الله جعل فطرتهم هي الإخلاص له والتوحيد كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة الروم:30] (1). غير أنه يجب لفت الانتباه إلى أن شواهد الفطرة قد تكون واضحة بينة وقد تكون خفية ... فإذا خفيت المعاني الفطرية بأسباب قد تكون معلومة أو قد نجهلها لحكمة أرادها الله تبارك وتعالى أو إلتبست هذه المعاني الفطرية بغيرها، فالمضطلعون بتمييزها عما التبست به وكشفها إن خفيت هم العلماء الربانيون والحكماء العارفون المحققون اللذين تمرسوا بحقائق الأشياء والتفريق بين متشابهاتها، وسبروا أحوال البشر، وتعرضت أفهامهم زمانا لتصاريف الشريعة، وتوسموا مراميها، وغاياتها وعصموا أنفسهم بوازع الحق عن أن يميلوا مع الأهواء(2). وهذا ما سيأتي بسطه في دور العلم والحكمة في سبيل بيان الحق وتجليته وبيان شواهده. وللانحراف عن الفطرة عدة أسباب يذكر القرآن منها(3):

(1) ابن عثيمين،"تفسير جزء عم"، ص222. بتصرف

(2) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (21/91-93). بتصرف

(3) ينظر: "موسوعة التفسير الموضوعي" (26/344) وما بعدها

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: الغفلة والنسيان

النسيان طبع جبل عليه الإنسان منذ النشأة الأولى التي نشأها آدم في الجنة وهذا الطبع هو أصل تسميته كما نص عليه ابن عباس ﵄ حين قال: إنما سمى الإنسان لأنه عهد إليه فنسى. ولقد قال بعض الشعراء:

وما سُمِّي الإنسان إلا لنسيه ... ولا القلب إلا أنه يتقلَّب[1]

قال الله تعالى عن آدم عليه السلام ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [سورة طه:115]، أي: «ولقد وصينا آدم وأمرناه، وعهدنا إليه عهدا ليقوم به، فالتزمه، وأذعن له وانقاد، وعزم على القيام به، ومع ذلك نسي ما أمر به، وانتقضت عزيمته المحكمة، فجرى عليه ما جرى، فصار عبرة لذريته، وصارت طبائعهم مثل طبيعته، نسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ فخطئوا، ولم يثبت على العزم المؤكد، وهم كذلك، وبادر بالتوبة من خطيئته، وأقر بها واعترف، فغفرت له، ومن يشابه أباه فما ظلم»[2]. ومما يشهد أن طول العهد يرجع على الناس بالفساد على فطرتهم التي فطروا عليها ما قرره الله تعالى في كتابه حكاية عن موسى عليه السلام لما حاج قومه حين تركوا عبادة الرحمن وعبدوا الأوثان فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ [سورة طه:86]، في هذه الآية التي تقص خبر بني إسرائيل مع موسى عليه السلام لفتة إلى الطبيعة الإنسانية وهي النسيان حتى مع قصر المدة، فالاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ هو للإنكار، يعني لم يطل العهد؛ كما يقال في المثل: وما بالعهد من قدم؛ لأن طول العهد مظنة النسيان، والعهد قريب لم يطل، فكيف نسيتم؟!![3]

ثانيا: التربية على العقائد الباطلة

إن التربية على الباطل من قبل السادة والكبراء للمستضعفين، لغلبة القوة المادية التي يستعملها الكبراء لإرهابهم وإرغامهم على انتحال مذاهبهم الفلسفية والإديولوجية من جهة أو لغياب الاستعداد

(1) ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (4/ 648 ط عطاءات العلم)

(2) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص514.

(3) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (4/ 614 ط عطاءات العلم)، وينظر: «التحرير والتنوير» (16/ 282).

الذاتي لدئ المستضعفين للبحث العلمي المبني على التحري و التدقيق والنقد للآراء من جهة أخرى أو حتى ذلك الإنبهار الذي عادة ما يكون به الضعيف مولعا بتقلد القوي من جهة ثالثة، أمر كان ولا يزال سببا رئيسا لانحراف الخلق عن الفطرة السوية و فساد عقائدهم، وقد حكاه القرآن الكريم في عدة مواضع في كتابه قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧﴾ [سورة الأحزاب:67]، هذا عن طاعة الضعيف وركونه لقهر القوي، وقال تعالى عن انبهار الضعيف بما عليه أهل الوجاهة والسؤدد فيما حكاه عن قارون وقومه: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠﴾ [سورة القصص:79-80]. وهذا السبيل لا يزال موجودا اليوم في المسلمين فقد اتبع بعض الأفراد من الشعوب الإسلامية مناهج الملاحدة من الشيوعيين اللذين ينكرون وجود الله جل جلاله ونكسوا عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها كما قال الله تبارك وتعالى على لسان رسله: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [سورة إبراهيم:10]، فيما ركنت طائفة أخرى إلى مناهج مختلفة، كالرأسمالية المتطرفة و الثقافة الحداثية، والتي تعود على الفطرة والدين بالهدم. وإلى هذا المعنى من المعاني التي تفسد فطر الناس وتستحوذ على كيانهم فتطمس معالم الحقيقة بينهم أشار محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره فقال: «إن المجتمع الإنساني قد مني عصورا طويلة بأوهام وعوائد ومألوفات أدخلها عليه أهل التضليل، فاختلطت عنده بالعلوم الحق فتقاول الناس عليها وارتاضوا على قبولها، فالتصقت بعقولهم التصاق العنكبوت ببيته، فتلك يخاف منها أن تتلقى بالتسليم على مرور العصور فيعسر إقلاعهم عنها وإدراكهم ما فيها من تحريف عن الحق، فليس لتمييزها إلا أهل الرسوخ أصحاب العلوم الصحيحة اللذين ضربوا في الوصول إلى الحقائق كل سبيل، واستوضحوا خطيرها وسليمها فكانوا للسابلة خير دليل.»[1] فالبدع والعوائد والمألوفات التي يتربى عليها الناس ويزيدها كبراء القوم رسوخا في المجتمعات والنفوس هي التي قد تبعد الناس عن معالم الحق في كثير من الأوقات.

(1) "التحرير والتنوير"، (92/21).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا: اتباع خطوات الشيطان

يوم خلق الله آدم في الجنة ونفخ فيه من روحه وأمر ملائكته بالسجود له فأبى إبليس فكان من الملعونين؛ من يومها أخذ الشيطان على نفسه أنه يظل بني آدم ويغويهم ويخرجهم عن الفطرة التي فطرهم الله عليها كما قال الله تعالى حكاية عنه: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [سورة النساء:119]، ومعنى ولأضلنهم: إضلالهم عن الحق[1] أي: عن الصراط المستقيم ضلالا في العلم، وضلالا في العمل[2]، والشيطان موغل في إضلال بني آدم حريص على الابتعاد بهم عن جادة الحق و الصواب فمع إفساده للتصورات الحقة هو يزين للذين انصاعوا له الطريق الذي هم يسيرون فيه بالأماني الكاذبة وهذا هو الضلال البعيد «وهذا هو الغرور بعينه، فلم يقتصر على مجرد إضلالهم حتى زين لهم ما هم فيه من الضلال. وهذا زيادة شر إلى شرهم حيث عملوا أعمال أهل النار الموجبة للعقوبة وحسبوا أنها موجبة للجنة، واعتبر ذلك باليهود والنصارى ونحوهم فإنهم كما حكى الله عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ﴾ [سورة البقرة:111]، ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [سورة الأنعام:108]، ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الكهف:103-104]، وقال تعالى عن المنافقين إنهم يقولون يوم القيامة للمؤمنين: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الحديد:14]»[3].

والشيطان في إضلاله لبني آدم غير مقتصر على جانب واحد ولا على طريقة واحدة، وهو حريص على اغواء بني آدم بشتى الطرق، ففي قوله تعالى ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن

(1) "التحرير والتنوير" (5/ 204).

(2) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص204.

(3) المرجع نفسه، ص204.

﴿دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾﴾ [سورة النساء:119] إشارة إلى هذا وأمثلة عن سبل الشيطان وبيان لتنوعها، حيث أن قوله: ﴿ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾ «تعريض بما كانت تفعله أهل الجاهلية من تغيير خلق الله لدواع سخيفة، فمن ذلك ما يرجع إلى شرائع الأصنام مثل فقء عين الحامي، وهو البعير الذي حمى ظهره من الركوب لكثرة ما أنسل، ويسيب للطواغيت. ومنه ما يرجع إلى أغراض ذميمة كالوشم إذ أرادوا به التزين، وهو تشويه، وكذلك وسم الوجوه بالنار. ويدخل في معنى تغيير خلق الله وضع المخلوقات في غير ما خلقها الله له، وذلك من الضلالات الخرافية. كجعل الكواكب آلهة. وجعل الكسوفات والخسوفات دلائل على أحوال الناس، ويدخل فيه تسويل الإعراض عن دين الإسلام، الذي هو دين الفطرة، والفطرة خلق الله فالعدول عن الإسلام إلى غيره تغيير لخلق الله»[1] وأشار بعض المفسرين الى معان أخرى لتبديل خلق الله منها «ما قيل من فقء عين الحامي، وخصاء العبيد، والوشم والوشر، واللواط، والسحق، ونحو ذلك. وعبادة الشمس والقمر، وتغيير فطرة الله تعالى التي هي الإسلام. واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا، ولا يوجب لها من الله سبحانه وتعالى زلفى»[2]. فالحاصل أن الشيطان حريص على تغيير الفطرة والخلقة التي خلق الله سبحانه وتعالى خلقه عليها. وسيأتي مع الباحث فيما تبقى من محاور وفصول مزيد بسط وبيان وتذكير بموضوعي الفطرة والعقل وما تعلق بهما من دلالات وتعريفات ومفسدات وآثار على القيم العليا (الحق، الخير، الجمال) متى دعت الضرورة إلى ذلك ومتى ناسب المقام للمقال.

(1)"التحرير والتنوير" (5/ 205).

(2) تفسير البيضاوي، نقلا عن جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل" (3/ 346).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني: العلم

إن نسبة العلم إلى الحق هي كنسبة الأساس إلى البنيان؛ إذ العلم الصحيح هو قوام الحقيقة المطلقة وهو الدليل عليها وهو الفيصل الصارم الذي يزيل الباطل ويزيحه عن الحق ويكشف عن اللبس، لذا قيل العلم لا يعدله شيء لمن صحت نيته(1)، والعلم هو العمود الذي قام عليه الدين الإسلامي و هو النور الذي به اهتدى به المهتدون، وهو الحق الذي به يعدلون وقد كان أول ما أنزله الله على عبده محمد ﷺ أمر بطلب العلم بأبلغ وسيلة يحصل بها وهي القراءة فقال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ [سورة العلق:1-5]، وأقسم الله تبارك وتعالى في كتابه بوسيلة العلم الأولى -والله جل جلاله لا يقسم إلا بعظيم- فقال: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾ [سورة القلم:1]، وأمر الله تبارك نبيه بطلب الاستزادة من العلم فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [سورة طه:114]. وعناية أهل الإسلام بموضوع العلم من حيث ماهيته المطلوبة وبيان ما اشتبه به وليس منه وبيان فضله ومزيته على غيره من الفضائل وآداب طالبه وأخلاق من وصف به ... لا تخفى على ناظر في تراث الأمة الإسلامية منذ العصر الأول إلى يومنا هذا؛ فتلك روايات بالسند المتصل إلى زمن النبي ﷺ تصور كيف كان يقيد العلم ويحفظ عند أهل هذا الشأن وكتب السنة لا يخلو واحد منها من أبواب آداب طالب العلم وكيفية التلقي له ونشره، وفيما يلي أمثلة لبيان شرف العلم في القرآن الكريم ودوره في بيان الحق وتجليته في ضوء ما سطرته أنامل أهل التفسير في العصر الحديث.

في قصة آدم في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم

(1) أحمد بن حنبل، نقلا عن: ابن مفلح، "الآداب الشرعية" (37/2).

بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [سورة البقرة:30-33]، من البينات على تكريم آدم عليه السلام بالعلم الذي علمه الله له من وجوه؛ [1] منها أن الله تعرف لملائكته بعلمه وحكمته. ومنها: أن الله عرفهم فضل آدم بالعلم وأنه أفضل صفة تكون في العبد، ومنها أن الله أمرهم بالسجود لآدم إكراما له لما بان فضل علمه. وتفضل الله عزوجل على أنبيائه بتيسير سبل العلم لهم فقال تعالى عن نبيه عيسى عليه السلام ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة آل عمران:48]، فامتن الله عليه بتعليمه الكتابة لأن الكتابة من أعظم نعم الله على عباده ولهذا امتن تعالى على عباده بتعليمهم بالقلم في أول سورة أنزلها[2] .

وأهل العلم هم المرجع للناس فيما جهلوه وخفي عليهم كما قال الله تعالى مخبرا وآمرا جميع الناس بسؤالهم عند اشتباه الأمور وخفائها ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة النحل:43]، «وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل. فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعة، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله، وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم، والاتصاف بصفات الكمال»[3]. وأهل العلم هم أولى الناس بمعرفة الحق والعمل به لأن الله منحهم من العلم، ما به يعرفون الحق من الباطل، والرشد من الغي، فيميزون بين الأمرين، الحق المستقر، الذي يحكمه الله، والباطل العارض الذي ينسخه الله[4] كما قال الله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الحج:54]، ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سورة سبأ:6]. بل وارتضى الله شهادة أهل العلم وقرنها بشهادته وشهادة ملائكته على كبرى الحقائق التي من أجلها أرسل الرسل

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص48.

(2) المرجع نفسه، ص131.

(3) المرجع نفسه، ص441.

(4) المرجع نفسه، ص542.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وبعث الأنبياء ألا وهي وحدانيته فقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [سورة آل عمران:18] «فشهادة الله تحقيقه وحدانيته بالدلائل التي نصبها على ذلك، وشهادة الملائكة تحقيقهم ذلك فيما بينهم، وتبليغ بعضهم ذلك إلى الرسل، وشهادة أولي العلم تحقيقهم ذلك بالحجج والأدلة»(1) وهذه الآية دلت على شرف أهل العلم من وجوه كثيرة منها (2) أن الله خصهم بالشهادة على أعظم مشهود عليه دون الناس، ومنها: أن الله قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وكفى بذلك فضلا ومنها أنه جعلهم أولي العلم، فأضافهم إلى العلم، إذ هم القائمون به المتصفون بصفته، ومنها أنه تعالى جعلهم شهداء وحجة على الناس، وألزم الناس العمل بالأمر المشهود به، فيكونون هم السبب في ذلك، فيكون كل من عمل بذلك نالهم من أجره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ومنها أن إشهاده تعالى أهل العلم يتضمن ذلك تزكيتهم وتعديلهم وأنهم أمناء على ما استرعاهم عليه. وهذه الشهادة دليل على أن أهل العلم من الخاصة فهذه الشهادة مختصة بأهل العلم اللذين أخلصوا في طلب الحقيقة؛ فقد قال تعالى عن الجهال: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ [سورة الكهف:51] (3)، ولأهل العلم المكانة الخاصة في الدنيا فهم أهل الرفعة وأهل الدرجات كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [سورة المجادلة:11]، ففي الآية تصريح بأن الله يرفع اللذين أوتوا العلم درجات والملاحظ هنا أن درجات جاءت نكرة وتنكيرها للإشارة إلى أنواعها من درجات الدنيا ودرجات الآخرة (4)، وتدل هذه الآية على أن الرفعة عند الله تعالى بالعلم والإيمان، لا بالسبق إلى صدور المجالس، فيرفع المؤمن بإيمانه أولا ثم بعلمه ثانيا(5). وتجدر الإشارة إلى أن أهل العلم في القرآن الكريم ليسوا على درجة واحدة بل هم في منازل مختلفة متفاوتة على قدر رسوخهم في العلم

(1) ابن عاشور، "التحرير والتنوير" (3/ 186).
(2) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص125.
(3) محمد أبو زهرة، "زهرة التفاسير" (1145/3).
(4) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، (40/28).
(5) ينظر: وهبة الزحيلي، "التفسير المنير" (43/28).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كما يشير إليه قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٨﴾ [سورة آل عمران:7-8]. ففي هذه الآيات مزية لأهل العلم الراسخين فيه دون غيرهم ، وقد أثنى الله تعالى على الراسخين في العلم بسبع صفات هي عنوان سعادة العبد: إحداها: العلم الذي هو الطريق الموصل إلى الله، المبين لأحكامه وشرائعه. الثانية: الرسوخ في العلم وهذا قدر زائد على مجرد العلم، فإن الراسخ في العلم يقتضي أن يكون عالما محققا، وعارفا مدققا، قد علمه الله ظاهر العلم وباطنه، فرسخ قدمه في أسرار الشريعة علما وحالا وعملا. الثالثة: أنه وصفهم بالإيمان بجميع كتابه ورد لمتشابهه إلى محكمه، بقوله ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [سورة آل عمران:7]. الرابعة: أنهم سألوا الله العفو والعافية مما ابتلي به الزائغون المنحرفون الخامسة: اعترافهم بمنة الله عليهم بالهداية وذلك قوله ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾ [سورة آل عمران:8] السادسة: أنهم مع هذا سألوه رحمته المتضمنة حصول كل خير واندفاع كل شر، وتوسلوا إليه باسمه الوهاب. السابعة: أنه أخبر عن إيمانهم وإيقانهم بيوم القيامة وخوفهم منه، وهذا هو الموجب للعمل الرادع عن الزلل(1).

وما كان العلم ليكون مقدسا في أمة من الأمم إلا للنتائج التي يوصل إليها، فلئن كان العلم المادي التجريبي يوصل إلى مثل ما نراه من عجائب الصنعة وغرائب الأمور ويوصل المعنى المختصر إلى التطور المادي الصرف لبني البشر ولا علاقة له بالجانب الروحي القيمي فلا حاجة لنا في الحديث عنه هنا ما دام غير مؤثر ولا متأثر بما نحن فيه إلا بالقدر المحدود الذي مضى بيانه في الفصل الأول، ويعنينا هنا العلم الذي يوصلنا إلى الحقائق الكونية والغيبية التي يبحث عنها الإنسان منذ القدم والتي تعرف بالحقائق الكبرى، والعلم الذي يحرز هذا -وحده- هو العلم الموروث عن الأنبياء و المرسلين وهو العلم اللدني الذي أوحاه الله رب العالمين لأنبيائه المرسلين ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ومن الشك إلى اليقين، وهو وحده يقود إلى الحقيقة المطلقة من جهة مبدئ الانسان وغاية وجوده ومنتهاه

(1) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن"، ص123.

ومعاده وكل ما يتصل بذلك؛ ومؤسف أن يزاحم هذا المفهوم للعلم مفهوم آخر فـــ«لقد تعلم الناس من المجتمع أن يتخذ كل من كلمة "العلم" مطية لما يهواه من الأفكار، فالعلم عند الماركســـي هو ما يراه ماركس وأشياعه من سيطرة [الفكر] الديالكتيكي على حركة العالم، والعلم عند الآخرين ما يرونه من ســـير العلم على نظام العلل الميكانيكية، والعلم عند الداروينين ما يراه داروين من توالد الأنواع الحية عن بعضـها، ... إن هذا التدافع إن دل على شـيء فإنما يدل على أن كلمة "العلم" تسـتعمل ظلما في غير مكانها»[1] ولا شـك أن مثل هذا الخلط بين ما هو علم وبين ما هو دون ذلك سـيعود على الفرد و الجماعات بعكس ما هو منتظر فيغرق الفرد في ظلمات الشكوك والحيرة وتحيط به أنواع من أسـباب القنوط التي تقود الفرد إلى اعتناق مذاهب اللاءدريين من السـفسـطائيين وغيرهم وتقود المجتمع إلى التفرق والتشـــرذم وغياب قيم الأخوة والتعاون والتلاحم بين مختلف الأفراد والجماعات مصـداقا لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الروم:31-32] وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [سـورة الأنعام:159]. أما عن العلم الحقيقي الذي هو المطية التي توصـل إلى الحق الخالص فهو: «علم ما أنزل الله على رســوله من الكتاب والحكمة»[2] وهذا ما يطلق عليه في الاصـطلاح بالعلم الشـرعي ويلحق به ما أعان على قيام الحجة وما أعان على قوة أصـحاب العلم الشـرعي اللذين هم أهل الحق وهذه تلحق بالعلم الشـرعي وإن كانت مغايرة له في ماهيته وموضـوعه إلا أنها تلحق به من باب التلازم الذي بينها وبين ظهور الحق وشيوعه وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب؛ يقول الشـيخ عبد الرحمن بن السـعدي: «العلوم النافعة هي العلوم الشـرعية وما أعان عليها من العلوم العربية بأنواعها ومن العلوم الشـــرعية تعلم الفنون المعينة على الدين وعلى فوة المســـلمين وعلى الاسـتعداد للمقاومة والمدافعة، فإنها داخلة في الجهاد في سـبيل الله ، فكل أمر أمر به الشـارع وكان متوقفا على أمور كانت مأمورا بها»[3]، ويقول ســيد قطب تحت قول الله تعالى ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ﴾ [سورة

(1) محمد سعيد رمضان البوطي، "الإسلام ومشكلات الشباب"، ص59-60.

(2) عبد الرحمن السعدي، "فتح الرحيم الملك العلام"، ص138.

(3) المرجع نفسه، ص139.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحج:54]: «وقد ورد أن المقصود باللذين أوتوا العلم هم أهل الكتاب، اللذين يعلمون من كتابهم أن هذا القرآن هو الحق، وأنه يقود إلى صراط العزيز الحميد، ومجال الآية أكبر وأشمل، فاللذين أوتوا العلم في أي زمان وفي أي مكان، من أي جيل ومن أي قبيل، يرون هذا متى صح علمهم واستقام واستحق أن يوصف بأنه (الْعِلْمَ) ! والقرآن كتاب مفتوح للأجيال، وفيه من الحق ما يكشف عن نفسه لكل ذي علم صحيح، وهو يكشف عن الحق المستكن في كيان هذا الوجود كله. وهو أصدق ترجمة وصفية لهذا الوجود وما فيه من حق أصيل»(1).

(1) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (2894/5).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث: الحكمة

الحكمة في اللغة من الحكم؛ والحاء والكاف والميم أصل يدل على المنع ومنه حكمة الدابة لأنها تمنعها[1] أما في الاصطلاح فتعددت عبارات أهل العلم التي تحدها وفي التفاسير جملة من الكلام حولها نظرا لكثرة ورود لفظ الحكمة في القرآن الكريم، قال القاسمي في تفسيره محاسن التأويل الحكمة: معرفة الحق والعمل به[2] ويظهر من هذا التعريف العلاقة المباشرة بين الحكمة و الحق وكيف أن الحكمة هي واحدة من ثمرات معرفة الحق إذ هي العمل بالحق المتمثل في حسن التصرف، وعرفها ابن عاشور في تفسيره بأنها معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بما تبلغه الطاقة ، أي بحيث لا تلتبس الحقائق المتشابهة بعضها مع بعض ولا يغلط في العلل والأسباب[3] وقال الحكمة: هي المعرفة المحكمة، أي الصائبة المجردة عن الخطأ، فلا تطلق الحكمة إلا على المعرفة الخالصة عن شوائب الأخطاء وبقايا الجهل في تعليم الناس وفي تهذيبهم[4]، ونقل في تعريفها عن غيره فقال: «عرفوا الحكمة بأنها: معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بحسب الطاقة البشرية بحيث لا تلتبس على صاحبها الحقائق المتشابهة بعضها ببعض ولا تخطىء في العلل والأسباب. وهي اسم جامع لكل كلام أو علم يراعى فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم إصلاحا مستمرا لا يتغير»[5] فالحكمة عند الإمام هي فن يتأتى لصاحبه بالتمرس والمران يستفاد منه الوصول إلى الحق وكشف المشتبهات ومعرفة العلل التي وراء الظواهر ... وعرفت الحكمة بتعريفات أخر متقاربة منها أنها «استكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية، واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة، على قدر طاقتها»[6] ومنها أن «الحكمة: وهي العلم النافع والعمل به»[7] ، ومنها أن« الحكمة وهي التوفيق إلى العمل بالعلم والفهم»[8] ومنها قولهم أن «الحكمة، وهي الفقه في الدين وسلامة العقل والإصابة في القول»[9].

---

(1) ابن فارس، "مقاييس اللغة" (2/ 91)

(2) جمال الدين القاسمي، "تفسير القاسمي محاسن التأويل" (2/ 208-209).

(3) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، (61/3).

(4) المرجع نفسه، (327/14).

(5) المرجع نفسه (327/14).

(6) وهبة الزحيلي، "التفسير المنير" (143/21).

(7) وهبة الزحيلي "التفسير الوسيط" (3/ 2024).

(8) وهبة الزحيلي، "التفسير المنير" (144/21-145).

(9) نخبة من العلماء، "التفسير الميسر" (412/1).

وردت الحكمة وما اشتق من الجذر (أحكم) ثلاثة وعشرون ومائة (123) مرة في القرآن الكريم[1]، وجاءت معانيها على خمسة وجوه[2]؛ أحدها: وضع الأشياء مواضعها، ومنه قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾ [سورة التغابن:18]، يعني: الموصوف بالحكمة، لا يدع معاملة الناس بما تقضيه الحكمة من وضع الأشياء مواضعها، ونوط الأمور بما يناسب حقائقها. والثاني: الموعظة، ومنه قوله تعالى: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾ [سورة القمر:5]، يعني: موعظة قد بلغت الغاية، ووصلت إلى النهاية. والثالث: السنة، ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [سورة الجمعة:2]، يعني: القرآن والسنة. والرابع: العلم والفهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ﴾ [سورة لقمان:12]، يعني: العلم والفهم. والخامس: النبوة: ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۝٥٤﴾ [سورة النساء:54]، يعني: النبوة. والحاصل أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر الحكمة في القرآن الكريم مرادا بها ما فيه صلاح النفوس من النبوءة والهدى و الإرشاد[3].

وعلم الحكمة من حيث هو من جهة التنظير والتقعيد والتقسيم كان شرقي النشأة كما نص على ذلك الإمام ابن عاشور في تفسيره إذ يقول: «ومبدأ ظهور علم الحكمة في الشرق عند الهنود البراهمة والبوذيين، وعند أهل الصين البوذيين، وفي بلاد فارس في حكمة زرادشت، وعند القبط في حكمة الكهنة. ثم انتقلت حكمة هؤلاء الأمم الشرقية إلى اليونان وهذبت وصححت وفرعت»[4] أما إذا تأملنا مصدر الحكمة في القرآن الكريم فإنا نجدها نعمة إلهية يؤتيها من يشاء من عباده ممن كملت أهليته وسلمت آلات تفكيره كما قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [سورة البقرة:269]. قال ابن عاشور مبينا صفات

(1) ينظر: "موسوعة التفسير الموضوعي" (13/38-39).

(2) ينظر: "موسوعة التفسير الموضوعي" (13/38-39).

(3) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (3/63).

(4) المرجع نفسه، (3/ 61-62).

اللذين يؤتيهم الله الحكمة في تفسيره للآية السابقة «ومن يشاء الله تعالى إيتاءه الحكمة هو الذي يخلقه مستعدا إلى ذلك، من سلامة عقله واعتدال قواه، حتى يكون قابلا لفهم الحقائق منقادا إلى الحق إذا لاح له، لا يصده عن ذلك هوى ولا عصبية ولا مكابرة ولا أنفة، ثم ييسر له أسباب ذلك من حضور الدعاة وسلامة البقعة من العتاة، فإذا انضم إلى ذلك توجهه إلى الله بأن يزيد أسبابه تيسيرا ويمنع عنه ما يحجب الفهم فقد كمل له التيسير»(1) وقال الشيخ المراغي في تفسيره: «والآية الكريمة رافعة شأن الحكمة بأوسع مالها من المعاني، وهادية إلى استعمال العقل في أشرف ما خلق له ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة البقرة:269] أي ومن يوفقه الله لهذا النوع النافع من العلم، ويرشده إلى هداية العقل، ووجيهه الوجهة الصحيحة- فقد هدى إلى خيرى الدنيا والآخرة، فهو يسخر القوى التي خلقها الله له من سمع وبصر وشعور ووجدان في النافع من الأشياء، ويعدّها لتنفيذ ما يرغب فيه، ثم بعدئذ يفوض الأمر إلى بارئه الذي فطره وسوّاه، ومنه مبدؤه وإليه منتهاه»(2) فنخلص من كلام المفسرين في الموضعين السابقين أن من يرد الله أن يؤتيهم الحكمة من عباده قد اتصفوا بصفات كمالية في تفكيرهم بأن أوتوا قوة الفهم وسلامة العقل كما اتصفوا بصفات نفسية تتمثل في محبة الحق وإيثاره على غيره مهما كانت الظروف والعقبات مع توفر الجو المناسب لنمو الحكمة فيهم من وجود الدعاة الصالحين والسلامة من البطانة السيئة التي تلبس على الناس الحقائق.

والحكمة علوم مختلفة وفنون شتى أجملها بعض المفسرين في قوله: «وعلوم الحكمة هي مجموع ما أرشد إليه هدى الهداة من أهل الوحي الإلهي الذي هو أصل إصلاح عقول البشر، فكان مبدأ ظهور الحكمة في الأديان، ثم ألحق بها ماأنتجه ذكاء أهل العقول من أنظارهم المتفرعة على أصول الهدى الأول»(3) فإن كانت قواعد علوم الحكمة على ما هي عليه في الفلسفات البشرية شرقية المنشأ إلا أن أصلها الذي عليه تعتمد ومنها تستمد هو الوحي الذي أوحاه الله لعباده المرسلين؛ «والمهم من الحكمة في نظر الدين أربعة فصول: أحدها معرفة الله حق معرفته وهو علم الاعتقاد الحق، ويسمى عند اليونان العلم الإلهي أو ما وراء الطبيعة. الثاني ما يصدر عن العلم به كمال نفسية الإنسان، وهو علم الأخلاق. الثالث تهذيب العائلة، وهو المسمى عند اليونان علم تدبير المنزل. الرابع تقويم الأمة

(1) ابن عاشور، "التحرير والتنوير" (3/ 61).

(2) "تفسير المراغي" (3/ 42).

(3) ابن عاشور، "التحرير و التنوير" (3/63-64).

وإصلاح شؤونها وهو المسمى علم السياسة المدنية، وهو مندرج في أحكام الإمامة والأحكام السلطانية. ودعوة الإسلام في أصوله وفروعه لا تخلو عن شعبة من شعب هذه الحكمة»[1] فالحكمة لا تفارق الانسان الذي يعيش للحق وبه في أي شأن من شؤونه العامة أو الخاصة، وللحكمة شرف كبير في القرآن وفضائل متعددة فيه نذكر منها جملة:

أولا: الحكمة من صفات الله عز وجل

الحكيم من أسماء الله عز وجل ورد في القرآن الكريم مفردا ومقرونا مع أسماء أخر، والحكمة من صفات الله عزوجل، و«الحكمة في حق الله تعالى تعني صفة عظيمة من صفاته جل وعلا، واسمًا من أسمائه الحسنى، تتعلق بالعلم والإحاطة بخلقه، وتدبير شؤونهم، وتشريعاته الصالحة لكل زمان ومكان، ورحمته التي وسعتهم بتقدير وتدبير محكمين. ولذلك فإن اسم الله تعالى «الحكيم» تتعدد معانيه وتتسع حسب المواضع الكريمة التي ورد فيها في كتاب الله تعالى»[2].

ثانيا: الحكمة وصف للقرآن الكريم

سمي القرآن الكريم بالحكمة في قوله تعالى: ﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ٥﴾ [سورة القمر:5] حيث فسرها غير واحد في هذا الموضع بالقرآن الكريم[3]، وجاء في السنة النبوية أحاديث تصف القرآن الكريم بالحكمة أو مفسرة لوصفه بذلك، وجملة الكلام حول سبب وصف القرآن الكريم بالحكمة ما يلي[4]:

- لاستقرار الحكمة فيه وهي حقائق المعارف.
- لأن فيه حل كل ما يشكل على الإنسان عبر العصور والأزمان، فالحكمة وصف ملازم لمن تحلى به.
- أن ما قاله وأتى به الحكماء كله مرده إلى القرآن الكريم.

ثالثا: الحكمة وصف لأنبياء الله ورسله وعباده الصالحين

ومن شرف الحكمة وفضلها ما أورد القرآن الكريم علينا من قصص فيما اختص الله به عباده المرسلين والصالحين من إيتائهم الحكمة في مواطن شتى وبأساليب مختلفة منها في قوله تعالى في آل إبراهيم: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ

(1) ابن عاشور، "التحرير و التنوير" (3/ 63)
(2) "موسوعة التفسير الموضوعي"، (46/13).
(3) المرجع نفسه، (54/13).
(4) المرجع نفسه، (55/13) بتصرف.

وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ [سورة النساء:54]، ومنها ما قاله تعالى في داود عليه السلام ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ [سورة البقرة:251]، ومنها ما قاله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ [سورة آل عمران:48]، ومنها ما قاله في نبينا ﷺ ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ [سورة البقرة:129].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الرابع: النظر والتفكر

تظهر أهمية الشـــيء في ثمرته وفي عاقبة أمره التي يؤول إليها وعاقبة النظر في آيات الله بكل أنواعها العقلية المتلوة أو الحسـية المشـاهدة هي ما بينه الله تعالى في سـورة ق حين قال جل وعلا: ﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾ [سورة ق:8]، ففي سياق بيان آيات الله في الكون بيّن أن الناظر فيها المنيب إلى الحق له فيها تبصـرة وذكرى و«التبصـرة هي العلم بالشـيء والتبصـر فيه، والتذكرة هي العمل بالعلم اعتقادا وعملا، وتوضـيح هذا أن العلم التام النافع يفتقر إلى ثلاثة أمور: التفكر أولا في آيات الله المتلوة والمشهودة، فإذا تفكر أدرك ما تفكر فيه بحسب فهمه وذكائه، فعرف ما تفكر فيه وفهمه، وهذا هو التبصرة، فإذا علمه عمل به، فإن كان اعتقادا وإيمانا صدقه بقلبه وأقرَّ به واعترف، وإن اقتضى عملا قلبيا أو قوليا أو بدنيا عمل به، وهذا هو التذكر وهو التذكرة، وحاصل ذلك هو معرفة الحق واتباعه، ومعرفة الباطل واجتنابه»(1) وحبذا تلك الطمأنينة التي أسـاسـها اليقين المنبني على النظر والعلم والانقياد للحق. وكثيرا ما تختم الآيات التي تتحدث عن ملكوت الله سبحانه وتعالى بقوله مخاطبا عباده بأنها (لقوم يتفكرون) كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣﴾ [سورة الرعد:3] وغيرها من الآيات ، كما أنه سبحانه بين أن التفكر في ملكوته من وظائف عباده الصـالحين كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [سورة آل عمران:191]. النظر والتفكر من أساسيات ما يتوصل به إلى تمييز الحقائق وكشف الأمور رغبت بهما الشريعة القرآنية وحثت عليهما فتحا لباب الاجتهاد وسـدا لطريق التقليد والجمود الفكريين، قال ابن فارس «(نظر) النون والظاء والراء أصـل صـحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد وهو تأمل الشـيء ومعاينته، ثم يسـتعار ويتسـع فيه»(2) وقال رحمه الله: «(فكر) الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشـيء. يقال تفكر إذا ردد قلبه معتبرا. ورجل فكير: كثير الفكر»(3) ومن خلال المعاني اللغويـة للنظر والفكر يتبين أن المزج بينهما من خلال

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن" (1/ 313).

(2) "مقاييس اللغة" (5/ 444).

(3) "مقاييس اللغة" (4/ 446).

العطف بحرف الواو هو مزج بين عمل آلات الحواس الخمس المعبر عنها بأبلغ ما فيها وهو العين المبصرة وبين عمل العقل الذي يخمن في علل وأسباب الظواهر التي يراها ويحسها بحواسه الخمس. والمقصود بالنظر هنا «إجالة النظر في المعاني، وإعمال القلب، فيكون ناظرًا متقلبًا في الأمور التي ينبغي أن يتوجه نظره فيها، فتقليب النظر في المعاني يقال له: التفكر، وتقليبه في الأمور المحسوسة يقال له: التخيل»[1] وهو على نوعين؛ الأول هو التفكر والنظر في كتاب الله المسطور كما يدل عليه قول الله تعالى: ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾ [سورة النحل:44]، فعلى قدر ما عند الناس من استعداد واقبال يوفقون لاستخراج الآيات من الكتاب بما يزيدهم إيمانا بالحق. والنوع الثاني من النظر هو التفكر والنظر في آيات الله التي هي بمثابة كتابه المنظور والتي جعلها دالة على الخالق المعبود الحق وما عليه هديه ودينه من الحق، ويميز صاحب المنار في كثير من مواضع تفسيره بين نوعين من الآيات: الآيات التي يظهر بها الحق بطريق معقول بيّن لا يشتبه فيه الفهم، ولا يحار فيه الذهن ألا وهي الآيات القرآنية التي هي كلام الله وعلمه الذي ضمنه والآيات الكونية التي هي من صنعه يستخذي لها العقل ويخضع لها؛ لشعوره بأنها من قوة فوق قوته[2] ثم إنما العلاقة بين النوعين من التفكر هي علاقة تكاملية فلا يفهم كثير من الآيات المتلوة ولا يمكن تدبرها حق التدبر إلا بالنظر في الآيات الكونية فـ«القرآن كتاب الكون، لا تفسّره حق التفسير إلا حوادث الكون. والقرآن كتاب الدعوة، لا تكشف عن حقائقه العليا إلا تصاريف الدهر، والقرآن كتاب الهداية الإلهية العامة، فلا يفهمه إلا المستعدّون لها. والقرآن لا يبلى جديده، ولا تنقضي عجائبه»[3] فلا عجب أن ينص الأئمة بعد هذا أن من شروط المفسر تلك الثقافة الواسعة التي تمكنه من الاطلاع على ما تنتجه المعرفة الإنسانية التجريبية منها و الاجتماعية والقدرة على الربط بينها وبين الحقائق القرآنية التي تتصل بها موضوعا ودلالة.

والنظر والتفكر في ملكوت الله سبحانه وتعالى والتأمل في قوته وقدرته وبديع صنعه دليل حسي على الحق سبحانه وتعالى وهو نظير للدليل القائم على المعجزات خوارق العادات التي تميز بها الأنبياء قبل نبينا محمد ﷺ حيث تمثل المرحلة التي بعث فيها نبينا صلى الله عليه وسلم «الطور الجديد من مخاطبة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) خالد السبت، "شرح رياض الصالحين"، الموقع الرسمي، تاريخ الاطلاع: 2022/02/16م (11:05سا):
https://khaledalsabt.com/explanations/2341/%D9%85%D9%82%D8%AF%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%A7%D8%A8
(2) ينظر: محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (1/ 363).
(3) محمد البشير الإبراهيمي، "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي" (4/ 226).

الناس وإثبات الْحق على أمرين: أولهما: أَنَّ إثبات الْحقيقة والقدرة الإلهيَّة لا يكون بالضـــرورة بوقوع الخوارق للسـنن ، بل بوقوع السـنن الكونيَّة التي تمثل في ذاتها آياتٍ بيِّناتٍ على إعجاز الخالق وكمال قدرته. والآخر: أَنَّهُ بناءً على ما سبق فَإِنَّ إدراك الإنســان لهذه الْحقيقة وإثباتاتها في الدُّنْيا لَمْ يَعُدْ يمرُّ عبر الْحواس (مثل الرؤية وغيرها) التي هي محل اتهام بالضـــلال، بل يعتمد بالدرجة الأولى على التدبُّرِ والعقلِ والتفكرُّ من جانبٍ والإيمان من جانب آخر»(1) فالمنظومة الكونية بمجموعها دالة على قدرة الخالق القادر المســتحق للعبادة وحده وأجزاء هذه المنظومة الكونية على مختلف أجناســـها وتنوع أشكالها دالة على الأمر نفسه فـــ «هذه المخلوقاتِ من آياتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ولكن لا يتبيَّنُ أنها من آياتِ اللهِ إلا بالتأمُّلِ والتدبُّرِ؛ لأننا اعتدنا هذه المخلوقاتِ، اعتدنا طلوعَ الشـــمسِ وغروبَها، وطلوعَ القمرِ وغروبَهُ، فلم يكن ذلك محرِّكًا لقلوبنا؛ لأنَّه شـــيءٌ معتادٌ ولكن لو أننا تَدَبَّرْنَا هذه المخلوقاتِ لتبيَّنَ لنا أنها من آياتِ اللهِ العظيمةِ»(2). وهذا النظر فريضـــة قرآنية دلت عليها آيات كثيرة في كتاب الله عزوجل ونص عليها أئمة الدين في كتبهم وأئمة التفسـير في تفاسـيرهم كلما سـنحت الفرصـة وناسـب المقام المقال؛ قال الامام عبد الحميد بن باديس: «يجب على المؤمن مع تصـديقه وجزمه أن ينظر في آيات الله، ويسـتعمل عقله للفهم كما تجب عليه جميع الواجبات في الإسـلام، لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [سورة يونس:101]، ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥﴾ [سـورة الطارق:5]، ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤﴾ [سـورة عبس:24]، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠﴾ [سـورة الغاشية:17-20]»(3) وقال صـاحب المنار في تفسـيره منوها بشـأن النظر والتفكير في القرآن الكريم: «جاء القرآن يلح أشد الإلحاح بالنظر العقلي، والتفكر والتدبر والتذكر، فلا تقرأ منه قليلا إلا وتراه يعرض عليك الأكوان، ويأمرك بالنظر فيها واســـتخراج أسرارها، واستجلاء حكم اتفاقها واختلافها ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [سورة يونس:101]، ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ﴾ [سورة العنكبوت:20] ... إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة جدا، وإكثار القرآن من شـيء دليل على تعظيم شـأنه ووجوب

(1) أماني صالح، "القرآن الكريم وتأصيل فلسفة الحق"، ص13.

(2) ابن عثيمين، "تفسير سورة الشورى"، ص247.

(3) ابن باديس، "العقائد الإسلامية"، ص38.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الاهتمام به»[1] وهذه الوظيفة المتعلقة بالنظر في آيات الله هي وظيفة قام بها الأنبياء و الرسل أولا كما قص الله علينا قصصهم في القرآن الكريم فهذا إبراهيم عليه السلام يتأمل ملكوت السماوات والأرض ليرى من آيات ربه ما يزيده يقينا على يقين قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة الأنعام:75-79] وبين الله سبحانه وتعالى في مطلع هذه الآيات الفائدة من النظر في آيات الله الكونية التي حصلها إبراهيم عليه السلام من نظره في ملكوت السماوات والأرض ألا وهي الوصول إلى درجة علم اليقين، وهي درجة تزول معها كل الشبهات التي تحيط بالحقيقة فتشوش عليها ظهورها وبيّنتها وذلك قول الله تعالى: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ أي «نريه ذلك ليعرف سنننا فى خلقنا، وحكمنا فى تدبير ملكنا، وآياتنا الدالة على ربوبيتنا، ليقيم بها الحجة على المشركين الضالين، وليكون فى خاصة نفسه من زمرة الراسخين فى الإيقان البالغين عين اليقين»[2] نقل القاسمي في تفسيره عن الرازي بيان هذه الدقيقة المعرفية فقال: «اليقين عبارة عن علم يحصل بعد زوال الشبهة بسبب التأمل. ... واعلم أن الإنسان في أول ما يستدل به، فإنه لا ينفك قلبه عن شك وشبهة من بعض الوجوه، فإذا كثرت الدلائل وتوافقت وتطابقت، صارت سببا لحصول اليقين. وذلك لوجوه: الأول؛ أنه يحصل لكل واحد من تلك الدلائل نوع تأثر وقوة، فلا تزال القوة تتزايد حتى تنتهي إلى الجزم. الثاني؛ أن كثرة الأفعال سبب لحصول الملكة. فكثرة الاستدلال بالدلائل المختلفة على المدلول الواحد، جار مجرى تكرار الدرس الواحد. فكما أن كثرة التكرار تفيد الحفظ المتأكد الذي لا يزول عن القلب، فكذا هاهنا. الثالث؛ أن القلب عند الاستدلال كان مظلما جدّا، فإذا حصل فيه الاعتقاد المستفاد من الدليل الأول، امتزج نور ذلك الاستدلال بظلمة سائر الصفات الحاصلة في القلب، فحصل فيه حالة شبيهة بالحالة الممتزجة من النور والظلمة، فإذا حصل

(1) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (1/ 208).

(2) أحمد المراغي، "تفسير المراغي" (169/7).

الاستدلال الثاني امتزج نوره بالحالة الأولى، فيصير الإشراق واللمعان أتم. وكما أن الشمس إذا قربت من المشرق ظهر نورها في أول الأمر، وهو الصبح، فكذلك الاستدلال الأول يكون كالصبح. ثم، كما أن الصبح لا يزال يتزايد بسبب تزايد قربالشمس من سمت الرأس، فإذا وصلت إلى سمت الرأس حصل النور التام، فكذلك العبد كلما كان تدبره في مراتب مخلوقات الله تعالى أكثر، كان شروق نور المعرفة والتوحيد أجلى. إلا أن الفرق بين شمس العلم، وشمس العالم، أن شمس العالم الجسمانيّ لها في الارتقاء والتصاعد حدّ معين، لا يمكن أن يزاد عليه في الصعود. وأما شمس المعرفة والعقل والتوحيد، فلا نهاية لتصاعدها، ولا غاية لازديادها» (1) وإبراهيم عليه السلام بهذا يكون قد جمع بين العلم الحاصل بالبصر والعلم الحاصل بالبصيرة وبين العلم النظري والعلم اللدني فإن الهداية إلى الحق بتوفيق الله تعالى ولطفه(2). وفي عصر نبوة محمد ﷺ وما بعده من العصور نسخت آيات الله المنزلة على الأنبياء السابقين بآيات الله المنزلة على النبي ﷺ والمتمثلة في القرآن الكريم –المعجزة الخالدة– وبقيت آيات الله الكونية كما هي في سالف الأزمان وهي «آيات الله في الآفاق وفي الانفس ... تتآخى مع آيات الله المنزلة على نبيه ﷺ في مخاطبته الانسان وهدايته إلى الحق تجعل الحجة مرئية مشاهدة لا يقنع بها العقل فحسب بل تشاهدها الحواس وتنعم الحياة وتلين الجلود وتخشع القلوب إلى ذكر الله. ... فيتسق البيان مع الفطرة ... فلا ترى آية القرآن وحجته بعيدة عن شؤون الانسان وحياته ولا ترى آية الله في الآفاق وفي الانفس تختلف مع آية الوحي في تبصرة الانسان وتذكرته ... وتمتزج الآيات وتتآخى لتحقيق غاية ما أبرها وأكرمها هي الأخذ بيد الانسان إلى الحق وهدايته إلى الصراط المستقيم بالحجة و البيان»(3)، قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾ [سورة فصلت:53] واختلفت أقوال أهل التفسير في المعنى المقصود من آيات الأنفس و الآفاق التي في الآية على أقوال ترجع في مجملها إلى أحد وجهين: أحدهما؛ أنهم قالوا إنها عنت آيات الله ودلائل وحدانيته وربوبيته في مختلف مشاهد الكون ونواميسه وفي تركيب أجسامهم أنفسهم والثاني؛ أنهم قالوا إنها عنت ما تحقق من وعد الله ووعيده بما كان من هلاك طواغيت الكفر منهم في بدر وغيرها وفتح مكة واعتراف جمهور العرب بأن الإسلام هو دين الحق ودخولهم فيه ثم انتصار الإسلام وانتشاره في آفاق

---

(1) جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل" (4/401-402).

(2) ينظر: محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (7/462)، جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل" (4/407).

(3) محمد الراوي، "كلمة الحق في القرآن الكريم" (2/790).

الدنيا. وكلا القولين وجيه ووارد[1]، وإلى المعنى الأول ذهب الامام السعدي في تفسيره حيث قال: «سيقيم الله لكم، ويريكم من آياته في الآفاق كالآيات التي في السماء وفي الأرض، وما يحدثه الله تعالى من الحوادث العظيمة، الدالة للمستبصر على الحق. ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ مما اشتملت عليه أبدانهم، من بديع آيات الله وعجائب صنعته، وباهر قدرته، وفي حلول العقوبات والمثلات في المكذبين، ونصر المؤمنين. ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ﴾ [سورة فصلت:53] من تلك الآيات، بيانًا لا يقبل الشك ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ وما اشتمل عليه حق، وقد فعل تعالى فإنه أرى عباده من الآيات، ما تبين به لهم أنه الحق، ولكن الله هو الموفق للإيمان من شاء، والخاذل لمن يشاء، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾ [سورة فصلت:53] أي: أولم يكفهم على أن القرآن حق، ومن جاء به صادق، بشهادة الله تعالى، فإنه قد شهد له بالتصديق، وهو أصدق الشاهدين، وأيده، ونصره نصرًا متضمنًا لشهادته القولية، عند من شك فيها.»[2] فالله هو الشهيد على أن القرآن هو الحق وما فيه إلا الحق لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه أبدا وأقام الشواهد الكونية و النفسية التي تؤيد القرآن وتشهد له بالصحة والحق. وإلى المعنى الثاني من معاني الآية المحتملة ذهب جمال الدين القاسمي وأحمد مصطفى المراغي[3] في تفسيريهما، قال الأول رحمه الله في قوله تعالى ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾ الآية؛ يعني «وقائع النبي ﷺ بنواحي بلد المشركين من أهل مكة وأطرافها. وظهوره على الناس تصديقا للوعد، ﴿وفي أنفسهم﴾ أي من غلبتهم وقهرهم وكسر شوكتهم. وكما وقع في بدر وفتح مكة حتى يتبين لهم أنه الحق أي أن هذا القرآن، بوعده ووعيده، هو الحق الثابت، إذا لا برهان بعد عيان»[4].

---

(1) ينظر: محمد عزت دروزة، "التفسير الحديث"، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، 1383هـ، دط، ج4ص433-434. ومما جاء فيه التنبيه إلى قضية التوسع في الإعجاز العلمي حيث قال: « وبعض الباحثين الحديثين يسوقون هذه الجملة في ظروف ما يقع من اكتشافات كونية كدليل على إعجاز القرآن في إخباره بذلك قبل اكتشافها بعشرات القرون. ونحن نرى في هذا شيئا من التكلف الذي لا ضرورة له ولا طائل منه بسبيل إثبات وجود الله وقدرته وعظمته ببديع نواميس كونه الماثلة للعيان في كل زمان. والخطاب يعدّ للسامعين مباشرة الجاحدين للرسالة على سبيل التنديد والوعيد. ولذلك نرى الأولى أن تبقى الجملة في نطاق أحد الوجهين اللذين قال المفسرون إنهما عنتهما.»

(2) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص752.

(3) ينظر: أحمد بن مصطفى المراغي،"تفسير المراغي" (11/25).

(4) جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل" (347/8-348).

والآيات التي فيها لفت للأنظار إلى ملكوت السماوات والأرض كثيرة في القرآن الكريم، وفيها الإشارة إلى شروط الانتفاع بالنظر الذي يتجاوز النظرة السطحية الساذجة إلى النظرة التي فيها التـأمل التعقل للمحسوسـات المبصرة، كما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة البقرة:164]، فقد أخبر الله سـبحانه في هذه الآية من سـورة البقرة عن آياته الكونية الملكوتية المنظورة المشـاهدة فـــ«أخبر تعالى أن في هذه المخلوقات العظيمة، آيات أي: أدلة على وحدانية الباري وإلهيته، وعظيم سلطانه ورحمته وسائر صفاته، ولكنها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: لمن لهم عقول يعملونها فيما خلقت له، فعلى حسب ما منّ الله على عبده من العقل، ينتفع بالآيات ويعرفها بعقله وفكره وتدبُّره»[1] فالتعقل هنا ليس مجرد النظر السطحي السـاذج لهذه الآيات المبصرة وإنما هو تعقل بالآلة العلمية كما نبه إلى ذلك صاحب المنار حيث يقول «ومن لا يعرف أسرار هذه الكائنات وإنما ينظر إلى ظواهرها فيراها كما تراها العجماوات فهو لا يفهم معنى كونها آيات؛ لأنه أهمل آلة الفهم التي امتاز بها وهي العقل؛ ولذلك أخبر الله تعالى عن هذه الأجناس كلها أن فيها (لآيات لقوم يعقلون) فإنهم هم اللذين ينظرون في أسبابها، ويدركون حكمها وأسرارها، ويميزون بين منافعها ومضارها، ويستدلون بما فيها من الإتقان والإحكام، والسنن التي قام بها النظام، على قدرة مبدعها وحكمته، وفضله ورحمته، وعلى استحقاقه للعبادة دون غيره من بريته، وبقدر ارتقاء العقل في العلم والعرفان يكمل التوحيد في الإيمان، وإنما يشرك بالله أقل الناس عقلا وأكثرهم جهلا. أليس أكبر خذلان للدين وجناية عليه ألا ينظر المنتسبون إليه في آياته التي يوجههم كتابه إلى النظر فيها، ويرشـدهم إلى اسـتخراج العبر منها؟ أليس من أشـد المصـائب على الملة أن يهجر رؤسـاء دين كهذا الدين العلوم التي تشـرح حكم الله وآياته في خلقه ويعدوها مضعفة للدين أو ماحية له خلافا لكتاب الله الذي يستدل لهم بها ويعظم شأن النظر فيها؟ بلى؛ وإنهم ليصرون على تقاليدهم هذه وليس عليها حجة وإنما اتبعوا فيها سنن قوم ممن قبلهم، وكان بعض الحكماء المتأخرين يقول كلمة في أهل دينه اللذين خذلوه: هكذا شـأن أهل الأديان كافة، كأنهم تعاهدوا جميعا على أن يكون سيرهم واحدا. وهذا المعنى مأخوذ من قول الله تعالى في الكافرين ينفقون في كـل أمـة على الطعن في نبيهـا: ﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [ســورة

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص78.

الذاريات:53]، وقد يزعم بعض هؤلاء اللذين يعادون علم الكون باســم الدين أن النظر في ظواهر هذه الأشياء كاف للاستدلال بها ومعرفة آيات صانعها وحكمته ورحمته. فمثلهم كمثل من يكتفي من الكتاب برؤية جلده الظاهر وشكله من غير معرفة ما أودعه من العلم والحكمة»[1]. وفي تفسير المنار قدم فيه مؤلفوه نموذجا للنظر الأمثل والتدبر الاكمل لمثل هذه الآيات الكونية في سياق تفسير سورة البقرة[2] عند قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٤ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٥ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٦﴾ [سورة الجاثية:1-6] حيث جعل هذه الآيات الكونية أجناس متعددة في كل جنس منها برهان ساطع ودليل قاطع على ربوبية الله تعالى ووحدانيته ورحمته بخلقه، ولهذه الآيات ظواهر تتراءى لكل الناظرين وبواطن لا يبصر البراهين الإلاهية التي فيها إلا من سبر أغوار العلوم الكونية والتجريبية. والجنس الأول والثاني المذكور في الآية هو خلق السماوات والأرض حيث أن خلقهما ونظامهما في الكون يدهش من جهات عدة؛ من جهة عظم الأجرام السماوية التي هي طوائف يبعد بعضها عن بعض بما يقدر بالملايين والألوف السنين الضوئية، ومن جهة نظامها المحكم المتناسق بما لا يتداخل ولا يتعطل أبدا هذه هي السماوات وفي الأرض آيات للموقنين في جرمها ومادتها وشكلها وعوالمها المختلفة من جماد ونبات وحيوان، فلكل منها سنن إلهية مطردة. والجنس الثالث: اختلاف الليل والنهار؛ فكل منقلب على الآخر في نظام يسري بحسبان مطرد لا يتغير ولا يتبدل ومثله تعاقب الفصول الأربعة على البلدان في السنة، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في مواضع عدة منافع اختلاف الليل و النهار كما في قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ١٢﴾ [سورة الإسراء:12]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ٦٢﴾ [سورة الفرقان:62]، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ

---

(1) "تفسير المنار" (2/ 51-52).

(2) ينظر: "تفسير المنار" (2/47-52) بتصرف.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ٥﴾ [سورة الزمر:5] ففي الآية الأولى نموذج للمنافع الدنيوية الموجودة في اختلاف الليل والنهار وفي الآية الثانية نموذج للمنافع الدينية و في الآية الثالثة نموذج إشارة إلى سبب تعاقب الليل والنهار فالآية برهان على رحمة الله وعلى كمال ربوبيته سبحانه وتعالى «الليل في نفسه آية، وفيه آيات، وأظهر آياته هو القمر. فيقال في القمر: "آية الليل". والنهار في نفسه آية، وفيه آيات، وأظهر آياته هي الشمس، فيقال في الشمس: "آية النهار"»(1). الجنس الرابع هو الفلك التي تجري في البحر وكونها آية فلا يظهر بادي الرأي كما يظهر كونها رحمة لقوله تعالى (بما ينفع الناس) أما فهم كونها آية على وحدانية الله تعالى من فهم طبيعة الماء وطبيعة قانون الثقل في الأجسام وطبيعة الهواء والريح ... فكل ذلك يجري على سنن إلهية مطردة منظمة تدل على أنها صادرة عن الإله الواحد الحكيم الرحمن الرحيم. الجنس الخامس: قوله تعالى (وما أنزل الله من السماء من ماء) فالماء رحمة من جهة آثاره التي بينها بقوله (فأحيا به الأرض بعد موتها) وهو آية من جهة كيفية نزوله من السماء إلى الأرض وجريانه فيها بمختلف المنافع في نظام بديع وهو ما أشار إليه في آيات أخر مثل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٨﴾ [سورة الروم:48] والآية هذه ظاهرة مبصرة لكل ناظر إلا أن من أوتي علما في قوانينها ونواميسها وخبر شيئا من أسرارها تجلت له الآيات فيها أكثر وأكثر فهو آية في كونه سببا للحياة وآية في وجوده وتكوينه وآية في جريانه على سنن إلهية حكيمة وهو آية في تأثيره في العوالم الحية .... الجنس السادس: تصريف الرياح وتدبيرها وتوجيهها على حسب الإرادة ووفق الحكمة والنظام، فهي تهب في الأغلب من إحدى الجهات الأربع وتارة تأتي نكباء بين بين، وقد تكون متناوحة؛ أي: تهب من كل ناحية، ومنها العقيم، ومنها الملقحة للنبات وللسحاب، وإذا هبت حارة في بعض الأماكن والأوقات فهي تهب عقب ذلك لطيفة الحرارة أو باردة، وكل ذلك يجري على سنة حكيمة تدل على وحدة مصدرها، ورحمة مدبرها، وشأنها شأن الجنس السابع ألا وهو السحاب المسخر بين السماء والأرض الذي يجري على وفق السنن الإلهية في اجتماع الأجسام اللطيفة وافتراقها وعلوها وهبوطها ... (2).

(1) ابن باديس، "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، ص46.

(2) ينظر: "تفسير المنار" (2/47-52). بتصرف

والذي يعارض دلالة هذه الآيات على الواحد الخالق سبحانه وتعالى محتجا بما يعرف بقوانين نظرية الصدفة والتطور والانتخاب الطبيعي إنما مثله كمثل الكفار اللذين ضرب الله لهم مثلا فقال وهو أحسن القائلين جل وعلا ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءًۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ [سورة البقرة:171] «أخبر تعالى، أن مثلهم عند دعاء الداعي لهم إلى الإيمان كمثل البهائم التي ينعق لها راعيها، وليس لها علم بما يقول راعيها ومناديها، فهم يسمعون مجرد الصوت، الذي تقوم به عليهم الحجة، ولكنهم لا يفقهونه فقها ينفعهم، فلهذا كانوا صما لا يسمعون الحق سماع فهم وقبول، عميا لا ينظرون نظر اعتبار، بكما فلا ينطقون بما فيه خير لهم. والسبب الموجب لذلك كله، أنه ليس لهم عقل صحيح، بل هم أسفه السفهاء، وأجهل الجهلاء. فهل يستريب العاقل، أن من دعي إلى الرشاد، وذيد عن الفساد، ونهي عن اقتحام العذاب، وأمر بما فيه صلاحه وفلاحه، وفوزه، ونعيمه فعصى الناصح، وتولى عن أمر ربه، واقتحم النار على بصيرة، واتبع الباطل، ونبذ الحق - أن هذا ليس له مسكة من عقل، وأنه لو اتصف بالمكر والخديعة والدهاء، فإنه من أسفه السفهاء» (1) فشرط في من رام معرفة آيات الله الدالة عليه أن يتواضع للحق أينما كان فيسمع الآيات سماع قبول وانقياد للحقيقة وينظر فيها نظر اعتبار لا نظر ازدراء وينطق بما تراءى له من الحق البين الذي تؤيده الحجج و البراهين. وكلام المفسرين على مثل هذه الآيات التي يصدق فيها كتاب الله المنظور كتابه المسطور لا تكاد تحصى كثرة بما يدل على أن القرآن الكريم حق كله من عند الله الحق سبحانه وتعالى.

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص81.

المبحث الثالث: واجب الانسانية نحو الحق

وفيه المطالب التالية:

- **المطلب الأول**: التحلي بالحق والثبات عليه
- **المطلب الثاني**: بيان الحق وحرمة كتمانه
- **المطلب الثالث**: نصرة أهل الحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: واجب الإنسانية نحو الحق

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة البقرة:42] «نهاهم [الله جل وعلا] عن شيئين: عن **خلط الحق بالباطل**، و**كتمان الحق**؛ لأن **المقصود من أهل الكتب والعلم**، **تمييز الحق**، **وإظهار الحق**، ليهتدي بذلك المهتدون، ويرجع الضالون، وتقوم الحجة على المعاندين؛ لأن الله فصل آياته وأوضح بيناته، ليميز الحق من الباطل، ولتستبين سبيل المهتدين من سبيل المجرمين، فمن عمل بهذا من أهل العلم، فهو من خلفاء الرسل وهداة الأمم. ومن لبس الحق بالباطل، فلم يميز هذا من هذا، مع علمه بذلك، وكتم الحق الذي يعلمه، وأمر بإظهاره، فهو من دعاة جهنم، لأن الناس لا يقتدون في أمر دينهم بغير علمائهم، فاختاروا لأنفسكم إحدى الحالتين»(1). وإن أهل الحق هم اللذين إلتزموا بما يجب عليهم فيه من الانقياد له جملة وتفصيلا وأحبوه لغيرهم كما أحبوه لأنفسهم، هم ساعون في معرفته والوصول إليه؛ ساعون في تفسيره وبيانه للناس –حق البيان–، صابرون على ذلك السعي أتم الصبر، وفيما يلي بيان لذلك الواجب :

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص50.

المطلب الأول: التحلي بالحق والثبات عليه

الحق صفة ملازمة للشيء ما بقي محافظا على ماهيته ومصدريته مهما اختلف شكله وتعدد لونه فصفة الحقيقة لا تنفك عنه بحال من الأحوال لذا فإن «إيمان المؤمنين بالحق يرفعهم عن قيود الزمان والمكان فلا يرون الحق في رسالة نبي دون نبي أو يؤمنون برسول دون رسول وإنما يعرفون أن الحق واحد»[1] كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ [سورة القصص:53] نزلت هذه الآية على لسان طائفة من أهل الكتاب[2] وأنهم لما عرفوا الحق الذي جاء به نبينا محمد ﷺ مصدقا لما كانوا عليه في ملة موسى عليه السلام أقروا به وأذعنوا له وانقادوا إليه وأسلموا لله الحق أولا وآخرا ولم تأخذهم العزة بالنفس ولا الإثم ... ومن سنن الله في الخلق التي جرى بها التاريخ منذ القدم إلى يوم الناس هذا أنهم قد يختلفون في الحق لأسباب كثيرة و«إن موقف الناس من الحق [الذي هو دين الله وقرآنه المنزل] متباين مختلف فمنهم كافر ومنهم مؤمن ولكل فريق سماته وصفاته»[3] ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة هود:24] فمن رزق البصر و البصيرة فهو ينهل من آيات الله الكونية والتشريعية ليس كمثل من هو معرض معاند غافل فالأخير مثله كمثل الأعمى الأصم قد تعطلت حواس الإدراك عنده فهو هائم على وجهه في البرية لا يكاد يعرف له وجهة ولا قصد، أما الأول فهو يستمد العلم من آيات الله في التكوين والتشريع بما يسمع من القرآن وبما يرى من الأكوان، وهما الينبوعان اللذان يفيضان العلم والهدى على عقل الإنسان[4].

وسنن الله في الناس فيما يتعلق بالحق وأهله جارية على أصلين الأول منهما أن الحق عزيز بين ركام الباطل الكثير الذي يحيط به ويشوش عليه؛ قال الله تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [سورة الروم:6] بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية «أن أكثر الناس وهم الكفار لا يعلمون، فقد جاء موضحا في آيات كثيرة، فقد بين تعالى في آيات أن أكثر الناس هم الكافرون؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة هود:17]،

(1) محمد الراوي، "كلمة الحق في القرآن الكريم" (531/2).

(2) ينظر: "موسوعة التفسير المأثور" (156/17-157).

(3) محمد الراوي، "كلمة الحق في القرآن الكريم" (526/2).

(4) ينظر: "تفسير المنار" (50/12).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الصافات:71]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [سورة الشعراء:8]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ﴾ [سورة الأنعام:116]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يوسف:103]، إلى غير ذلك من الآيات. وقد بين جل وعلا أيضا في آيات من كتابه أن الكفار لا يعلمون؛ كقوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [سورة البقرة:170]، وقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة:171]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [سورة الفرقان:44]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [سورة الأعراف:179]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١٠﴾ [سورة الملك:10]، إلى غير ذلك من الآيات»[1]

ويتبع هذا الأصل؛ الأصل الثاني وهو أن الحق لا يحيط به من جميع جوانبه ولا في جميع شعبه بشر مهما علا كعب صاحبه في العلم والحكمة والبصيرة ، بل إن صاحب التخصص في مجال من مجالات العلوم تخفى عليه حقائق من تخصصه الذي هو فيه وناهيك عن الحقائق في غير تخصصه، ناهيك عن غيره ممن ليس هو بعالم أصلا أو ممن يتكلم فيما ليس له فيه خبرة وتجربة وحسن نظر، وما أحسن قول الشاعر إذ يقول:

فَقُل لِمَن يَدَّعي في العِلمِ فَلسَفَةً … حَفِظتَ شَيئاً وَغابَت عَنكَ أَشياءُ

وأحسن منه قول الله تعالى في توصيف حال طائفة من الجاحدين للحق: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [سورة الروم:7] إذ يستفاد من الآية أن علم كثير من الناس بالنسبة إلى ما خفي عنهم يجعله كالعدم لأنه ظاهر فقط فما خفي عنهم بالنسبة إلى ما علموه من الحقائق أجل

(1) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (6/ 165 ط الفكر).

وأعظم. فلا غرو أن تكون وظيفة الإنسان في الحياة هي البحث عن الحق واتباعه أينما كان، مقدما في ذلك الأهم من الحقائق فالمهم ثم ما دونهما.

وإن الحق إذا ظهرت عليه دلائله وبراهينه فإن واجب الناس نحوه أمور كثيرة يجمعها الإنقياد التام له ومن ذلك محبة الحق والفرح به متى علموه كما في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة المائدة:83]، فهؤلاء علماء بني إسرائيل[1] لما سمعوا ما أنزل من القرآن سمع تفكر وتدبر وتعلم فاضت أعينهم من الدمع فرحا بنعمة الله عليهم[2] وأن عرّفهم الحق ففيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق، وكان من أجله وبسببه[3]، وأعلنوا في صراحة أنهم مذعنون للحق مؤمنون به وهم يرجون من الله سبحانه وتعالى أن يكتبهم ليكونوا مع الشاهدين اللذين هم أمة الحق -أمة محمد ﷺ. وأمر الله سبحانه وتعالى نبيه يحيى عليه السلام أن يأخذ الكتاب - الذي هو الحق- بقوة فقال سبحانه وتعالى مناديا له: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [سورة مريم:12] «عامة المفسرين على أن المراد بالكتاب هنا: التوراة، وحكى غير واحد عليه الإجماع، وقيل: هو كتاب أنزل على يحيى، وقيل: هو اسم جنس يشمل الكتب المقدمة، وقيل: هو صحف إبراهيم، والأظهر قول الجمهور: إنه التوراة»[4] وعلى أي كان الكتاب المراد هنا فالمهم هو الصفة التي أمره الله أن يأخذه بها ألا وهي القوة، فقوله جل وعلا (بقوة) مراد بها القوة المعنوية وهي العزيمة والثبات[5] بمعنى بجِدٍّ يفهم معانيه ويفهم ألفاظه وتراكيبه، بانقياد وطاعة، واجتهاد في ذلك وشكر، وذلك بتفهم المعنى أولا حتى يفهمه على الوجه الصحيح، ثم يعمل به من جميع الجهات فيعتقد ما فيه من أخبار ويلتزم بما فيه من فرائض ويجتنب ما عنه نهاه من المحرمات ويتأدب بآدابه ويتعظ بمواعظه وهذا تمام

---

(1) ينظر: "موسوعة التفسير بالمأثور" (8/5-19).

(2) قال الطاهر بن عاشور عن سبب الدمع في أعينهم: «أي ففاضت أعينهم من انفعال البهجة بأن حضروا مشهد تصديق عيسى فيما بشر به، وأن حضروا الرسول الموعود به ففازوا بالفضيلتين» ["التحرير والتنوير"، (7/ 10)].

(3) الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل" (1/ 670).

(4) الشنقيطي، "أضواء البيان" (4/ 286 ط عطاءات العلم)

(5) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، (75/16).

أخذ الكتاب بقوة[1] ففيه أمر له عليه السلام أن لا يتعالى عن قبول الحق[2]. ونفس الأمر حكاه الله سبحانه وتعالى عن نبينا ﷺ واتباعه المؤمنين كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الزمر:33] مدحهم الله تعالى على ما جاؤوا به من الصدق الذي هو الحق والذي هم به مصدقون ملازمون له،وهذا ما رفعهم إلى درجة التقوى التي هي أخص صفات أولياء الله سبحانه وتعالى.

وبعد تحصيل الحق والانقياد له لابد من تحصينه من الشبهات والشكوك التي قد تعتري قلب الإنسان في سبيل حياته بالحق وله، والقرآن يحدثنا عن حال الراسخين في العلم اللذين أيقنوا أن القرآن الكريم كله –محكمه ومتشابهه– من عند ربنا سبحانه وتعالى فهم مع ذلك يطلبون لأنفسهم الثبات على الهدى الذي هو الحق ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [سورة آل عمران:8] ففي هذه الآية دلالة و ارشاد أنه «ليس للإنسان بعد بذل جهده في إحكام العلم في مسائل الاعتقاد وإحكام العمل بحسن الاهتداء إلا اللجأ إلى الله – تعالى – بأن يحفظه من الزيغ العارض، ويهبه الثبات على معرفة الحقيقة، والاستقامة على الطريقة»[3] فهؤلاء الراسخون في العلم مضطرون إلى الله في تحصيل الحق ومضطرون إليه في دفع الشبه والشكوك حوله و عنه «فزيغ القلب يتسبب عن عوارض تعرض للعقل: من خلل في ذاته، أو دواع من الخلطة أو الشهوة، أو ضعف الإرادة، تحول بالنفس عن الفضائل المتحلية بها إلى رذائل كانت تهجس بالنفس فتذودها النفس عنها بما استقر في النفس من تعاليم الخير المسماة بالهدى، ولا يدري المؤمن، ولا العاقل، ولا الحكيم، ولا المهذب: أية ساعة تحل فيها به أسباب الشقاء، وكذلك لا يدري الشقي، ولا المنهمك، الأفن: أية ساعة تحف فيها به أسباب الإقلاع عما هو متلبس به من تغير خلق، أو خلق، أو تبدل خليط»[4] فالله هو الموفق وهو وحده يهدي إلى سواء السبيل. والأمر بلزوم الحق والثبات عليه ليس أمرا يتعلق به الوجوب الكفائي لأفراد من المجتمع دون غيرهم من الأفراد، بل كل أفراد المجتمع مخاطبون بلزوم الحق والاعتصام به عن مضلات الفتن كما قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ

(1) ينظر: موسوعة التفسير المأثور، (14/36-37). والسعدي، "تفسير السعدي"، ص490. والشنقيطي، "أضواء البيان" (4/ 286 ط عطاءات العلم)

(2) ينظر: المراغي، "تفسير المراغي" (38/16).

(3) "تفسير المنار" (3/ 189).

(4) "التحرير والتنوير" (3/ 170).

﴿بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [ســورة آل عمران:103]، فالآية الكريمة حرمت التفرق عن الحق الذي هو حبل الله المتين وجعلت في الاجتماع عليه عصــمة لأصــحابه من الزيغ والهلاك الذي في الفرقة، «فما أمروا في هذه الآيات بما أمروا به من الاعتصــام ووعدوا عليه بالفلاح العظيم، ولا نهوا عنه من التفرق والاختلاف وأوعدوا عليه بالعذاب الأليم إلا ليكونوا أمة واحدة متحدة في الدين متفقة في المقاصــد، يعذر بعضــهم بعضــا إذا فهم غير ما فهم مع المحافظة على ما لا تختلف فيه الأفهام»[1] فالحق إذا ظهرت راياته وبانت شواهده وتمايز أهله لابد من الاعتصام به معهم.

وإذ أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بلزوم الحق والاعتصام به و الإذعان له، حذر من ضد ذلك مهما صغر ودق من الأمور؛ من مثل اتباع الأهواء والركون إلى المعاندين للحق الظالمين لأنفسهم ولغيرهم والضالين المضلين اللذين يصدون عن السبيل، فحذر عباده مما قد يفتنهم عن الحق ولو قليلا فيركنون إلى ما يقابله من باطل و«ما من حق إلا ويقابله باطل، وما من مصلح صادق إلا وله أعداء، وكما جعل الله لنبيه محمد عدوا من مشركي قومه كأبي جهل وأمثاله، جعل لكل نبي عدوا من مشركي قومه، فما على المحق والمصلح إلا الصبر كما صبر الأنبياء المتقدمون، والله هاد أهل الحق والصلاح، وناصرهم على كل من ناوأهم»[2] وفي القرآن الكريم حديث عن نبينا محمد ﷺ فيه تحذير من الله سبحانه وتعالى من الركون على أهل الباطل ولو بالشيء القليل كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ٧٣ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤﴾ [سورة الإسراء:73-77]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥﴾ [سورة البقرة:145]، «﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: داخل فيهم، ومندرج في جملتهم، وأي ظلم أعظم، من ظلم، من علم الحق والباطل، فآثر الباطل على الحق، وهذا، وإن كان الخطاب له صلى الله عليه وسلم، فإن أمته داخلة في ذلك، وأيضا، فإذا كان هو صلى الله عليه وسلم لو فعل ذلك -وحاشاه- صار ظالما مع علو مرتبته، وكثرة حسناته فغيره من باب أولى وأحرى» [3].

(1) "تفسير المنار" (4/ 45).

(2) وهبة الزحيلي، "التفسير المنير للزحيلي" (19/ 61).

(3) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص 72.

المطلب الثاني: بيان الحق وحرمة كتمانه

الحق إذا ظهر وبان بدلائله وأيدته الشواهد الحسية والعقلية وجب على المرء أن يلزمه وأن يتحلى به ظاهرا وباطنا علما وعملا، لكن هذا لا يقعد به عن واجب آخر اتجاه هذا الحق ألا وهو واجب بيانه وتفسيره للناس مع الصبر على المشاق، وما صبر الأنبياء اللذين قص الله علينا قصصهم في القرآن الكريم على أذى قومهم إلا في هذا السبيل، قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [سورة الكهف:29] أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ «أن يصارحهم بأنه لا يعدل عن الحق الذي جاءه من الله، وأنه مبلغه بدون هوادة، وأنه لا يرغب في إيمانهم ببعضه دون بعض، ولا يتنازل إلى مشاطرتهم في رغباتهم بشطر الحق الذي جاء به، وأن إيمانهم وكفرهم موكول إلى أنفسهم، لا يحسبون أنهم بوعد الإيمان يستنزلون النبيء صلى الله عليه وآله وسلم عن بعض ما أوحي إليه»(1). قال الله تعالى مبينا شأن عباد الله المفلحين مع الحق: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [سورة العصر:1-3] في هذه السورة نهاية الكمال بالنسبة للعنصر الإنساني ونجاة له من الخسران المبين والشقاء الأزلي، فالمتؤمل في السورة يلحظ قول الله تبارك وتعالى ﴿وتواصوا﴾ و«إنما قال (وتواصوا) ولم يقل (وأوصوا) ليبين أن النجاة من الخسران إنّما تناط بحرص كل أفراد الأمة على الحق، و نزوع كل منهم إلى أن يوصي به قومه ومن يهمه أمر الحق. ليوصي صاحبه بطلبه يهمه أن يرى الحق فيقبله، فكأنه في هذه العبارة الجزلة، قد نص على تواصيهم بالحق وقبولهم الوصية به إذا وجهت إليهم»(2)، والسورة تحث الإنسان على أن يكون كاملا في نفسه بالعلم والعمل اللذين هما ركنا الإيمان، ويكون مكملا لغيره بتعليمه لغيره وتوصيته بالصبر على كل ذلك، وفي قوله تعالى (وتواصوا) نكتة بلاغية حيث تدل هذه الصيغة على أن النجاة من الخسران إنما تناط بحرص كل أمة على الحق معرفة وانقيادا وقبولا(3).

وجُمّاع الخير أن يؤتى الإنسان معرفة الحق ويوفق لمعرفة السبل السوية لبيانه للناس وتفسيره لهم كما امتن الله على نبيه داود عليه السلام إذ آتاه الله الحكمة: التي هي العلم اللدني الذي يؤتيه الله من يشاء فيجعله نبيئا وآتاه فصل الخطاب الذي هو القدرة على بيان الحق والفصل بينه وبين الباطل بحيث لا

(1) محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (307/15)

(2) محمد الراوي، "كلمة الحق في القرآن الكريم" (552/2).

(3) ينظر: المرجع نفسه،(550/2-552).

يشتبه الحق على السامعين البتة؛ قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة ص:20]. فقوله تعالى عن ما آتاه أنه (فَصْلَ الخِطابِ) أي فصل بين ما هو حق وبين غيره بتمييز الحق من الباطل، ورفع الشبه، وإقامة الدلائل [1].

تفسير الحق وبيانه وشرح دلائله وبراهينه منهج رباني وضحه الله سبحانه وتعالى في كتابه لعباده كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الفرقان:33]، فالقرآن هو الحق من عند الله سبحانه وتعالى وهو أحسن تفسيرا أي أنه «جامع للحق في معانيه والوضوح والبيان التام في ألفاظه، فمعانيه كلها حق وصدق لا يشوبها باطل ولا شبهة بوجه من الوجوه، وألفاظه وحدوده للأشياء أوضح ألفاظا وأحسن تفسيرا مبين للمعاني بيانا كاملا.»[2] وعدد عبد الرحمن السعدي في قواعده الحسان جملة من طرق القرآن البديعة في إيضاح الحق وبيانه ودفع الشبه عنه وإبطال ما ينقضه من الباطل وما يشوش عليه من المتشابه، من ذلك: تقرير المقدمات البديهية التي يلزم منها الإذعان إلى ما يترتب عليها من الحقائق ف«كثيراً ما يحتج على المشركين في شركهم وعبادتهم لآلهتهم من دون ربهم بإلزامهم باعترافهم بربوبيته، وأنه الخالق لكل شيء، والرازق لكل شيء، فيتعين أن يكون هو المعبود وحده. فانظر إلى هذا البرهان، وكيف ينتقل الذهن منه بأول وهلة إلى وجوب عبادة من هذا شأنه، ذلك أن آثار ربوبيته تنادي بوجوب الإخلاص له»[3] ومن ذلك نقض باطل المبطلين بأن يبين فساد ما يؤسسون عليه تصوراتهم أو فساد مقاصدهم مع أنبيائهم ورسلهم منذ القدم تجريدا للحق وتجلية له والله تعالى يقول: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [سورة يونس:32] و في الجملة «لا تجد طريقاً نافعاً فيه إحقاق الحق وإبطال الباطل إلا وقد رسمه القرآن على أكمل الوجوه»[4]، وفي هذا من التوجيه السلوكي لمن حمل راية تعليم الحق للناس ما فيه إذ لابد في من يتصدى لتعليم الحق أن يكون ابتداء ملما بجميع جوانب الحقائق التي يريد تعليمها للناس محسنا لطرق التعليم والتفهيم كما نص على ذلك الإمام ابن باديس اقتباسا من الآية السابقة فيقول: «لنقتد بالقرآن فيما نأتي به من كلام في مقام الحجاج، أو مقام الإرشاد. فلنتوخ دائماً الحق الثابت بالبرهان أو بالعيان، ولنفسره أحسن التفسير ولنشرحه أكمل الشرح، ولنقربه إلى الأذهان غاية التقريب. وهذا

(1) ينظر: جمال الين القاسمي، "محاسن التأويل" (246/8)

(2) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص582.

(3) عبد الرحمن السعدي، "القواعد الحسان لتفسير القرآن" ص41.

(4) المرجع نفسه، ص42.

يستدعي صحة الإدراك، وجودة الفهم ومتانة العلم لتصور الحق ومعرفته»[1] ولهذا امتدح الله عباده المؤمنين العالمين المعلمين الخير للناس بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [سورة آل عمران:79]، والربانيون هم العلماء الحكماء الحلماء كما دلت عليه تفسيرات السلف[2]. وعلى معلم الناس الحق الذي فيه خير لهم أن لا يلتفت –بعد هذا التعليم- إلى إعراض بعضهم- أو حتى جلهم أو كلهم- بل المطلوب منه أن يبالغ في إيصال كلمة الحق إليهم بشتى الطرق مستغلا ما يمكن له من وسائل، ولنا في قصة نوح مع قومه وإعراضهم عنه وإصراره على توصيل كلمة الحق إليهم عبرة، يقول الله تعالى مخبرا عن حال نوح عليه السلام مع قومه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ۝٩﴾ [سورة نوح:5-9]. يظهر نوح عليه السلام هنا أنه رجل يرجو من الله أن يهدي قومه به إلى الحق فيلح عليهم في بيانه لهم ويصر في دعوتهم ولا يتوانى في اختيار الأسلوب الأمثل الذي قد يفتح الله به قلوبهم على الحق فيدعوهم ليلا ونهارا ويسر لهم ويعلن إعلانا، وهذا «نهاية الكمال؛ فإن الكمال أن يكون الشخص كاملا في نفسه مكملا لغيره. وكماله بإصلاح قوته العلمية والعملية. فصلاح القوة العلمية بالأيمان. وصلاح القوة العمية بعمل الصالحات، وتكميله غيره بتعليمه إياه والصبر عليه وتوصيته بالصبر على العلم والعمل»[3].

ويوجهنا القرآن الكريم في كثير من آياته على سبيل التصريح أو الإشارة إلى السبيل الأمثل في بيان الحق والدعوة إليه وهو السبيل الذي تحكمه كل مقاييس الحق السالفة الذكر من الفطرة السوية والعلم اليقيني والحكمة البالغة .... يقول تعالى مخاطبا النبي ﷺ مبينا سبيل الدعوة إلى الحق: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٠٨﴾ [سورة يوسف:108]. فالداعية المبين للحق المتصدر لذلك يتعين عليه العلم اليقيني إذ هو البصيرة[4]

(1) عبد الحميد بن باديس، "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، ص183.

(2) ينظر: "موسوعة التفسير المأثور" (5/ 320، وما بعدها).

(3) محمد الراوي، "كلمة الحق في القرآن الكريم" (550/2).

(4) أبو بكر جابر الجزائري، "أيسر التفاسير" (645/2).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والبصيرة: المعرفة التي يتميز بها الحق من الباطل. (1) والبصيرة: الحجة الواضحة (2) فالمتكلم في هذا الشأن على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية (3) فلسان حال الداعية المبين للحق الذي ينطق عنه أنه على يقين مما يدعو إليه ولديه الحجة والبرهان على ما يقول، وكذلك يدعو إليها أيضا من اتبعه وآمن به وصدقه(4) ، وما أحسن اللفتة التي أشار إليها القاسمي في تفسيره لهذه الآية مبرزا لمزايا القرآن الحكيم في بيان الحق فيقول: «دل قوله تعالى: ﴿عَلى بَصِيرَةٍ﴾ على مزية هذا الدين الحنيف، ونهجه الذي انفرد به، وهو أنه لم يطلب التسليم به لمجرد أنه جاء بحكايته، ولكنه ادعى وبرهن وحكى مذاهب المخالفين، وكرّ عليها بالحجة، وخاطب العقل، واستنهض الفكر، وعرض نظام الأكوان وما فيها من الإحكام والإتقان، على أنظار العقول، وطالبها بالإمعان فيها لتصل بذلك إلى اليقين بصحة ما ادعاه ودعا إليه»(5) ونقل عن الرازي استنباطا من الآية قاعدة عظيمة في فقه الدعوة إلى الحق وبيان الحقيقة حين قال: « كل من ذكر الحجة، وأجاب عن الشبهة، فقد دعا بمقدار وسعه إلى الله. وهذا يدل على أن الدعاء إلى الله تعالى إنما يحسن ويجوز مع هذا الشرط: وأن يكون على بصيرة مما يقول، وعلى هدى ويقين، فإن لم يكن كذلك، فهو محض الغرور»(6). وقال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [سورة النحل:125]، رتب سبحانه وتعالى في هذه الآية السبل السوية والطرق القويمة التي يكون بها بيان الحق و الدعوة إليه إذ جعلها على ثلاث مراتب أولها الحكمة وثانيها الموعظة الحسنة ثم المجادلة بالتي هي أحسن، ومضى بيان معنى الحكمة في ما سبق من مقاييس الحق وهي المقالة المحكمة الصحيحة. وهي التي معها الدليل الموضح للحق، المزيح للشبهة(7) ويوضح الإمام السعدي شيئا من الحكمة ولوازمها التي ينبغي أن يكون عليها المبين للحق الداعي إليه فقال: «ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم،

---

(1) طنطاوي، "التفسير الوسيط" (423/7).

(2) محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (65/13).

(3) السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص406.

(4) "تفسير المراغي" (52/13).

(5) جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل" (232/6).

(6) المرجع نفسه، (232/6).

(7) ينظر: جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل"، (422/6)، احمد مصطفى المراغي، "تفسير المراغي"، (157/14-158)، السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، 452.

وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين»[1]. وبناءا على ما سبق يمكن استخلاص القول في الحد الجامع للحكمة أنها اسم جامع لكل كلام أو علم يراعى فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم إصلاحا مستمرا لا يتغير [2]. ولما كانت النفس البشرية عرضة للآفات القلبية التي تحجبها عن رؤية الحق والإذعان له من عناد وكبر وحسد وبغي ... تحمل الانسان على بطر الحق؛ كانت من وسائل بيان الحق الموعظة الحسنة التي فيها إزالة تلك الحجب عنه لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. والموعظة الحسنة متمثلة في القول الذي يلين نفس المقول له لعمل الخير والذي فيه الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب وفيه العبر اللطيفة والوقائع المخيفة، ليحذروا بأس الله[3]، ومن أمثلة المواعظ الحسنة كما يقررها ابن السعدي: ذكر ما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به، و ذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل[4]. وقد يكون المدعو إلى الحق ممن أشرب بالشبه الباطلة التي تشوش عليه بصيرته فلا يرى الحق واضحا، فواجب على الداعية حينئذ أن يتقن الجدال الحسن الذي لا يهيج الأعصاب ولا يثير الخصومات و إنما القصد منه توصيل الحق إلى طالبيه المغيبة بصائرهم في ما شابه الحق وليس منه عملا بقوله تعالى عن مثل هؤلاء ﴿وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ والجدل: الحوار والمناظرة لإقناع من يرى نفسه على الحق وليس كذلك[5] ومعنى كونها بالتي هي أحسن أن تكون بالرفق واللين وحسن الخطاب، من غير عنف [6]، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها [7]. ومثل ما أمر الله به نبيه هنا من المجادلة بالتي هي أحسن ومن الموعظة الحسنة ما حكاه وقصه في كتابه عن موسى وهارون عليهما السلام في قوله تعالى ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ

(1) السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص452.

(2) ينظر: الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (427/14)، السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص452، جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل" (422/6).

(3) ينظر: الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (427/14).

(4) ا السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص452.

(5) ينظر: احمد مصطفى المراغي، "تفسير المراغي" (157/14-158)، السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص452.

(6) ينظر: جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل" (422/6)، محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (3/ 460 ط عطاءات العلم).

(7) السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص452.

﴿يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ۝٤٤﴾ [سورة طه:44] و قوله ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ۝١٩﴾ [سورة النازعات:18-19]. والحق أن الحكمة بصيرة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده الداعين إلى صراطه المستقيم فتارة يكون من الحكمة اللين وحسن المقال وتارة أخرى لا تكون الحكمة على ذلك النمط ؛ بل الحكمة –وقتئذ– أن تكون الدعوة على شيئ من الحزم والشدة؛ وكل ذلك تحكمه قواعد المصالح و المفاسد وقواعد تزاحمها أو لنقل في باب الفلسفة القيمية قواعد صدام القيم وتحقيق المصالح الكبرى للإنسانية على حساب ما دونها من المصالح؛ قال الشيخ السعدي: «من الحكمة استعمال اللين في معاشرة المؤمنين، وفي مقام الدعوة للكافرين، كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [سورة آل عمران:159] وقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ۝٤٤﴾ فأمر باللين في هذه المواضع، وذكر ما يترتب عليه من المصالح، كما أن من الحكمة استعمال الغلظة في موضعها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [سورة التحريم:9]. لأن المقام هنا مقام لا تفيد فيه الدعوة، بل قد تعين فيه القتال، فالغلظة فيه من تمام القتال، وقد جمع الله بين الأمرين في قوله في وصف خواص الأمة: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [سورة الفتح:29] »(1)، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أنه ليس بالواجب على أهل العلم بالحق –وإن كان مستحبا– تتبع ما يشغب به أهل الباطل على الحق بعدما تبين كما يدل عليه قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ﴾ [سورة البقرة:145] فقد دلت الآية على أنه «إذا تبين الحق بأدلته اليقينية، لم يلزم الإتيان بأجوبة الشبه الواردة عليه، لأنها لا حد لها، ولأنه يعلم بطلانها، للعلم بأن كل ما نافى الحق الواضح، فهو باطل، فيكون حل الشبه من باب التبرع» (2).

بيان الحق وتوضيحه والدعوة إليه ضده المناقض له كتمانه وعدم بيانه، ومن كتمان الحق لبس الحق بالباطل، وكما أمر الله ببيان الحق نهى عن ضده الذي هو كتمانه بل ونهى عن كل شكل من أشكال كتمان الحق ... قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن" (1/ 312).

(2) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص72.

بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ [سورة البقرة:159-160]. هذه الآية نزلت في بيان شأن أهل الكتاب حيث كان علماؤهم يكتمون بعض ما في كتبهم بعدم ذكر نصوصها للناس عند الحاجة إليها أو السؤال عنها كالبشارات بالنبي ﷺ وصفاته وكحكم الزاني ...ويكتمون بتحريف الكلم عن مواضعه بالترجمة أو النطق أو حمله على غير معانيه بالتأويل اتباعا لأهوائهم(1). والقرآن قص قصص الأمم الأخرى ومقصده أن يعتبر بها المسلمون في الخير و الشر وعن ابن عباس أن كل ما ذم الله أهل الكتاب عليه فالمسلمون محذرون من مثله .... فالعالم يحرم عليه أن يكتم من علمه ما فيه هدى للناس لأن كتم الهدى إيقاع في الضلالة(2). ومما هو مسطر في قواعد التفسير وأصوله أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص سبب النزول فإن الآية محذرة للبشرية كلها من مغبة كتمان الحق وأنه عمل ممقوت يستوجب اللعن والمقت من الله جل جلاله ومن الناس أجمعين. يقول ابن السعدي في بيان هذه المعاني: «هذه الآية وإن كانت نازلة في أهل الكتاب، وما كتموا من شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاته، فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله ﴿مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ الدالات على الحق المظهرات له، ﴿وَالْهُدَى﴾ وهو العلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم، ويتبين به طريق أهل النعيم، من طريق أهل الجحيم، فإن الله أخذ الميثاق على أهل العلم، بأن يبينوا الناس ما منّ الله به عليهم من علم الكتاب ولا يكتموه، فمن نبذ ذلك وجمع بين المفسدتين، كتم ما أنزل الله، والغش لعباد الله، فأولئك ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ أي: يبعدهم ويطردهم عن قربه ورحمته.﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ﴾ وهم جميع الخليقة، فتقع عليهم اللعنة من جميع الخليقة، لسعيهم في غش الخلق وفساد أديانهم، وإبعادهم من رحمة الله، فجوزوا من جنس عملهم، كما أن معلم الناس الخير، يصلي الله عليه وملائكته، حتى الحوت في جوف الماء، لسعيه في مصلحة الخلق، وإصلاح أديانهم، وقربهم من رحمة الله، فجوزي من جنس عمله، فالكاتم لما أنزل الله، مضاد لأمر الله، مشاق لله، يبين الله الآيات للناس ويوضحها، وهذا يطمسها فهذا عليه هذا الوعيد الشديد.»(3) ومما ينبه عليه في هذا المقام أمران: الأول؛ أن كتمان الحق والعلم صور كثيرة ومتعددة، فما تعلق منه بآيات الله المسطورة في الكتب يشمل

(1) ينظر: محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (40/2).

(2) ينظر: الطاهر بن عاشور، "التحرر والتنوير" (69/2).

(3) "تيسير الكريم الرحمن"، ص77.

إلغاء الحفظ والتدريس والتعليم ويكون كذلك بالتأويلات البعيدة لأن إخفاء المعنى كتمان للحق(1).

أما التنبيه الثاني فهو أن العالم قد تحمله المصلحة الراجحة في ظرف خاص على كتمان بعض العلم في مثل قول القائل حدثوا الناس بما يعقلون أو في مثل من لا يقدر الحق قدره فيزدريه ...(2) وقد يحاول الكثير ممن يقع على عاتقهم هذا الواجب نحو الحق أن يتملصوا منه هروبا من هذا الأمر وتبعاته بقولهم: إن الكتمان لا يتحقق إلا إذا سئل العالم عن حكم الله تعالى فكتمه، ورد محمد رشيد رضا هذه المقالة ناقلا عن من أسماهم أهل العلم الصحيح قولهم؛ إن القرآن الكريم لم يكتف بالوعيد على الكتمان، بل أمر ببيان هداه للناس، وبالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأوعد من يترك هذه الفريضة، وذكر لهم العبر فيما حكاه عن اللذين قصروا فيها من قبل كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ١٨٧﴾ [سورة آل عمران:187] (3).

(1) ينظر: الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (68/2).

(2) ينظر: الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (70/2 وما بعدها).

(3) ينظر: محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (41/2-42).

المطلب الثالث: نصرة أهل الحق

من أول الواجبات المتعلقة بالحق التي تلزم كل معتنق له منقادا إليه هو بيانه للناس بالشرح والتفسير والدعوة إليه وتحبيب الناس فيه، وكذا الصبر على الأذى فيه فمقام الدعوة الى الحق هو مقام ابتلاء وأذى يلحق دعاة الحق في كل ما يأتي من زمان كما لحق اللذين من قبلهم من الأنبياء المرسلين والعلماء الربانيين. والصبر والمجاهدة هما عنوان من جعلوا الدعوة إلى الحق وظيفتهم في الحياة الدنيا، لذا كان الداعي إلى الحق بحاجة إلى عدة يعتد بها في طريقه وفي سيره، ولا عدة له إلا اليقين بالله ووعده له بالنصر في الدنيا والتمكين ولو بعد حين، وكذلك بحسن المنقلب يوم يقوم الناس لرب العالمين، وهذا وحده الذي جعل «الموقنين بالآخرة لا يوقفهم علمهم بالحق عند العمل به في أنفسهم بل يدعون غيرهم ويحذرون من الغفلة والنكار. وهذا ما يفعله دعاة الحق في أي زمان ومكان فترى مؤمن آل فرعون –وهو يرد طغيان قومه– يذكرهم بيوم القيامة ويخوفهم من عذابها ويحذرهم من التمادي في الظلم والفساد لأن من أيقن بها كف عن الناس شره وقدم خيره إنقاذا لنفسه من الهلاك والخسران» (1). وهذا المقام يوجب كذلك على من عرف الحق أن يكون لأهله ودعاته نصيرا ومؤيدا بكل ما تسمح له به مقدرته النفسية والعلمية وغيرهما، وقد قص علينا القرآن الكريم في الكتاب العزيز قصصا كثيرة لرجال نصروا الحق بعدما عرفوه وآمنوا به كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة غافر:28-30]، وقال الله تعالى في سورة يس عن الرجل الصالح الناصح الداعية إلى الخير ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة يس:20-22]، ويقص علينا القرآن حال «المؤمنين

(1) محمد الراوي، "كلمة الحق في القرآن الكريم" (545/2).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من الجن لنرى ماذا فعلوا حين علموا بالحق و آمنوا به؟ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ
يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾
قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى
ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ
وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ
مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الأحقاف:29-32]: أحسنوا الأدب في التلقي وسماع القرآن، عادوا إلى قومهم فبلغوا ما سمعوا دون تخاذل أو ابطاء، وعوا وفقهوا فكان بيانهم بيان حفيظ أمين، عرفوا الحق فلزموه ودعوا إليه وبينوا نتائج الإيمان به والاستجابة له وحذروا من الفرار منه أو الاعراض عنه فجمعوا بين الترغيب والترهيب، صدقوا في النصح والسؤال وخاطبوا قومهم بالقول الذي لا يجحد ولا ينقص ولا يرد»[1]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) محمد الراوي، "كلمة الحق في القرآن الكريم" (2/546-547).

المبحث الرابع: الصوارف عن الحق

وفيه المطالب التالية:

- المطلب الأول: فساد الفطرة
- المطلب الثاني: التقليد والتقصير في تحري الحق
- المطلب الثالث: الافتتان بالأموال والأولاد والرياسة
- المطلب الرابع: الكبر والعناد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع: الصوارف عن الحق

مبحث الحق بمختلف تشعباته من أهم مقاصد القرآن الكريم ومن لوازم هذا المبحث وتوابعه بيان الصوارف التي تصرف الناس عن الحق معرفة وقبولا وانقيادا ... قال الله تعالى: ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾ [سورة هود:20]، تبين هذه الآية أن الانسان قد تحيط به أو هو يحيط نفسه بجملة من ظلمات الشبهات والهوى والأمراض القلبية ما يجعله لا يستطيع السمع أي سماع آيات الله تتلى عليه بل يقابلها بمثل قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة فصلت:26]، ولا يستطيع أن ينظر نظر تفكر واعتبار إلى ما يحيط به من الآيات المشهودة أو المكتوبة بل لا يستطيع تحمل كلمة حق حتى فيما دون القرآن تقرع سمعه أو تخترق بنظره إلى أعماق قلبه، قال محمد رشيد رضا: «وأمثالهم مشاهدون في كل زمان ومكان، أعطى رجل مؤمن رجلا متفرنجا منهم كتاب "الوحي المحمدي" الذي شهد له من قرأه من طبقات الناس المختلفة بطلاوة عبارته وحسن بيانه، وموافقة أسلوبه وترتيبه وتبويبه لذوق هذا العصر، ثم سأله بعد أيام: كيف رآه؟ ظانا أنه قرأه كله بشغف وأنه سيشكر له هديته، فقال: إنني لم أستطع أن أقرأ منه صفحة واحدة، واعترف بأنه يقرأ كتب أشهر الملاحدة الطاعنين في القرآن بلذة ورغبة كما يقرأ القصص (الروايات) الغرامية!»[1] فسبحان من لن تجد لسنته تبديلا ولن تجد لسنته تحويلا؟ ونحن إذ نقرأ سورة آل عمران [على سبيل المثال لا الحصر] نجدها «قد برزت فيها العناية بأمرين عظيمين لهما خطرهما في سعادة الأمم وشقائها: أحدها تقرير الحق في قضية العالم الكبرى: وهي مسألة الألوهية، وإنزال الكتب وما يتعلق بها من أمر الدين والوحي و الرسالة، والثاني تقرير العلة التي من أجلها ينصرف الناس في كل زمان ومكان عن الوجه إلى معرفة الحق والعمل على إدراكه والتمسك به»[2]، يقول أحد الباحثين مبرزا هذه الإشكالية من الناحية الفلسفية: «إِنَّ الإشكاليَّة الكبرى لِعَلاقَةِ الإنسانِ بِالْحَقِيقَةِ في الدُّنْيا تكمن في وجود وسيط سميك أقرب ما يكون للعازل وَهُوَ إدراك الإنسان الذي تتحكم فيه مجموعة من العناصر التي تشوش على هذه الْحَقيقةِ؛ مثل خبرة الإنسان وثقافته ومصالحه وعقائده وأهوائه وغرائزه وضميره وميله للشك حتى في ذاته، وجنوح عامَّة الناس إلى ممارسة

(1) "تفسير المنار" (12/ 49).

(2) محمد شلتوت، "تفسير القرآن الكريم"، ص92.

الكذب والخداع...إلخ. كل ذلك يشكلّ معًا جدارًا سميكًا يحول دون وصول الْحقيقة مباشرة لعقل الانسان»[1]. وفيما يلي من مطالب بيان لشيئ من الصوارف عن الحق.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) أماني صالح، "القرآن الكريم وتأصيل فلسفة الحق"، ص13.

المطلب الأول: فساد الفطرة

الفطرة هي الدعامة الأولى التي ترسخ فيها الحق لدى الإنسان السوي وهي السبيل الأول الذي به يدرك الحق وهي حد يتميز به كثير من الحق عن غيره، الإنسان مفطور على الصلاح منذ النشأة الأولى التي أنشئ عليها آدم عليه السلام، ولكن طول العهد تسبب في طرو الآفات على تلك الفطرة السليمة بما يفسدها أو ينقص من بيانها للحقيقة، وهذه الآفات بدأت معه صغيرة ثم ما فتئت تتعاظم على مر الزمن كتعاظم كرة الثلج، ويجمل محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره أصول تلك الآفات في أربعة أسباب هي: **الأول**؛ خلل يعرض عند تكوين الفرد في عقله أو في جسده فينشأ منحرفا عن الفضيلة لتلك العاهة. وهذا السبب قليل الحدوث نادر الوجود في النوع البشري وغيره من الأنواع التي خلقها الله من الكائنات الحية. **الثاني**؛ اكتساب رذائل من الأخلاق من مخترعات قواه الشهوانية والغضبية ومن تقليد غيره بداعية استحسان ما في غيره من مفاسد يخترعها ويدعو إليها. وهذه كانت بادئ ذي بدء عديمة الوجود لكن ظهرت ابتداعا من بعض الأقوام البشرية. **الثالث**؛ خواطر خيالية تحدث في النفس مخالفة لما عليه الناس كالشهوات والإفراط في حب الذات أو في كراهية الغير مما توسوس به النفس فيفكر صاحبها في تحقيقها. وهذا السبب أشبه ما يكون في حادثة قتل ابن آدم أخاه فهي عن إحساس وجداني هو الحسد مع الجهل بمغبة ما ينشأ عن القتل لأن البشر لم يعرف الموت إلا يومئذ ولذلك أسرعت إليه الندامة. **الرابع**؛ صدور أفعال تصدر من الفرد بدواع حاجية أو تكميلية ويجدها ملائمة له أو لذيذة عنده فيلازمها حتى تصير له عادة وتشتبه عنده بعد طول المدة بالطبيعة، لأن العادة إذا صادفت سذاجة من العقل غير بصيرة بالنواهي رسخت فصارت طبعا. وهذا السبب الرابع من موجبات الرقي والانحطاط في أحوال الجمعيات البشرية الطارئة [1].

وقد يطرأ فساد الفطرة على الانسان من خلال ما يمليه عليه الشيطان ويوسوس له به إذ قد أخذ العهد على نفسه أن يغوي بني آدم ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩﴾ [سورة الحجر:39]، والشيطان لا ييأس من الإنسان أن يفتنه عن الفطرة السوية التي فطره الله عليها وعن الهدى ودين الحق الذي أرسل به الرسل من عند الله رب العالمين، لا ييأس مما قل من ذلك أو كثر، قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦﴾ [سورة الأعراف:16]، وقال سبحانه: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا

(1) ينظر: "التحرير والتنوير" (2/303-304).

مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ [سورة النساء:119]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ [سورة الأنعام:121]، وقال عز وجل ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ [سورة المجادلة:19]، هي آيات كثيرة تدل دلالة واضحة على أن الشيطان يقعد للإنسان كل مرصد يترصده ليغويه عن ما خلق عليه من جبلة حسنة وفطرة سوية مؤثرة للحق متبعة له. وبين الله تبارك وتعالى في الكتاب العزيز طرقا كثيرة لشياطين الجن والانس لصرف الناس عن الحق منها قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ [سورة البقرة:42] ففي الآية بيان لطريقتين لأعداء الحق في إغواء الناس؛ «إحداهما: طريقة خلط الحق بالباطل حتى لا يتميز أحدهما عن الآخر وهي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْباطِلِ﴾ والثانية: طريقة جحد الحق وإخفائه حتى لا يظهر، وهي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾»(1).

---

(1) محمد سيد طنطاوي، "التفسير الوسيط" (109/1).

المطلب الثاني: التقليد والتقصير في تحري الحق

تحري الحق هو طلب البرهان على كل التصورات والتصديقات التي يعتقدها المرء، وضد التحري التقليد والركون إلى المسلمات القبلية التي ليس عليها برهان بيّن ولا خبر مصدق وإنما هي أماني متوارثة جيلا بعد جيل، و«إن سبيل الحق حجة وبرهان وعلم ويقين والظن لا يغني من العلم اليقيني والاعتقاد الصحيح المطابق للواقع شيئا. ومعرفة المعلوم على ما هو به لا تكون بالتقليد و اتباع الهوى إنما بالمعرفة والحجة والبرهان والقرآن الكريم يعلم الناس أن يكون البرهان سبيلهم فيما يؤمنون به ويعتقدون»(1) وتفسير المنار من التفاسير المعاصرة التي جعلت تهد أركان التقليد وتقض مضاجع المقلدة بدون كلل ولا ملل كلما ناسب موضوع الآيات مقام طلب البرهان وترك التقليد.

التقليد والتعصب له ظاهرة اجتماعية أطبقت على الأمة الإسلامية منذ قرون عدة في مجالات عدة أهملوا فيها النظر والفكر فكما أهملوا النظر فيما يصلح معاشهم من أمور دنياهم أهملوا النظر فيما يحفظ عليهم صحة اعتقادهم وسلامته من التصورات الخاطئة وأهملوا كذلك النظر فيما يؤسس لهم نظامهم الاجتماعي والتشريعي على وفق النمط الإلهي الذي ارتضاه الله لهم فتاهوا في نظم لا تنسجم مع كيانهم الديني البتة، أهملوا النظر في آيات الله الكونية وفي ما خلق الله في البر والبحر والسماء وأهملوا النظر في آيات الله القرآنية؛ هذا ما أفسد على المسلمين –لا نقول عامتهم فحسب بل كثيرا من علمائهم– أمر تعليمهم ناهيك عن ما ينجم عن فساد الصفوة من هلاك الجميع وفي هذا الصدد يقول الامام عبد الحميد بن باديس: «لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم فإنّما العلماء من الأمّة بمثابة القلب إذا صلح الجسد كلّه وإذا فسد فسد الجسد كلّه، وصلاح المسلمين إنّما هو بفقههم الإسلام وعملهم به وإنّما يصل إليهم هذا على يد علمائهم، فإذا كان علماؤهم أهل جمود في العلم وابتداع في العمل فكذلك المسلمون يكونون. فإذا أردنا إصلاح المسلمين فلنصلح علماءهم. ولن يصلح العلماء إلاّ إذا صلح تعليمهم. فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من علمه لنفسه وغيره فإذا أردنا أن نصلح العلماء فلنصلح التعليم ونعني بالتعليم التعليم الذي يكون به المسلم عالماً من علماء الإسلام يأخذ عنه الناس دينهم ويقتدون به فيه»(2) فأصول فساد الحياة الثقافية في المجتمع الإسلامي من منظور الشيخ ترجع إلى أصل واحد هو ترك الاجتهاد والنظر بل وغلق بابه والركون إلى التقليد والحث عليه والإلزام به على عكس ما كان عليه الأمر في ماضي الأمة المجيد حيث «كان التعلم والتعليم في القرون الفضلى مبناها على التفقه في

(1) محمد الراوي، "كلمة الحق في القرآن الكريم" (2/785).

(2) "آثار ابن باديس" (3/ 217).

القرآن والسنة، روى ابن عبد البر في الجامع عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [سورة آل عمران:79]، قال الضحاك: "حق على كلّ من تعلم القرآن أن يكون فقيها" ... هذا هو التعليم الديني السني السلفي، فأين منه تعليمنا نحن اليوم وقبل اليوم، بل منذ قرون وقرون؟ فقد حصلنا على شهادة العالمية من جامع الزيتونة ونحن لم ندرس آية واحدة من كتاب الله، ولم يكن عندنا أي شوق أو أدنى رغبة في ذلك. ومن أين يكون لنا هذا ونحن لم نسمع من شيوخنا يوما منزلة القرآن من تعلم الدين والتفقه فيه، ولا منزلة السنة النبوية من ذلك. هذا في جامع الزيتونة فدع عنك الحديث عن غيره ممّا هو دونه بعديد المراحل. فالعلماء -إلاّ قليل منهم- أجانب أو كالأجانب من الكتاب والسنة من العلم فهما والتفقه فيهما. ومن فطن منهم لهذا الفساد التعليمي الذي باعد بينهم وبين العلم بالدين وحملهم وزرهم ووزر من في رعايتهم لا يستطيع -إذا كانت له همة ورغبة- أن يتدارك ذلك إلا في نفسه. أمّا تعليمه لغيره فإنّه لا يستطيع أن يخرج فيه عن المعتاد، الذي توارثه عن الآباء والأجداد رغم ما يعلم فيه من فساد وإفساد»[1] ونلاحظ من سيرة الشيخ ابن باديس أنه أخذ على عاتقه إصلاح هذا الخلل بكل ما أوتيه من جهد فألف لطلبته في باب العقائد؛ العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وفي باب الفقه كتاب أصول الفقه وهو كتاب يحيوي آيات وأحاديث في الأحكام ... لكنه جهد منه رَحِمَهُ الله لم يجد من يواصل به على منواله والله المستعان. و«إن في تحريم التقليد وتصريح الكتاب العزيز بأن الله تعالى لا يقبله ولا يعذر صاحبه في الآخرة لتأكيدا شديدا لإيجاب العلم الإستقلالي الإستدلالي في الدين، وهو لا يقتضي الاجتهاد المطلق في جميع مسائل التشريع، أعني – الإستنباط العام بوضع الأحكام لكل ما يحتاج إليه الأفراد والحكام – وإن في إطلاق مقلدة المصنفين من خلف القرون الوسطى القول بإيجاب تقليد المجتهدين في أمور الدين، وتحريم الأخذ بالدليل فيه – لاشتراطهم فيه استعداد كل مستدل مستقل للتشريع – لافتياتا على دين الله، ونسخا لكتاب الله، وشرعا لم يأذن به الله، خلاصته تحريم العلم وإيجاب الجهل، وهذا منتهى الإفساد للفطرة والعقل، وهو أقطع المدى لأوصال الإسلام، وأفعل المعاول في هدم قواعد الإيمان، وعلة العلل لانتشار البدع التي ذهبت بهداية الدين، واستبدلت بها الخرافات ودجل الدجالين»[2]. والركون إلى التقليد واتباع الغير -حتى ولو كان من أجهل الناس- في المسائل التي لا تبنى إلا على برهان وبينة دليل على

(1) "آثار ابن باديس" (3/ 218 -219).

(2) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار"، (1/95-96).

فساد في القلب وفساد في القصد وسوء نية من صاحبه، فمن جعل الحق قصده واستعمل عقله واتبع سبل الهدى ووازن بين المقالات و العقائد وغيرهما، فلا بد أن مع الحق بينة واضحة تدل عليه وحجة ساطعة تدرؤ عنه الشكوك والشبهات، فمن حسن قصده وسدد سعيه وكان من المنصفين انقاد إلى الحق ولزمه [1]، و«بطلان التقليد للآباء والأجداد والمشايخ والمعلمين والرؤساء؛ الشواهد عليه في القرآن الكريم عديدة أظهرها ما حكاه الله تعالى لنا عن تبرؤ المتبوعين من الأتباع يوم القيامة في قوله سبحانه: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [سورة البقرة:166-167]. وهو جهل وعصبية جاهلية [2].

قد يحتج من يكتفي بالتقليد ويترك الاجتهاد في البحث عن الحق بأنه لا يملك الآلة العلمية ولا القدرة الذهنية التي يجب أن يكون عليها المجتهد كما هو شأن مقلدة المذاهب الفقهية وغيرهم، وكذلك شأن من لا يؤمن بالقرآن ولا ما أنزل على الأنبياء والمرسلين كما قص الله علينا مقالة قوم شعيب عليه السلام فقال عزوجل: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ [سورة هود:91]، ففي نفي الفقه –على وجه الخصوص– عن أنفسهم ما يوحي بركونهم إلى العادة والإلف الموروثان تقليدا، ومخالفة ما هم عليه أمر بعيد! وهذا ما حملهم على أن جعلوا لكلامه باطنا وظاهرا وأن ظاهر كلامه غير مراد للعلة السابقة وباطنه خفي عنهم فسألوا عن فقهه؛ فـ«الفقه في اللغة أخص من الفهم والعلم، وهو الفهم الدقيق العميق المؤثر في النفس الباعث على العمل، أي: ما نفقه كثيرا مما ترمي مما وراء ظواهر أقوالك من بواطنها وتأويلها؛ كبطلان عبادة آلهتنا وقبح حرية التصرف في أموالنا، وعذاب محيط يبيدنا، وإصابتنا بمثل الأحداث الجوية التي نزلت بمن قبلنا، كأن أمرها بيدك وتصرفك أو تصرف ربك، يصيب بها من تشاء أو يشاء لأجلك» [3] وكلامهم هذا إما يوحي بسوء قصدهم –والحالة هذه–المباهتة كما حكى الله عن المشركين ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا﴾ [سورة فصلت:5]، وقوله عن اليهود: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾

(1) ينظر: عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص81.

(2) ينظر: محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (1/95-96).

(3) المرجع نفسه، (12/122).

[سورة البقرة:88]. وإما أن يكون تأثير العوائد على قلوبهم بأن سلبت منهم ملكة التعقل والفهم بعد طول تعطيلها منهم، فأصبح فحوى كلامه عندهم كالمحال لمخالفته ما يألفون، كما حكى الله عن غيرهم بقوله: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [سورة ص:5].[1] ومهما يكن من قصدهم فكلامهم باطل مردود وحجتهم فيه ضعيفة داحضة «وإنما قالوه بعد ما سمعوا منه دلائل الحق البين على أحسن وجه وأبلغه، وضاقت عليهم الحيل، فلم يجدوا إلى محاورته سبيلا، سوى الصدود عن منهاج الحق، والسلوك إلى سبيل الشقاء، كما هو ديدن المفحم المحجوج، يقابل البينات بالسب والإبراق والإرعاد. فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ، وأنواع العلوم والمعارف، من قبيل ما لا يفهم معناه، ولا يدرك فحواه»[2] ونفس الأمر يقال فيمن أعرض عن القرآن الحكيم، بحجة عدم الفهم وما أشبهها من الحجج، إذ من أعرض عنه –لهذه الحجة– إنما أعرض عنه تعطيلا منه لما حباه الله من نعمة العقل وقدرة على النظر والبحث بعدما أحكم الله آياته وبين فيه الحجج و البراهين على الحق، فإذا كان يوجد في الناس من لا يؤمن بالحق والهدى الذي في الكتاب الذي لا ريب فيه ، فليس هذا عيبا وتقصيرا في هداية القرآن الكريم للتي هي أقوم، وإنما العيب فيهم لأن هدايته كسائر الهدايات الطبيعية التي أعرض الناس عنها، قال الله تعالى عنهم ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [سورة الأعراف:179]. انظر إلى رجل يغمض عينيه ويمشي في طريق لا يعرفها فيسقط في حفرة وتتحطم عظامه، هل ينقص ذلك من قدر بصره، ويبخس من حق الله تعالى في الإحسان به على هذا الذي لم يرد أن يستعمله فيما خلق له[3].

والتقليد الذي حط من شأنه القرآن الكريم وتتبعه المفسرون بالشرح والبيان على أنواع نذكر منها:

أولا: تقليد السادة والكبراء

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الأحزاب:67]، السادة: عظماء القوم والقبائل مثل الملوك ... والكبراء: جمع كبير وهو عظيم العشيرة،

(1) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، (184/12).

(2) جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل"، (127/6).

(3) ينظر: محمد رشيد رضا، "تفسير المنار"، (117/1).

وهم دون السادة[1]، «وهذا شأن الدهماء أن يسودوا عليهم من يعجبون بأضغاث أحلامه، ويغرون بمعسول كلامه، ويسيرون على وقع أقدامه، حتى إذا اجتنوا ثمار أكمامه، وذاقوا مرارة طعمه وحرارة أوامه، عادوا عليه باللائمة وهم الأحقاء بملامه»[2]، وتوهم حصول الحق إلا على لسان السادة والكبراء صفة جاهلية تمسك بها أهل العناد والكبر من كل الملل كما قال الله تعالى عن قريش: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١﴾ [سورة الزخرف:31] إذ يقرر صاحب الضلال[3] أن هذا الصنيع من أهل قريش في رد الحق الذي أرسل به محمد ﷺ هو إنما من سوء فهم للقيم التي يؤسس عليها معرفة الحق و الاهتداء إليه وخلط بين قيم أرضية مادية كاذبة خاطئة وقيم سماوية فيها من الحق والحكمة ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وفي هذه الآية قيم أصيلة أقام الله عليها الحياة (الحق)، وقيم زائفة تصدهم عن الحق و الهدى، و«الله أعلم حيث يجعل رسالته، ولقد اختار لها من يعلم أنه لها أهل. ولعله- سبحانه- لم يشأ أن يجعل لهذه الرسالة سندا من خارج طبيعتها، ولا قوة من خارج حقيقتها فاختار رجلا ميزته الكبرى.. الخلق.. وهو من طبيعة هذه الدعوة.. وسمته البارزة.. التجرد.. وهو من حقيقة هذه الدعوة.. ولم يختره زعيم قبيلة، ولا رئيس عشيرة، ولا صاحب جاه، ولا صاحب ثراء. كي لا تلتبس قيمة واحدة من قيم هذه الأرض بهذه الدعوة النازلة من السماء. ولكي لا تزدان هذه الدعوة بحلية من حلى هذه الأرض ليست من حقيقتها في شيء. ولكي لا يكون هناك مؤثر مصاحب لها خارج عن ذاتها المجردة. ولكي لا يدخلها طامع ولا يتنزه عنها متعفف. ولكن القوم اللذين غلب عليهم المتاع، واللذين لم يدركوا طبيعة دعوة السماء، راحوا يعترضون ذلك الاعتراض ... فرد عليهم القرآن مستنكرا هذا الاعتراض على رحمة الله، التي يختار لها من عباده من يشاء وعلى خلطهم بين قيم الأرض وقيم السماء مبينا لهم عن حقيقة القيم التي يعتزون بها، ووزنها الصحيح في ميزان الله: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾ [سورة الزخرف:32]»[4] .

(1) ابن عاشور، "التحرير والتنوير" (22/ 117).

(2) المرجع نفسه (22/ 117).

(3) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (3182/5).

(4) المرجع نفسه، (3186/5).

ثانيا: تقليد ذوي الوجاهة

يرى صاحب المنار أن ما سبب كثير من الفرقة بين المسلمين هو تعصب الناس لذوي الوجاهة من أهل العلم اللذين يتعصبون بدورهم لما عليه الأمراء والسلاطين، وهذا بعد أمر الله تعالى لهم بالاعتصام بالحبل المتين الذي هو قرآنه المجيد وما تعلق به من العلوم التي تمثل الصورة الكاملة للإسلام الذي أمرهم سبحانه وتعالى بأخذه كافة كما في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [سورة البقرة:208]. قال محمد رشيد رضا رحمه الله «ومن آيات العبرة في هذا المقام أننا نجد في كلام كثير من علمائنا هدى ونورا لو اتبعته الأمة في أزمنتهم لاستقامت على الطريقة، ووصلت إلى الحقيقة بعد الخروج من مضيق الخلاف والشقاق إلى بحبوحة الوحدة والاتفاق، والسبب في بقاء الغلب لسلطان الخلاف والنزاع فشو الجهل، وتعصب أهل الجاه من العلماء لمذاهبهم التي إليها ينتسبون، وبجاهها يعيشون ويكرمون، وتأييد الأمراء والسلاطين لهم استعانة بهم على إخضاع العامة، وقطع طريق الاستقلال العقلي والنفسي على الأمة; لأن هذا أعون لهم على الاستبداد، وأشد تمكينا لهم مما يهوون من الفساد والإفساد; إذ اتفاق كلمة علماء الأمة واجتماعها على أن الحق كذا بدليل كذا ملزم للحاكم باتباعهم فيه؛ لأن الخواص إذا اتحدوا تبعهم العوام، وهذه هي الوسيلة الفردة لإبطال استبداد الحكام ...»[1] يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [سورة البقرة:170] والآباء هنا في هذه الآية هم العلماء من الملة التي ينتسب إليها مختلف البشر[2]، وهؤلاء العلماء هم اللذين يربون الناس على ما يعتقدونه صلاحا لهم وهم اللذين يركن الناس إلى أقوالهم وآرائهم في معرفة الحق ولو كانت واضحة البطلان؛ «اكتفوا بتقليد الآباء، وزهدوا في الإيمان بالأنبياء، ومع هذا فآباؤهم أجهل الناس، وأشدهم ضلالا وهذه شبهة لرد الحق واهية، فهذا دليل على إعراضهم عن الحق، ورغبتهم عنه، وعدم إنصافهم، فلو هدوا لرشدهم، وحسن قصدهم، لكان الحق هو القصد، ومن جعل الحق قصده، ووازن بينه وبين غيره، تبين له الحق قطعا، واتبعه إن كان منصفا»[3].

(1) "تفسير المنار" (205/2-206).

(2) ينظر: الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن" ص57.

(3) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص81.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا: تقليد دعاة الجمود الفكري

ركن المسلمون في العصور الوسطى وما بعدها إلى التقليد في شتى العلوم والمعارف وبالخصوص علم الفقه الذي أساسه النظر في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ مستندين إلى قاعدة أسسوا عليها نظريتهم بوجوب التقليد فقالوا: "ماذا ترك الأول للآخر"، وهؤلاء وإن لم يكن لهم ذكر لفظي في القرآن إلا أنهم ظهروا في الأمة الإسلامية معاكسين للآيات الصريحة التي تحث على إعمال الفكر وبذل الجهد في الترقي في درجات العلم وترك الركون إلى السكون والاكتفاء بمذاهب من سبق .... وقد أعطى الشيخ محمد الأمين الشنقيطي مثالا عن هذه النظرية الفكرية العلمية الباطلة بما هو موجود في كتب التفسير القديمة فقال –ناقلا عن الصاوي-: «ولا يجوز تقليدها ما عدا المذاهب الأربعة، ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل وربما أداه ذلك للكفر؛ لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر»(1) أما صاحب المنار فإنه لا يفوت فرصة في تفسيره تسمح له بالنكير على دعاة التقليد و الجمود الفكري إلا وأطال فيه النفس ودك حصون المقلدة دكا دكا بما لا يسمح لهم إعادة بناء حصونهم البتة، وقد ذكر المفسرون المعاصرون في غير ما موضع من تفاسيرهم بيان بطلان هذه الدعاوي للمقلدة وأنها تعارض الآيات الصريحة في كتاب الله التي تحث على إعمال الفكر و التنافس في العلم والتنافس في تدبر القرآن الكريم، تحث المسلمين على العموم كل بما أوتي من طاقة دون جرأة ولا تشبع بما لم يعطى الواحد منهم؛ قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة محمد:24]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة ص:29]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء:82]، قال الإمام محمد الأمين الشنقيطي بعد ذكر الآيات السابقة: «ومعلوم أن كل من لم يشتغل بتدبر آيات القرآن العظيم، أي تصفحها وتفهمها، وإدراك معانيها، والعمل بها؛ فإنه معرض عنها، غير متدبر لها، فيستحق الإنكار والتوبيخ المذكور في الآيات، إن كان الله أعطاه فهما يقدر به على التدبر، وقد شكا النبي ﷺ إلى ربه من هجر قومه هذا القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الفرقان:30]، وهذه الآيات المذكورة تدل على أن تدبر القرآن وتفهمه وتعلمه والعمل

(1) "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (7/ 467 ط عطاءات العلم).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

به، أمر لا بد منه للمسلمين. ... فإعراض كثير من الأقطار عن النظر في كتاب الله وتفهمه والعمل به وبالسنة الثابتة المبينة له، من أعظم المناكر وأشنعها، وإن ظن فاعلوه أنهم على هدى. ولا يخفى على عاقل أن القول بمنع العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، اكتفاء عنهما بالمذاهب المدونة، وانتفاء الحاجة إلى تعلمهما لوجود ما يكفي عنهما من مذاهب الأئمة، من أعظم الباطل، وهو مخالف لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الصحابة، ومخالف لأقوال الأئمة الأربعة»(1). قال الله تعالى مخاطبا أهل الكتاب: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١١١﴾ [سورة البقرة:111]، وقال تعالى مخاطبا كل من أشرك معه غيره في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ٢٤﴾ [سورة الأنبياء:24]، وقال تعالى مخاطبا الناس جميعا مذكرا لهم بنعمه عليهم وأن تلك النعم لا يقدر عليها غيره فهو وحده رب العالمين: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٦٤﴾ [سورة النمل:64]، والملاحظ هاهنا أن القرآن الكريم ذيل كل خطاب لكل فريق بالمطالبة لهم بالبرهان على ما يعتقدونه أنه الحق، «فقرر لنا قاعدة لا توجد في غير القرآن من الكتب السماوية، وهي أنه لا يقبل من أحد قولا لا دليل عليه، ولا يحكم لأحد بدعوى ينتحلها بغير برهان يؤيدها، ذلك أن الأمم التي خوطبت بالكتب السالفة لم تكن مستعدة لاستقلال الفكر ومعرفة الأمور بأدلتها وبراهينها؛ ولذلك اكتفى منهم بتقليد الأنبياء فيما يبلغونهم وإن لم يعرفوا برهانه، فهم مكلفون أن يفعلوا ما يؤمرون، سواء عرفوا لماذا أمروا أو لم يعرفوا، ولكن القرآن يخاطب من أنزل عليه بمثل قوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ۖ﴾ [سورة يوسف:108]. وقد فسروا البصيرة بالحجة الواضحة، ...علم القرآن أهله أن يطالبوا الناس بالحجة؛ لأنه أقامهم على سواء المحجة. وجدير بصاحب اليقين أن يطالب خصمه به ويدعوه إليه، وعلى هذا درج سلف هذه الأمة الصالح، قالوا بالدليل وطالبوا بالدليل ونهوا عن الأخذ بشيء من غير دليل، ثم جاء الخلف الطالح فحكم بالتقليد، وأمر بالتقليد، ونهى عن الاستدلال على غير صحة التقليد، حتى كأن الإسلام خرج عن حده، أو انقلب إلى ضده، وصار اللذين يعلمون أن الإسلام امتاز عن سائر الأديان بإبطال

(1) "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (7/ 458 ط عطاءات العلم).

التقليد، وبالمطالبة بالبرهان والدليل، وعلم الناس استقلال الفكر، مع المشاورة في الأمر، يطالبون المسلمين بالرجوع إلى الدليل، ويعيبون عليهم الأخذ بقال وقيل، ويا ليته كان الأخذ بقال الله، وقيل فيما يروى عن رسول الله، ولكنه الأخذ بقال فلان وقيل عن علان ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [سورة النجم:23]»(1). ولئن كان العلم الذي سبيله البحث والتحري من أهم مقاييس الحق وسبيل الوصول إليه؛ فإن التقليد الذي سبيله الركون إلى آراء الآخرين بلا بينة ولا برهان هو عدو لذلك العلم لا يجتمع معه في موضع، وفي الآيات السابقات «إرشاد إلى بطلان التقليد، مؤيد لما في الآية التي تطالب المدعي بالبرهان، وإلى النعي على المقلدين المتعصبين لآرائهم، المتبعين لأهوائهم، وإلى التحري في الحكم على الشيء يعتقد الحاكم بطلانه؛ لأنه مخالف لما يعتقده، فلا ينبغي للعاقل أن يحكم على شيء إلا بعد البحث والتحري ومعرفة مكان الخطأ والتزييل بينه وبين ما عساه يكون معه صوابا. ألم تر أن سياق الآيات [الأول في أهل الكتاب] ناطق بإنكار حكم كل من الفريقين على الآخر من غير بينة ولا برهان ولا فصل ولا فرقان، مع أن كل واحد منهم على شيء من الحق وشيء من الباطل؛ لأن أصل دينه حق ثم طرأت عليه نزعات الوثنية والبدع، وعرض له التحريف والتأويل، فتجريده من كل حق لم يكن إلا تعصبا للتقاليد من غير بينة ولا تمحيص، وأنى للمقلدين بذلك؟ وانظر كيف ألحق التقليد أهل الكتاب اللذين كانوا على علم بالدين الإلهي بالمشركين اللذين لا يعلمون منه شيئا؟ هذا ما فعله التقليد بهم، وبمن بعدهم؛ لأنه عدو للعلم في كل زمان وكل مكان»(2).

(1) "تفسير المنار" (1/350-351).

(2) المرجع نفسه، (1/ 354).

المطلب الثالث: الافتتان بالأموال والأولاد والرئاسة

بيّن صاحب المنار عند تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ [سورة آل عمران:10] بالاستناد إلى ما سبق الآية من تقرير للتوحيد الذي هو أكبر الحقائق التي قررها القرآن الكريم، وأنه من بلاغة القرآن أنه بين حال أهل المناكرة والجحود ومناشئ اغترارهم بالباطل، وأسباب استغنائهم عن ذلك الحق أو اشتغالهم عنه. وأهم هاته الأسباب الأموال والأولاد .... وبين حاجة أهل الجحود للحق إلى هذا التذكير؛ إذ أن الجحود إنما يقع من الناس للغرور بأنفسهم وما حصّلت من أموال وأولاد وتوهمهم الاستغناء بذلك عن الحق (1). والافتتان كما يكون بالمال والولد يكون كذلك بكثرة العلم قال أحد السلف: (في الدنيا طغيانان: طغيان العلم وطغيان المال، والذي ينجيك من طغيان العلم العبادة، والذي ينجيك من طغيان المال الزهد فيه)(2) و«طغيان الرئاسة وطغيان المال يحملان صاحبهما على الكبر والبطر والبغي على الحق وعلى الخلق، برهان ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [سورة البقرة:258]، وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [سورة العلق:6-7]، فعلل هذا التجرؤ والطغيان بحصول الملك ورؤيته لنفسه الاستغناء، أما الموفقون الأصفياء فإنهم في هذه الأحوال يخضعون لله ويعترفون له بالنعمة ويزداد تواضعهم؛ ولهذا لما رأى سليمان عليه السلام من ملكه ملكا كبيرا، ورأى عرش ملكة سبأ مستقرا عنده لم يطغ ويقل: هذا من حولي وقوتي، ونحوه، بل قال: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ﴾ [سورة النمل:40] وقال قبل ذلك: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة النمل:19]»(3).

---

(1) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (3/190-191).

(2) الخطيب البغدادي، "اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي" ص30.

(3) عبد الرحمن السعدي، "تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن" (1/ 311).

المطلب الرابع: الكبر والعناد

الكبر والعناد من المسالك غير التربوية التي قد تحمل صاحبها على ترك الحق إذا لاحت شواهده وبراهينه، ومسلك أهل الانصاف ممن ينقاد إلى الحق هو تربية وتوطين النفس على العلم واليقين مهما كانت الظروف والأحوال ومهما كانت العواقب والمآلات، وجرت عادة اللذين يعارضون الحق كبرا وعنادا أن يستندوا إلى تعجيز أهل الحق بالسؤالات غير الممكنة كما في قول بني إسرائيل لرسلهم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾ [سورة البقرة:118] أي: «قال الجهلة من أهل الكتاب وغيرهم: هلا يكلمنا، كما كلم الرسل، ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ يعنون آيات الاقتراح، التي يقترحونها بعقولهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة، التي تجرأوا بها على الخالق، واستكبروا على رسله كقولهم: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [سورة البقرة:55] وقولهم ﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ الآية [سورة النساء:153]، وقالوا: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ ... الآيات [سورة الفرقان:7]، وقوله: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠﴾ الآيات [سورة الإسراء:90]، فهذا دأبهم مع رسلهم، يطلبون آيات التعنت، لا آيات الاسترشاد، ولم يكن قصدهم تبين الحق، فإن الرسل، قد جاءوا من الآيات، بما يؤمن بمثله البشر، ولهذا قال تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ فكل موقن، فقد عرف من آيات الله الباهرة، وبراهينه الظاهرة، ما حصل له به اليقين، واندفع عنه كل شك وريب»(1)، وفي هذا السياق يقول صحاب المنار كلاما نفيسا عن مثل هذا المرض القلبي النفسي الذي يصد صاحبه عن قبول الحق بل ويعانده بما يظن أنه يفسد براهينه ويبطلها وليس الأمر كما يظن: «الطلب الذي مصدره العناد والتعنت لا تفيد إجابته؛ لأن صاحبه لا يقصد به معرفة الحق، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧﴾ [سورة الأنعام:7] والدليل المعقول على هذا أنه ما من نبي إلا وقد جاء بآية أو آيات كونية أو عقلية، وكانوا مع ذلك يصفونهم بالسحر ثم يقترحون عليهم الآيات؛ ولذلك قال – تعالى – بعد

---

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص64.

حكاية شبهة هؤلاء الجاهلين: ﴿قد بينا الآيات لقوم يوقنون﴾ أي أننا لم ندعك يا محمد بغير آية بل بينا الآيات على يديك بيانا لا يدع للريب طريقا إلى نفس من يعقلها ... نعم إن الآيات العلمية لا يعقلها إلا أهل الاستعداد للعلم واليقين؛ ولذلك قال: ﴿لقوم يوقنون﴾...، والعبرة في خطاب الشرع بأهل اليقين اللذين صفت نفوسهم، ومحصت أفكارهم، فسلموا من علة العناد والمكابرة المانعين لشعاع الحق أن ينفذ إلى العقول، ولحرارته أن تخترق الصدور إلى القلوب، هؤلاء هم أنصار الحق؛ لأنهم بيقينهم لا يستطيعون المروق منه، ولا السكوت عن الانتصار له»[1]. وليست كل الأسئلة التي يسألها الناس لأهل الحق هي أسئلة كبر وعناد ولكن الأمر فيه حد فاصل بين نوعين من الأسئلة؛ نوع هو **أسئلة التعنت والاعتراض** وهذه الأسئلة من سمات أهل الباطل، ونوع آخر هو **سؤال الاسترشاد والتعلم** وهو محمود كما قال تعالى: ﴿فَسَـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة النحل:43]، ويقررهم عليه كما في قوله ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ﴾ [سورة البقرة:219] ونحو ذلك.[2]

(1) "تفسير المنار" (1/ 363).

(2) ينظر: عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص62.

المبحث الخامس: الحق في علوم القرآن

وفيه المطالب التالية:

- **المطلب الأول: الله هو الحق**
- **المطلب الثاني:** النبي صلى الله عليه وسلم **حق و القرآن حق**
- **المطلب الثالث: اليوم الآخر حق**
- **المطلب الرابع: الحق في الشرائع**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الخامس: الحق في علوم القرآن

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦﴾ [سورة سبأ:6]، إن الله تبارك وتعالى هو الحق وقوله الحق ووعده حق ولقاؤه حق والملائكة حق وما ينزلون إلا بالحق، «﴿إنا أرسلناك بالحق﴾ أي بالشيء الثابت الحقيقي الذي لا يضل من يأخذ به، ولا تعبث به رياح الأباطيل والأوهام، بل يكون الآخذ به سعيدا بالطمأنينة واليقين. قال الأستاذ الإمام(1): إن الحق في هذا المقام يشمل العلوم الاعتقادية وغيرها فهو يقول: إنا أرسلناك بالعقائد الحق المطابقة للواقع، والشرائع الصحيحة الموصلة إلى سعادة الدنيا والآخرة»(2) والحق الذي في القرآن هو سر من أسرار إعجازه ونور من أنوار هدايته، نعم فكل علوم القرآن حقائق في ذاتها، متناسقة فيما بينها يكمل بعضها بعضا ويشهد بعضها لبعض لا ترى فيها ثغرة ولا تحس منها تناقض، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [سورة النساء:82]، وسبق البيان أن نسبة العلوم إلى القرآن نسبة متنوعة، فمن العلوم ما تضمنها القرآن ومنها ما أشار إليها ... و«إذا كان القرآن كتابا إلهي المصدر فما يتضمنه إنما هو حقائق حينما إخبارا ... وقواعد عادلة حينما يكون الكلام عن [تشريع] ... »(3) وفي هذا المبحث بيان لما في القرآن الكريم من علوم حقة أتت في مقاصده الأولى. وأقام الله تبارك وتعالى على الحقائق القرآنية آيات ودلائل وبراهين متنوعة ومختلفة والقاعدة كما قررها محمد رشيد رضا في هذا الباب أنه «يستدل على قدرة الله وإرادته وعلمه وحكمته ووحدانيته بالآيات الكونية، وهي كثيرة جدا في القرآن، وبالأدلة النظرية والعقلية كقوله: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [سورة الأنبياء:22] وغير ذلك، ويستدل على الأحكام بما يترتب عليها من نفي المضرات والإفضاء إلى المنافع»(4).

---

(1) وهو محمد عبده

(2) "تفسير المنار" (1/ 364).

(3) محمد المبارك، "القرآن مصدر للثقافة والفكر ومنطلق للعلوم الإسلامية"، مجلة الثقافة الإسلامية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، العدد 05، 1430هـ-2009م، 32. بتصرف

(4) "تفسير المنار" (350/1).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: الله هو الحق

يقول عبد الرحمن بن السعدي: «أعظم الحق على الاطلاق الذي يتعين معرفته والانقياد له هو معرفة تفرد الرب بالكمال المطلق الذي لا يشاركه ولا يماثله فيه مخلوق بوجه من الوجوه وأنه المتفرد في عظمته وصفاته، وتفرده في أفعاله وعطائه، ومنعه وخفضه ورفعه وتصريفه الأمور بحكمة وعناية، تتقاصر عقول العالمين عن بلوغ غايتها ونهاية دقتها»(1)؛ في هذه الفقرة من كلام الإمام المفسر تظهر كبرى اليقينيات والحقائق التي توجهت عناية المفسرين –وغيرهم من أهل العلم بأصول الدين– إلى إظهارها وإبرازها للناس، ليعرفوها ويعقلوها وترسخ في نفوسهم وتكون هي السر من وجودهم. وهذه اليقينية الكبرى هي حقيقة جوهرية في كيان الإنسان منذ وجوده على هذه المعمورة بل و وقد يكون قبل ذلك كما يبينه يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾ [سورة الأعراف:172]، فإن في هذه الآية الكريمة وجهين من التفسير معروفين عند العلماء كليهما يؤيدان ما نحن بصدد تقريره من الحقائق؛ أما أحد هذين الوجهين فمفاده:(2) أن معنى أخذه ذرية بني آدم من ظهورهم هو إيجاد قرن منهم بعد قرن، وإنشاء قوم بعد آخرين كما قال تعالى: ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [سورة الأنعام:133]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة فاطر:39]، وقال: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة النمل:62]، ونحو ذلك من الآيات، وعلى هذا القول فمعنى قوله: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [سورة الأعراف:172]، أن إشهادهم على أنفسهم إنما هو بما نصب لهم من الأدلة القاطعة بأنه ربهم المستحق منهم لأن يعبدوه وحده، وعليه فمعنى قالوا بلى، أي: قالوا ذلك بلسان حالهم لظهور الأدلة عليه، ونظيره من إطلاق الشهادة على شهادة لسان الحال قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [سورة التوبة:17]، أي بلسان حالهم على القول بذلك، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [سورة العاديات:6–7] أي: بلسان حاله أيضا على القول بأن ذلك هو المراد في الآية أيضا.

---

(1) عبد الرحمن السعدي، "أصول عظيمة من قواعد الإسلام"، ص27.

(2) ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان" (394/2 وما بعدها ط عطاءات العلم) بتصرف.

والوجه الآخر في معنى الآية(1): أن الله أخرج جميع ذرية آدم من ظهور الآباء في صورة الذر، وأشهدهم على أنفسهم بلسان المقال: ألست بربكم قالوا بلى، ثم أرسل بعد ذلك الرسل مذكرة بذلك الميثاق الذي نسيه الكل ولم يولد أحد منهم وهو ذاكر له وإخبار الرسل به يحصل به اليقين بوجوده. قال محمد الأمين الشنقيطي بعد البيان السابق(2): هذا الوجه الأخير يدل له الكتاب والسنة، أما وجه دلالة القرآن عليه، فهو أن مقتضى القول الأول أن ما أقام الله لهم من البراهين القطعية كخلق السماوات والأرض، وما فيهما من غرائب صنع الله الدالة على أنه الرب المعبود وحده، وما ركز فيهم من الفطرة التي فطرهم عليها - تقوم عليهم به الحجة، ولو لم يأتهم نذير، والآيات القرآنية مصرحة - بكثرة - بأن الله تعالى لا يعذب أحدا حتى يقيم عليه الحجة بإنذار الرسل، وهو دليل على عدم الاكتفاء بما نصب من الأدلة، وما ركز من الفطرة؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الإسراء:15]، فإنه قال فيها: حتى نبعث رسولا، ولم يقل حتى نخلق عقولا، وننصب أدلة، ونركز فطرة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [سورة النساء:165]، فصرح بأن الذي تقوم به الحجة على الناس، وينقطع به عذرهم: هو إنذار الرسل لا نصب الأدلة والخلق على الفطرة. وهذه الحجة التي بعث الرسل لقطعها بينها في سورة طه بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ [سورة طه:134]، وأشار لها في سورة القصص بقوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة القصص:48]، ومن ذلك أنه تعالى صرح بأن جميع أهل النار قطع عذرهم في الدنيا بإنذار الرسل، ولم يكتف في ذلك بنصب الأدلة، كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ [سورة الملك:8-9].

---

(1) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (2/ 395 وما بعدها، ط عطاءات العلم). بتصرف يسير.

(2) المرجع نفسه (2/ 395 وما بعدها، ط عطاءات العلم). بتصرف يسير.

وعندما يتعلق البحث بالغيبيات فإن أول ما يخطر على بال الباحث هو الذات الإلهية من حيث الوجود والأسماء والصفات والأفعال، وكل شيء في تفسير الوجود مرتبط بهذه الحقيقة الكبرى التي تعتبر من مباحث الغيب، وهو مبحث طويل الذيل تطلب تفاصيله في كتب العقائد وتناقش حججه وبراهينه في كتب الجدل والمناظرة وما شابهها من الكتب وما يهمنا هنا طريقة القرآن في مثل هذه المباحث من جهة كونها الحق الذي لا يماري فيه أي عاقل بصير عادل. وبحث العاقل عن علة وجوده أمر مرتكز في الفطرة، وقد دل القرآن على أن الناس آمنوا بالله وببعض صفاته منذ الأزل كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة المائدة:27-29] (1).

والذي ورد في القرآن الكريم عن الله سبحانه وتعالى هو أسماؤه وصفاته والإخبار عن أفعاله، ولا يتصور وجود هذه الثلاثة منفصلة عن الذات الإلهية كما هو مقرر في كتب العقائد، ثم إنه من غير الجائز شرعا وعقلا محاولة إدراك حقيقة ذاته وصفات ذاته سبحانه وتعالى بل العجز عن الإدراك هو غاية ما يمكن أن يدركه الإنسان في بحثه عن مثل هذا(2) وكثيرا ما يصدر الحديث باسم (الله) فالله علم على الذات العلية مثل: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ﴾ [سورة النساء:87]، وقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [سورة آل عمران:1-2]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [سورة طه:8]، وقوله تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة النور:35] وغيرها من الآيات(3) ويبين الطاهر بن عاشور ما يفيده البحث في أسماء الله وصفاته بعد إثبات وجوده سبحانه وأحقيته بالعبادة بقوله: «إن إعلان ما يجب على المؤمن اعتقاده من صفات الله تعالى هو تكملة لإصلاح الاعتقاد، لأن تصور الإله

(1) ينظر محمد الطاهر بن عاشور، "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"، ص47.

(2) ينظر: محمد أمان الجامي، "الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه"، ص90.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص89.

موصوفا بصفات غير كاملة يفيت المقصود من إثبات وجوده ووحدانيته لأنه إذا كان موجودا ولم يكن كاملا كان وجوده قريبا من العدم، فالحاجة إلى تقرير ما يجب على المؤمن من معرفته مع اعتقاد عموم علمه وقدرته على ما يرد حاجة أكيدة»(1)، ولكن الأمر الذي لا يمكن تجاهل الحديث عنه ولو في مثل هذا المقام هو أن تناول آيات الأسماء و الصفات عند المفسرين يختلف باختلاف مدارسهم العقدية التي ينتمون إليها وعرض ذلك وتحليله ومناقشته ليس من مقاصد البحث بل يفوت علينا مقاصده الأساسية فلتطلب هذه المباحث في مظانها، ونكتفي بما قرره محمد الأمين الشنقيطي حول طريقة القرآن في إثبات الصفات حيث رتب ذلك في ثلاث قواعد دل عليها استقراء كتاب الله العزيز وهي:

القاعدة الأولى: هي تنزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيءٌ من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين، وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [سورة الشورى:11]، ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [سورة الإخلاص:4]، ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ﴾ [سورة النحل:74].

القاعدة الثانية: هو الإيمان بما وصف الله به نفسه، لأنه لا يصف اللهَ أعلمُ بالله من الله ﴿ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾ [سورة البقرة:140]، وما وصفه به رسوله ﷺ، لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ الذي قال ربه جل وعلا في حقه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [سورة النجم:3-4].(2)

القاعدة الثالثة: هي أن نعلم أن عقولنا محدودة الإدراك مهما علا بها الشأن في الذكاء فهي مخلوقة واقفة عند حدها، وأن خالق الكون أعظم وأكبر وأجل وأنزه من أن تحيط به العقول، وهذا الأساس مبين في آية من سورة طه ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ۝١١٠﴾ [سورة طه:110](3) لذا يجب على الإنسان قطع الطمع عن إدراك ماهية ذات الإله سبحانه.

والحق من أسماء الله الحسنى والمعنى المراد منه أنه الحق في «وجوده وملكه، وكماله حق، فصفات الكمال لا تكون حقيقة إلا لذي الجلال»(4) وكل أثر مترتب على صفات الله عزوجل وأفعاله حق في

(1) الطاهر بن عاشور ، "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"، ص49.

(2) ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، "منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات/ «محاضرات الشنقيطي"، ص87-88.

(3) ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، "الرحلة إلى إفريقيا"، ص44.

(4) "تيسير الكريم الرحمن"، ص514.

نفسه دال على الله سبحانه وتعالى، يبين عبد الرحمن بن السعدي معنى كون الله هو الحق بقوله: « اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ أي: الثابت، الذي لا يزال ولا يزول، الأول الذي ليس قبله شيء، الآخر الذي ليس بعده شيء، كامل الأسماء والصفات، صادق الوعد، الذي وعده حق ولقاؤه حق، ودينه حق، وعبادته هي الحق، النافعة الباقية على الدوام»[1]. وقال الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [سورة الحج:6] أي هو الحق في ذاته وألهويته وصفاته وأفعاله [2]. فكل ما نتحسسه بالحواس الخمس وندكره بملكة العقل ونحسه بإنسانيتنا التي بها مشاعرنا وأحاسيسنا هو أثر من آثار صنعته سبحانه وتعالى دال عليه وعلى شيء من صفاته المثلى وأفعاله الجليلة وينبني على ذلك لزوما أنه هو المعبود، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وعبادته هي الحق، وعبادة غيره باطلة [3]. وفي الآية السابقة القصر إضافي، أي الله هو الحق دون غيره من معبوداتكم فإنها لا وجود لها في الحقيقة وإن اتخذها البشر معبودات فهي كما قال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [سورة النجم:23][4]، وينعى الله سبحانه وتعالى على اللذين يجادلون في هذه الحقيقة المطلقة فيقول سبحانه وتعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣﴾ [سورة الحج:3]، ويقول جل وعلا ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨﴾ [سورة الحج:8]، ويقول سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٢٠﴾ [سورة لقمان:20]. أي «يجادل في شأنه تعالى من غير تمسك بعلم ضروريّ، ولا باستدلال ونظر صحيح، يهدي إلى المعرفة. ولا بوحي مظهر للحق. أي بل بمجرد الرأي والهوى »[5] ونجد أن نفس الجملة القرآنية تتكرر في سياقات مختلفة من آي وسور الذكر الحكيم كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [سورة الحج:62] وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ

(1)"تيسير الكريم الرحمن"، ص543.

(2) جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل" (234/7).

(3) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص534.

(4) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (205/17).

(5) "محاسن التأويل"، (234/7).

﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير ﴿٣٠﴾﴾ [سورة لقمان:30]. قال الإمام السعدي رحمه الله في الآية الأخيرة: «[الله هو الحق] في ذاته وفي صفاته، ودينه حق، ورسله حق، ووعده حق، ووعيده حق، وعبادته هي الحق»(1). والآيات التي تصف الله تبارك وتعالى بأنه هو الحق كثيرة متعددة السياقات التي وردت فيها منها قول الله تعالى: ﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الأنعام:62]، وقوله تعالى: ﴿هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴿٣٠﴾﴾ [سورة يونس:30] وقوله تعالى: ﴿فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ﴿٣٢﴾﴾ [سورة يونس]، وقوله تعالى: ﴿هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الكهف:44] وقوله تعالى: ﴿فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما ﴿١١٤﴾﴾ [سورة طه:114] وقوله تعالى: ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ﴿٧١﴾﴾ [سورة المؤمنون:71] وقوله تعالى: ﴿فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴿١١٦﴾﴾ [سورة المؤمنون:116]، وقوله تعالى: ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴿٨٦﴾﴾ [سورة الزخرف:86].

والعلم بأن الله هو الحق بكل ما تحمله العبارة من المعاني السابقة يورث قيمة نفسية إضافة إلى القيمة الذاتية التي يتمتع بها الحق، قيمة نجدها أكثر عند أرباب السلوك اللذين يهتمون بعلم تهذيب النفوس وتزكيتها و«أهل المعرفة يقولون: إن الله تعالى لا يتغير من أجلكم، لكن يجب عليكم أنْ تتغيروا أنتم من أجل الله. وما دام أن ربك – عَزَّ وَجَلَّ – هو الحق الثابت الذي لا يتغير، وما عداه يتغير، فلا تحزن، ويا غضبان ارْضَ، ويا مَنْ تبكي اضحك واطمئن؛ لأنك ابن أغيار، وفي دنيا أغيار لا تثبت على شيء؛ لذلك فالإنسان يغضب إذا أُصيب بعقبة في حياته يقول: لو لم تكُنْ هذه!! نقول له: وهل

(1) "تيسير الكريم الرحمن"، ص651.

تريدها كاملة؟ لا بُدَّ أنْ يصيبك شيء؛ لأنك ابن أغيار، فماذا تنتظر إنْ وصلْت القمة لا بُدَّ أنْ تتراجع؛ لأنك ابن أغيار دائم التقلُّب في الأحوال، وربك وحده هو الثابت الذي لا يتغير»[1] واعل بها من قيم ترقى بالنفس البشرية إلى مستوى الراحة النفسية و الطمأنينة القلبية و التوازن الشعوري مما يصل بالإنسان إلى قمة السواء النفسي الذي يجاهد عليه كبار فلاسفة الدنيا ونداء القرآن ينادي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [سورة فاطر:15].

(1) محمد متولي الشعراوي، "تفسير الشعراوي" (9908/16).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني : النبي صلى الله عليه وسلم حق و القرآن حق

إن كلام الله هو الكلام الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الأنعام:73]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [سورة الإسراء:16] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة مريم:34]، وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة القصص:63]، وقال تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾ [سورة الأحزاب:4]. ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة ص:84] و«الحق في باب الاعتقاد لا يطلب بالظن والتخمين وإنما يطلب بالعلم واليقين ولقد ضل من ضل لاتباعهم الظن فيما يعتقدون وخضوعهم لهوى أنفسهم والحق لا يتبع الهوى، والظن لا يغني من الحق شيئا»(1)، والحقيقة الدينية مهما كان نوعها دليلها الأول الذي تعتمد عليه هو الخبر عن الله تبارك وتعالى، والخبر عن الله سبحانه لا يكون إلا بواسطة كلامه الذي أوحاه لعباده المرسلين، ويكون الخبر عن النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، لهذا يجتهد العلماء منذ فجر الإسلام في تجلية أهم خصيصة من خصائص القرآن الكريم للناظرين، ألا وهي كونه الحق من عند الله رب العالمين لا ريب فيه، وذلك بدراسة أهم البراهين على ذلك ألا وهو الإعجاز القرآني، والعلاقة بين الاعجاز القرآني وبين نبوة محمد ﷺ هي علاقة تكاملية؛ حيث إن النبوة هي الوسيط الذي تنزل عليه القرآن الكريم، والقرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الدالة على صدق نبوة محمد ﷺ جاء في تفسير المنار «والحق الذي يقال في هذا المقام: أن ما أيد الله تعالى به رسله من الآيات الكونية كان مناسبا لحال زمان كل منهم وأهله، وقامت الحجة على من شاهد تلك الآيات في عهده ثم على من صدق المخبرين من بعده، وقد علم الله تعالى أن سلسلة النقل ستنقطع، وأن ثقة بعض المتأخرين به ولا سيما

---

(1) محمد الراوي، "كلمة الحق في القرآن الكريم" (784/2).

بعد انقطاع سلسلته ستضعف، وأن دلالتها على الرسالة ستنكر، فجعل الآية الكبرى على إثبات رسالة خاتم النبيين علمية دائمة لا تنقطع، وهي هذا الكتاب المعجز للخلق»[1] ويقرر أحد الفضلاء اللذين انتقلوا من الإلحاد إلى الإسلام الأسئلة التي كانت تخطر على قلبه لما يتأمل القول بنبوة محمد ﷺ وينظر في أدلة صدق ذلك من عدمه فيقول: هل القرآن كتاب الله حقا، أنزله على محمد بواسطة الملك؟ أفلا يمكن أن يكون هذا الكتاب من صنع محمد؟ ما الدليل على أنه من عند الله؟[2] إننا هنا أمام حقائق عليها براهين و بينات في أن القرآن بلفظه ومعناه من عند الله رب العالمين نزل به جبريل الملك الكريم على محمد ﷺ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ١٩٥﴾ [سورة الشعراء:192-195]، وأعلن القرآن في صراحة مطلقة أن القرآن هو البرهان من رب العالمين على كل يقين جاء به النبي محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ١٧٤﴾ [سورة النساء:174]، ومعلوم -عند من تتبع تاريخ القرآن- أن القرآن تحدى الخلق كلهم بالقرآن على أن يأتوا بمثله ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٨٨﴾ [سورة الإسراء:88]، وتحداهم بأن يأتوا بعشر سور من مثله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٣ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٤﴾ [سورة هود:13-14]، وتحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ٢٤﴾ [سورة البقرة:23-24]. ولقد تنوعت طرائق المفسرين في عرض الدلالات العقلية والحسية على إعجاز القرآن ونظرياتهم في ذلك متنوعة ومتداخلة ومتشابكة، والتعرض لها جميعها بالشرح والتحليل يفوت المقصود من البحث،

(1) "تفسير المنار" (1/ 182).

(2) فاضل صالح السامرائي، "نبوة محمد من الشك إلى اليقين"، ص87.

لكن يكتفي الباحث بتلخيص نظرية محمد شيد رضا في تفسير المنار مع التنبيه على ما يمكن التنبيه عليه من آراء غيره في الموضوع. إن أول قاعدة ينطلق منها محمد رشيد رضا لإثبات أن القرآن هو كلام الله تعالى -وكلام الله هو الحق الذي لاريب فيه-؛ هي تلك الزوجية المتقابلة فمن جهة إن النبي الذي ادعى الرسالة أمي لا يقرأ ولا يكتب(1) ومن جهة أخرى ذلك القرآن الذي يرتله بديع نظمه ومصدق علمه إلى حد الإبهار «إذ لا يتصور عاقل يؤمن برب العالمين أن يصدر هذا الكتاب المشتمل على هذا القدر السنيع من المعاني، في هذا الأسلوب البديع والنظم المنيع من المباني من رجل أمي ولا متعلم أيضا إلا أن يكون وحيا اختصه به الرب – عز وجل –، ناهيك به وقد جزم بعجز الإنس والجن عن أن يأتوا بمثله، ثم تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله، فهذا التحدي حجة مستقلة على نبوة محمد ﷺ بصرف النظر عن المتحدى به ما هو»(2) وما يزيد الأمر يقينا على يقين بعد مرور السنين هو الأثر الذي خلفه القرآن الكريم في الأمم والشعوب التي دخلت في الإسلام أفواجا وجعلت من القرآن دستورا ومنهاجا للحياة، لقد أخرجهم من الظلمات إلى النور ومن الذلة إلى العزة وذلك كله في ظرف وجيز، ألا يدل هذا على أن القرآن الكريم كتاب ليس كالكتب بل هو من عند الله رب العالمين ويضرب لذلك مثلا يقرب الفكرة ويوضح الصورة في أن القرآن لا يمكن أن يكون كلام بشر إذ العلم الذي يحتويه علم تأثيره في تغيير عقليات الشعوب وطريقة تفكيرهم معجز مبهر فيقول رحمه الله في أن مثل محمد كمثل: «رجل ادعى في بلاد كثرت فيها الأمراض أنه طبيب وأن دليله على ذلك أنه ألف كتابا في علم الطب يداوي المرضى بما دونه فيه فيبرءون، فاطلع عليه الأطباء البارعون فشهدوا بأنه خير الكتب في هذا العلم وما يتعلق به من عمل، ثم عرض عليه من لا يحصى عددا من المرضى وقبلوا ما وصفه لهم من الأدوية فبرءوا من عللهم، وصاروا أحسن الناس صحة، فهل يمكن المراء في صحة هذه الدعوى مع هذين البرهانين العلمي والعملي؟ كلا. وإن العلم بطب الأرواح أعلى وأعز منالا من العلم بطب الأجساد، وإن معالجة أمراض الأخلاق وأدواء الاجتماع أعسر من مداواة أعضاء الأفراد»(3) إلى أن

---

(1) (من الثابت تاريخيا بالنقل المتواتر وإجماع أهل العلم أن محمدا ﷺ كان أميا لا يقرا ولا يكتب، لم يكتب شيئا بيده ولا قرأ صحيفة إلى أن توفاه الله. وإن هذا شأن قومه فهم أمة أمية قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [سورة الأعراف:157]... ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة العنكبوت:48].) [فاضل السامرائي، "نبوة محمد من الشك إلى اليقين"، 66]

(2) "تفسير المنار" (1/182- 183).

(3) "تفسير المنار" (1/183).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قال رحمه الله: «ولا يمتري أحد من العقلاء في كون العلم الذي موضوعه هداية الأمم والشعوب، ونقلها من حال دنيوية إلى حال أعلى وأكمل منها هو من العلوم العالية التي يقل في الناس من يحذقها، ويكون إماما مبرزا فيها، وأن عمل من يتدارسونه في الكتب به أعسر مسلكا، وأوعر طريقا، وأن فلاح العاملين به المتمرسين بوسائله قلما يتفق إلا لأفراد أتيح لهم من الأسباب ونفوذ الحكومات ما لم يتح لغيرهم، فما بالك بالجمع بين هذا وبين العلم والعمل في سبيل الهداية الروحية والاستعداد لسعادة الآخرة والنجاح التام معا، على ما فيهما من عدم سبق الاستعداد لها بعلم ولا عمل؟»[1] هذا و الوجه المجمل لنظرية الإعجاز عند محمد رشيد رضا، أما تفصيلها يتفرع على ذكر المواضيع العلمية التي جاء بها القرآن الكريم وأعجز الناس على أن يأتوا بمثلها مبنى ومعنى. والخلاصة عند محمد رشيد رضا هي أن «دلالة القرآن على نبوة محمد ﷺ لها وجهان: **أحدهما**؛ ما قيل في دلالة الآيات الكونية لبعض الأنبياء السابقين، كناقة صالح، وعصا موسى، وإحياء عيسى للميت، وهو أن كلا منها أمر جاء على غير المعتاد من مقدور البشر، واستدل به صاحبه على نبوته ورسالته، فكان تصديقا من الله تعالى له، وتكذيبا وخذلانا منه تعالى لمن كذبه، وهذا الوجه من الدلالة خارج عن موضوع النبوة والرسالة، ولذلك اختلف فيه علماء النظر كما تقدم آنفا. [و] **الوجه الثاني**: وهو يجتمع مع الأول، مأخوذ من معنى النبوة والرسالة، وهو أنها هداية عليا للبشر، لا تغنيهم عنها هدايات الحواس الظاهرة والباطنة ولا هداية العقل، فإن هذه هدايات شخصية فردية، وتلك هداية لنوع الإنسان في جملته، وقد اكتفينا في هذا الاستطراد بتمثيلها بطب الأبدان ليفهمها كل قارئ وسامع، وإنما يفهمها الفهم التام من طريقه العلمي من يقف على ما اشتمل عليه القرآن من آيات الهداية وكونه أعلى وأكمل من كل ما نقل عن الأنبياء السابقين، على ما في نقله من التواتر القطعي، وما في نقلها من الضعف - ومن طريقه العملي من عرف تاريخ الإسلام، وما كان من تأثير القرآن في هداية العرب ثم هداية غيرهم من الأمم، وعرف تأثير هداية الأنبياء السابقين في أممهم - على ما بين النقلين من التفاوت أيضا»[2].

---

(1) المرجع نفسه، (1/ 185).

(2) المرجع نفسه، (185/1)

المطلب الثالث: اليوم الآخر حق

جاء في القرآن الكريم وصف كثير من الأمور الغيبية بأنها حق واقع لا محالة، منها الموت ومنها البعث والنشور ومنها الجنة والنار .... والمقصود من الإخبار بأن هذه الغيبيات حق هو اتقاء ما فيها من الوعيد والرغبة بما فيها من نعيم قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾ [سورة البقرة:48]، «والاتقاء في اصطلاح الشرع: هو جعل الوقاية دون سخط الله وعذابه، تلك الوقاية هي امتثال أمره، واجتناب نهيه (جل وعلا). والمراد باتقاء اليوم: اتقاء ما يكون فيه من الأهوال والأوجال؛ لأن القرآن بلسان عربي مبين، والعرب تعبر بالأيام عما يقع فيها من الشدائد، ومنه: ﴿هذا يوم عصيب﴾ [هود: آية 77]، أي: لما فيه من الشدة، وهذا معنى قوله: ﴿واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا﴾، و (اليوم) مفعول به لـ «اتقوا»، وقيل: المفعول محذوف، واليوم ظرف. أي: اتقوا العذاب يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا»(1)، والبعث والنشور يوم القيامة حق دل على ذلك القرآن الكريم دلالات مختلفة، وذكر الشنقيطي في مواضع من تفسيره أن براهين البعث بعد الموت ثلاثة:(2)

البرهان الأول: خلق الناس وأوضح ذلك في آيات كثيرة كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ الآية [سورة الروم:27]، وقوله: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ﴾ [سورة الأنبياء:104]، وكقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ﴾ [سورة الإسراء:51]، وقوله: ﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ﴾ [سورة يس:79] وقوله: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ﴾ [سورة ق:15] الآية، وكقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾ [سورة الحج:5] وكقوله: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [سورة الواقعة:62] الآية، لذا ذكر تعالى أن من أنكر البعث فقد نسي الإيجاد الأول، كما في قوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ﴾ [سورة يس:78] الآية، وقوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ٦٦ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ٦٧﴾ [سورة مريم:66-67] ثم رتب على ذلك نتيجة الدليل

---

(1) محمد الأمين الشنقيطي، "العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير" (1/ 61).

(2) "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (1/ 65-66 ط عطاءات العلم). بتصرف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بقوله: ﴿فوربك لنحشرنهم﴾ الآية .. إلى غير ذلك من الآيات، فالذي أوجد الناس ولم يكونوا شيئاً مذكوراً، لا يهون عليه ولا يعجزه أن يعيدهم كما بدأهم، بل إعادة الخلق أهون عليه من النشأة الأولى لمن عقل وتدبر، وأعاد الله تبارك وتعالى هذا المعنى في مواضع كثيرة من القرآن الكريم بأساليب متنوعة[1].

البرهان الثاني: خلق السموات والأرض لأنهما من أعظم المخلوقات، ومن قدر على خلق الأعظم فهو على غيره قادر من باب أحرى، وأوضح الله تعالى هذا البرهان في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة غافر:57] وقوله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [سورة يس:81] وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ﴾ [سورة الأحقاف:33] وقوله: ﴿۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ﴾ [سورة الإسراء:99] وقوله: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾﴾ [سورة النازعات:27-28].... إلى غير ذلك من الآيات.

البرهان الثالث: إحياء الأرض بعد موتها، فإنه من أعظم الأدلة على البعث بعد الموت، و«قرر ذلك بقدرته على ما هو أكبر من ذلك، وهو خلق السماوات والأرض، والمخلوقات العظيمة، فمتى أثبت المنكرون ذلك، ولن يقدروا على إنكاره، فلأي شيء يستبعدون إحياء الموتى؟ وقرر ذلك بسعة علمه، وكمال حكمته، وأنه لا يليق به، ولا يحسن أن يترك خلقه سدى مهملين، لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون. وهذا طريق قرر به النبوة وأمر المعاد»[2]، وهذا الأصل أوضحه الله جل وعلا في آيات كثيرة كقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة فصلت]، وقوله: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [سورة ق:11] يعني: خروجكم من قبوركم أحياء بعد أن كنتم عظاما رميما، وقوله: ﴿وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [سورة

---

(1) ينظر: ابن السعدي، "القواعد الحسان"، ص25.

(2) المرجع نفسه، ص25.

الروم:19]، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٥٧﴾ [سورة الأعراف:57] إلى غير ذلك من الآيات.

ويضيف ابن السعدي إلى البراهين الثلاثة السابقة براهين أخرى، منها إخباره وهو أصدق القائلين عن اليوم الآخر وعما يكون فيه من الجزاء الأوفى، ومع إكثار الله من ذكر اليوم الآخر فقد أقسم عليه في مواضع من كتابه كقوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١﴾ [سورة القيامة:1]، وقول الله تعالى: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٣﴾ [سورة القارعة:1-3] وغيرها من الآيات، ومنها الإخبار بكمال قدرة الله تعالى، ونفوذ مشيئته، وأنه لا يعجزه شيء، فإعادة العباد بعد موتهم فرد من أفراد آثار قدرته، ومنها ما أخبر به من أيامه وسننه سبحانه في الأمم الماضية والقرون الغابرة. وكيف نجى الأنبياء وأتباعهم، وأهلك المكذبين لهم المنكرين للبعث، ونوَّعَ عليهم العقوبات، وأحل بهم المَثُلات، فهذا جزاء معجل ونموذج من جزاء الآخرة أراه الله عباده، ليهلك من هلك عن بينة، ويحي من حي عن بينة. ومنها ما أرى الله عباده من إحيائه الأموات في الدنيا كما ذكره الله عن صاحب البقرة والألوف من بني إسرائيل، والذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وقصة إبراهيم الخليل والطيور، وإحياء عيسى بن مريم للأموات وغيرها مما أراه الله عباده في هذه الدار، ليعلموا أنه قوي ذو اقتدار، وأن العباد لابد أن يَرِدوا دار القرار، إما الجنة أو النار (1). والساعة في العقيدة الإسلامية أمر جد لا هزل فيه البتة ولا ينبغي الغفلة عنه ولو لوهلة واحدة ، كيف وهي الحق الذي لا ريب فيه ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ١٧ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٍ ١٨﴾ [سورة الشورى:17-18]، ولقد وصف القرآن الكريم الساعة وأهوالها وما يكون فيها من الحساب وما فيها من نعيم الجنان للمتقين وشدة العذاب للعاصين حتى لكأن قارئ القرآن يراها رأي العين، ولكن الله استأثر بمعرفة وقتها ولم يطلع عليه أحدا من خلقه لا نبي مرسل ولا ملك مقرب؛ «قدر الله هذا

(1) ينظر: "القواعد الحسان لتفسير القرآن"، ص25-26. بتصرف يسير

لحكمة يعلمها، نلمح طرفا منها، في ترك الناس على حذر من أمرها، وفي توقع دائم لها، وفي استعداد مستمر لفجأتها، ذلك لمن أراد الله له الخير، وأودع قلبه التقوى. فأما اللذين يغفلون عن الساعة، ولا يعيشون في كل لحظة على أهبة للقائها، فأولئك اللذين يختانون أنفسهم، ولا يقونها من النار، وقد بين الله لهم وحذرهم وأنذرهم وجعل الساعة غيبا مجهولا متوقعا في أية لحظة من لحظات الليل والنهار: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [سورة الأحزاب:63]»[1].

(1) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (2882/5).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الرابع: الحق في الشرائع

الشريعة أو الشرع: هي أو هو النظام الذي وضعه خالق السماوات والأرض، على لسان سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام، ليسير عليه خلقه فيحقق لهم به سعادة الدارين على أكمل الوجوه وأحسنها[1]. ونجاعة الشريعة -مهما كان مصدرها- في تسيير شؤون البشر وضمان إقامة كل ضروريات الاجتماع -من تحقيق عدالة وحسن توزيع للثروات مع حفظ الحقوق ...- على الوجه المطلوب عرفا هو المعيار الرئيس لمعرفة مدى قرب هذه الشريعة أو تلك من الحق. وعلماء الإسلام يرون أن حصول المعاني السابقة في التشريع القرآني وصل إلى حد الإعجاز؛ فلا طاقة لبشر مهما اتسم بالعبقرية ولا لمنظومة تشريعية مهما اتسمت بالتكامل؛ أن تحقق للبشرية الحياة الطيبة التي ينشدها المجتمع البشري؛ كالتي حققها لهم القرآن الكريم بتشريعاته، وتتبع وجه إعجاز القرآن الكريم في كل جزئية تشريعية فيه على وجه التفصيل أمر لا تحصره إلا الأسفار الكبيرة، وحسبنا هنا أمر جامع يتسم بالمعاصرة وهو على غيره كالدليل وهو بالنسبة إلى ما نحن فيه برهان على ما نقول. اخترته لعموم البلوى به مصداقا لقول رسول الله ﷺ: ((ليأتين على الناس زمان لا يبقى فيه أحد إلا أكل الربا، فإن لم يأكله أصابه من غباره))[2]. والأزمات المالية والاقتصادية في نظم المال المعاصرة لا تكاد تخفى على أحد وكل وسائل الإعلام تتسابق لبث الجديد فيها ونشره. وفيما يلي بيان لمزية شريعة القرآن في المال على غيره من الشرائع الأرضية، والله الموفق.

أصول الاقتصاد الإسلامي متنوعة وذات أفنان كثيرة وثمار متنوعة جدا، يركز الباحث هنا على جانب قيمي لواحدة من تلك الأصول ذو دلالة واضحة على أن تشريعات القرآن الكريم هي الحق من عند الله سبحانه وتعالى وهي تحفظ للإنسانية خصائصها وقيمها التي ترتفع بها عن مجتمع الحيوانية.

يحرم الإسلام أكل أموال الناس بالباطل ظلما وعدوانا فيقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [سورة البقرة:188]، وفي مقابل ذلك يأمر بتنشيط حركة رؤوس الأموال بما يعود على المجتمع كله بالفائدة العامة والخاصة، فأباح التجارة وحث عليها وأباح الإجارة وحث على التبرعات والصدقات وغيرها من العقود المالية مما هو منصوص عليه تفصيلا في كتب نظريات الفقه الإسلامي وكتب نظريات الاقتصاد الإسلامي وغيرهما من أنواع التصنيف في الفقه الإسلامي. ومن

---

(1) عطية محمد سالم، "منهج التشريع الإسلامي وحكمته/ مجموعة الرسائل المدنية"، (148/3).

(2) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (2 / 13) برقم: (2162) والنسائي في "الكبرى" (6 / 6) برقم: (5999) وأبو داود في "سننه" (5 / 220) برقم: (3331) وابن ماجه في "سننه" (3 / 381) برقم: (2278)، وضعفه الألباني في "ضعيف الترغيب والترهيب" (573/1) برقم: (1167).

صور أكل أموال الناس بالباطل التي حرمها الإسلام، أكل أموالهم عن طريق المعاملات الربوية، وهذه المعاملات الربوية فيها تجن على كثير من قيم الإنسان وأخص تلك القيم قيم الرحمة والتضامن الإنساني ويحل محل تلك القيم ما يضادها من القيم السلبية التي تمثل مجتمع الغاب من الطغيان والطبقية والاستغلال وسيادة قانون البقاء للأقوى؛ وأشار إلى هذا المعنى جمال الدين القاسمي عند قول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [سورة العلق:6-7] قال: «أي حقا إن الإنسان ليتجاوز حده ويستكبر على ربه، أن رأى نفسه استغنت»[1] ثم أردف فوائد تحت هذه الآية فيها بيان للنزعة الإنسانية والقيمية في تشريعات القرآن المالية منها ما في قوله: «دلت الآية على قاعدة عظيمة في باب التمول المحمود، قررها الحكماء المصلحون. وهو أن لا يتجاوز المال قدر الحاجة بكثير. قالوا: لأن إفراط الثروة مهلكة للأخلاق الحميدة في الإنسان، كما نطقت به الآية الكريمة.»[2] وهذا ليس على اطلاقه لقول النبي ﷺ: ((نعم المال الصالح مع الرجل الصالح))[3] وغير هذا من النصوص الشرعية كثير في الحث على تحصيل الأموال من وجهها المشروع، كما قص علينا القرآن قصة داوود وسليمان اللذين آتاهما الله الملك والمال مع النبوة؛ لذلك أردف جمال الدين القاسمي كلامه السابق بآخر لاحق وضح فيه نظرية التمول الصحيحة بشروطها المعقولة فقال: «قال بعض الحكماء: التمول لأجل الحاجات وبقدرها، محمود بثلاثة شروط. وإلا كان حرص التمول من أقبح الخصال. **الشرط الأول:** أن يكون إحراز المال بوجه مشروع حلال. أي إحرازه من بذل الطبيعة أو بالمعاوضة أو في مقابل عمل. **والشرط الثاني:** أن لا يكون في التمول تضييق على حاجات الغير، كاحتكار الضروريات، أو مزاحمة الصناع والعمال الضعفاء، أو التغلب على المباحات. مثل امتلاك الأراضي التي جعلها خالقها ممرحا لكافة مخلوقاته. وهي أمهم ترضعهم لبن جهازاتها وتغذيهم بثمراتها وتؤويهم في حضن أجزائها. **الشرط الثالث** لجواز التمول: هو أن لا يتجاوز المال قدر الحاجة بكثير، وإلا فسدت الأخلاق.»[4] وأخص وأقوى أسباب تمركز الثروة المالية في يد فئة معينة من الناس المعاملات الربوية كما نص على ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا

---

(1) جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل" (9/ 511).

(2) المرجع نفسه، (9/ 511).

(3) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (6 / 501) برقم: (5700) ، وأخرجه البخاري في "الأدب المفرد" ص112 برقم: (299) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

(4) جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل" (9/ 512).

تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ﴾ [سورة آل عمران:130]، وهذا وصف ملازم للنظام الربوي أيا كان سعر الفائدة[1]؛ وفي نظرية الإسلام الاقتصادية يعتبر الربا -في سوق المال خاصة والمجتمع عامة- كالسرطان يسري في الجسم ينهشه من الداخل دون أن تؤثر فيه المضادات المختلفة ولا ينفع فيه إلا الاستئصال، على عكس التاجر الذي يخاطر برأس ماله من أجل نفعه ونفع العامة معه، «ولذلك حرمت الشرائع السماوية كلها، والحكمة السياسية والأخلاقية والعمرانية أكل الربا. وذلك لقصد حفظ التساوي والتقارب بين الناس في القوة المالية. لأن الربا كسب بدون مقابل مادي، ففيه معنى الغصب. وبدون عمل، ففيه الألفة على البطالة المفسدة للأخلاق. وبدون تعرض لخسائر طبيعية كالتجارة والزراعة والأملاك. دع أن بالربا تربو الثروات، فيختل التساوي بين الناس»[2] لذا قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ [سورة البقرة:275]. وهكذا نجد أن النظام الإسلامي أسس لقاعدة قيمية أخلاقية قبل أن تكون قيمة اقتصادية مفادها أنه بدلا من أن تأكل أموال الناس عن طريق الربا أضعافا مضاعفة أحسن إليهم بالقرض الحسن وبالصدقات وباستثمار أموالك فيما يعود عليك وعليهم بالربح ...وهذا من مقاصد الشريعة الإسلامية كما نص عليه الطاهر بن عاشور في كتابه المقاصد فقال: «والمقصود الشرعي في الأموال كلها خمسة أمور هي: الرواج، والوضوح، والحفظ، والثبات، والعدل فيها»[3] وتراجع تفاصيل هذه المقاصد هناك، كما أن في شرائع القرآن المالية ضبط لعواطف المسلمين وتقوية لروابط الإخاء بينهم لذا كانت من عادات القرآن أن آيات التحذير من الربا تأتي غالبا في سياق آيات الحث على الصدقات وصلة ذوي القربى؛ كما في قول الله تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٣٨ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩﴾ [سورة الروم:38-39]. وفي هذا من الدلالة على أحقية الشرائع القرآنية ما فيه الكفاية والغنية. ويورد صاحب محاسن التأويل اعتراضا

(1) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (473/4).

(2) جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل" (9/ 512).

(3) الطاهر بن عاشور، "مقاصد الشريعة الإسلامية" (2/ 400).

يعترض به الاقتصـــاديون ليؤكدوا على ضـــرورة المعاملات الربوية حفاظا على ســـيرورة تداول رؤوس الأموال فيقول: «قد نظر الماليون والاقتصاديون في أمر الربا فقالوا: إن المعتدل منه نافع بل لا بد منه، أولا لأجل قيام المعاملات الكبيرة، وثانيا لأجل أن النقود الموجودة لا تفي للتداول، فكيف إذا أمسك المكتنزون قسـما منها أيضـا؟ وثالثا لأجل أن الكثيرين من المتمولين لا يعرفون طرائق الاسـترباح أولا يقدرون عليها، كما أن كثيرا من العارفين بها لا يجدون رؤوس أموال ولا شـــركاء عنان، فهذا النظر صـــحيح من وجه إنماء ثروات الأفراد والأمم»[1] وهذه وجهة نظر صـــحيحة -بادي الرأي- لولا ما سبق بيانه من القيم السلبية التي يخلفها مثل النظام الربوي وعنونها القرآن الكريم بطغيان الانسان ولهذا أتبعه المفسر —جمال الدين القاسمي- بقوله: «أما السياسيون والأخلاقيون فينظرون إلى أن ضرر ذلك في جمهور الأمم أكبر من نفعها. لأن هذه الثروات الأفرادية تمكن الاسـتبداد الداخلي. فتجعل الناس صنفين عبيدا وأسيادا. وتقوي الاستبداد الخارجي فتسهل التعدي على حرية واستقلال الأمم الضعيفة مالا وعدة. وهذه مقاصـــد فاســـدة في نظر الحكمة والعدالة؛ ولذلك حرمت الأديان الربا تحريما مغلظا»[2]. وقد «يتســاءل بعض الناس كيف تقدمت البلدان الربوية وتأخر غيرها؟ والجواب: أنها لم تتقدم بسـبب الربا، الربا وبال عليها، وهو سـبب في التأخر النسـبي، وسـبب أزماتها المالية وتقلباتها الاقتصـــادية!»[3] وإن المتأمل لما يحدث في النظم المالية المعاصـــرة القائم كيانها على المعاملات الربوية ليرى في أزماتها وانتكاسـاتها الشـيء العجاب من المطابقة لما نصـت عليه عليه آيات الذكر الحكيم لســـوء عاقبة الربا ومتعامليه، ما يجعل وجداننا وألســـنتنا تقول مذعنة ما أمر الله به عز وجل فقال: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [ســـورة آل عمران:95]، وفيما يلي بيان لشيء من ذلك:

- يقول الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [سورة البقرة:276]، وإنه وإن اختلفت عبارات المفسرين في توضيح معنى محق الربا، فإن ما يجمع تلك الأقوال هو قول من قال في المحق أنه ينقصه ويذهب بركته[4] ونرى في الواقع المعاصر تأويل ذلك عيانا —والله أعلم- فـ«ما يصيب الاقتصادات الربوية في عالمنا المعاصر من أزمات اقتصادية ومالية دورية يدخل في معنى المحق فالربا سبب الأزمات والهزات

(1) جمال الدين القاسمي، " محاسن التأويل» (2/ 228).

(2) المرجع نفسه، (2/ 229).

(3) رفيق يونس المصري، "التفسير الاقتصادي للقرآن"، ص28.

(4) ينظر: "تفسير الجلالين"، ص61.

والدورات لأن الله يمحقه ويعلن الحرب عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [سورة البقرة:278-279]»[1].

- يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [سورة البقرة:275]، يظهر للباحث –والله أعلم- أن المراد من قوله تعالى كالذي يتخبطه الشيطان من المس حقيقته في الدنيا –مع جواز كون حالهم يوم البعث والنشور كذلك- وهو قول جملة من العلماء المعاصرين؛ يقول ابن عثيمين رحمه الله : «هؤلاء أكلة الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس مجانين واختلف العلماء رحمهم الله هل المعنى لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا على هذا الوصف يعني يقومون من القبور كأنهم مجانين كأن يضربهم الشيطان بالمس أو المعنى لا يقومون للربا لأنهم يأكلون الربا وكأنهم مجانين من شدة طمعهم وجشعهم وشحهم لا يبالون فيكون هذا وصفا لهم في الدنيا والصحيح أن الآية إذا كانت تحتمل المعنيين فأنها تحمل عليهما جميعا يعني أنهم في الدنيا يتخبطون ويتصرفون تصرف الذي يتخبطه الشيطان من المس وفي الآخرة كذلك يقومون من قبورهم على هذا الوصف نسأل الله العافية»[2] وفي العالم المعاصر المؤسس اقتصاده على نظريات الفائدة على رأس المال وهو عين مانهى الله عنه من الربا وتوعد أهله بالحرب، لا تكاد ترى فيه للنظام الاقتصادي قرارا فهو يخرج من أزمة مالية ليدخل في أخرى وذلك لأنه من الناحية العملية فإن للزوائد الربوية أثرا سيئا في إحداث الدورات و الأزمات المالية[3]، وما يؤكد صدق ما أخبر به القرآن الكريم عن حالة المرابين وحسن بيانه فيهم هو ما يقوم به النظام الرأسمالي عنادا وكبرا من «مناورات لاستعادة الثقة المفقودة ... ويعود إلى الخطأ والظلم والتوحش ... سوف يسعى النظام الرأسمالي ولا سيما في غياب البديل الجاهز والمؤهل لأن يرقع نفسه ولأن يجدد نفسه كما فعل في أزمات سابقة»[4] وهذا الذي يحدث هو عين التخبط الذي تحدث عنه الله جل جلاله في القرآن الكريم وصدق الله العظيم.

---

(1) رفيق يونس المصري، "التفسير الاقتصادي للقرآن"، ص28.

(2) ابن عثيمين، "شرح رياض الصالحين لابن عثيمين" (6/ 322).

(3) ينظر: رفيق يونس المصري، "الأزمة المالية العالمية"، ص22.

(4) المرجع نفسه، ص19-20.

▪ وفي الأخير نورد كلاما لأحد الاقتصاديين المسلمين يصف عظمة القرآن وهو يتحدث عن عواقب النظم الاقتصادية المادية الرأسمالية قبل ظهورها بخمسة عشر قرنا، وهو وإن كان في موضوعه يتحدث عن إعجاز القرآن الغيبي إلا أنه نص في عظمة شرائع القرآن وبيان للعالمين أنها الحق من عند الله رب الناس أجمعين، يقول: «من كان يعلم وقت نزول القرآن أن نظاما اقتصاديا سوف يقوم على سيطرة رأس المال، ويطبق في بلدان كثيرة، ويسيطر على الفكر الاقتصادي العالمي؟ وهذا النظام الرأسمالي يغلب المصالح الخاصة لفئات قليلة من الأفراد والشركات، من ذوي الثراء الفاحش على المصالح العامة لجماهير الناس ولا يهمهم مصدر هدا الثراء وطرق الحصول عليه أمن حلال أو حرام. ويبحث هدا النظام عن ذرائع مستمرة للسيطرة على خيرات البلدان الاخرى، بواسطة التجارة الخارجية والحروب والاحتلال وإثارة المنازعات في العالم والحروب الأهلية. كما أن هناك آيات كثيرة نبهت إلى مساوئ النظام السياسي القائم على الأكثرية ، فإن هناك آيات عظيمة نبهت إلى مساوئ النظام الإقتصادي القائم على الرأس المالية المتوحشة والظالمة والمستأثرة والتي لا تتورع عن استخدام أسلحة الدمار الشامل للقضاء على البشر، بذريعة أو بأخرى ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ [سورة الحشر:7]، وفي قراءة : دولة بفتح الدال و قال أيضا ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾﴾ [سورة العلق:6-7]، وهذا اليوم مشاهد جدا في مجال سوء توزيع الثروة و الدخل والسلطة. وهناك وسائل كثيرة للنهب والابتزاز تجعل الفقير أكثر فقرا والثري أكثر ثراءا. ويهتم أرباب هذا النظام بالطلب المليء، ولايهم إن كان هذا الطلب منصبا على الدين أو السحر أو الاشعوذة أو الرقص أو الخلاعة والفجور. المهم أن يكون هناك طلب ، مفيد ضار مميت لا يهم ، كما قال الفيلسوف الفرنسي المسلم رجا غارودي. وهؤلاء الرأسماليون هم الرأسماليون في أوقات الازدهار واشتراكيون في أوقات الأزمات! فالغنم لهم عندما يغنمون والغرم على غيرهم عندما يغرمون !»(1).

(1) رفيق يونس المصري، "الأزمة المالية العالمية"، ص352-353.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث: قيم الخير في التفاسير المعاصرة

وفيه المباحث التالية:

- المبحث الأول: مدخل إلى قيم الخير
- المبحث الثاني: مقاييس الخير
- المبحث الثالث: واجبنا نحو الخير
- المبحث الرابع: ميادين الخير

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

أمر الله تبارك وتعالى أنبياءه وأوحى إليهم فعل الخير بمعناه الشامل سواء تعلق الأمر بحقوق الله تبارك وتعالى أو تعلق بحقوق العباد؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الأنبياء:73]، وامتثل الأنبياء ما أمرهم الله به حق الامتثال بل كان من سمتهم المسارعة للخير كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [سورة الأنبياء:90]، وأمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بما أمر به عباده المرسلين من فعل الخير وجعل الفلاح مترتب على ذلك الخير فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة الحج:77].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: مدخل إلى قيم الخير

وفيه المطالب التالية:

- **المطلب الأول**: تعريف الخير
- **المطلب الثاني**: الخير في القرآن الكريم
- **المطلب الثالث**: الترغيب في الخير في القرآن الكريم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: مدخل إلى قيم الخير

المسلم الذي يحيى بإسلامه ويستشعر من نفسه انتماءه الإنساني لا يحتاج إلى كثير من العناء ليدرك معاني الخير فهي فيه تسري كالجوهر اللطيف يختلط بدمه وعظمه ولحمه وشحمه، واليوم «لو صدقت نسبة المسلمين إلى الإسلام، وأشربوا في قلوبهم معانيه السامية ومُثله العليا، واتّخذوا من كتابه ميزانًا، ومن لسانه العربي ترجمانًا، واتّجهوا إلى هذا الكتاب الخالد بأذهان نقية من أوضار المصطلحات، وعقول صافية لم تعلق بها أكدار الفلسفات، لسعدوا به كما أراد الله، ولأسعدوا به البشر كما أمر الله، **ولأصبح كل مسلم بالخير والصلاح سفيرًا**، ولكان المسلمون في أرض الله أعزّ نفرًا وأكثر نفيرًا»[1]، وعلى كل حال فإن كلمة الخير من الكلمات ذات الاستعمال الواسع في أدبيات الناس العامة والخاصة، وهي كلمة يعبر بها الناس –الغالب- عن المعاني النبيلة التي يعيش عليها الناس أو يصطبغون بها أو يسعون لتحقيقها وفيما يلي من المطالب من البيان ما هو رسم لحدود المعاني اللغوية والاصطلاحية والقرآنية لهذه الكلمة الزكية:

---

(1) محمد البشير الإبراهيمي، "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي" (4/ 60).

المطلب الأول: تعريف الخير

التعريف اللغوي:

الخاء والياء والراء أصـــله العطف والميل، ثم يحمل عليه، لأن كل أحد يميل إليه ويعطف على صــاحبه، والخيرة: الخيار، والخير: الكرم، والاســتخارة: أن تســأل خير الأمرين لك، وكل هذا من الاستخارة، وهي الاستعطاف[1]، والخير خلاف الشر؛ قال النمر بن تولب[2]:

ولاقـيـت الخـيـور وأخـطـأتـني خـطـوب جمـة وعـلـوت قـرني

ويطلق الخير على المال وقيده بعضهم بالمال الكثير مستشهدا بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة:180]، ويطلق على الخيل كما في قول سليمان عليه السلام: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ٣٢﴾ [سورة ص:32]، ولهذا الأصل تصاريف واستعمالات عديدة منها: رجل خير وامرأة خيّرة: فاضلة؛ وهي المرأة الصالحة الحسنة الخلق الحسنة الوجه الفاضلة من كل وجه[3]،فيقال امرأة خيرة في جمالها وميسمها وقوم خيار وأخيار. . . ويقال خايرت فلانا فخرته. وتقول: اختر بني فلان رجلا[4]. وخار الله لك في الأمر: جعل لك فيه الخير. واستخار: طلب الخيرة، وهو أخير منك، كخير، وإذا أردت التفضيل؛ قلت: فلان خيرة الناس، بالهاء، وفلانة خيرهم، بتركها، أو فلانة الخيرة من المرأتين، وهي الخيرة والخيرة والخيرى والخورى[5].

التعريف الاصطلاحي:

الخير من الأسماء الجامعة التي يدخل تحت مســـماها الكثير من الأجناس المتنوعة من الدين والفطرة والأعراف ... «الخير في الثقافة العامة اسم يدل على كل قيمة وضعية أو مادية، لكنها أكثر ما تنزع إلى أن تكون لها دلالة أخلاقية بالدرجة الأولى، وهي تحضنا على ارجاع سائر القيم إلى القيم

---

(1) ابن فارس، "مقاييس اللغة" (2/ 232).

(2) ابن منظور، " لسان العرب"، (264/4).

(3) ينظر: أبي السعود، "إرشاد العقل السليم"، (91/4).

(4) ينظر: ابن فارس، "مقاييس اللغة" (2/232-233).

(5) الفيروز أبادي، "القاموس المحيط"، ص389.

الأخلاقية»[1] وفحوى هذا التعريف والحد لمصطلح الخير؛ أن جعله قريب التطابق مع مفهوم الأخلاق الطيبة التي يجب أن ترسم ملامح الشخصية السلوكية للفرد والمجتمع. وفي هذا –من وجهة نظري- قصور إذ الخير أوسع من ذلك فمعرفة الحق ولزومه من أكبر القيم الخيرية التي قد يتمتع بها الفرد بالرغم من ضعف دلالته على القيم الأخلاقية، وجاء أيضا في تعريف الخير أنه «ما يرغب فيه الكلّ، كالعقل مثلاً، والعدل، والفضل، والشيء النافع، وضدّه: الشرّ»[2] وقريب منه قولهم « الخير: اسم لكل ممدوح ومرغوب فيه» [3]وهذا التعريف جعل معيار الرغبة الاجتماعية هي المحدد الرئيسي للخير ولعل في هذا قصور لأنه رب مرغوب فيه وليس خيرا ورب مرغوب عنه ويجعل الله فيه خيرا كثيرا؛ قال الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة البقرة:216]، والآية نص في أن الله وحده الذي يعلم الخير المطلق للإنسان وأن الإنسان لن يحيط بذلك علما. وسيأتي مزيد بيان لهذا في مبحث مقاييس الخير. ومن هذا المنطلق عرفه بعض الباحثين فقال: «[الخير]: كل ما فيه نفع للإنسان ومصلحة رغب فيه أو لم يرغب»[4]، وهذا التعريف بعيد عن الواقعية؛ إذ المعقول أن الإنسان ما علم الخير في شيء إلا ورغب فيه ثم جاهد نفسه على العمل به ولزومه وتحصيله وعقد لذلك عزما، فلا يعقل أن نبحث عن الخير ونحدده عن طريق العلم اللدني الخبري أو عن طريق العلم العقلي ثم لا تكون لنا رغبة فيه. وأحسب أن صاحب التعريف التلي قد وفق إلى حد بعيد في وضع حد للخير حين قال: «الخير كل ما يحبه الله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة امتثالا»[5]، وهو حد بحسب حقيقة ما هو عليه الأمر في واقع الأمر لا بحسب ما يبدو لنا وعليه يمكن وضع حد للخير – في تقدير الباحث- كما يلي:

الخير كل ما يحبه الله ويرضاه من الأمور والاعمال الظاهرة والباطنة، وجعل عليه أمارات ودلالات من الوحي والفطرة والعقل.

---

(1) عادل العوا، "العمدة في فلسفة القيم"، ص350.

(2) الراغب الأصفهاني، "الممفردات في غريب القرآن"، ص300.

(3) ابن الجوزي، " نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر"، 285.

(4) أمل بنت عبد الله آل عبد السلام، "الخير في القرآن الكريم –دراسة موضوعية-"، ص21.

(5) المرجع نفسه، ص22.

المطلب الثاني: الخير في القرآن الكريم

أولا: معاني الخير في القرآن الكريم

(خير) جذر قد يستعمل في القرآن الكريم للدلالة على الاسم (الخير) وقد يستعمل كذلك للدلالة علة على اسم التفضيل فهو أشبه ما يكون بالوصف ، وعموما «الخير والشر يطلقان على وجهين: أحدهما أن يكونا اسمين ... وهو كما في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [سورة آل عمران:104]. والثاني أن يكونا وصفين وتقديرهما تقدير (أفعل منه) نحو هذا خير من ذاك وأفضل كما في قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [سورة البقرة:106] »[1].

وردت مادة خير في القرآن الكريم ست و تسعون ومائة (196) مرة يخص موضوع البحث منها ثمان وثمانون و مائة (188) مرة[2]،و«**ذكر أهل التفسير أن الخير في القرآن على اثنين وعشرين وجها:**

- **أحدها: الإيمان. ومنه قوله تعالى في الأنفال: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [سورة الأنفال:23] وفيها ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ [سورة الأنفال:70]، وفي هود: ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ [سورة هود:31].**
- **والثاني: الإسلام. ومنه قوله تعالى في نون: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ [سورة القلم:12] ، قيل إنها نزلت في الوليد بن المغيرة منع ابني أخيه من الدخول في الإسلام.**
- **والثالث: المال. ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [سورة البقرة:180] وفيها ﴿قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ﴾ [سورة البقرة:215]، (قالوا الدين).**
- **والرابع: العافية. ومنه قوله تعالى في الأنعام: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ [سورة الأنعام:17]، وفي يونس: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ [سورة يونس:107].**

---

(1) سليمان القرعاوي، "الموسوعة القرآنية في الوجوه والنظائر" (271/1).

(2) "موسوعة التفسير الموضوعي" (225/17).

- الخامس: الأجر. ومنه قوله تعالى في الحج: ﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ﴾ [سورة الحج:36].
- والسادس: الأفضل. ومنه قوله تعالى [في المؤمنين]: ﴿ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾ [سورة المؤمنون:118]، ومثله: ﴿خير الرازقين﴾، و: ﴿خير الحاكمين﴾.
- والسابع: الطعام. ومنه قوله تعالى في القصص: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾ [سورة القصص:24].
- والثامن: الظفر. ومنه قوله تعالى في الأحزاب: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ﴾ [سورة الأحزاب:25].

والتاسع: الخيل. ومنه قوله تعالى في ص: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ﴾ [سورة ص:32] ، (أي: حب الخيل) .

والعاشر: القرآن. ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ [سورة البقرة:105].

والحادي عشر: الأنفع. ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾ [سورة البقرة:106]، أي: أنفع.

والثاني عشر: رخص الأسعار. ومنه قوله تعالى في هود: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾ [سورة هود:84].

والثالث عشر: الصلاح. ومنه قوله تعالى في النور: ﴿فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ﴾ [سورة النور:33]، أراد صلاحا، وقيل المال.

والرابع عشر: القوة والقدرة. ومنه قوله تعالى في الدخان: ﴿أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ﴾ [سورة الدخان:37].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والخامس عشـــر: الدنيا. ومنه قوله تعالى في العاديات: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ٨﴾ [سورة العاديات:**8**].

والسادس عشر: الاصلاح. ومنه قوله تعالى في آل عمران: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٌ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ [سورة آل عمران:**104**].

والسابع عشر: الولد الصالح. ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [سورة النساء:**19**]، أي: بما رزقتم من الزوجات المكروهات أولادا صالحين.

والثامن عشـــر: العفة والصـــيانة. ومنه قوله تعالى في النور: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا﴾ [سورة النور:**12**].

والتاسع عشر: حسن الأدب. ومنه قوله تعالى في الحجرات: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ﴾ [سورة الحجرات:**5**]، أي: أحسن لأدبهم.

والعشـرون: النوافل. ومنه قوله تعالى في الأنبياء: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [سورة الأنبياء:**73**].

والحادي والعشـــرون: النـافع. ومنـه قولـه تعـالى في الأعراف: ﴿لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ﴾ [سورة الأعراف:**188**]. قال المفسرون: لأعددت من السنة المخصبة للسنة المجدبة.

والثاني والعشـرون: الخير الذي هو ضـد الشـر. ومنه قوله تعالى في آل عمران: ﴿بيدك الخير﴾» (1).

(1) ابن الجوزي، "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر"، ص289.

ثانيا: حقيقة الخير في القرآن

القرآن الكريم كله خير بل هو الخير الذي يرجى منه كل خير، كما قال الله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة البقرة:105] فالمقصود بالخير الذي كره أهل الكتاب و المشركون نزوله على النبي ﷺ وأمته هو القرآن الكريم، فهو دين قويم وهداية عظمى وأخوة شاملة وأمن بعد خوف وقوة بعد ضعف وهو الحكمة الرائعة و الحجة البالغة والبلاغة الباهرة، وأثره على الناس ظاهر وعلى الأمم باهر فهو «النظام الكامل، والفضل الشامل، والهداية العظمى، والآية الكبرى، جمع به شملكم، ووصل حبلكم، ووحد شعوبكم وقبائلكم، وطهر عقولكم من نزغات الوثنية، وزكى نفوسكم من أدران الجاهلية، وأقامكم على سنن الفطرة، وشرع لكم الحنيفية السمحة»[1].

وجدير بالتنبيه إلى أن الخير بمعناه الاصطلاحي -الذي سبق بيانه- هو في القرآن الكريم حقيقة لا يحيط بها من كل جوانبها على الوجه التام الأكمل غير الله سبحانه وتعالى، وغاية ما يقدر عليه البشر هو إدراك ما جعل الله على الخير من منارات -فطرية أو عقلية أو عرفية أو وحيا من عنده سبحانه- تدل عليه، كما لا يمكن الإحاطة به في الأشياء العينية و المعنوية مهما بلغ الإنسان في قوة الإدراك والمعرفة وشواهد ذلك من القرآن الكريم ما يلي: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [سورة البقرة:216]. يقرر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية ما في الفطرة البشرية من أن القتال أمر شاق تستثقله النفوس بما يستدعي عاطفة الكره اتجاهه، ولكن يذكر الانسان في الوقت نفسه بأنه لا يعلم ما يعلمه الله وأن الخير في كثير من الأحيان يخفى عليه موضعه ولا يعلمه إلا العليم الخبير سبحانه وتعالى، يقول ابن السعدي: «وهذه الآيات عامة مطردة، في أن أفعال الخير التي تكرهها النفوس لما فيها من المشقة أنها خير بلا شك، وأن أفعال الشر التي تحب النفوس لما تتوهمه فيها من الراحة واللذة فهي شر بلا شك»[2]، ولا شك أن هذا الاطراد موجود لا محالة في الأمور الدينية التي تعلق بها أمر ونهي، على ما تقرر في قواعد الشرع أن الدين مبني على ما

---

(1) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار"، (340/1).

(2) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص97.

فيه مصالح البشر في الدنيا و الآخرة، أما في أمور الدنيا فليس الأمر على اطراد فقد يحب المرء ما فيه خير له ويتمناه ويكره ما فيه شر له ويتوقاه؛ وقد يحصل العكس فيحب المرء ويتمنى ما فيه شر له ويكره ويتحاشى ما فيه خير له، وكل هذا لقصر نظره وقلة علمه وعدم إحاطته، فهنا تظهر معية الله لخلقه فيتدخل سبحانه وتعالى بلطائفه ليقي عباده الشرور ويحصل لهم الخيرات، يقول سبحانه وتعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ١٠٠﴾ [سورة يوسف:100]، يقول ابن السعدي تكملة للكلام السابق: «وأما أحوال الدنيا، فليس الأمر مطردا، ولكن الغالب على العبد المؤمن، أنه إذا أحب أمرا من الأمور، فقيض الله له من الأسباب ما يصرفه عنه أنه خير له، فالأوفق له في ذلك، أن يشكر الله، ويجعل الخير في الواقع، لأنه يعلم أن الله تعالى أرحم بالعبد من نفسه، وأقدر على مصلحة عبده منه، وأعلم بمصلحته منه كما قال تعالى: ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ فاللائق بكم أن تتمشوا مع أقداره، سواء سرتكم أو ساءتكم»(1).

ومن الأمثلة القرآنية على القاعدة السابقة فيما يخص الإنسان في حياته اليومية الأسرية قول الله تعالى منبها على ضـــرورة العشـــرة الزوجية بما هو متعارف عليه شـــرعا وفطرة ما قررته النظم الاجتماعية المختلفة: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ١٩﴾ [سـورة النسـاء:19]، ابتداء في هذه الآية برهان رباني على أن القرآن الكريم كتاب القيم وكتاب الإنســانية وكتاب المشــاعر، فالكتاب الكريم في هذه الآية «يرفع مستوى المشاعر الإنسانية في الحياة الزوجية من المستوى الحيواني الهابط إلى المستوى الإنساني الرفيع، ويظللها بظلال الاحترام والمودة والتعاطف والتجمل وليوثق الروابط والوشائج، فلا تنقطع عند الصدمة الأولى»(2)، والآية نص في أن الانســان قد يكره الشــيء من الأمور الدنيوية ويجعل الله له فيه خيرا كثيرا، وهي قاعدة سننية كونية تبعث في النفس طمأنينة ورضا بأقدار الله بعد بذل الوسع في تحقيق

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص97.
(2) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (604/1).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأصلح، فعسى أن يكره شيئا ويجعل الله في ذلك الشيء الذي كرهه خيرا كثيرا(1)، ويضرب علماء الأمة قديما وحديثا أمثلة لما قد يقدره الله من خير فيما يكرهه الانسان من امرأته منها الولد الصالح ومنها طلاقها وزواجها من غيره فتسعد هي مع غيره ويسعد هو بغيرها ... وقد يختص الله بعض عباده فيعلمهم من طرق الخير وتحصيله مالا يعلمه غيرهم وان كانوا في مرتبة عليا من العلم، كما قصه الله علينا من قصة موسى عليه السلام مع الخضر في سورة الكهف، فلنتأمل حال الخضر مع الغلام الذي قتله، لا لشيء إلا أن الله قد أعلمه أن فيه شرا لوالديه محقق، وأنه بلطفه سبحانه وتعالى سيبدلهما خيرا منه، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ [سورة الكهف:80-81]، فحقيقة الولدين من جهة الخير الشر لم يعلمها إلا الله جل وعلا وهو الذي أوحى بها إلى عبده الخضر، فالغلام الذي قتله فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي لكان فيه هلاكهما، وقد قدر عليه أنه لو بلغ لأرهق أبويه طغيانا وكفرا، أي: لحملهما على الطغيان والكفر (2) ... والخير في الغلام الذي أبدلا به صلاحا ودينا.

(1) ينظر: "موسوعة التفسير المأثور" (6/ 177).

(2) ينظر: عبد الرحمن السعدي، : "تيسير الكريم الرحمن"، ص482.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث: الترغيب في الخير في القرآن الكريم

يرغب القرآن في الخير –بطرق شتى– ترغيبا تنهزم معه في النفس الإنسانية بواعث الشر ووسوسة الشيطان، ويخاطب القرآن النفس الإنسانية بما يحبب إليها البر والخير عن طريق النفع الذاتي للنفس الخيرة، إنه يخاطب كل إنسان بأن فعل الخير يعود نفعه لمن يفعله قبل كل شيء، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْۚ﴾ [سورة البقرة:272]، وقال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦۖ﴾ [سورة فصلت:46] (1)، وفيما يلي حصر لأساليب القرآن في الحث على الخير.

أولا: الأمر بفعل الخير(2)

ورد الأمر بفعل الخير أمرا مباشرا في القرآن الكريم، بل وأمر بأمر زائد عن ذلك وهو الاستباق والمسارعة في فعله كما قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ﴾ [سورة البقرة: 148]، و«الاستباق افتعال والمراد به السبق وحقه التعدية باللام إلا أنه توسع فيه فعدي بنفسه كقوله تعالى: واستبقا (الباب) أو على تضمين استبقوا معنى اغتنموا. فالمراد من الاستباق هنا المعنى المجازي وهو الحرص على مصادفة الخير والإكثار منه»(3) ولاشك أن مذاهب الناس وفلسفاتهم في الحياة مختلفة، ونظرهم لأسباب الخير وطرقه التي يحصل بها الانسان سعادته نظر مختلف مع ما فطروا عليه من أسباب السعادة الطبيعية وفي الآية إشارة إلى هذا المعنى «وأن على العاقل أن يستبق إلى ما كان خيرها وأرقاها. وقد اتفق العقلاء قاطبة والفلاسفة أن دين الإسلام أرقى الأديان كلها لما حوى من حاجيات الكمال البشريّ، ووفي بشئون الاجتماع، وأسباب العمران وذرائع الرقيّ وطرق السعادتين»(4) أي سعادة الدنيا وسعادة الآخرة كما قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة النحل:97]، فالمؤمنون لهم الحياة الطيبة الحاصلة بفعلهم الخيرات ولزومهم الصالحات ولهم العاقبة الحسنة في الآخرة لما آمنوا وعملوا وصبروا بفضل الله ورحمته، أما غيرهم فإنهم وإن حصلوا الخيرات من وجوه عاجلة إلا أنهم فاتهم الخير الكثير بتضييعهم شرائع الإيمان فحرموا من خير الدنيا الشيء الكثير وأما حالهم في

(1) ينظر: مصطفى السباعي، "من روائع حضارتنا"، ص95.

(2) العنوان مقتبس من: "موسوعة التفسير الموضوعي" (14/263-266).

(3) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (2/ 43).

(4) جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل" (1/ 430).

الآخرة فكما قال الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ٢٠﴾ [سورة الأحقاف:20]. والخير في حياة المسلم مطلوب مرغوب فيه بإلحاح فالمؤمنون حريصون عليه؛ حريصون على السبق إليه وهذا في شتى الميادين، ففي الصلاة –على سبيل المثال– يقول عليه الصلاة والسلام: ((لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ مَا صَفُّوا فِيهِ إِلَّا بِقُرْعَةٍ أَوْ سُهْمَةٍ))(1) وهذا فيه حثٌّ على السبق إلى الصفوف الأولى في الجماعات في المسجد؛ وفي هذا المعنى يقول الطاهر بن عاشور تذييلا على قول الله تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [سورة البقرة: 148]، «والأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها، يتضمن فعلها، وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الآخرة إلى الجنات، فالسابقون أعلى الخلق درجة، والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل، من صلاة، وصيام، وزكوات وحج، عمرة، وجهاد، ونفع متعد وقاصر.»(2) والخطاب في الآية عام من جهتين الأولى أن الاستباق يكون في كل أنواع أعمال الخير والجهة الثانية من العموم أن الخطاب إلى الناس كافة وليس للمؤمنين خاصة كما بين ذلك صاحب المنار فقال: «(فاستبقوا الخيرات) أي: ابتدروا كل نوع من أنواع الخير بالعمل، وليحرص كل منكم على سبق غيره إليه باتباع الإمام المرشد لا باتباع الهوى، وهذا الأمر عام موجه إلى أمة الدعوة لا خاص بالمؤمنين المستجيبين لله والرسول»(3) ويؤيد هذا القول، قول الله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨﴾ [سورة المائدة:48].

(1) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في "صحيحه" (126/1) برقم: (615)، ومسلم في "صحيحه" (2 / 31) برقم: (437) ، وهو بهذا اللفظ عند: ضياء الدين المقديسي في "الأحاديث المختارة" (210/8) برقم: (249).

(2) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (2/ 43).

(3) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (2/ 19).

ثانيا: الثناء على أهل الخير

القرآن الكريم يثني على أهل الخير بأساليب شتى وفي مناسبات متنوعة، عامة وخاصة، ومن المناسبات العامة التي أثنى فيها على أهل الخير قول الله تعالى: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٤﴾ [سورة آل عمران:114]، ﴿يسارعون في الخيرات﴾ أي: «يبادرون إليها فينتهزون الفرصة فيها، ويفعلونها في أول وقت إمكانها، وذلك من شدة رغبتهم في الخير ومعرفتهم بفوائده وحسن عوائده»(1). ولا شك أن فعل الخير على حين غفلة من الناس عنه وإدبار منهم له مزيد أجر عند الله سبحانه وتعالى جريا على ما قرره علماء السلوك أنه سبحانه يجازي عباده على قدر المشقة فزيادة المشقة تترتب عليها زيادة في الأجر والله واسع ذو الفضل العظيم، لذا جعل خير البرية هم اللذين آمنوا حين كفر الناس واللذين عملوا الصالحات حين غفل عنها الناس(2)؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧﴾ [سورة البينة:7]، وهذه الآية تعتبر «حكم قاطع لا جدال فيه ولا محال، ولكن شرطه كذلك واضح لا غموض فيه ولا احتيال، إنه الإيمان. لا مجرد مولد في أرض تدعى الإسلام، أو في بيت يقول: إنه من المسلمين، ولا بمجرد كلمات يتشدق بها الإنسان! إنه الإيمان الذي ينشئ آثاره في واقع الحياة: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، وليس هو الكلام الذي لا يتعدى الشفاه! والصالحات هي كل ما أمر الله بفعله من عبادة وخلق وعمل وتعامل، وفي أولها إقامة شريعة الله في الأرض، والحكم بين الناس بما شرع الله. فمن كانوا كذلك فهم خير البرية»(3).

ثالثا: الوعد بالثواب الجزيل

وعد الله عباده المؤمنين اللذين يلزمون فعل الخيرات والاستقامة عليه بأن لا تذهب جهودهم سدى وأن الله عليم بهم عليم بما يستحقون من الثواب والعطاء؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ١١٥﴾ [سورة آل عمران:115]؛ والآية دالة بظاهرها أن المؤمنين اللذين يأتون بالخيرات على وجهها المرغوب فيه شرعا المحصل للتقوى؛ -أنهم- «مهما

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص144.

(2) ينظر: "موسوعة التفسير الموضوعي" (265/14).

(3) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (3953/6).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فعلوا ﴿من خير﴾ قليلا كان أو كثيرا ﴿فلن يكفروه﴾ أي: لن يحرموه ويفوتوا أجره، بل يثيبهم الله على ذلك أكمل ثواب»(1)، وسياق هذه الآية يتحدث عن الصالحين وهم القلة من أهل الكتاب اللذين دأبهم المسارعة في الخيرات بمختلف شعبها الإيمانية؛ ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [سورة آل عمران:114]، يقول صاحب الظلال في وصف نفوسهم الزكية وفي أعمالهم المرضية وفيما استحقوه من الثواب والشهادات الإلهية: «وهي صورة وضيئة للمؤمنين من أهل الكتاب. فقد آمنوا إيماناً صادقاً عميقاً، وكاملاً شاملاً، وانضموا للصف المسلم، وقاموا على حراسة هذا الدين ... وقد نهضوا بتكاليف الإيمان، وحققوا سمة الأمة المسلمة التي انضموا إليها- خير أمة أخرجت للناس- فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر .. وقد رغبت نفوسهم في الخير جملة، فجعلوه الهدف الذي يسابقون فيه، فسارعوا في الخيرات، ومن ثم هذه الشهادة العلوية لهم أنهم من الصالحين. وهذا الوعد الصادق لهم أنهم لن يُبخسوا حقاً، ولن يُكفروا أجراً، مع الإشارة إلى أن الله- سبحانه- علم أنهم من المتقين.. **وهي صورة تُرفع أمام الراغبين في هذه الشهادة، وفي هذا الوعد، ليحققها في ذات نفسه كل من يشتاق إلى نورها الوضيء في أفقها المنير**»(2). وهذا دأب الصالحين من أتباع الأنبياء و الرسل في المسارعة إلى الخيرات والله لا يضيع أجر العاملين منهم، قال الله تعالى في النبي محمد ﷺ ومن معه ممن تبعه على الإيمان و العمل الصالح ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة التوبة:88]، فلما كان دأبهم المسارعة إلى فعل الخيرات و التحلي بالصالح من الأعمال الظاهرة والباطنة كانت له الخيرات جزاءا في الدنيا والآخرة ﴿أولئك لهم الخيرات﴾ الكثيرة في الدنيا والآخرة ولهم منافع الدارين، النصر والغنيمة في الدنيا، والجنة والكرامة في العقبى ، ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ اللذين ظفروا بأعلى المطالب وأكمل الرغائب(3).

وترغيب القرآن الكريم في الخير لا حدود له، فهو يحث على القليل من البر ويعد على الجزاء كثير عليها ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾﴾ [سورة الزلزلة:7] «عندئذ لا يحقر (الإِنْسانُ) شيئا

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص144.

(2) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (450/1).

(3) ينظر:"تيسير الكريم الرحمن"، ص347. وينظر: جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل" (5/ 475).

من عمله. خيرا كان أو شرا. ولا يقول: هذه صغيرة لا حساب لها ولا وزن. إنما يرتعش وجدانه أمام كل عمل من أعماله ارتعاشة ذلك الميزان الدقيق الذي ترجح به الذرة أو تشيل! إن هذا الميزان لم يوجد له نظير أو شبيه بعد في الأرض.. إلا في القلب المؤمن.. القلب الذي يرتعش لمثقال ذرة من خير أو شر»[1]، وهذه الحقيقة القرآنية التي هي أساس في قيم الخير والتحلي بها لا يعلمها إلا أهل العلم الراسخون فيه العارفون بالله وأسمائه وصفاته اللذين لا تدهشهم ولا تذهلهم لذات عابرة وزخرف من الحياة الدنيا زائل كمال قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠﴾ [سورة القصص:80]، وهذا لما قال اللذين لم يؤتوا من البصيرة والعلم بحقائق الأمور ومآلاتها وعواقبها من عامة الناس ما قالوا؛ لما رأوا ما عليه قارون من الأبهة والزينة والأموال وهو في نظرهم القاصر الخير كل الخير قال الله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٧٩﴾ [سورة القصص:79] وعندئذ ﴿قَالَ اللذين أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ أي «اللذين عرفوا حقائق الأشياء، ونظروا إلى باطن الدنيا، حين نظر أولئك إلى ظاهرها: ﴿وَيْلَكُمْ﴾ متوجعين مما تمنوا لأنفسهم، راثين لحالهم، منكرين لمقالهم: ﴿ثَوَابُ اللَّهِ﴾ العاجل، من لذة العبادة ومحبته، والإنابة إليه، والإقبال عليه. والآجل من الجنة وما فيها، مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴿خَيْرٌ﴾ من هذا الذي تمنيتم ورغبتم فيه، فهذه حقيقة الأمر، ولكن ما كل من يعلم ذلك يؤثر الأعلى على الأدنى»[2].

---

(1) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (3956/6).

(2) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص624.

المبحث الثاني: مقاييس الخير

وفيه المطالب التالية:

- **المطلب الأول:** الفطرة والوجدان
- **المطلب الثاني:** الوحي الإلهي
- **المطلب الثالث:** العقل
- **المطلب الرابع:** العرف الاجتماعي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: مقاييس الخير

الإنسان جسد وروح؛ أضيف جسد الإنسان إلى الطين في مثل قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١﴾ [سورة ص:71]، وأضيفت روحه إلى رب العالمين كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٧٢﴾ [سورة ص:72]، ولا شك أن في إضافتها إلى الله رب العالمين تشريفا لها. ومع هذا تنازع الناس في الصفة التي تصبغ بها روح الإنسان هل هي صبغة الخير؟ فما الذي يصرف الإنسان عن الخير إلى الشر؟ أم نفس الإنسان مصبوغة بالشر –لما تطغى عليه غرائزه الجسدية-؟ وما شرعت الشرائع ولا رزق العقل إلا ليخرج من الشر إلى الخير. وفيما يلي يحاول الباحث استقصاء بعض مقاييس الخير من المنظور القرآني.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: الفطرة والوجدان

يحاول الباحث في هذا المطلب أن يتوصل –من منظور قرآني- إلى الإجابة عن الإشكال الفلسفي الذي مفاده : هل الأصل في خلقة الإنسان الخير؟ أم الشر؟ خلق الله نوعين من النفوس في الأرض، نفوس خلقت أجسادها من نار كما حكى القرآن عن إبليس حين قال: ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ﴾ [سورة الأعراف:12]. ونفوس خلقت أجسادها من طين هي نفوس بني آدم ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝١٢﴾ [سورة المؤمنون:12]. وتنزع نفوس الشياطين إلى الشر وتأز عليه أزا كما قال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا﴾ [سورة مريم:83]، وخلق بني آدم وفطرهم على التوحيد وحب الخير كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٣٠﴾ [سورة البقرة:30]. وفي هذا المعنى يقول الطاهر ابن عاشور: «وإذ قد كانت نفوس الشياطين داعية إلى الشر بالجبلة تعين أن عقل الإنسان منصرف بجبلته إلى الخير، ولكنه معرض لوسوسة الشياطين فيقع في شذوذ عن أصل فطرته، وفي هذا ما يكون مفتاحا لمعنى كون الناس يولدون على الفطرة، وكون الإسلام دين الفطرة، وكون الأصل في الناس الخير»(1) وقال أيضا في تفسير قول الله تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤﴾ [سورة التين:4]؛ «تفيد الآية أن الإنسان مفطور على الخير وأن في جبلته جلب النفع والصلاح لنفسه وكراهة ما يظنه باطلا أو هلاكا، ومحبة الخير والحسن من الأفعال لذلك تراه يسر بالعدل والإنصاف، وينصح بما يراه مجلبة لخير غيره، ويغيث الملهوف ويعامل بالحسنى، ويغار على المستضعفين، ويشمئز من الظلم ما دام مجردا عن روم نفع يجلبه لنفسه أو إرضاء شهوة يريد قضاءها أو إشفاء غضب يجيش بصدره، تلك العوارض التي تحول بينه وبين فطرته زمنا، ويهش إلى كلام الوعاظ والحكماء والصالحين ويكرمهم ويعظمهم ويود طول بقائهم. فإذا ساورته الشهوة السيئة فزينت له ارتكاب المفاسد ولم يستطع ردها عن نفسه انصرف إلى سوء الأعمال، وثقل عليه نصح الناصحين،

(1) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (8-ب/ 68).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ووعظ الواعظين على مراتب في كراهية ذلك بمقدار تحكم الهوى في عقله»[1] أما صاحب تفسير المنار فيطرح هذه القضية في تفسيره محاولا الإجابة عن المسألة التي اعتبرها مشهورة والتي مفادها:

اختلاف الناس في الإنسان هل هو خير بالطبع أو شرير بالطبع؟ وإلى أي الأمرين هو أميل بفطرته مع صرف النظر عما يتفق له في تربيته؟[2] وأجاب محمد عبده عن هذه المسألة فيما نقله عنه تلميذه صاحب المنار جازما أنه «لا شك أن الميل إلى الخير مما أودع في طبع الإنسان، والخير كل ما فيه نفع نفسك ونفع الناس»[3]. وفطرية الخير في نفس الإنسان ووجدانه –عند محمد عبده- سنة كونية لا تبديل لها إلا بنوازع من خراج ذات الإنسان وكيانه الروحي، فالإنسان ينزع إلى الخير جبليا دون أي تكلف ولا تعسف وأمارات ذلك كثيرة منها: اللذة التي يجدها الإنسان في فعل الخير مما يجعله يمارس ذلك طبعا لا تطبعا، ومنها أن شكر المنعم مغروس في طبع الإنسان ويظهر أثره عليه مهما اختلفت البيئة التي نشأ فيها ومنها عين الرضا التي ينظر بها الناس إلى فاعل الخير مهما كان هذا الفاعل[4]. وإذا كان الأمر على ما سلف من البيان والتوضيح؛ فلا بد من الإجابة على الاعتراض الذي يتبادر إلى الذهن؛ كيف للإنسان أن يصبح شريرا وهو مفطور على الخير؟ يرى محمد عبده أن الشر إنما يعرض للنفس بأسباب ليست من طبيعة النفس ولا من مقتضى فطرتها، والدليل على ذلك أنه مهما كان الإنسان شريرا فإنه لا يخفى عليه أن الشر ممقوت في نظر الناس وصاحبه مهين عندهم، وشأن الإنسان عند اقتراف كل شر يشعر في نفسه بقبحه ويجد من أعماق سريرته هاتفا يقول له: لا تفعل ويحاسبه بعد الفعل ويوبخه إلا في النادر[5].

ويلاحظ محمد عبده أنه من الممكن –النادر- أن يصير الإنسان شرا محضا ووضح محمد رشيد رضا هذا الملحظ بقوله: أنه يريد أنه قلما يألف أحد الشر وينطبع به حتى يكون طبعا له لا تشعر نفسه بقبحه عند الشروع فيه ولا في أثنائه ولا بعد الفراغ منه. ونقل عن أستاذه الإمام وصفه لمحدودية هذه الظاهرة الاجتماعية بما يجعلها كالاستثناء من القاعدة قوله: إنه لا يوجد في المليون من الناس شرير واحد يفعل الشر وهو لا يشعر بأنه شر قبيح في نفسه[6].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (30/ 426).

(2) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (3/ 121).

(3) المرجع نفسه، (3/ 121).

(4) ينظر: المرجع نفسه، (3/ 121).

(5) ينظر: المرجع نفسه، (3/ 121)، بتصرف.

(6) ينظر: المرجع نفسه، (3/ 121):

وقدم محمد عبده نقدا على اللذين ذهبوا إلى أن الإنسان شرير بالطبع، وذلك بأن جعل الطبع الذي قصدوه في مقالاتهم غير الفطرة التي تحدث هو عنها، حيث أنهم أرادوا من الطبع ما يرون عليه غالب الناس. وهذا فيه نظر إلى الأمر من جهة واحدة فقد فاتهم –في نظره- أن يلاحظوا في الإنسان معنى الغريزة ومناشئ العمل من الفطرة[1]. حيث إن الذي شاهدوه هو نتيجة لظاهرة اجتماعية طارئة على الإنسان وليس فطرة فطر عليها، ووضح ذلك بقوله «ذلك أن الإنسان ينشأ بين منازعات الكون وفواعل الطبيعة وأحيائها ومغالبة أبناء جنسه على المنافع والمرافق، وقد يدفعه هذا الجهاد إلى الأثرة وتوفير الخير لنفسه خاصة ويلجئه الظلم إلى الظلم فيأتيه متعلما إياه تعلما متكلفا له تكلفا، وفي نفسه ذلك الهاتف الفطري يقول له: لا تفعل، وهو النبراس الإلهي الذي لا ينطفئ، فإذا رجع الإنسان إلى أصل فطرته لا يرى إلا الخير، ولا يميل إلا إليه، وإذا تأمل في الشر الذي يعرض له لم يخف عليه أنه ليس من أصل الفطرة، وإنما هو من الطوارئ التي تعرض عليها لا سيما من ينشأ بين قوم فسدت فطرتهم» [2] هذا ملخص مذهب محمد عبده في هذه القضية كما نقلها عنه محمد رشيد رضا، وزاد هذا الأخير البحث بسطا –كما قال- لكثرة اشتباه الناس فيها وشدة معارضات طلابه له فيها. وجعل تقريره للمسائل في نقده على طلابه إثر إجابتهم على سؤال طرحه عليهم فقال: ما هو الشر الفطري في البشر؟

كانت إجابتهم: حب الشهوات والغضب وما ينشأ عنهما من الأعمال والأخلاق.

وكان نقده لهذا التقرير على النحو التالي[3]:

أولا: أن هاتين الغريزتين أصل وضعهما في الانسان هو جلب الخير ودفع الضر وبهما تظهر محاسن الخليقة وتتجلى أسرار الطبيعة، ولولاهما لبادت الأفراد وانقرض النوع من الأرض.

ثانيا: أن هاتين الغريزتين قد تدخل كل من الفطرة والدين في تكميلهما بما يكفي لإقامة الميزان القسط فيهما غالبا.

ثالثا: هدايات الإنسان الأربع (الحس والوجدان والعقل والدين) كافية لأن يعتقد أن كل خير نافع، وكل شر ضار، فإذا قصر في الاهتداء بهذه الهدايات فوقع في الشر كان وقوعه فيه أثرا لتنكب طريق الفطرة لا للسير على جادتها.

---

(1) ينظر: محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (3/ 121).

(2) المرجع نفسه، (3/ 121-122).

(3) ينظر: المرجع نفسه، (122/3).

وضرب محمد رشيد رضا لهذا مثلا أورده عليه طلابه في الدرس فقال: (ومنه ما سئلنا عنه في الدرس ومجالس البحث من الميل إلى الزنا مثلا)[1] ثم أجاب عن السؤال المطروح بما مفاده أنه مؤسس على مغالطة، فالإنسان –ابتداء- غير مجبول على الميل إلى الزنا في حد ذاته؛ بل هو بطبعه يميل إلى الوقاع، ويشهد لهذا قول الله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء:28]، تواترت النقولات عن سلف الأمة أن المقصود من الآية أن بني آدم خلقوا ضعفاء عجزة عن ترك جماع النساء[2]. ثم قرر أن هذا من الخير وأصول الكمال في الفطرة على ما مضى بيانه سابقا في القواعد. ثم إن الزنا وضع لذلك الميل في غير موضعه وذلك من العوارض الطارئة التي تكثر بترك مقومات الفطرة وحوافظها من نذر الدين وقضايا العقل وآداب الاجتماع[3].

(1) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار"، (122/3).

(2) ينظر: "موسوعة التفسير المأثور"، (6/ 276)

(3) "تفسير المنار" (3/ 123).

المطلب الثاني: الوحي الإلهي (القرآن الكريم)

قال الله عزوجل: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الأنبياء:73]، الآية بمنطوقها الظاهر صريحة في الدلالة على أن فعل الخيرات هو من وحي الله لأنبيائه من ذرية إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، «وهذا شامل لجميع الخيرات كلها، من حقوق الله، وحقوق العباد»(1)، فمصدر الخير هو الله سبحانه وتعالى ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [سورة الفرقان:2].

فالخير بيد الله تعالى هو خالقه وملهمه قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة آل عمران:26] (2).

وظيفة الرسل تعليم الناس الخير بكل أشكاله وانواعه وفي جميع ميادين الحياة وحثهم على لزوم جادة الخير وترك ما يضاد ذلك أو ينقصه أو يخدش فيه، فاتباع ما جاءت به الرسل يطهر القلوب من جميع أنواع الشر ويحمل النفس على الزكاء والترقي في درجات الكمال، قال الله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [سورة البقرة:151]. «﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ أي: يطهر أخلاقكم ونفوسكم، بتربيتها على الأخلاق الجميلة، وتنزيهها عن الأخلاق الرذيلة، وذلك كتزكيتكم من الشرك، إلى التوحيد ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق، ومن التباغض والتهاجر والتقاطع، إلى التحاب والتواصل والتوادد، وغير ذلك من أنواع التزكية»(3).

والذي جاءت به الرسل هو الخير الذي ليس بعده خير ولا من دونه خير، فهو الروح الذي أحيا الله به الأمم وأخرجها من ظلمات الشر إلى نور الخير والطمأنينة، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن

---

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص527.

(2) ينظر: "موسوعة التفسير الموضوعي"، (228/14).

(3) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص74.

نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [سورة الشورى:52]، قال السعدي في تفسير الآية: «﴿أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾ وهو هذا القرآن الكريم، سماه روحا، لأن الروح يحيا به الجسد، والقرآن تحيا به القلوب والأرواح، وتحيا به مصالح الدنيا والدين، لما فيه من الخير الكثير والعلم الغزير. وهو محض منة الله على رسوله وعباده المؤمنين، من غير سبب منهم»(1)، فالله جل جلاله بين في هذه الآية أنه أحيا القلوب والأرواح بالخير العميم الذي أنزله على نبيه ﷺ، كما أحيا الأبدان التي خلقها ونفخ فيها الروح، وبين الله جل وعلا في الآية أنه لولا هذا الوحي الذي أوحي إليه به إلى النبي ﷺ ما كان ليعرف هذا الخير ولا ليطلع عليه هو ولا أمته من بعده فالحمد لله أولا وآخرا.

ويبين الله تبارك وتعالى الخير الكثير الذي في القرآن الكريم وأحوال أمة الإسلام مع هذا الخير، وذلك في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢﴾ [سورة فاطر:32]، بين الله سبحانه وتعالى أنه أورث أمة الإسلام هذا القرآن وأن هذا الموروث فضل من الله كبير كما في قوله تعالى: ﴿ذلك هو الفضل الكبير﴾ أي: «وراثة الكتاب الجليل، لمن اصطفى تعالى من عباده، هو الفضل الكبير، الذي جميع النعم بالنسبة إليه، كالعدم، فأجل النعم على الإطلاق، وأكبر الفضل، وراثة هذا الكتاب»(2) وبيّن أن الناس متفاوتون في التنّعم بهذا العطاء الجزيل والخير الكثير على ثلاث طبقات كبرى، أدناها هو الظالم لنفسه وأوسطه المقتصد وفوقهما السابق بالخيرات، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، و«المراد بوراثة الكتاب، وراثة علمه وعمله، ودراسة ألفاظه، واستخراج معانيه»(3).

يقرر ابن السعدي(4): «أن القرآن شفاء لما في الصدور من الأمراض ورحمة جالبة للخير»؛ فالقرآن ينفي خبث الشر عن النفوس البشرية ويغمرها بالرحمات التي تحصل بها الخيرات والبركات وبه تزول المكاره وبه تحل المحاب وذلك مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾ [سورة الإسراء:82]. وضرب لهذا الضرب من علوم القرآن أمثلة كثيرة توضحه وتجليه نقتصر منها على مثال واحد؛ ذكر فيه كيف عالج القرآن الكريم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص762.

(2) المرجع نفسه، ص689.

(3) المرجع نفسه، ص689.

(4) ينظر: عبد الرحمن السعدي، "الرياض النظرة والحدائق النيرة الزاهرة"، ص166 وما بعدها.

ظاهرة نفسية تبعث على تصدع بنيان المجتمع كله متى تفشت في نفوس كل أفراده، ألا وهي ظاهرة الرياء ومصانعة الخلق، ولا بأس أن ننظر إلى هذه الظاهرة في صورة رسمها بقلمه أديب من أدباء العصر حيث أستطاع –إلى حد بعيد–أن يصورها ويجليها على ما هي عليه من قبح غير ظاهر بادي النظر فيقول: «الأمة التي ألفت ألا تبذل معروفها إلا في موقف المفاخرة والمكاثرة، والتي لا تفهم معنى الاحسان إلا أنه الغل الثقيل الذي يوضع في رقاب الفقراء لاستعبادهم واسترقاقهم لا يمكن أن ينشأ فيها محسن مخلص يحمل بين جنبيه قلبا رحيما»(1) في هذا الكلام تصوير لحقيقة أمر المرائي وحقيقة داء الرياء وتجلية لآثاره السيئة على الفرد والمجتمع، بل وإنها لرزية كبيرة وداء عضال تعاني منه الإنسانية بأكملها؛ حين يكون الفقراء والمستضعفون مطية تداس فيه كرامتهم وعزتهم لأجل الرقي لأناس لا يعرفون للإخلاص لله رب العالمين لذة، ولا يعرفون لاحترام الإنسانية سبيلا في نفوسهم، يستعرض ابن السعدي جانبا من تلك الآثار السيئة للرياء من منظور قرآني، حيث يقول أن القرآن: «أبدى وأعاد في ذم الرياء ومصانعة الخلق وأنه خلق رذيل ساقط دنيء جدا من خلق المنافقين الأرذلين المنقطعين عن رب العالمين في تعلقهم به وبما يحبه ويرضاه»(2) والشيخ يشير إلى تلك الآيات التي تذم الرياء في القرآن الكريم وتذم المن و الأذى في الصدقات وتحث على ضد ذلك؛ كمثل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [سورة البقرة:262].

وبين رحمه الله أن القرآن: «لم يزل يبين لهم رذالة هذا الخلق وأنه لا يتصف به إلا الأراذل من المنافقين وأنهم في الدرك الأسفل من النار كما كانوا في الدرك الأسفل من الأخلاق، ويبين أن المرائي مع ضعف دينه قد ضعف عقله، فإنه رآءى المخلوقين الفقراء العاجزين اللذين لا يملكون لأنفسهم –فضلا عن غيرهم– نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة، ولا نشورا. وأن من عمل لأجلهم فقد اعتمد على غير معتمد واتكأ على شفا جرف هار، وأن المخلصين هم أهل الهمم العالية، والأجور الفاضلة... لم يزل يعالجهم بهذه العلاجات العالية حتى علموا علم اليقين أنه لا عمل إلا بالإخلاص وأن الإخلاص هو السبب الوحيد المنجي من المكار، المحصل للمحاب كلها. وأن الله لم يخلقهم إلا ليخلصوا له الدين ويقوموا بعبوديته وحده لا شريك له، وأن من راءى الناس بعمله فقد خسر دينه وعقله وعلمه وتعلق بغير

---

(1) المنفلوطي، "المجموعة الكاملة"، ت: مجيد طراد، شركة دار مكتبة المعارف–ناشرون، بيروت لبنان، 2017، ط2، ص1013.

(2) عبد الرحمن السعدي، "الرياض النظرة والحدائق النيرة الزاهرة"، ص168.

متعلق. فأي مرض يبقى مع عذه العلاجات الناجحة الراقية التي هي علاج العزيز الحكيم، الرب الرحيم الذي هو أرحم بعباده من الوالدة بولدها؟ فتبارك الله رب العالمين!»[1].

والوحي الإلهي خير كله لذا امتنع على كل ذي لب منصف نسبة الشر إلى الله سبحانه وتعالى، بل والشر في حد ذاته أمر عارض على الأحياء نسبي وليس مطلق وفي هذا الصدد يقول صاحب المنار: «إنه لا يسند إلى يده تعالى أو يديه إلا النعم الجليلة والمخلوقات الشريفة، فلا يقال: إن الشر بيد الله تعالى، على أن جميع ما خلقه الله تعالى ودبره هو خير في نفسه، والشر أمر عارض من الأمور الإضافية؛ فلا توجد حقيقة هي شر في ذاتها وإنما يطلق لفظ الشر على ما يأتي غير ملائم للأحياء ذات الإدراك، ولا منطبق على مصالحهم ومنافعهم، وسبب ذلك في الغالب سوء عملهم الاختياري، ومن غير الغالب أن تقوض الريح لهم بناء أو يجرف السيل لهم رزقا، وكل من الريح والسيل من أعظم الخيرات في ذاتهما، ومن الخير والنعم ما قدرته السنن الإلهية وأخبر به الوحي من ترتيب العقاب على العمل السيئ، فإن ذلك أعظم مرب للناس وعون لهم على الارتقاء في الدنيا والسعادة في الآخرة»[2].

---

(1) "الرياض الناظرة والحدائق النيرة الزاهرة"، ص168-169.

(2) "تفسير المنار" (3/ 224).

المطلب الثالث: العقل

ضعف العقل قد يسبب للإنسان انتكاسا عن الخير الذي فطر عليه أو دله عليه الدين والوحي الإلهي، ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة الحشر:14]، بين الله في هذه الآية العلة التي جعلت بني إسرائيل يتركون الخير الذي في اجتماعهم وفي مودتهم بينهم إلى تفرقهم وتحزبهم وتنافر قلوبهم الذي هو شر محض، إلى ضعف عقولهم، وبيّن محمد الأمين الشنقيطي أن سبب داء بني إسرائيل –ضعف العقل– هو نفسه سبب داء أمة الإسلام اليوم فقال رحمه الله: «وقد بين تعالى في سورة "الحشر" أن سبب هذا الداء الذي عمت به البلوى إنما هو ضعف العقل؛ قال تعالى: ﴿تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى﴾ ثم ذكر العلة لكون قلوبهم شتى بقوله: ﴿ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ ولا شك أن داء ضعف العقل الذي يصيبه فيضعفه عن إدراك الحقائق، وتمييز الحق من الباطل، والنافع من الضار، والحسن من القبيح»(1)، وكما أن ضعف العقل مفسد للخير جالب للشر، فكذلك رجاحة العقل جالبة للخير ومبعدة للشر كما حكا الله سبحانه وتعالى عن ملكة سبأ التي جنّبت قومها مغبة حرب سليمان عليه السلام ورزقوا الإيمان بالله وحده لا شريك له تبعا لها، قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة النمل:25-39]، ويظهر عقل ملكة سبأ في عدة جوانب منها أنها لم تستأثر بالرأي بك أعملت مبدأ المشورة مع حاشيتها في الملك، وأنها قدرت

(1) "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (3/ 541 ط عطاءات العلم).

ما في كتاب سليمان من سمو فوصفته بأنه كتاب كريم، ومنها أنها كانت حسنة التدبير والتقدير للعواقب واسعة الحيلة في كشف ما لم تعرفه عن سليمان عليه السلام، ومنها أنها لم يأخذها الغرور بما وصف لها من قوة جيشها وشدة بأسه، بل أرسلت بهدية لسليمان لتختبر صدق نبوته من كذبه في ادعائها، وفيما روي أنها قالت: «إن يكن الرجل نبيا مرسلا فلا طاقة لنا به ولا قوة، وإن يكن الرجل ملكا يكاثر فليس بأعز منا ولا أعد. فهيأت هدايا مما يهدى للملوك مما يضنون به، فقالت: إن يكن ملكا فسيقبل الهدية، ويرغب في المال، وإن يكن نبيا فليس له في الدنيا حاجة، وليس إياها يريد، إنما يريد أن ندخل معه في دينه، ونتبعه على أمره. أو كما قالت»(1)، ولما جاءها رسولها بهديتها يؤكد صدق تنبئها وصحة رأيها، فأشفقت على قومها واقتنعت بأن سليمان نبي مرسل صاحب دعوة إلهية، وأنه ليس من الحكمة حرمان قومها من التمتع بهذا الحق ، ولا الإلقاء بهم في أتون حرب ونار مستعرة دفاعا عن باطل أو مكافحة حق، وقادت المرأة أمتها وفتحت لهم باب الخير والهداية (2).

ومما يدل على أهمية العقل الذي هو آلة النظر و التفكر في معرفة الخير ودفع الشر؛ أمر الله جل وعلا نبيه على مشاورة المؤمنين ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [سورة آل عمران:159]، قال الشيخ السعدي: «قد دخلت عليه: [ال] ، المفيدة للعموم والاستغراق، يعني أن جميع أمور المؤمنين وشئونهم واستجلاب مصالحهم واستدفاع مضارهم، معلق بالشورى والتعاون على الاهتداء إلى الأمر الذي يجرون عليه في حل مشكلاتهم، وتدعيم سلطانهم وتجنيبهم الخلاف المفضي إلى تفكك قواهم وانحلال عراهم»(3) وجعل أمور الدنيا بين المؤمنين تتم على قواعد الشورى كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الشورى:38]، «وقد اتفق العقلاء أن الطريق الوحيد للصلاح الديني والدنيوي هو طريق الشورى. فالمسلمون قد أرشدهم الله أن يهتدوا إلى مصالحهم وكيفية الوصول إليها بأعمال أفكارهم مجتمعة، فإذا تعينت المصلحة في طريق سلكوه، وإذا تعينت المضرة في طريق تركوه، وإذا كان في ذلك مصلحة ومضرة، نظروا: أيها أقوى وأولى وأحسن عاقبة، وإذا رأوا أمرا من الأمور هو المصلحة ولكن ليست أسبابه عتيدة عندهم ولا لهم قدرة عليها نظروا بأي شيء تدرك الأسباب وبأي حالة تنال على وجه لا يضر»(4).

(1) "موسوعة التفسير المأثور" (16/ 507).
(2) ينظر: محمد شلتوت، "من توجيهات الإسلام"، ص173-175.
(3) عبد الرحمن السعدي، "القواعد الحسان لتفسير القرآن" (ص105).
(4) المرجع نفسه، ص105.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وفي كثير من آي التشـريع القرآني بين الله جل وعلا طريق البر والخير في كثير من الأمور والأحوال ثم حث عباده في خاتمة تلك التشريعات على إعمال العقل من أجل فهم مقاصد ذلك التشريع وفقهه ومن الأمثلة لذلك قول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [سورة الأنعام:151]، ففي الآية حث لعباد الله على تعقل ما يتلى عليهم من الآي والذكر الحكيم ليدرك ما فيها من الفقه السديد و المطالب العالية والحكم الباهرة والنظام التام كامل الحُسن من كل وجه؛ «﴿وصاكم به لعلكم تعقلون﴾ عن الله وصيته، ثم تحفظونها، ثم تراعونها وتقومون بها. ودلت الآية على أنه بحسب عقل العبد يكون قيامه بما أمر الله به»، وهذه المحرمات التي أمر الله عباده أن يجتنبوها بل وأكد عليهم النهي بأن جعلها وصية لعباده كلها مما يشهد العقل بفسادها وإخلالها بنظام الحياة الإنسانية السوية؛ «فالشرك وعقوق الوالدين وقتل الأولاد للفقر، منشؤه الجهل بما في الشرك من استهانة المنعم بالإيجاد، وبما في الإساءة إلى الأبوين من مقابلة الإحسان بالإساءة، وقربان الفواحش من متابعة الهوى، والقتل من متابعة الغضب وكلها أضداد العقل»(1) وذكر صاحب المنار أن في الآية «دليل على الحسن الذاتي وإدراك العقول له بنظرها، وإذا هي عقلت ذلك كان عاقلا لها ومانعا من المخالفة. وفيها تعريض بأن ما هم عليه من الشرك وتحريم السوائب وغيرها، مما لا تعقل له فائدة، ولا تظهر للأنظار الصحيحة فيه مصلحة»(2)، ونفس الأمر في الآية التي تبين آداب البيوت في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا

---

(1) جمال الدين القاسمي، " محاسن التأويل" (4/ 536).

(2) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (8/ 166).

فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٦١﴾ [سورة النور:61]، فاصلة الآية تدل على أن العقل مناط به الفقه والادراك مع التمييز بين ما هو خير ومصلحة وبين ما هو شر ومفسد «﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، أي كهذا البيان الواضح المبين المرشد، بين الله تعالى لكم الآيات المتلوة، أي يأتي لكم بينة واضحة هادية مرشدة ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، أي رجاء أن تعقلوا وتدركوا ما فيه خيركم وصلاح حالكم، وقيام جمعكم، والرجاء من العبد، أي أن الله تعالى قدم لكم ما يرجى به صلاح أموركم واجتماع على الحق والهداية والتعاون »(1).

(1) أبو زهرة، "زهرة التفاسير" (10/ 5233).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الرابع: العرف الاجتماعي

العرف الاجتماعي والعادة الجارية من الأدلة الشرعية المحكمة في الشريعة الإسلامية عند عدم وجود النص وعليه يعول والمعتمد في مجال القانون الوضعي، وإليه يرجع الفقهاء القانونيون ورجال القضاء في المحاكم في فقههم وأحكامهم(1)، فلا أدل على أنه من مدارك الخير الدالة عليه والمرشدة إلى طريقه من ذلك، وللعرف حقيقة اصطلاحية اختلف الناس في رسم حدودها عرفها الجرجاني بقوله: «العرف: ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول، وتلقته الطبائع بالقبول، وهو حجة أيضا، لكنه أسرع إلى الفهم، وكذا العادة، هي ما استمر الناس عليه على حكم العقول وعادوا إليه مرة بعد أخرى»(2) وعرفه وهبة الزحيلي بقوله: «هو ما اعتاده الناس، وساروا عليه من كل فعل شاع بينهم، أو لفظ تعارفوا على اطلاقه على معنى خاص لا تألف اللغة، ولا يتبادر غيره عند سماعه»(3)، وله عند مفسري القرآن الكريم عدة تعريفات منها: «المعروف هو الذي تألفه النفوس وتستحسنه فهو مما تسر به النفوس ولا تشمئز منه ولا تنكره، ويقال لضده منكر»(4) ويعترض عليه بأنه يوجد الكثير من الأمور لا تسر بها النفوس ولكنها من المعروف شرعا وعقلا كما في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [سورة البقرة:216]. ولعل أحسن التعريفات ما حدّه به عبد الرحمن السعدي في قوله: «المعروف اسم جامع لكل ما عرف حسنه شرعا وعقلا و المنكر اسم جامع لكل ما عرف قبحه شرعا وعقلا»(5) لكن لقائل أن يقول أن ما عرف حسنه شرعا لا يعد عرفا بالمعنى المصطلح عليه هنا؛ يقال لعل مقصود صاحب التعريف أنه شهد له الشرع بالاعتبار لكونه لا يتنافى مع المقاصد العامة للشريعة الغراء ولا يعارضها في شيء من نصوصها –والله أعلم-، وعليه يكون حد العرف عند الباحث كما يلي:

هو اسم جامع لكل ما عرف حسنه عقلا واستحسنته النفس ورضيه المجتمع قانونا عاما وشهد له الشرع بالاعتبار.

---

(1) ينظر: وهبة الزحيلي، "أصول الفقه الإسلامي"، (103/2).

(2) الجرجاني، "التعريفات"، ص149.

(3) وهبة الزحيلي، "أصول الفقه الإسلامي"، 104/2.

(4) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (2/ 142).

(5) "أصول عظيمة من قواعد الإسلام"، ص60.

ويقسم أهل الأصول العرف إلى أقسام كثيرة لاعتبارات مختلفة لا يهمنا منها إلا الاعتبار الذي يعتبر قبول العرف كبرهان على صلاحية العمل أو عدم قبوله لذلك، ووفقا لهذا يكون العرف على قسمين:[1] **القسم الأول**؛ العرف الصحيح؛ هو ما اعتاده الناس دون أن يصادم الشرع ... وتتلخص شروط هذا القسم في أربع:[2] أولا؛ أن يكون العرف مطردا أو غالبا، والثاني: أن يكون العرف المراد تحكيمه في التصرفات قائما عند إنشائها –وهذا احتراز عن العرف الحادث فإنه لا عبرة له بالنسبة إلى الماضي ولا يحكم فيه–، والثالث: ألا يعارض العرف تصريح بخلافه وهذا بالنسبة للعقود فالشروط من المتعاقدين تقيد العرف أو تلغيه، والرابع: ألا تتعطل الشريعة بالعمل بالعرف. **القسم الثاني**؛ العرف الفاسد؛ هو ما اعتاده الناس لكنه يحل حراما أو يحل حلالا، أو هو كل عرف لم تتحقق فيه الشروط المذكور في العرف الصحيح.

والعرف الاجتماعي هو دليل الخير في كثير من أصول الاجتماع الإسلامي وفيما يلي نماذج من أمر التشريع القرآني المؤمنين التحاكم إلى العرف في تحديد الحقوق والواجبات التي هي للأفراد وعليهم فيما يخص العلاقات التي بينهم حتى تكون مؤسسة على مبدأ عموم الخير حيث لا ضرر ولا ضرار؛ وإن أولى الناس بالمعاملة الخيرة هم أهل الرجل وخاصته سواء من الأصول أو من الفروع، ومما أكد عليه الشرع بالمعاملة الخيرة النساء؛ أمرا واجبا على من يقوم عليهن من الرجال كما قال النبي ﷺ: ((خياركم خياركم لنسائهم))[3]، وهذا التأكيد على معاملة المرأة بالخير نظرا لما ما ألفته البشرية من عوائد فيها تقصير في حق المرأة على مر الزمن، وأرجع القرآن الكريم الخير في معاملة المرأة إلى العرف كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [سورة النساء:19]، الآية نص في وجوب معاشرة النساء بالمعروف أي يلزم المؤمنين أن يحسنوا عشرة نسائهم بأن تكون مصاحبتهم ومخالطتهم لهن بالمعروف الذي تعرفه، وتألفه طباعهن، ولا

---

(1) ينظر: وهبة الزحيلي، "أصول الفقه الإسلامي"، (109/2).

(2) ينظر: أحمد مصطفى الزرقا، "المدخل الفقهي العام"، (897/2) وما بعدها.

(3) أخرجه ابن ماجه في "السنن" (148/3) برقم: (1978)، وصححه مقبل بن هادي الوادعي في "المسند الصحيح مما ليس في الصحيحين" (627/1) برقم: (806).

يستنكر شرعا، ولا عرفا، ولا مروءة[1]، وهذا يشمل المعاشرة القولية والفعلية، فعلى الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف، من الصحبة الجميلة، وكف الأذى وبذل الإحسان، وحسن المعاملة، ويدخل في ذلك النفقة والكسوة ونحوهما، فيجب على الزوج لزوجته المعروف من مثله لمثلها في ذلك الزمان والمكان، وهذا يتفاوت بتفاوت الأحوال[2]، وفي المعاشرة معنى المشاركة والمساواة، أي عاشروهن بالمعروف وليعاشرنكم كذلك [3]. ومن الأمثلة على جعل الشارع الحكيم العرف معيارا للخير الذي يجب على الناس المصير إليه ما ورد في آية الوصية ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ١٨٠﴾ [سورة البقرة:180]، حيث حكم الله في هذه الآية أنه من ترك خيرا –ومقصود منه هنا المال- أن يوصي لوالديه وذوي قرابته، وتكون حدود الوصية مرسومة موسومة بالعرف وهي ما تضمنت شرطين: أن تكون مما أذن فيه الشرع فلا تتجاوز الثلث، وأن لا يتعمد فيها الظلم والحيف للورثة [4]. والأمثلة في القرآن أكثر من أن تستقصى في هذا الموضع، ويكفي أن في الفقه الإسلامي نظرية بكاملها تحت هذا الأصل.

---

(1) ينظر: "تفسير المنار" (4/ 373-374).

(2) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص172.

(3) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (4/ 374).

(4) ينظر: "موسوعة التفسير الموضوعي" (243/14).

المبحث الثالث: الواجب الإنساني نحو قيم الخير

وفيه المطالب التالية:

- المطلب الأول: الدعوة إلى الخير
- المطلب الثاني: الخير حلية المسلم
- المطلب الثالث: مصاحبة أهل الخير
- المطلب الرابع: اجتناب الشر والفساد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: الواجب الإنساني نحو الخير

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر، مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه))[1] . وقال حكيم: «لما كان شرف الإنسان بالقوة المدركة، لزم تهذيبها لتكف صاحبها عن المساوئ، وتدفعه إلى المحاسن، فتتمهد أمامه مسالك الحياة وتتوفر له أسباب السعادة فيعيش في الرغد والهناء وإلا تسلطت عليه المساوئ وانغمس في الشهوات وضل عن سبيل الألفة والتحاب وأنس بالجهل واستطاب الخمول». ومن الثابت أن المرء –إذا حسنت تربيته وتم تهذيبه- كانت أعماله قويمة أخلاقه مستقيمة، وإذا فسدت تربيته انعكست أعماله وساء خلقه. وسعادة مجموع الأمة متوقفة على تربية الأفراد؛ فإذا تهذب الأفراد وربوا على الفضائل ...تهذب المجموع وصاروا أعضاء جسم واحد [2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (1 / 160) برقم: (237) والطيالسي في "مسنده" (3 / 556) برقم: (2195) وحسنه الألباني في "ظلال الجنَّة في تخريج السُّنَّة" (128/1) برقم: (298).

(2) جمال الدين القاسمي، "جوامع الآداب"، ص28، بتصرف يسير.

المطلب الأول: الدعوة إلى الخير

الدعوة إلى الخير جزء لا يتجزأ من الدعوة إلى الحق الذي مضى بيانه في الفصل السابق، فالخير كل الخير في لزوم الحق وهو قرينه ولازمه، وفيما يلي مزيد تأكيد على فعل الخيرات وترك المنكرات في القرآن الكريم على وجه التخصيص بالذكر كما هو في آي القرآن الكريم. يقول عبد الرحمن السعدي في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [سورة البقرة:148]. « فالمنافسة تكون في مصادفة الحق»[1] وإن من المسابقة إلى الخيرات الدعوة إلى الخير ومحاولة إشاعته بين الناس بقدر ما أوتي المرؤ من قوة وعلم وبصيرة.

وعلى تقدير الباحث الآية الجامعة للترغيب في الدعوة إلى الخير والحرص على إشاعته هي قول الله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [سورة آل عمران:110]، والمعنى كنتم خير الأمم التي وجدت في عالم الأرض، وفي تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان مزيد اهتمام بهذا الأمر بعد تحقيق الإيمان. وبالإيمان فضلت الأمة على المشركين اللذين كانوا غارقين في الوثنية وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فضلت على ملل الكتابيين اللذين قال الله فيهم: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [سورة المائدة:79][2] ولهذه الآية نظائر من مثل قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [سورة البقرة:143] أي أمة خيارا شهداء على الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3]. وأمة محمد ﷺ هي خير الأمم بالأمر بالمعروف الذي هو جماع الخير وبالنهي عن المنكر الذي هو جماع الشر ونذير الهلكة، وجعلت هذه الأمة هي الخيرة على جميع الأمم من جهتين: الأولى؛ لكونها كملت نفسها بما هي أهل له من معرفة الحق ولزومه والجهة الثانية؛ في أنها تسعى في تكميل غيرها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[4]. ومن وجهة نظر عقلية؛ قيمة الناس ما يتقنونه أو بالأحرى ما يستطيعون به نفع الناس كما قيل خير الناس أنفعهم للناس وفي الإسلام أوجب الله على كل مسلم من هذه القيمة من القيم كل بحسب حاله

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن" ص73.

(2) ينظر محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (51-50/4).

(3) جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل"، (358/2).

(4) ينظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص143.

وبحسب مقامه، بل هذا فرض وأصل ما ينبني عليه المجتمع وبه يقوم للناس دينهم وتسلم لهم دنياهم من الخراب، وهذ «أصل عظيم يترتب عليه بتوفيق الله صلاح الأمة ونجاتها، حتى عده بعض أهل العلم من أركان الإسلام، وقال: إنه الركن الثامن من أركان الإسلام، وذكر الأركان الخمسة وذكر الركن السادس الجهاد في سبيل الله، ثم ذكر الركن السابع والثامن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركن ... أي ركنان والحقيقة أنهما ركن واحد»[1] .

وإن التواصي بالخير كالتواصي بالحق واجب في حق الأمة إجمالا، إلا أنه في بعض الأحيان يكون واجبا على أفرادها على التعيين وفي غالب الأمور يكون واجب عليهم كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين مصداقا لقول الله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢﴾ [سورة التوبة:122]، وهذا التقسيم لفريضة الدعوة إلى الخير من حيث وجوبها العيني والكفائي لا يسقط على كل فرد من أفراد الأمة وجوب الاستعداد بما يلزم له هذا الأمر الجلل، يقول صاحب المنار: «إن دعوة الأمة غيرها من الأمم إلى الخير الذي هي عليه لا يطالب بها كل فرد بالفعل إذ لا يستطيع كل فرد ذلك، وإنما يجب على كل فرد أن يجعل ذلك نصب عينيه حتى إذا عن له بأن لقي أحدا من أفراد تلك الأمم دعاه، لا أنه ينقطع لذلك ويسافر لأجله، وإنما يقوم بهذا طائفة يعدون له عدته، وسائر الأفراد يقومون به عند الاستطاعة ... إن الجهل ليس بعذر للمسلم لأنه يجب أن يكون عالما»[2]، وبهذا العمل الدؤوب من الأمة في مجال التواصي بالخير واعداد العدة لذلك يصدق عليها قول الله جل وعلا: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [سورة آل عمران:110].

والدعوة إلى الخير على مراتب عديدة أجملها صاحب تفسير المنار في مرتبتين[3]: الأولى دعوة هذه الأمة غيرها من الأمم ليشاركوها في الهدى والنور اللذين هي فيهما، وهذا مطلوب بحكم جعلنا أمة وسطا وشهداء على الناس وبحكم قول الله تعالى في المؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ

(1) ابن باز، "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب صلاح الأمة ونجاتها"، الموقع الرسمي: https://binbaz.org.sa/discussions/136 تاريخ الاطلاع: 2021/02/09م.

(2) "تفسير المنار" (4/ 29).

(3) ينظر: "تفسير المنار" (4/ 23 وما بعدها)

أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [سورة الحج:41].

والمرتبة الثانية هي دعوة المسلمين بعضهم بعضا إلى الخير وتآمرهم بالمعروف وتناهيهم عن المنكر ولهذه المرتبة طريقان؛ واحدة واجبة في حق خصوص الأمة كما سبقت الإشارة إليها ودل عليها قوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢﴾ [سورة التوبة:122]. والطريق الثانية واجبة على عموم الأمة ويدل عليها عموم الآيات التي توجب التواصي بالحق والتواصي بالصبر وهذه الأخيرة فريضة عامة يأخذ كل واحد منها بقدره. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات –في الجملة– ومع ذلك امتدحت به الأمة كلها وتعليل ذلك من جهتين:[1] **الجهة الأولى**؛ أنه لا يخلو مسلم من القيام بما يستطيع به من هذا الأمر، على حسب مبلغ العلم ومنتهى القدرة فمن التغيير على الأهل والولد إلى التغيير على جميع أهل البلد. **والجهة الثانية**؛ وجود فئة من المجتمع –فئة العلماء العاملون– تقوم بهذا الواجب أوجب فضيلة لجميع المجتمع. لكون هذه الفئة منها كما كانت القبيلة تفتخر بمحامد طوائفها، وفي هذا ضمان من الله تعالى بأن ذلك لا ينقطع من المسلمين.

وإن للدعوة إلى الخير –المقصود هنا الخير الذي جاء به القرآن الكريم– شروط وقواعد، إذ الشرط في انتشار دعوة الخير هو كونها مؤسسة على طريقة صحيحة لا كون الدعوة في نفسها صحيحة فحسب، وقد أوصل هذه الشروط صاحب تفسير المنار إلى إحدى عشر شرطا في تفسيره[2]، وهي عنده في مجلته الغراء أقل من ذلك في العدد ولكنها تقاربها من حيث المضمون لأنه مزج بين ما تفرق عند شيخه من الشروط، ويعتبر كل شرط منها علما قائما بحد ذاته يجب على داعية الخير من الأمة أن يكون على دراية بها ولو على سبيل الإجمال. وأجملها بعض أهل العلم في ثلاثة شروط منطقية هي: العلم التام بما يدعو إليه من الخير والبصيرة في دعوته والثالث العلم التام بحال المدعو[3]. وفيما يلي تلخيص لما ذكر في المنار من شروط وعلوم يحتاجها الداعية إلى الخير:

أولا: العلم التام بما يدعو إليه؛ وأهم ما في هذا الشرط العلم بالقرآن وإنما ينظر فيه قبل كل شيء إلى كونه هدى وعبرة وموعظة وكذلك العلم بما صح عن النبي ﷺ من السنن.

---

(1) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (94/4). بتصرف

(2) ينظر: "تفسير المنار" (32/4 وما بعدها).

(3) ينظر: ابن عثيمين، "شرح ثلاثة الأصول"، ص22.

ثانيا: العلم بالحالة الاجتماعية للمدعوين، وشاهده من تاريخ المسلمين ما ارتضاه صحابة رسول الله ﷺ من أن يكون أبو بكر خليفة عليهم وما ذلك إلا بسبب معرفتهم له أنه أعلم العرب بالأنساب وطبائع القبائل العربية وثمرة معرفته ذلك هو بصيرته التي حملته على قتال القبائل المرتدة بعد وفاة رسول الله ﷺ مع ما عرف عنه من اللين والسهولة؛ لكنه رزق قوة العلم.

ثالثا: مناشئ علم التاريخ وهو –والله أعلم- فقه التاريخ والسنن الإلهية، وفائدته للداعية لا تخفى على ذي لب، لذا كان القرآن الكريم كثير الإيراد لعبر التاريخ.

رابعا: علم تقويم البلدان ليعد الدعاة لكل بلاد منها عدتها إذا أرادوا السفر إليها. وإن الجاهل بالتاريخ لا يصلح أن يكون فردا من الأمة الداعية إلى الإسلام الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر في الأمور العامة على الوجه الذي يرجى قبوله (1).

خامسا: علم النفس وحده بقوله: العلم الباحث عن قوى النفس وتصرفها في علومها وتأثير علومها في أعمالها الإرادية (2).

سادسا: علم الأخلاق وهو العلم الذي يبحث فيه عن الفضائل وكيفية تربية المرء عليها، وعن الرذائل وطرق توقيه منها وهو ضروري (3).

سابعا: علم الاجتماع وهو العلم الذي يبحث فيه عن أحوال الأمم في بداوتها وحضارتها وأسباب ضعفها وقوتها وتدليها وترقيها(4).

ثامنا: علم السياسة، وليس مقصودا منه ما يعرف في الفقه الإسلامي بأبواب السياسة الشرعية وإنما المراد العلم بحال دول العصر وما بينها من الحقوق والمعاهدات وما لها من طرق الاستعمار(5).

تاسعا: العلم بلغات الأمم التي يراد دعوتها وشاهد هذا الشرط من القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [سورة إبراهيم:4].

(1) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (4/ 33).
(2) المرجع نفسه، (4/ 33).
(3) المرجع نفسه، (4/ 34).
(4) المرجع نفسه، (4/ 34).
(5) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (4/ 35).

عاشـرا: العلم بالفنون والعلوم المتداولة التي توجه إليها الدعوة، ويحتاج من هذا العلم بقدر ما يفهم به الدعاة ما يورد على الدين من شـــبهات تلك العلوم، والجواب عنها بما يليق بمعارف المخاطبين بالدعوة(1).

حادي عشر: معرفة الملل والنحل ومذاهب الأمم فيها ليتيسر للدعاة بيان ما فيها من الباطل، فإن من لم يتبين له بطلان ما هو عليه لا يلتفت إلى الحق الذي عليه غيره وإن دعاه إليه (2).

والملاحظ أن هذه ال الشروط نادرة الاجتماع في شخص واحد بعينه ولعل مقصود الشيخين هو ما يجب أن يكون عليه جماعة من المنبرين للدعوة إلى الخير بحيث يعين بعضــهم البعض ويكمل بعضــهم البعض وهذا ما نلتمسه من كلام رشيد رضا في شرط تعلم اللغات الأجنبية فقد أشار إلى ضرورة تأسيس العمل الجمعوي المنظم –والله أعلم–.

(1) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (4/ 36).

(2) المرجع نفسه، (4/ 36).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني: الخير حلية المسلم

في الصحيحين عن النعمان بشير رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب))(1)، خص الله سبحانه وتعالى جنس الحيوان بالقلب، ثم خص الله عزوجل نوع الإنسان –من دون الحيوان- بالعقل ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الحج:46]. فالقلب هو آلة البصيرة بالنسبة للإنسان يدرك به الحقائق ويميز بين الخير والشر ويتذوق به الجمال وهو محل الإرادات والعزائم التي هي بواعث الأعمال. والخير مضمر أصله في القلب لا يطلع على حقيقته فيه إلا الله سبحانه وتعالى وبه تكون الدوافع للجوارح التي تتحرك فيما يعود على الإنسانية قاطبة –فردا وجماعة- بالخير ، وبه يكون الجزاء على العمل –عند الله سبحانه وتعالى- في الدنيا والآخرة، يخبر الله سبحانه وتعالى عن أسرى بدر وبالأخص العباس عم النبي ﷺ أنه إن يعلم الله في قلوبهم الخير وهو الإسلام والإيمان فلا ينبغي لهم أن يحزنوا على ما أخذ منهم من الفداء، لأن الله سيعوضهم –جزاء على ما في قلوبهم من صدق- خيرا مما أخذ منه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الأنفال:70]، وفي الآية فضل إضمار الخير والنيات الصالحة(2).

وعلامة الخيرية التي في القلب هي إرادته والباعث له على العمل، وتتجلى هذه الإيرادات في الأمارات التي تحتّف بالعمل فتشير إلى أنه ما أراد به إلا وجه الله سبحانه وتعالى يقول عزوجل في من أنفق أمواله يريد ثواب الله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة الإنسان:8-10]، فالآية «تصور شعور البر والعطف والخير ممثلا في إطعام الطعام، مع حبه بسبب الحاجة إليه. فمثل هذه القلوب لا يقال عنها: إنها تحب الطعام الذي تطعمه للضعاف المحاويج على اختلاف أنواعهم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) متفق عليه رواه البخاري في صحيحه (20/1) برقم:(52)، ومسلم في صحيحه (50/5) برقم: (1599).

(2) ينظر: أبو بكر جابر الجزائري، "أيسر التفاسير"، 332/2.

إلا أن تكون في حاجة هي إلى هذا الطعام، ولكنها تؤثر به المحاويج، وهذه اللفتة تشي بقسوة البيئة في مكة بين المشركين وأنها كانت لا تفضي بشيء للمحاويج الضعاف وإن كانت تبذل في مجالات المفاخرة الشيء الكثير، فأما الأبرار عباد الله فكانوا واحة ظليلة في هذه الهاجرة الشحيحة. وكانوا يطعمون الطعام بأريحية نفس، ورحمة قلب، وخلوص نية. واتجاه إلى الله بالعمل، يحكيه السياق من حالهم، ومن منطوق قلوبهم: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠﴾ [سورة الإنسان:9-10]، فهي الرحمة الفائضة من القلوب الرقيقة الرفيقة، تتجه إلى الله تطلب رضاه؛ ولا تبتغي بها جزاء من الخلق ولا شكرا، ولا تقصد بها استعلاء على المحتاجين ولا خيلاء»[(1)]. وفي مقابل هذه الصورة النيرة الوضيئة للقلوب الخيرة الطيبة التي يملؤها حب الله وحب الخير أن يوصل إلى عباد الله جميعا؛ يصور لنا القرآن صورة قاتمة سيئة لقلوب لا تنفق إلا في سبيل المحمدة والخيلاء، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًاۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٦٤﴾ [سورة البقرة:264]، يصف صاحب الظلال هذه الآية بأنها دستور الانفاق في الإسلام، وقال: «يرسم هذا الدستور مظللاً بظلال حبيبة أليفة ويبين آدابها النفسية والاجتماعية، الآداب التي تحول الصدقة عملاً تهذيبياً لنفس معطيها وعملاً نافعاً مربحاً لآخذيها وتحوّل المجتمع عن طريقها إلى أسرة يسودها التعاون والتكافل، والتواد والتراحم وترفع البشرية إلى مستوى كريم: المعطي فيه والآخذ على السواء»[(2)].

جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت))[(3)]، في الحديث تأكيد لأن صلاح الجوارح تبع وأثر لصلاح القلب ودليل على أن قلب العبد عامر بالخير، كامل الإيمان فيرى أثر ذلك على لسانه فهو لا ينطق إلا بالخير، بل «ومن تعاليم الإسلام تعويد هذا اللسان على نطق الخير، وزجره والحذر منه، حتى لا ينطق بكلمة سوء ولو كانت

---

(1) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (3781/6).

(2) المرجع نفسه، (304/1).

(3) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه (11/8) برقم: (6018)، ومسلم في صحيحه (49/1) برقم: (47).

في محلها، كما قال ﷺ: ((لا تلعنوا الشـيطان، واسـتعيذوا بالله منه))[1]، يقول بعض العلماء: هو ملعون فلن تأتي بشـيء جديد، بل يخاف عليك أن تتعود هذا اللفظ فتوقعه في غير محله، فتبوء بإثمه عياذا بالله! وفي بعض الروايات: (فإنه يتعاظم في نفسه)، فلا تعود لسـانك النطق بهذه الكلمة، وإذا كان الإنسـان يتحرى قول الخير أو يصـمت عن الكلام، فلن يقع في غيبة، ولن يقع في نميمة، ولن يقع في كذب، ولن يقع في تدليس، وكل المخاطر يتجنبها»[2]. والمسلم يعلم يقينا من كتاب ربه أنه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [سـورة ق:18]، وفي الكتاب العزيز حث على استعمال جارحة اللسـان في الخير من قول حسـن أو اصـلاح بين الناس؛ قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [سـورة الإسـراء:53]. «يأمر الله تعالى رسـوله بأن يبلغ عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبات الناس من المشـركين وغيرهم ومحاوراتهم معهم الكلام الأحسـن للإقناع، والكلمة الطيبة، وهو ألا يكون بيان الحجة مخلوطا بالشـتم والسـب والأذى»[3]واسـتنبط صـاحب التحرير والتنوير بدلالة الأولى أن هذا الخلق إن كان في تعامل المسلمين مع غيرهم من المشركين فمن باب أولى أن يتخلق به المسـلمون في تعايشـهم مع بعضـهم البعض، فيقول رحمه الله: «والمقصـد الأهم من هذا التأديب تأديب الأمة في معاملة بعضـهم بعقضا بحسـن المعاملة وإلانة القول، لأن القول ينم عن المقاصـد»[4] ، وابن السـعدي يرى الآية قاعدة مهمة في حياة المسـلم اليومية فكلامه كله حسـن فهو يتقلب بين ذكر لله وقراءة للقرآن وبين أمر بمعروف ونهي عن منكر، وهذا التهذيب للنفس يثمر –ولا شـك– تهذيبا لجميع الجوارح فتطيب حياة المسـلم بالقول الحسـن، يقول في تفسـيره: «﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ﴾ وهذا أمر بكل كلام يقرب إلى الله من قراءة وذكر وعلم وأمر بمعروف ونهي عن

---

(1) لم أجده بهذا اللفظ ولعله ما ورد عن أبي المليح عن أبيه قال: كنت رديف النبي ﷺ فعثر بعيري، فقلت: تعس الشيطان. فقال النبي ﷺ: (لا تقل تعس الشيطان فإنه يعظم حتى يصير مثل البيت ويقول: بقوتي صرعته ولكن قل: بسم الله فإنه يصغر حتى يصير مثل الذبابة). أخرجه النسائي في السنن الكبرى (205/9) برقم: (10313). وصححه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" (211/3) برقم: (3128).

(2) عطية محمد سالم، شريط صوتي «شرح الأربعين النووية لعطية سالم»: https://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid=135503#135504، تاريخ الإطلاع: 2022/03/29.

(3) وهبة الزحيلي، "التفسير المنير"، (5/39).

(4) الطاهر بن عاشور، "التحريروالتنوير"، (132/15).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

منكر وكلام حسن لطيف مع الخلق على اختلاف مراتبهم ومنازلهم، وأنه إذا دار الأمر بين أمرين حسنين فإنه يأمر بإيثار أحسنهما إن لم يمكن الجمع بينهما، والقول الحسن داع لكل خلق جميل وعمل صالح فإن من ملك لسانه ملك جميع أمره»(1).

وقال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء:114]، في الآية برهان ساطع على أن اللسان له شأنه في الحياة الاجتماعية الإسلامية، فهو وسيلة من وسائل البناء الاجتماعي ووسيلة من وسائل الحفاظ على التكامل والتكافل الاجتماعيين، وكل ما أمر الله بإعمال النجوى فيه هو من المنافع المتعدية: الصدقة والأمر بالمعروف والإصلاح بين الناس، ففي هذه الآية تعميم للخير بالقول الطيب، ونهى الله سبحانه وتعالى في آيات أخر عن ضد هذا السعي باللسان فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ [سورة المجادلة: 9-10].

وما أرسل الله الرسل ولا أنزل عليهم الكتب إلا ليوحي إليهم فعل الخير وتعليمه للناس ليتواصوا به بينهم لعلهم يفلحون، كما قال تعالى حاكيا الحال التي امتن الله بها على أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الأنبياء:73]. قال ابن السعدي: «﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ يفعلونها ويدعون الناس إليها، وهذا شامل لجميع الخيرات كلها، من حقوق الله، وحقوق العباد»(2). والحث على السعي في الخير –على وجه الإجمال– مقصد من مقاصد القرآن الكريم التي أعاد فيها وأبدى، وكيف لا يكون كذلك وهو الصراط المستقيم، صراط أمر الله سبحانه وتعالى باتباعه، وصراط سلكه عباد الله المنعم عليهم من الأنبياء والصديقين والشهداء

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص460.

(2) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص527.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والصالحين كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾﴾ [سورة النساء:69]، وقال سبحانه مبينا حال أنبيائه في سلوكهم الطريق إليه جل وعلا: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [سورة الأنبياء:90].

ومن سيما الصالحين ومن الأدلة الدالة على صلاحهم عند الله سبحانه وتعالى هو المسارعة إلى الخيرات كما نبه الله سبحانه وتعالى إلى ذلك لما وصف حال الصالحين من أهل الكتاب فقال سبحانه: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [سورة آل عمران:114] والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه(1)، قال ابن السعدي: «﴿يسارعون في الخيرات﴾ أي: يبادرون إليها فينتهزون الفرصة فيها، ويفعلونها في أول وقت إمكانها، وذلك من شدة رغبتهم في الخير ومعرفتهم بفوائده وحسن عوائده»(2). ولما كان الشأن كل الشأن في فعل الخيرات وجب كذلك أن يكون هذا الفعل على الوجه المطلوب المرغب فيه شرعا، فنبه سبحانه وتعالى عباده المؤمنين أن لا يلتفتوا إلى الشرائع التي يدخلها النسخ والتغيير من ملة إلى أخرى ومن نبي إلى آخر و أن يلتفتوا إلى فعل الخير الذي رغب فيه في كتابه العزيز والمسابقة إليه –ومن باب أولى أن لا يلتفتوا إلى تلك النظم السفلية التي مصدرها أرضي لا سماوي أصلا–، قال تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [سورة المائدة:48]. ولما أمر الله عباده المؤمنين بأن يستقبلوا الكعبة بصلاتهم لفت انتباههم إلى هذا المعنى فقال جل وعلا: ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [سورة البقرة:148]، يقول ابن السعدي رحمه الله: «أي: كل أهل دين وملة، له وجهة يتوجه إليها في عبادته، وليس الشأن في استقبال القبلة، فإنه من الشرائع التي تتغير بها الأزمنة والأحوال، ويدخلها النسخ

(1) جمال الدين القاسمي، " محاسن التأويل" (2/ 390).

(2) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص144.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والنقل، من جهة إلى جهة، ولكن الشـــأن كل الشـــأن، في امتثال طاعة الله، والتقرب إليه، وطلب الزلفى عنده، فهذا هو عنوان السعادة ومنشور الولاية، وهو الذي إذا لم تتصف به النفوس، حصلت لها خسـارة الدنيا والآخرة، كما أنها إذا اتصـفت به فهي الرابحة على الحقيقة، وهذا أمر متفق عليه في جميع الشـرائع، وهو الذي خلق الله له الخلق، وأمرهم به»[1] ويذهب أهل الفقه بعيدا في الحث على الاسـتباق إلى الخيرات فيجعلون الآية نصـا في تفضـيل أول وقت الصـلاة عن آخره وفي اسـتحباب تعجيل الحج والعمرة وتعجيل إخراج الزكاة ....[2] قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [سورة المؤمنون:61]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢﴾ [سورة فاطر:32].

(1) عبد الرحمن السعدي ، "تيسير الكريم الرحمن" ، ص73.

(2) المرجع نفسه، ص73.

المطلب الثالث: مصاحبة أهل الخير

مصاحبة أهل الخير مع التعاون والنصرة والمؤازرة هي الواجب الذي تفرضه الإنسانية على كل فرد من أفرادها وهي الواجب الذي يؤكده القرآن، فيلزم المؤمنين لزوم مصاحبة أهل الخير والاجتماع معهم على الخير وينهاهم أشد النهي عن الشر الذي هو ضد ذلك؛ قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [سورة المائدة:2]، ويأمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يلزم مصابرا اللذين تعلقت قلوبهم بالله يعبدونه لا يشركون به شيئا وهم للخير ملازمون وللشر مجتنبون، وأمره سبحانه وتعالى أن لا يلتفت إلى أولئك اللذين متعهم الله بزينة الحياة الدنيا فأغرتهم وأغفلتهم عن الخير وكانوا ممن قال الله فيهم: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٢﴾ [سورة الحجر:72]، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [سورة الكهف:28]، في الآية «الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد، ما لا يحصى»(1)، والآية وإن كانت تخاطب النبي ﷺ فهي خطاب لأمته من بعده. وأمره الله سبحانه وتعالى في موضع آخر بأن يخفض جناحه للمؤمنين: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [سورة الحجر:88].

من شيم أولي الألباب من المؤمنين تخير الخلطاء من أهل الخير، خاصة إن كان في هذه الخلطة ملازمة وتأثير على العبد المؤمن في دينه وعقيدته وقيمه من مثل ما أخبر الله سبحانه وتعالى بما يجب على المؤمنين والمؤمنات من عدم عقد النكاح مع المشركين والمشركات لما في ذلك من خطر الإفساد بالمخالطة والمعاشرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٢١﴾ [سورة البقرة:221]. بين الله

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص475.

تبارك وتعالى «الحكمة في تحريم نكاح المسلم أو المسلمة، لمن خالفهما في الدين فقال: ﴿أولئك يدعون إلى النار﴾ أي: في أقوالهم أو أفعالهم وأحوالهم، فمخالطتهم على خطر منهم، والخطر ليس من الأخطار الدنيوية، إنما هو الشقاء الأبدي»(1) وبالقياس العقلي المنطقي؛ أولى بالمؤمن اختيار الخلطاء والأصحاب الخيريين وتجنب ضدهم من الأشرار(2). وسوء العاقبة هو البرهان الساطع على وجوب مجانبة الأشرار كما وصف الله سبحانه وتعالى حال المتصاحبين في الشر يوم القيامة فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الفرقان:27-29] فهذه الآية تنعى على من لن لم يسلك سبيل الرسول ﷺ وتصف تندمه على صحبة الأشرار يقول صاحب الظلال في قوله تعالى ﴿يا وَيْلَتى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلًا﴾ «فلانا بهذا التجهيل ليشمل كل صاحب سوء يصد عن سبيل الرسول ويضل عن ذكر الله»(3).

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص99.

(2) ينظر: عبد الرحمن السعدي، "المواهب الربانية من الآيات القرآنية"، ص22.

(3) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (2560/5).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الرابع: اجتناب الشر والفساد

الشر اسمٌ جامع للرذائل والخطايا، والسوء، والفساد، وكذلك المصائب والبلايا [1]، والعنصرين الأخيرين في حده غير مقصودين بالبحث هنا، إذ هما من قضاء الله الكوني والقدري وليس للإنسان فيه اختيار من جهة تكوينه وإيجاده. ويقرر ابن سعدي في قواعده المتعلقة بالقرآن وعلوم تفسيره – تحت القاعدة السبعين–أن «القرآن كفيل بمقاومة جميع المفسدين ولا يعصم من جميع الشرور إلا التمسكُ بأصوله وفروعه وتنفيذ شرائعه وأحكامه»[2] وجعل أصل الشرور والفساد الحاصلين في الأرض مرجعهما إلى محورين رئيسين: أحدهما المبطلون في عقائدهم وأديانهم ومذاهبهم اللذين يدعون إليها، والمحور الثاني: من المقاومين للأديان والدنيا والسياسات والحقوق.[3] بينما جعل أصحاب موسوعة التفسير الموضوعي ميادين الشر كثيرة وهذا بالنظر إلى موضوع الشر في حد ذاته، أما باعتبار محل وقوعه فقد جعله الباحث على نوعين شر دنيوي وشر أخروي ولكل نوع أقسام وليس يهم الباحث إلا التقسيم بالاعتبار الأول، نظرا إلى أن الاعتبار الثاني يدخل فيه ما ليس محل للبحث من القضاء والقدر اللذين هما من ربوبية الله لا من تدبير العباد، وأصول الشر إجمالا في العقائد والمعاملات والأخلاق التي وقع التصريح في القرآن الكريم بأنها شر؛ ما يلي:[4]

أولا: الكفر

والحجة في هذا الفطرة والعقل والنقل، أما الفطرة فلما تقرر في مبحث الحق في الفصل الأول؛ أن الانسان مفطور على معرفة كبرى الحقائق الكونية التي في مقدمتها أنه مربوب للملك الخالق المدبر لهذا الكون، وكل ما خالف هذا الأصل فهو مناف لأصول الخير مناقض لها بالكلية، أما حجية الحق على أن الشرك شر محض هو أنه لما تقرر في الفطرة أن الإنسان وغيره مربوب لله رب العالمين وأن الله تبارك وتعالى هو المالك المدبر المتصرف في الكون فلا بد إذا من أن يكون هو وحده سبحانه وتعالى المستحق للعبادة وحده لا شريك له، ودل على هذا النقل من الكتاب العزيز في مواضع عديدة منها قول الله عزوجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ۝٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٢١ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ

(1) "موسوعة التفسير الموضوعي" (222/19).

(2) عبد الرحمن السعدي، "القواعد الحسان لتفسير القرآن"، ص165.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص165 وما بعدها.

(4) ينظر: "موسوعة التفسير الموضوعي" (228/19 وما بعدها). بتصرف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأنفال:20-23]، وصف الله الكافرين بأنهم شر الدواب لأنهم عطلوا آلة التعقل التي أكرم الله بها الانسان ليميز بين الحق و الباطل وبين الخير و الشر وفي الآيات لطائف ودلالات في كون الكفر شر محض بل هو أكبر الشرور في الأرض منها: تشبيه الكفار بالبهائم، بل جعلهم الله شرًا منها، إذ إن الكافر لا يسمع الحق والبهائم لا تسمع، ولا ينطق به والبهائم لا تنطق، ويأكل والبهائم تأكل، بقي أنه يضر والبهائم لا تضر ، فكيف لا يكون شرًا منها؟!، ومنها أسلوب التوكيد ﴿إن شر الدواب﴾ للجملة الاسمية لتؤكد أن أخطر ميادين الشر هو الكفر والبعد عن الإيمان بالله تعالى [1].

ثانيا: البخل بما منّ الله به على الانسان

جعل الله الشر في البخل بكل أنواعه وفي شتى صوره سواء البخل بالمال أو البخل بالعلم وكتمان الحق أو البخل بالجاه ...[2] والحجة فيه قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٨٠﴾﴾ [سورة آل عمران:180]،الآية نص في أن البخل بفضل الله الذي تفضّل به على العبد فلا ينفقه لا يعود عليه بالخير بل هو شر له، والتنصيص على شريته لهم، مع انفهامها من نفي خيريته، للمبالغة في ذلك[3]، والحكمة في ترك النص على أن البخل المذموم هنا هو البخل بما يجب بذله مما يتفضل الله به على المكلف، هي أن في العموم من التأثير في النفس ما ليس للتخصيص.[4]

ثالثا: ترك الجهاد

في القيم التي تضمنها القرآن الكريم ويحرسها فريضة الجهاد الإسلامي يقول عبد الرحمن بن ناصر السعدي: «الجهاد الإسلامي مرماه وغرضه الوحيد إقامة العدل، وحصول الرحمة، واستعباد الخلق لخالقهم، وأداء الحقوق كلها، ونصر المظلومين، وقمع الظالمين، ونشر الصلاح والإصلاح المطلق

(1) ينظر: "موسوعة التفسير الموضوعي" (229/19).

(2) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (211/4-212).

(3) جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل" (467/2).

(4) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (212/4).

بكل وجه واعتبار، وهو من أعظم محاسن دين الإسلام»[1]، ويقول صاحب الظلال: «إن القتال في سبيل الله فريضة شاقة، ولكنها فريضة واجبة الأداء، واجبة الأداء لأن فيها خيراً كثيراً للفرد المسلم، وللجماعة المسلمة، وللبشرية كلها، وللحق والخير والصلاح»[2]، وتلك هي المقاصد الحسنة الخيرة التي تضمنتها هذه الشريعة القرآنية، فما شرع القتال في الإسلام إلا حفاظا على القيم الكبرى من الحق والخير وغيرهما من الضياع بسبب النزعة الحيوانية التي تعتري البشر فيبغي بعضهم على بعض ويبغي بعضهم على الحق ويستعلي عليه ويرغم الناس على تركه أو يستعلي على حقوق البشر المختلفة ويسلبها إياهم، ولهذا قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [سورة البقرة:216] وفي الآية لطيفة تربوية تضمنها المنهج الرباني في تهذيب النفوس البشرية وحملها على التحلي بالحق وترك ومجانبة الشر؛ ألا وهي مراعاة جانب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى الركون إلى ما فيه الراحة للنفس والبدن، يقول صاحب الظلال: «الإسلام يحسب حساب الفطرة فلا ينكر مشقة هذه الفريضة، ولا يهون من أمرها. ولا ينكر على النفس البشرية إحساسها الفطري بكراهيتها وثقلها. فالإسلام لا يماري في الفطرة، ولا يصادمها، ولا يحرم عليها المشاعر الفطرية التي ليس إلى إنكارها من سبيل.. ولكنه يعالج الأمر من جانب آخر، ويسلط عليه نوراً جديداً إنه يقرر أن من الفرائض ما هو شاق مرير كريه المذاق ولكن وراءه حكمة تهون مشقته، وتسيغ مرارته، وتحقق به خيراً مخبوءاً قد لا يراه النظر الإنساني القصير.. عندئذ يفتح للنفس البشرية نافذة جديدة تطل منها على الأمر ويكشف لها عن زاوية أخرى غير التي تراه منها. نافذة تهب منها ريح رخية عند ما تحيط الكروب بالنفس وتشق عليها الأمور.. إنه من يدري فلعل وراء المكروه خيراً. ووراء المحبوب شراً. إن العليم بالغايات البعيدة، المطلع على العواقب المستورة، هو الذي يعلم وحده. حيث لا يعلم الناس شيئاً من الحقيقة. وعند ما تنسم تلك النسمة الرخية على النفس البشرية تهون المشقة، وتتفتح منافذ الرجاء، ويستروح القلب في الهاجرة، ويجنح إلى الطاعة والأداء في يقين وفي رضاء. هكذا يواجه الإسلام الفطرة، لا منكراً عليها ما يطوف من المشاعر الطبيعية، ولا مريداً لها على الأمر الصعب بمجرد التكليف. ولكن مربياً لها على الطاعة، ومفسحاً لها في الرجاء. لتبذل الذي هو أدنى في سبيل الذي هو خير ولترتفع على ذاتها متطوعة لا مجبرة، ولتحس بالعطف الإلهي

---

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن" (1/ 109).

(2) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (223/1).

الذي يعرف مواضـع ضـعفها، ويعترف بمشـقة ما كتب عليها، ويعذرها ويقدرها ويحدو لها بالتسـامي والتطلع والرجاء»[1].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (223/1).

المبحث الرابع: الخير وما يضاف إليه في القرآن الكريم

وفيه المطالب التالية:

- المطلب الأول: الخير مضاف إلى الله تعالى
- المطلب الثاني: الخير مضاف إلى اليوم الآخر
- المطلب الثالث: الخير في الشريعة القرآنية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع: الخير وما يضاف إليه في القرآن الكريم

الخير مرغوب فيه لذاته ولآثاره الحميدة وعواقبه المجيدة، والخير ومن أخص خصـــائص قيم الإسلام الخالدة، وتحصيل قيم الخير متنوع في الإسلام وكثيرة هي سبلها كثرة شعب الإيمان نفسه، وللخير ميادين كثيرة في القرآن الكريم وهو فيه بحسب ما يضاف إليه فقد يضاف إلى الله سبحانه وتعالى وقد يضـــاف إلى المخلوق، وقد يأتي مطلقا وقد يأتي مقيدا، وفيما ما يلي من مطالب بيان لميادين الخير في القرآن الكريم على وجه التفصيل:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: الخير مضافا إلى الله تعالى

الخير أثر من آثار أسماء الله جل وعلا فأسماؤه سبحانه وتعالى حق معانيها ومتحقق آثارها ومن آثارها الخير العميم، و«الخير يضاف إلى الله عز وجل فيدخل في أسمائه ضمنا من جهة المعنى الذي يدل عليه كثير من الأسماء الحسنى، ويدخل في صفاته وأفعاله ومفعولاته وينسب إليه وصفا وفعلا وقضاء ... ويضاف الخير إلى الله إضافة تمليك فكما أنه سبحانه وتعالى هو مالك الضر فهو مالك النفع وبيده الخير»[1]، والخير يتجلى في نعم الله على العالمين عامة وعلى الانسان خاصة، وآلاء الله في الكون لا تعد ولا تحصى والآيات في القرآن الكريم التي تذكر الانس و الجن بنعم الله عليهم وهي من الخير كثيرة ومتنوعة، فآيات تبين كيف بسط الله الأرض للناس وسلك لهم فيها سبلا وقدر فيها أقواتها وجعل فيها مروجا وأنهارا ... وإنها لمسخرة لهم بما فيها وتظهر في ذلك التسخير من العجائب وبدائع الصنائع ما يبهر العقول يوما بعد يوم كلما ارتقى الانسان في معرفة أسرار الكون كلما تجلت له في الكون موافقات شتى تسمح له بالوجود في أحسن حال وتيسر له الحياة ولو اختلت واحدة من تلك الموافقات لتعذرت هذه الحياة أو تعسرت، إن الخير الإلهي يتجلى في نظام الحياة الذي تحيا في الكائنات ويعيش فيه الإنسان وإنه لخير عظيم ممتد إلى حيث يمتد البصر آلاء الله تتولى أمر الانسان وغيره في كل خطوة يخطوها في الحياة وقبل الحياة وبعد الحياة![2]

ومن الخير الجليل الذي امتن الله به على عباده ما أحيا به الله الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة من الماء النازل من السماء «والحياة على هذه الأرض كلها تعيش على ماء المطر إما مباشرة، وإما بما ينشئه من جداول وأنهار على سطح الأرض. ومن ينابيع وعيون وآبار من المياه الجوفية المتسربة إلى باطن الأرض منه، ولكن اللذين يعيشون مباشرة على المطر هم اللذين يدركون رحمة الله الممثلة فيه إدراكا صحيحا كاملا. وهم يتطلعون إليه شاعرين بأن حياتهم كلها متوقفة عليه، وهم يترقبون الرياح التي يعرفونها تسوق السحب، ويستبشرون بها ويحسون فيها رحمة الله- إن كانوا ممن شرح الله صدورهم للإيمان»[3].

وقد يضاف الخير إلى الله سبحانه وتعالى في سياق المفاضلة بين المتقابلات فيكون الله جل شأنه خيرا –ولله المثل الأعلى- مما اتخذه كثير من البشر أندادا له سبحانه وتعالى كما قال السحرة لفرعون لما تبينت لهم الآيات البينات ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ

(1) أمل بنت عبد الله آل عبد السلام، "الخير في القرآن الكريم –دراسة موضوعية-"، ص28.

(2) ينظر: سيد قطب، "في ظلال القرآن" (3178/5-3179).

(3) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (2570/5).

وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ [سورة طه:73]، و«المعنى: أن الله خير لنا بأن نؤثره منك، والمراد: رضى الله، وهو أبقى منك، أي جزاؤه في الخير والشر أبقى من جزائك فلا يهولنا قولك ﴿ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى﴾»[1]، وكما أن الله خير لهم لما له من الثواب الجزيل والعاقبة الحسنة؛ فإنه سبحانه وتعالى خير فى ذاته من فرعون وأبقى منه؛ لأنه باق لا يزول ملكه، ولا يذل ولا يموت، ولا يعزل بخلاف فرعون وغيره من ملوك الدنيا فإنه لا يبقى، بل يموت أو يعزل، أو يذل بعد العز[2]، ويحتمل أن يكون المعنى كذلك أن الله خير فى إيصال الخير ودفع الشر منك وأبقى خيره من خيرك وعذابه من عذابك[3].

ومن الخير الذي أختص الله به هو معيته لعباده الصالحين اللذين يؤثرونه ويؤثرون مرضاته على كل ما سواه مما تطمع إليه النفس وتهواه، فالله خير لمن توكل عليه حق التوكل ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ [سورة الجمعة:11] دل ظاهر الآية أن «ما أعده الله من الرزق للذين يؤثرون طاعة الله على ما يشغل عنها من وسائل الارتزاق جزاء لهم على إيثارهم جزاء في الدنيا قبل جزاء الآخرة، فرب رزق لم ينتفع به الحريص عليه وإن كان كثيرا، ورب رزق قليل ينتفع به صاحبه ويعود عليه بصلاح، قال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [سورة النحل:97]»[4]. وذكر صاحب التحرير و التنوير وجها جماليا ونكتة عقدية وسلوكية بديعة في قوله تعالى: ﴿والله خير الرازقين﴾ حيث قال: «وذيل الكلام بقوله: والله خير الرازقين لأن الله يرزق الرزق لمن يرضى عنه سليما من الأكدار والآثام، ولأنه يرزق خير الدنيا وخير الآخرة، وليس غير الله قادرا على ذلك، والناس في هذا المقام درجات لا يعلمها إلا الله وهو العالم بالسرائر»[5]، فمعرفة الخير الذي يختص الله به عباده المؤثرين له في كل حال ومقام يفيد النفس عند ميلانها إلى ما لا ينبغي فيذكرها الانسان العارف بالله ما يفوتها من الخير وشواهد هذا في القرآن الكريم كثيرة جدا وهو من

(1) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (267/16).

(2) ينظر: "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (4/ 594-595 ط عطاءات العلم)

(3) ينظر: "روح البيان" (5/ 407).

(4) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (28/ 229).

(5) "التحرير والتنوير" (28/ 230).

أنفع الأشياء في حصول الاستقامة للفرد لأن النهي و الأمر المجردين لا يكفيان أكثر الخلق في كفهم عما لا ينبغي، حتى يقرن بذلك ما يفوت من المحبوبات التي تزيد أضعافاً مضاعفة على الذي يكرهه الله، وتميل إليه النفس، وما يحصل من المكروه المرتب عليه كذلك [1].

ولما كان الخير كله مضافا إلى الله، فهو بيده سبحانه وتعالى يصرفه كيف يشاء ويمسكه عمن يشاء أمر نبيه أن يسأله وحده سبحانه ذلك الخير من فضله في كل شؤونه في الحياة : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة آل عمران:26] «أمره الله – تعالى – أن يلجأ هو ومن اتبعه إلى مالك الملك والمتصرف التصرف المطلق في الإعزاز والإذلال، وذكرهم في هذا المقام بأن الخير كله بيده فلا يعجزه أن يؤتي نبيه والمؤمنين من السيادة والسلطان ما وعدهم، وأن يعزهم ويعطيهم من الخير ما لا يخطر ببال اللذين يستضعفونهم ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾ [سورة القصص:5] على هذا الأصل أمر الله نبيه بأن يدعوه – والمؤمنون تبع له – بهذه الكلمات ويلجئوا إليه بهذه الرغبة» [2].

(1) ينظر: عبد الرحمن السعدي، "القواعد الحسان لتفسير القرآن"، ص118.

(2) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (3/ 224).

المطلب الثاني: الخير مضافا إلى الآخرة

في التصور الإسلامي للقيم يعتبر الخير عقيدة كما هو سلوك، هو عقيدة فيما يستيقنه المسلم من الجزاء الحسن على كونه من أهل الاستقامة على الحق و ملازمة الخير حلية وسلوكا في الدنيا والآخرة، وعقيدة كذلك في معرفة أن الخير الحقيقي بالنسبة للمؤمن هو ما أعده الله له في الآخرة من النعيم المعنوي والحسي على حد سواء، يقول صاحب الظلال تحت قول الله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝١٦ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝١٧﴾ [سورة الأعلى:16-17] «إن إيثار الحياة الدنيا هو أساس كل بلوى. فعن هذا الإيثار ينشأ الإعراض عن الذكرى لأنها تقتضيهم أن يحسبوا حساب الآخرة ويؤثروها. وهم يريدون الدنيا، ويؤثرونها.. وتسميتها "الدُّنْيا" لا تجيء مصادفة. فهي الواطية الهابطة- إلى جانب أنها الدانية: العاجلة: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقى﴾ .. خير في نوعها، وأبقى في أمدها. وفي ظل هذه الحقيقة يبدو إيثار الدنيا على الآخرة حماقة وسوء تقدير، لا يقدم عليهما عاقل بصير»[(1)]. ولا ينكر المسلم أن الخير موجود في الدنيا لكن في باب المتضادات والتفضيل بين شيئين فإن نعيم الدنيا كلا شيء بالنسبة إلى نعيم الآخرة؛ يقول ابن السعدي: «والآخرة خير من الدنيا في كل وصف مطلوب، وأبقى لكونها دار خلد وبقاء وصفاء، والدنيا دار فناء، فالمؤمن العاقل لا يختار الأردأ على الأجود، ولا يبيع لذة ساعة، بترحة الأبد، فحب الدنيا وإيثارها على الآخرة رأس كل خطيئة»[(2)]، يقول الله تعالى مبينا قيمة ما قد يحصله الانسان في هذه الحياة الدنيا من الخير بالنسبة إلى ما ادخره الله له يوم القيامة مما لا رأته عين ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٠﴾ [سورة القصص:60] و«هذا حض من الله لعباده على الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها، وعلى الرغبة في الأخرى، وجعلها مقصود العبد ومطلوبه، ويخبرهم أن جميع ما أوتيه الخلق، من الذهب، والفضة، والحيوانات والأمتعة، والنساء، والبنين، والمآكل، والمشارب، واللذات، كلها متاع الحياة الدنيا وزينتها، أي: يتمتع به وقتا قصيرا، متاعا قاصرا، محشوا بالمنغصات، ممزوجا بالغصص. ويزين به زمانا يسيرا، للفخر والرياء، ثم يزول ذلك سريعا، وينقضي جميعا، ولم يستفد صاحبه منه إلا الحسرة والندم، والخيبة والحرمان. ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من النعيم المقيم، والعيش السليم ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أي: أفضل في وصفه وكميته، وهو دائم أبدا، ومستمر سرمدا»[(3)]. وهذا الخير

(1) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (3894/6).

(2) "تيسير الكريم الرحمن"، ص921.

(3) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص621.

المشار إليه هنا في هذا المطلب يمثل مقصدا قرآنيا نبه إليه أهل العلم منذ القدم يقول أبو حامد الغزالي[1] في (جواهر القرآن) في بيان مقاصد القرآن ونفائسه الثلاثة المهمة، حيث كان ثالث المقاصد هو تعريف الحال عند ميعاد الوصال: «وهو يشتمل على ذكر الروح والنعيم الذي يلقاه الواصلون، والعبارة الجامعة لأنواع روحها الجنة، وأعلاها لذة النظر إلى الله تعالى»[2]، فهذا صريح في كون الخير كل الخير فيما أعده الله لعباده المتقين يوم القيامة وإن الشر كل الشر في أن يكون الانسان يومئذ من المحرومين. وأعلى تلك الخيرات التي تحصل بها المسرات هو النظر إلى إلى الذات الإلهية كما قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة القيامة:22-23]، يأتي بيان هذا الخير العميم والنعيم المقيم في الآيتين بعد الآية التي تذكر الانسان وماهو عليه من حب العاجلة وترك الآخرة، والإنسان مولع بحب العاجل، والآخرة متأخر ما فيها من النعيم المقيم فذكر سبحانه بعد ما يدعو إلى إيثار الآخرة بأحسن ما فيها ألا وهو النضر بالنظر إلى الله سبحانه وتعالى﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة القيامة:22-23] ألا «إن هذا النص ليشير إشارة سريعة إلى حالة تعجز الكلمات عن تصويرها كما يعجز الإدراك عن تصورها بكل حقيقتها، ذلك حين يعد الموعودين السعداء بحالة من السعادة لا تشبهها حالة، حتى لتتضاءل إلى جوارها الجنة بكل ما فيها من ألوان النعيم! هذه الوجوه الناضرة.. نضرها أنها إلى ربها ناظرة.. إلى ربها..؟! فأي مستوى من الرفعة هذا؟ أي مستوى من السعادة؟ إن روح الإنسان لتستمتع أحيانا بلمحة من جمال الإبداع الإلهي في الكون أو النفس، تراها ... فتغمرها النشوة، وتفيض بالسعادة، وترف بأجنحة من نور في عوالم مجنحة طليقة. وتتوارى عنها أشواك الحياة، ... فكيف؟ كيف بها وهي تنظر- لا إلى جمال صنع الله- ولكن إلى جمال ذات الله؟ ألا إنه مقام يحتاج أولا إلى مد من الله. ويحتاج ثانيا إلى تثبيت من الله. ليملك الإنسان نفسه، فيثبت، ويستمتع بالسعادة، التي لا يحيط بها وصف، ولا يتصور حقيقتها إدراك! ... وما لها لا تتنضر وهي إلى جمال ربها تنظر؟ إن الإنسان لينظر إلى شيء من صنع الله في الأرض. من

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) **أبو حامد الغزالي:** هو محمد بن محمد بن محمد الغَزَالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف. ولد سنة 450هـ وتوفي سنة: 505هـ. مولده ووفاته في الطابران بخراسان، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. من كتبه (إحياء علوم الدين) و (تهافت الفلاسفة) و(الوقف والابتداء) في التفسير، و(جواهر القرآن) و (فضائح الباطنية) قسم منه، و(الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة) و(ياقوت التأويل في تفسير التنزيل) و(فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) و(عقيدة أهل السنة) و(ميزان العمل) و(المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى) ... وله كتب بالفارسية. ينظر: [خير الدين الزركلي، "الأعلام"، (22/7)].

(2) "جواهر القرآن"، ص30.

طلعة بهية، أو زهرة ندية، أو جناح رفاف، أو روح نبيل، أو فعل جميل. فإذا السعادة تفيض من قلبه على ملامحه، فيبدو فيها الوضاءة والنضارة. فكيف بها حين تنظر إلى جمال الكمال»[1].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (3771/6) بتصرف.

المطلب الثالث: الخير في الشريعة الإسلامية

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٧﴾ [سورة يونس:57] هي آية جامعة في ما يتصف به القرآن الكريم من الخير في شرائعه وعقائده وغيرهما قال محمد رشيد رضا في الآية: «أي قد جاءكم كتاب جامع لكل ما تحتاجون إليه من موعظة حسنة لإصلاح أخلاقكم وأعمالكم الظاهرة، وحكمة بالغة لإصلاح خفايا أنفسكم وشفاء أمراضها الباطنة، وهداية واضحة للصراط المستقيم الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة، ورحمة خاصة للمؤمنين هي شجنة من رحمة رب العالمين، العامة للخلق أجمعين، يتراحمون بها فيما بينهم، فتكمل بها رحمته تعالى لهم، ورحمته للعالمين برسوله إليهم وبهم، وقد عرف هذا من تاريخهم أشهر فلاسفة التاريخ من الإفرنج فقال: (ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب) فكأن الله تعالى يقول للناس، بعد بيان هذه المقاصد الأربعة للقرآن، فما بالكم أيها الناس تكذبون بما لم تحيطوا به علما من أخبار هذا الكتاب، التي هي من علم الغيب عن المآل والمآب، ولا تفكرون في آدابه ومواعظه، وأحكامه وحكمه، وهداية نواميسه وسننه، وما فيها من المنافع والمصالح، التي لا يماري فيها عالم ولا يكابر فيها عاقل؟»(1)، وبين بعد ذلك المحاور والقضايا الكبرى التي ينبني عليها التشريع القرآني وتتجلى فيه مظاهر الخير والرحمة في أكمل صورها، حيث أجملت الآية الكريمة مقاصد ونتائج الإصلاح القرآني لأنفس البشر في هذه القضايا الأربع التي ما ذكرت إلا لتعظيم أمرها، أو لبيان أنهن نوع خاص لم يعهد الناس مثله(2):

القضية الأولى: الموعظة الحسنة وهي اسم من الوعظ أي الوصية بالحق والخير، واجتناب الباطل والشر، بأساليب الترغيب والترهيب التي يرق لها القلب، فتبعث على الفعل والترك، وقد تقدم في حقوق النساء من سورة البقرة: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [سورة البقرة:231] (3).

القضية الثانية: شفاء ما في الصدور أي شفاء جميع ما في القلوب من أدواء الشرك والكفر والنفاق، وسائر الأمراض النفسية التي يشعر صاحبها ذو الضمير الحي بضيق الصدر، من شك في الإيمان،

(1) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (11/ 328).

(2) ينظر: المرجع نفسه، (328/11 وما بعدها) بتصرف.

(3) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (11/ 328) بتصرف

ومخالفة للوجدان، وإضمار للحقد والحسد والبغي والعدوان، وحب للباطل والظلم والشر، وبغض للحق والعدل والخير(1).

القضية الثالثة: الهدى وهو بيان الحق المنقذ من الضلال في الاعتقاد والبرهان وفي العمل ببيان الحكم والمصالح في أحكام الأعمال(2).

القضـية الرابعة: الرحمة للمؤمنين وهي ما تثمره لهم هداية القرآن وتفيضـه على قلوبهم من رحمة ربهم الخاصـة، وهي صـفة كمال من آثارها إغاثة الملهوف، وبذل المعروف وكف الظلم، ومنع التعدي والبغي، وغير ذلك من أعمال الخير والبر، ومقاومة الشر(3).

وتظهر مظاهر الخيرية في التشريع القرآني من خلال مقاصد التشريع العامة التي نص عليها المفسرون في تفاسـيرهم، وخاصـة المقاصـد التي هي في ظواهر نصـوص القرآن الكريم كما في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الأعراف:28]، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأعراف:33]، حيث اسـتخلص محمد رشيد رضا من هذه الآيات وغيرها منارات تبين جانب الخير في التشريع الإسلامي، منها أن الشارع الحكيم حرم على الإنسان الفواحش وهي كل ظهر قبحه وعظم، وحرم الإثم وهو ما يضر وحرم البغي وهو تجاوز الحد بما يطغى على الحق ويذهب معالمه وحرم الشـارع الحكيم القول في دين الله بالجهل دون العلم وخاصـة القول على الله بغير علم ولا سـلطان بين اذ فيه تعد على حقوق الله جل وعلا، ومن منارات الخير في الشريعة الإسـلامية أنها حرمت كل قبيح في حكم العقل وفي حكم الإحسـاس الإنساني السليم فكل ما أمر الله تعالى به فهو حسن في نفسه، وإن خفي حسن بعضه على بعض ضـعفاء الناظرين، وكل ما نهي عنه فهو قبيح في نفسـه، وإن جهل قبحه بعض الغاوين، ولكن العقل

(1) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (11/ 329) بتصرف.

(2) المرجع نفسه، (330/11).

(3) المرجع نفسه، (331/11).

على إدراكه لذلك لا يستقل بمعرفة كل حسن وكل قبيح بالإحاطة والتحديد، بل تصده عن كثير من المحاسن والقبائح التقاليد والعادات وضعف النظر والبحث [1].

ومن مقاصد التشريع التي تتجلى فيها مظاهر الخيرية في القرآن الكريم «كونه وسطا جامعا لحقوق الروح، والجسد، ومطالب الدنيا والآخرة. وكون غايته الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة بتزكية النفس بالإيمان، ومعرفة الله، والعمل الصالح. وكون الغرض منه التعارف، والتأليف بين البشر لا زيادة التفريق والاختلاف. وكونه يسرا لاحرخ فيه، ولا عسر، ولا إرهاق، ولا إعنات. ومن فروع هذا الأصل أن الواجب الذي يشق على المكلف أداؤه، ويحرجه يسقط عنه إلى بدل أو إلى غير بدل، وقد تقدم التمثيل له. منع الغلو في الدين، وإبطال جعله تعذيبا للنفس بإباحة الطيبات والزينة دون إسراف، ولا تبذير. قلة تكاليفه، وسهولة فهمها. وانقسام تكالفيه إإلى عزائم ورخص، ليوافق بذلك كل طبائع الناس؛ لأنهم درجات في التقصير، والتشمير، والاعتدال. ومراعاة درجاتهم أيضا في العقل والفهم، وعلو الهمة وضعفها، فتنوعت بذلك أساليب القرآن، ودلالات ألفاظه. ومعاملة الناس بظواهرهم، وترك بواطنهم إلى الله، ومدار العقوبات على المخالفات العملية للأحكام، فليس لأحد مهما كان منصبه، ومقامه، مؤاخذة الناس بما يضمرون» [2].

وباب التشريع شطره الأكبر هو في غايته الكبرى تحقيق العبودية لله بامتثال ما أمر به واجتناب ما نهى الله عنه ولزوم شرائعه باب خير محض للإنسان كما قال الله تعالى عن بعض أنبيائه ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٦﴾ [سورة العنكبوت:16] وتدل الآية بدلالة المفهوم أن «ترك عبادة الله، وترك تقواه، لا خير فيه بوجه، وإنما كانت عبادة الله وتقواه خيرا للناس، لأنه لا سبيل إلى نيل كرامته في الدنيا والآخرة إلا بذلك، وكل خير يوجد في الدنيا والآخرة، فإنه من آثار عبادة الله وتقواه» [3].

وجاء في الكتاب الحكيم آيات كثيرة تصف شرائع الإسلام الربانية أنها خير للمسلمين الملتزمين بها، و الخير فيها ظاهر لمن تدبر وتعقل والخير فيها ظاهر كذلك لأهل العلم منها قوله تعالى في شأن الصلاة وما فيها من الخير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ

(1) ينظر: المرجع نفسه، (9/ 467-468). بتصرف

(2) عبد الله أكرزام، "الفكر المقاصدي في تفسير المنار"، ص255.

(3) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص628.

ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ [سورة الجمعة:9]، ومنها قول الله تعالى في شأن صيام رمضان أنه خير للمسلمين من الفدية عنه يوم كان رخصة لهم ذلك ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة:184]، من الآيات التي نصت كذلك على الخيرية في الشرائع ما ورد في شأن الصدقات كما قال الله تعالى: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ [سورة البقرة:280]، وقال تعالى في شأن الجهاد بالأموال والأنفس ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ [سورة التوبة:41]، وقال تعالى في آداب العشرة الاجتماعية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ [سورة النور:27].

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصـــل الرابع: قيم الجمــال في التفاسير المعاصرة

وفيه المباحث التالية:

- ❖ المبحـث الأول: مـدخل إلى القيم الجماليـة في القرآن الكريم
- ❖ المبحث الثاني: مقاييس الجمال
- ❖ المبحث الثالث: ميادين الجمال في القرآن الكريم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

الجمال محبوب -في كل شيء- فطرة وجبلة؛ وكل ما استحسنته العين أو أبهج القلب أو أبهر العقل فقد أجمعت القلوب على محبته، وليس لذلك حد ينتهي إليه، قال تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ [سورة فاطر:1]، والجمال فطره، ومن القبيح أن يخالف الفطرة من كرمه الله بها، قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ﴾ [سورة فاطر:8]، والجمال مما توعد به الشيطان أن يفسده على الانسان، وقد حذر الإنسان أن يذهب الشيطان عنه زينته التي فطره الله عليها ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾ [سورة الأعراف:27].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: مدخل إلى قيم الجمال

وفيه المطالب التالية:

- **المطلب الأول: التعريف اللغوي**
- **المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي**
- **المطلب الثالث: الجمال في القرآن الكريم**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: مدخل إلى القيم الجمالية

انقسم الجمال بحكم الطبيعة إلى ثلاثة أقسام: جمال حسي وجمال عقلي وجمال مركب منهما، والأمر المعتبر في هذا التقسيم هو ما يدرك به الجمال وطبيعة الجمال المدرك: فإن كان ما يدرك به هو الحس والحس هو الذي تحصل به اللذة والبهجة بهذا الجمال كان جمالا حسيا، وإن كان الجمال يدرك بالعقل فهو الجمال العقلي؛ وآيته القلب لما يطلع بالحقائق فيجد لها مسرة لا يعدلها عنده شيء، وإن كان الجمال يدرك بالعقل والحس معا فهو جمال مركب. ومثال القسم الأول قول الله تعالى في الأنعام التي يتكسبها الإنسان: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾ [سورة النحل:6]، ومثال القسم الثاني من الجمال ما قاله الله تعالى واصفا به كتابه العزيز: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١﴾ [سورة الكهف:1]، ومثال القسم الثالث من الجمال ما أمر الله به عباده أن يعملوا أبصارهم فيه الكرة بعد الكرة ليدركوا منتهى الاتقان في الصنعة والابداع في التناسق والزينة؛ قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ [سورة الملك:3-4]. وفي ما يلي من مطالب بيان لمعاني الجمال من منظور قرآني:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول : التعريف اللغوي للجمال

قال ابن فارس في معجمه: «(جمل) الجيم والميم واللام أصـــلان: أحدهما تجمع وعظم الخلق، والآخر حسـن»[1]، وجاء عند البعض أن الجمال هو الحسـن الكثير.[2] والذي يختص بهذا المقام هو الأصـــل الثاني «وهو ضـــد القبح، ورجل جميل وجمال، قال ابن قتيبة: أصـــله من الجميل وهو ودك الشحم المذاب، يراد أن ماء السمن يجري في وجهه. ويقال جمالك أن تفعل كذا، أي اجمل ولا تفعله »[3]، والجمال قد يكون في الخَلق أو في الخُلُق[4] ومن تصاريف هذا الأصل مما له معنى في هذا: [5] الجملاء: الجميلة، والتامة الجســم من كل حيوان. وتجمل: تزين، وأكل الشـــحم المذاب. وجامله: لم يصـفه الإخاء بل ماسـحه بالجميل، أو أحسـن عشـرته. وأجمل في الطلب: اتأد واعتدل فلم يفرط، وأجمل الصنيعة: حسنها وكثرها. وضد الجمال والجميل القبح والقبيح، وقد يكون القبح في الأعراض وفي الأشياء المركبة من أجزاء عديدة بحيث توصف بعدم انسجامها وتناسقها بما يوجب نفرة النفس والحواس عنها، وقد يكون القبح في الجوهر وهو النفس وطباعها وقبح الجوهر هو الذي يترجم في سوء الأخلاق والخفة والطيش وما يتبع ذلك من كل ما لا يؤنس له من سيء الطباع.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) "مقاييس اللغة" (1/ 481).

(2) الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن"، ص202.

(3) ابن فارس، "مقاييس اللغة" (1/ 481).

(4) ينظر: الفيروزابادي، "القاموس المحيط"، ص979.

(5) ينظر: المرجع نفسه، ص979.

المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي للجمال وموقف الإسلام منه

الجمال من المعاني التي تستعصي على الباحث في رسم حدودها، وذلك لأنه معنى لا يقوم بنفسه وإنما يقوم بغيره بحيث نستطيع رؤيته في الأعيان ونستشعره في الأعراض من الأخلاق والأفعال والتصرفات ...[1]، وبالرغم من ذلك فإنه «لا يمكن لأي ناقد أن يتناول أي موضوع سواء كان نصا أدبيا أو تشكيليا ... أو غير ذلك بمعزل عن الوعي الجمالي الكائن في بنية فكر الناقد نفسه وعن الوعي الجمالي الكائن في بنية الموضوع»[2] لهذا نجد في كتب العلم بمختلف الفنون محاولات لوضع حدود لمعنى الجمال منها، أن «الجمال: صفة تلحظ وتستحسنها النفوس السوية».[3] قال ابن القيم ﷺ: «حقيقة الحُسْنِ والجمال ... أمرٌ لا يُدْرَك إلا بالوصف، وقد قيل: إنَّه تناسُب الخِلْقة، واعتدالُها، واستواؤها، وربَّ صُورةٍ متناسبة الخِلْقة، وليست في الحُسن هناك، وقد قيل: الحُسْنُ في الوجه، والملاحةُ في العينين. وقيل: الحُسْنُ أمرٌ مركَّبٌ من أشياء: وضاءة، وصباحة، وحسنُ تشكيل، و تخطيطٍ، ودموثة في البشرة، وقيل: الحسنُ معنى لا تناله العبارة، ولا يُحيط به الوصفُ، وإنَّما للناس منه أوصافٌ أمكن التعبيرُ عنها»[4] وقال الشيخ الطاهر بن عاشور ﷺ : «الجمال: حسن الشيء في صفات محاسن صنفه، فجمال الصبر أحسن أحواله، وهو أن لا يقارنه شيء يقلل خصائص ماهيته».[5] والجمال ينقسم قسمين: ظاهر وباطن[6] وهذا الأمر مطرد في كل الملموسات والمحسوسات بل و وهو مطرد حتى في جنات النعيم التي وعد الله بها عباده المتقين هناك جمال ظاهر لأهل الجنة و آخر باطن، قال ابن القيم: «ويتعلَّق بهذا قوله تعالى في صفة أهل الجنة: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [سورة الإنسان:11]، فجمَّل ظواهرهم بالنَّضْرة، وبواطنهم بالسُّرور، ومثله قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [سورة القيامة:22-23]، فإنه لا شيء أشهى إليهم، وأقرُّ لعيونهم، وأنعم لبواطنهم من النَّظر إليه، فنضَّر وجوههم بالحسن، ونعَّم قلوبهم بالنظر إليه. وقريبٌ منه قوله تعالى: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ فهذا زينة الظاهر، ثم قال: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا

(1) ينظر: محمد بن جمعة العمراني، " الجمال في القرآن الكريم دراسة موضوعية"، ص11.

(2) عبد الفتاح رواس قلعه جي، "مدخل إلى علم الجمال الإسلامي"، ص7.

(3) محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، "معجم لغة الفقهاء" ص166.

(4) ابن القيم، "روضة المحبين ونزهة المشتاقين"، ص334.

(5) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (12/ 239).

(6) ابن القيم، "روضة المحبين ونزهة المشتاقين"، ص320.

﴿طَهُورًا﴾ [سورة الإنسان:2] أي: مطهرًا لبواطنهم من كل أذىً، فهذا زينة الباطن. ويشبهه قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾ فهذا زينةُ الظاهر، ثم قال: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ﴾ [سورة الأعراف: 26] فهذا زينةُ الباطن، وينظر إليه من طرف خفي قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا﴾ [سورة فصلت:12] فزيَّن ظاهرها بالمصابيح، وباطنها بحفظها من الشيطان. وقريبٌ منه قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [سورة البقرة:197] فذكر الزَّاد الظاهر، والزاد الباطن، وهذا من زينة القرآن الباطنة المضافة إلى زينة ألفاظه، وفصاحته، وبلاغته الظاهرة. ومنه قوله تعالى لآدم: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴿١١٩﴾﴾ [سورة طه:118-119] فقابل بين الجوع والعُري دون الجوع والظمأ، وبين الظمأ والضَّحْي دون الظمأ والجوع، فإن الجوع عُري الباطن، وذُلُّه، والعُرْي جوعُ الظاهر، وذُلُّه. فقابل بين ذل باطنه وظاهره، وجوع باطنه وظاهره، والظمأُ: حرُّ الباطن، والضحيُ: حرُّ الظاهر، فقابل بينهما»(1). ويمكن اختصار موقف الإسلام من الجمال في قول النبي ﷺ: ((إن الله جميل يحب الجمال))، فالله جميل في ذاته في أسمائه وصفاته وفي أفعاله فهو «سبحانه كاملٌ في أسمائه وصفاته، فله الكمالُ المطلقُ من جميع الوجوه؛ الذي لا نقصَ فيه بوجهٍ ما، وهو يحبُّ أسماءه وصفاته، ويحب ظهورَ آثارها في خلقه، فإنَّ ذلك من لوازم كماله، فإنَّه سبحانه وتْرٌ يُحِبُّ الوتْرَ، جميلٌ يحبُّ الجمالَ»(2) وكل جمال في الوجود فهو من جمال فعله سبحانه وتعالى وبديع صنعه جل جلاله وحسن تقديره وهو الحكيم العليم. ويدخل في مدلول هذا الحديث بطريق العموم الجمال من كل شيء، وإن كان سبب ورود الحديث في جمال الثياب خاصة(3). «وتطبيقا لهذا الحب الإلهي للجمال جاء الإسلام بالتنظيف والاغتسال، وحث على إزالة الأوساخ من الجسم بقص الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة وجعل هذا من خصال الفطرة وأمر بتنظيف الأسنان بالسواك ونحوه ورغب في استعمال الطيب حتى كان المسلمون أكثر الناس استعمالا

(1) ابن القيم، "روضة المحبين ونزهة المشتاقين"، ص336-337.

(2) المرجع نفسه، ص100.

(3) ينظر: ابن القيم، "الفوائد" (1/ 268).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

للطيب في أبدانهم وملابسهم ومساجدهم وأماكن جلوسهم»(1) ويزيد هذا الأمر بيانا ما ورد في السنة المطهرة أن النبي ﷺ كان يأمر أصحابه بالزينة وترك التوحش ولهذا لما جاء مالك بن نضلة إلى النبي ﷺ وعليه ثياب دون قال النبي ﷺ: (لك مال؟!) قال نعم؛ قَالَ : نَعَمْ ، مِنْ كُلِّ الْمَالِ . قَالَ : "من أيِّ المَالِ؟" قَالَ : قَدْ آتَانِي اللهُ من الإبل، وَالغنم، وَالخيل، وَالرَّقِيقِ . قَالَ : ((فَإِذَا آتَاكَ اللهُ مَالًا فَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ نِعْمَةِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ)) (2)، وجاء في الحديث عن النبي ﷺ: ((مَنْ كَانَ لَهُ شَعَرٌ فَلْيُكْرِمْهُ))(3)، وعن جابر بن عبد الله قال: أتانا رسول الله ﷺ ، فرأى رجلا شعثا قد تفرق شعره فقال: أما كان هذا يجد ما يسكن به شعره؟، ورأى رجلا آخر وعليه ثياب وسخة فقال: ((أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه؟))(4) بل ويأمر القرآن الكريم الناس أن يكونوا على أتم صور الجمال في عباداتهم التي هي في حقيقتها مناجاة رب العالمين والغاية منها الدار الآخرة ويشدد الإسلام على من تعنت وألزم الناس الرهبانية التي ما كتبها الله على عباده كما في قول الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣٢ ﴾ [سورة الأعراف:31-32]، فالجمال والزينة أصل إصلاحي في قيم المجتمع القرآني، فـ«الإسلام ما وصل إلى قوم ...إلا وعلمهم لبس الثياب بإيجابه للستر وللزينة إيجابا شرعيا، ولما أسرف بعض دعاة النصرانية الأوربيين في الطعن في الإسلام لتنفير أهله منه وتحويلهم إلى ملتهم، ولتحريض أوربة عليهم، رد عليهم بعض المنصفين منهم، فذكر في رده أن لانتشار الإسلام في إفريقية منه على أوربة بنشره للمدنية في أهلها بحملهم على ترك العري وإيجابه لبس الثياب الذي كان سببا لرواج تجارة النسيج الأوربية فيه» (5).

---

(1) عبد السلام البرجس، "الجمال"، https://www.burjes.com/article-7.html، تاريخ الاطلاع: 2022/02/23.

(2) أخرجه: أبو داود في "سننه" (168/6-169) برقم: (4063) والترمذي في "جامعه"(537/3) برقم: (2006)، وصححه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه على السنن لأبي داود.

(3) أخرجه أبو داود في "سننه" (4 / 125) برقم: (4163) والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (8 / 434) برقم: (3365) والطبراني في "الأوسط" (8 / 229) برقم: (8485) وحسنه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه على السنن لأبي داود.

(4) أخرجه: أبو داود في "سننه" (168/6) برقم: (4062)، وابن حبان في صحيحه (354/2) برقم: 1485. وصححه الألباني في كتابه: "غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام" برقم: (47).

(5) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار"، (341/8).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وينقل محمد رشيد رضا صورة من صور عناية الإسلام بالجمال ويعتبر هذه العناية عقلية إصلاحية تميز المنهج الرباني الذي جاء به القرآن الكريم وعلى لســـان النبي الكريم ﷺ، ويبين أثر هذه العقلية الإصلاحية الجمالية في تغيير السلوكات غير المرضية في ميزان الجمال الفطري والشرعي في الشعوب والأمم التي دخلها الإسلام فانتقل بها من الوحشية إلى صور جمالية راقية في ظل العقلية الإسلامية القرآنية، قال رحمه الله: «بل أقول: إن بعض الأمم الوثنية ذات الحضارة والعلوم والفنون كان يغلب فيها معيشة العري، حتى إذا ما اهتدى بعضهم بالإسلام صاروا يلبسون ويتجملون ثم صاروا يصنعون الثياب، وقلدهم جيرانهم من الوثنيين بعض التقليد، وهذه بلاد الهند على ارتقاء حضارة الوثنيين فيها قديما وحديثا لا يزال ألوف الألوف من نسائهم ورجالهم عراة أو أنصاف أو أرباع عراة، فترى بعض رجالهم في معاهد تجارتهم وصناعتهم بين عار لا يستر إلا السوءتين – ويسمونهما " سبيلين " وهي الكلمة العربية التي يستعملها الفقهاء في باب نواقض الوضوء – أو ساتر لنصفه الأسفل فقط، وامرأة مكشوفة البطن والفخذين أو النصف الأعلى من الجسم كله أو بعضه. وقد اعترف بعض علمائهم المنصــفين بأن المســـلمين هم اللذين علموهم لبس الثياب والأكل في الأواني. ولا يزال أكثر فقرائهم يضعون طعامهم على ورق الشجر ويأكلون منه، ولكنه خير من كثير من سائر الوثنيين سترا وزينة لأن المسلمين كانوا حكامهم، وقد كانوا ولا يزالون من أرقى مسلمي الأرض علما وعملا وتأثيرا في وثني بلادهم ...فمن عرف مثل هذا عرف قيمة هذا الأصل الإصلاحي في الإسلام، ولولا أن جعل هذا الدين المدني الأعلى أخذ الزينة من شـــرع الله – يعني أوجبه على عباده – لما نقل أمما وشـــعوبا كثيرة من الوحشية الفاحشة إلى الحضارة الراقية، وإنما يجهل هذا الفضل له من يجهل التاريخ وإن كان من أهله»(1). مما سبق يمكن استخلاص عدة ميزات تميز بها علم الجمال الإسلامي المستند للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة منها:

- الجمال في الطبيعة وغيرها مما خلقه الله –وكل ما خلقه الله جميل- من دلائل التوحيد، حيث «يردك الجمال في الطبيعة إلى الكلي المطلق الجمال، ويردك المطلق الجمال إلى إدراك تجلياته في الطبيعة، والارتدادا في الحالتين يكون عبر عملية توحيدية تؤكد وحدة الفكر ووحدة الجمال»(2) قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا

(1) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار"، (341/8).

(2) عبد الفتاح رواس قلعه جي، "مدخل إلى علم الجمال الإسلامي"، 24.

غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة النور:35]، ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ نور بشطريه، **الحسي والمعنوي**، وذلك « أنه تعالى **بذاته نور**، وحجابه –الذي لولا لطفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه– نور، وبه استنار العرش، والكرسي، والشمس، والقمر، والنور، وبه استنارت الجنة. وكذلك النور المعنوي يرجع إلى الله، فكتابه نور، وشرعه نور، والإيمان والمعرفة في قلوب رسله وعباده المؤمنين نور. فلولا نوره تعالى، لتراكمت الظلمات ... ووجه هذا المثل الذي ضربه الله، وتطبيقه على حالة المؤمن، ونور الله في قلبه، أن فطرته التي فطر عليها، بمنزلة الزيت الصافي، ففطرته صافية، مستعدة للتعاليم الإلهية، والعمل المشروع، فإذا وصل إليه العلم والإيمان، اشتعل ذلك النور في قلبه، بمنزلة اشتعال النار في فتيلة ذلك المصباح، وهو صافي القلب من سوء القصد، وسوء الفهم عن الله، إذا وصل إليه الإيمان، أضاء إضاءة عظيمة، لصفائه من الكدورات، وذلك بمنزلة صفاء الزجاجة الدرية، فيجتمع له نور الفطرة، ونور الإيمان، ونور العلم، وصفاء المعرفة، نور على نوره» [1].

- من كمال التوحيد محبة الجمال والسعي في إدراكه، فالحاجات الجمالية أساسية وإدراكها في الأعمال والأخلاق والفنون مطلب توحيدي مرتبط بالعقيدة، وخاصة جمال المؤمن في باطنه [2]، والله سبحانه يحب ظهور أثر نعمته على عبده؛ فإنه من الجمال الذي يحبه، وذلك من شكره على نعمه، وهو جمال باطن؛ فيحب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة والجمال الباطن بالشكر عليها[3]، وفي الجانب الاجتماعي من حياة المؤمن يقول النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[4]؛ ومحبة الخير من أجمل صور الترابط الإجتماعي التي تتجلى فيها إنسانية القيم الإسلامية في أبهى صورة، وهي صورة إجتماعية جعلها النبي ﷺ من كمال إيمان الفرد لا يتحقق له ذلك إلا بها.
- جمال المؤمن قسمان، جمال في الباطن وجمال في الظاهر، وجمال الباطن هو المحبوب لذاته وهو جمال العلم والعقل والنبل، وهو محل نظر الله من عبده وموضع محبته؛ يقول النبي ﷺ : ((إن الله

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص568.

(2) ينظر: عبد الفتاح رواس قلعه جي، "مدخل إلى علم الجمال الإسلامي"، ص28.

(3) ابن القيم "الفوائد" (1/ 268)

(4) متفق عليه: أخرجه البخاري في "صحيحه" (12/1) برقم: (13) ومسلم في "صحيحه" (49/1) برقم: (45).

لا ينظر إلى صـوركم وأموالكم ، ولكن إنما ينظر إلى أعمالكم وقلوبكم))[1]، يقول الإمام الغزالي رحمه الله عن الجمال في غير المحسوسات: «فاعلم أن الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات، إذ يقال: هذا خلق حسن، وهذا علمٌ حسن، وهذه سيرة حسنة وهذه أخلاق جميلة وإنما الأخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة وسائر خلال الخير وشيء من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة»[2]، وجمال الباطن هو الذي يزين الصورة الظاهرة أما الجمال الظاهر فهو زيادة في الخلق[3] ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [سورة فاطر:1]، أي: « يزيد بعض مخلوقاته على بعض، في صفة خلقها، وفي القوة، وفي الحسن، وفي زيادة الأعضاء المعهودة، وفي حسن الأصوات، ولذة النغمات»[4]، والجمال الباطن له أثره على جمال الأعمال ولهما معا أثرهما على جمال الظاهر؛ «قال بعض السلف: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ... وقال بعضهم: إن للحسنة نورا في القلب، وضياء في الوجه، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الناس»[5] وما أحسن ما علق به الحافظ بن كثير على مثل هذه النقولات عن السلف فقال: «والغرض أن الشيء الكامن في النفس يظهر على صفحات الوجه، فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله أصلح الله ظاهره للناس» [6].

- الجمال الحقيقي هو المتصل بالجمال الأعلى –أي التناسق بين الظاهر المرئي للناس مع الباطن الذي هو محل نظر الله عز وجل-، والجمال الخادع أو القيمة السلبية هو المنفصل عن الجمال الأعلى[7]، ومثاله ما حكاه الله تعالى عن أبي لهب فقال عزو جل: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [سورة المسد:1]، «وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم وهو عم رسول الله ﷺ،... ويقال: أنه كني بأبي لهب لتلهب وجهه جمالا»[8]، ولكن جمال وجهه وحسن نسبه لم يغنيا

---

(1) أخرجه مسلم في "صحيحه" (8 / 11) برقم: (2564) وابن حبان في "صحيحه" (2 / 119) برقم: (394) وابن ماجه في "سننه" (5 / 254) برقم: (4143).

(2) أبو حامد الغزالي، "إحياء علوم الدين" (4/ 299).

(3) ينظر: عبد الفتاح رواس قلعه جي، "مدخل إلى علم الجمال الإسلامي"، ص30-31 مع ص15.

(4) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص684.

(5) ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم" (7/ 361)

(6) المرجع نفسه (7/ 361)

(7) ينظر: عبد الفتاح رواس قلعه جي، "مدخل إلى علم الجمال الإسلامي"، ص30.

(8) ابن جزي، "التسهيل لعلوم التنزيل" (2/ 521).

عنه من غضب الله وسخطه ومن عذاب الآخرة شيئا. فـــ: «الجمال الباطن هو المحبوب لذاته، وهو جمال العلم، والعقل، والجود، والعفَّة، والشـــجاعة، وهذا الجمال الباطن هو محل نظر الله من عبده وموضـع محبته، كما في الحديث الصـحيح: (إن الله لا ينظر إلى صـوركم، وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[1]. وهذا الجمال الباطن يُزيّن الصـورة الظاهرة، وإن لم تكن ذات جمالٍ، فيكسـو صاحبه من الجمال، والمهابة، والحلاوة بحسب ما اكتسبت روحه من تلك الصفات، فإن المؤمن يُعطى مهابة، وحلاوة بحسب إيمانه، فمن رآه هابه ومن خالطه أحبه. وهذا أمرٌ مشـهودٌ بالعيان، فإنك ترى الرجل الصـالح، الحسـن، ذا الأخلاق الجميلة من أحلى الناس صـورة، وإن كان أسـود، أو غير جميل، ولاسيَّما إذا رُزق حظًّا من صلاة الليل، فإنَّها تُنوّر الوجه، وتحسِّنُه»[2]

- الاقتصـار في المفهوم الجمالي على اللذة الحسـية يؤدي إلى انعدام التوازن وينتهي إلى الخطيئة والقبح[3]، وفي هذا المعنى جعل ابن قيم الجوزية الناس في مســـألة الجمال وكيف ينظر إليه الله جل جلاله ثلاثة أصـــناف، هم طرفان ووســـط، أما الطرفان فقال في أولهما: «فريق قالوا: كل ما خلقه جميل؛ فهو يحب كل ما خلقه، ونحن نحب جميع ما خلقه؛ فلا نبغض منه شـيئا ... واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾ [سـورة السـجدة:7]، ... وهؤلاء قد عدمت الغيرة لله من قلوبهم والبغض في الله والمعاداة فيه وإنكار المنكر والجهاد في سـبيله وإقامة حدوده! ويرى جمال الصـور من الذكور والإناث من الجمال الذي يحبه الله، فيتعبدون بفسـقهم! ...»[4] وقال في الطرف الثاني الذي هو نقيض هذا فجعل من الجمال مذمة يجب أن يترفع عنها عباد الله المخلصين، فـ: «قد ذم سـبحانه جمال الصـــور وتمام القامة والخلقة؛ فقال عن المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ﴾ [سورة المنافقون:4]، ... وفي "صحيح مسلم" عنه ﷺ: ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)). قالوا: ومعلوم أنه لم ينف نظر الإدراك، وإنما نفى نظر المحبة. قالوا: وقد حرم علينا لباس الحرير والذهب وآنية الذهب والفضـة، وذلك من أعظم جمال الدنيا ... »[5] وبين ابن القيم فسـاد مذهب الفريقين السـابقين عن طريق بيان الوسـط في المسـألة وهو

---

(1) سبق تخريجه.

(2) ابن القيم، "روضة المحبين ونزهة المشتاقين"، ص320.

(3) عبد الفتاح رواس قلعه جي، "مدخل إلى علم الجمال الإسلامي"، ص24-25.

(4) ابن القيم، "الفوائد" (1/ 269).

(5) المرجع نفسه، (1/ 270).

مذهب في تفصيل يكون به فصل النزاع وقطع اللجاجة وبيان حكمة التشريع وسر من أسرار الوجود، قال رحمه الله: «وفصل النزاع أن يقال: الجمال في الصورة واللباس والهيئة ثلاثة أنواع: منه ما يحمد، ومنه ما يذم، ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم:

فالمحمود منه ما كان لله وأعان على طاعة الله وتنفيذ أوامره والاستجابة له؛ كما كان النبي ﷺ يتجمل للوفود، وهو نظير لباس آلة الحرب للقتال ولباس الحرير في الحرب والخيلاء فيه؛ فإن ذلك محمود إذا تضمن إعلاء كلمة الله ونصر دينه وغيظ عدوه.

والمذموم منه ما كان للدنيا والرئاسة والفخر والخيلاء والتوسل إلى الشهوات، وأن يكون هو غاية العبد وأقصى مطلبه؛ فإن كثيرا من النفوس ليس لها همة في سوى ذلك.

وأما **ما لا يحمد ولا يذم** فهو ما خلا عن هذين القصدين وتجرد عن الوصفين ».[1]

(1) ابن القيم، "الفوائد لابن القيم" (1/ 270-271).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث: الجمال في القرآن الكريم

الجمال مصدر للفعل جمل وهو ضربان أحدهما جمال يخص الإنسان في نفسه أو بدنه أو فعله، والآخر ما يتوصل منه إلى غيره وعلى هذا الوجه ما روي عن النبي ﷺ: ((إن الله جميل يحب الجمال))[1] تنبيها أنه منه تفيض الخيرات فيحب من يختص لذلك،[2] وكذلك الجمال: الحسن الكثير كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾ [سورة النحل:6]، ويقال جميل وجمال على التكثير كما في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥﴾ [سورة المعارج:5]،[3] وجاء في القرآن الكريم ألفاظ ذات معان دلالية مقاربة إلى حد بعيد لمعنى الجمال الذي نحن بصدد دراسته هنا، منها: الزينة ومنها الحسن ومنها البهجة.[4] والزين ضده الشين كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: (ما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه)[5]، وزيّن الشيء حسّنه وجمله ورغب فيه، وفي الأمور غير العينية بل المعنوية يقال زيّن الأمر أظهر حسنه وحسن عاقبته ورغب فيه، وفي الاصطلاح الإسلامي؛ الزينة في الحقيقة ما لا يشين الانسان في شيء من أحواله لا في الدنيا ولا في الآخرة[6].

والجمال في القرآن الكريم يلفت به إلى أمر جلل لا لمجرد التفكه ألا وهو الدلالة على الحق الذي أبدع كل شيء اتقن صنعه كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥﴾ [سورة يونس:5]، يقول صاحب الظلال: «هل هذا كله عبث؟ هل هذا كله باطل؟ هل هذا كله مصادفة؟ ... كلا ما يكون كل هذا النظام، وكل هذا التناسق، وكل هذه الدقة التي لا تتخلف معها حركة. ما يكون هذا كله عبثاً ولا باطلاً ولا مصادفة عابرة: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ﴾، الحق قوامه. والحق أداته. والحق غايته. والحق ثابت راجح راسخ. وهذه

(1) أخرجه مسلم في "صحيحه" (1 / 65) برقم: (91) ، (1 / 65) برقم: (91) ، (1 / 65) برقم: (91) .

(2) سليمان القرعاوي، "موسوعة الوجوه و النظائر"، (1/180-181).

(3) ينظر: المرجع نفسه، (1/181).

(4) ينظر: محمد بن جمعة العمراني، "الجمال في القرآن الكريم"، ص24 وما بعدها.

(5) أورده بهذا اللفظ ضياء الدين المقديسي في "الأحاديث المختارة"، (5/154) برقم: 1778 وصححه الألباني في "صحيح الجامع الصحيح" (2/972) برقم: (5654).

(6) السمين الحلبي، "عمدة الحفاظ"، (2/158).

الدلائل التي تشهد به واضحة قائمة دائمة: ﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ... فالمشاهد التي تعرض هنا في حاجة إلى العلم لإدراك التدبير الكامن وراء المشاهد والمناظر.»[(1)] ويبين دلالة الجمال والقبح الدنيوي على الجمال والعذاب الأخروي و«هذا هو منهج القرآن في مخاطبة الفطرة البشرية بآيات الله الكونية، المبثوثة حول الإنسان في هذا الكون والتي يعلم الله سبحانه أن بينها وبين فطرة الكائن البشري لغة مفهومة، وإيحاءات مسموعة! ولم يلجأ المنهج القرآني إلى الأسلوب الجدلي الذي جد فيما بعد عند المتكلمين والفلاسفة لأن الله يعلم أن هذا الأسلوب لا يصل إلى القلوب ولا يتجاوز منطقة الذهن الباردة التي لا تدفع إلى حركة ولا تؤدي إلى بناء حياة وقصارى ما تنتهي إليه حركة في الذهن البارد تتلاشى في الهواء! ولكن الأدلة التي يقدمها المنهج القرآني- بأسلوبه هذا- هي أقوى الأدلة المقنعة للقلب والعقل جميعاً- وهذه ميزتها- فإن وجود هذا الكون ذاته أولاً. ثم حركته المنتظمة المتسقة المضبوطة وما يقع فيه من تحولات وتغيرات تضبطها قوانين واضحة الأثر- حتى قبل أن يعرفها البشر- ثانياً.. إن هذا كله لا يمكن تفسيره بغير تصور قوة مدبرة ... والفطرة البشرية بجملتها- قلباً وعقلاً وحساً ووجداناً- تواجه هذه الدلالة، وتستجيب لها. وما يزال المنهج القرآني هذا يخاطب الفطرة بجملتها. يخاطبها من أقصر طريق، ومن أوسع طريق وأعمق طريق!!! واللذين يرون كل هذا، ثم لا يتوقعون لقاء الله ولا يدركون أن من مقتضيات هذا النظام المحكم أن تكون هناك آخرة، وأن الدنيا ليست النهاية، لأن البشرية لم تبلغ فيها كمالها المنشود واللذين يمرون بهذه الآيات كلها غافلين، لا تحرك فيهم قلباً يتدبر، ولا عقلاً يتفكر.. هؤلاء لن يسلكوا طريق الكمال البشري، ولن يصلوا إلى الجنة التي وعد المتقون. إنما الجنة للذين آمنوا وعملوا الصالحات، حيث يفرغون من نصب الدنيا وصغارها إلى تسبيح الله وحمده في رضاء مقيم»[(2)]، ويبين صاحب المنار هذه الغاية من تطلع الإنسان إلى معرفة كل ما هو جميل في الوجود مما هو من عالم الشهادة بل ويتعداه إلى التطلع إلى ما هو في علم الغيب مما يدهش البصائر ويطيش بالعقول ليتيقن بذلك من الحقائق الكبرى، فيقول رحمه الله: «ألا إن استعداد الإنسان أعلى من كل ذلك [يقصد مجرد التعلق بالجمال لذاته دون محبة موجد الجمال] فهو لا يقف عند حد اكتشاف المجهولات، ومعرفة ما في الأرض والسماوات، ومجالدة جليد القطب الشمالي. ومواثبة أسود أفريقية وأفاعي الهند، ومناصبة أمواج القاموس الأعظم، ومراقبة نجوم السماء في الليالي الليلاء، بل هو يبحث عن الماضي ليتعرف مبدأ الخلق والتكوين،

---

(1) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (1765/3).

(2) المرجع نفسه، (1766/3-1767).

ويبحث عن المستقبل ليعلم الغاية والمصير، بل هو يبحث عن حقيقة الخالق البارئ قبل أن يعرف شيئا من حقائق المخلوقات، وقبل أن يعرف نفسه واستعدادها وغرضها من بحثها واستقصائها، ترى هذا الإنسان الذي يحب هذه الأشياء التي لا تتناهى؛ لأنه خلق مستعدا لمعرفة لا تتناهى، قد يهيم حبا في بعضها حتى يشغله عن سائرها، وكلما كان موضوع حبه أعلى كان هو في نفسه أرقى وأسمى، ومنتهى **الرقي والسمو أن يحب في كل شيء معنى الجمال المودع في كل شيء، وهو الإبداع الإلهي والنظام الرباني فلا تحجبه المباني عن المعاني، ولا تشغله الأشباح عن الأرواح، فيلاحظ في كل جميل أحبه منشأ جماله، وفي كل كامل أجله مصدر كماله وفي كل بديع مال إليه علة إبداعه، وفي كل مخترع أعجب به الحكمة العامة في الإقدار على اختراعه...»**(1)

إبصار الصلة بين الجمال العلوي والجمال المبصر في الكون لا يتأتى إلى كل شخص من الناس كما بينه صاحب الظلال في التنويه عن عدم فقه البشر للتسبيح الذي تسبحه الكائنات لله رب العالمين، وذلك في قول الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الإسراء:44]، حيث قال:«(وَلكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) لا تفقهونه لأنكم محجوبون بصفاقة الطين، ولأنكم لم تتسمعوا بقلوبكم، ولم توجهوها إلى أسرار الوجود الخفية، وإلى النواميس التي تنجذب إليها كل ذرة في هذا الكون الكبير، وتتوجه بها إلى خالق النواميس، ومدبر هذا الكون الكبير. وحين تشف الروح وتصفو فتتسمع لكل متحرك أو ساكن وهو ينبض بالروح، ويتوجه بالتسبيح، فإنها تتهيأ للاتصال بالملأ الأعلى، وتدرك من أسرار هذا الوجود ما لا يدركه الغافلون، اللذين تحول صفاقة الطين بين قلوبهم وبين الحياة الخفية السارية في ضمير هذا الوجود، النابضة في كل متحرك وساكن، وفي كل شيء في هذا الوجود»(2)، فهذا الجمال في حقيقته سر من أسرار الله في كونه مرتبة وفق نواميس لا يرى منها إلا ظواهر تبهر العقول وتذهب الألباب تدل في جملتها على خالق بارئ مصور خلق كل شيء فأحسن خلقه، ولا يمكن بحال أن يرى آثار تلك الأسرار والنواميس الغافلون من الناس المحجوبون بحجاب الطين الملموس عن ضمير هذا الوجود الذي لا تدركه إلا الأرواح الصفية.

(1) "تفسير المنار" (235/3-236).

(2) "في ظلال القرآن" (2231/4).

المبحث الثاني: مقاييس الجمال في التفاسير المعاصرة

وفيه المطالب التالية:

- **المطلب الأول**: الجبلة والفطرة
- **المطلب الثاني**: الوحي الرباني
- **المطلب الثالث**: الذوق والوجدان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: مقاييس الجمال

حب الزينة والشغف بالجمال مما عرف من تتبع أحوال الناس أفرادا وأمما، وكان هذا الشغف من أسباب العمران؛ الإنسان يتعب في سبيل الزينة فوق ما يتعب ويبذل في سبيل ضروريات المعيشة، وكثير ما يفضلها عليها، والدراسات في جماليات مختلف الحضارات في العمران والفنون وغيرها مما يستهوي الكثير من الباحثين في هذا المجال، وفيما يلي يحاول الباحث تلمس المقاييس التي وضعها القرآن الكريم حاجزا فاصلا بين ما يذم من الإسراف في الترف المؤدي إلى المخيلة والكبر وبين ما يجب أن يكون عليه بنو آدم –والمؤمنون خاصة– من شكر للمنعم على ما خصهم الله به من الزينة والطيبات والله تعالى يقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ [سورة الأعراف:32]، بل إن على المؤمنين –بمقتضى الإيمان والإسلام– أن يكونوا أعلم من الكافرين بالعلوم والفنون والصناعات الموصلة إلى الجمال من كل شيء، كما نبه إلى ذا صاحب المنار[1] و«كانت الفلسفة اليونانية قد عنيت بدراسة الجمال أو فن الجمال، وكان لهذه الدراسة اتجاهان: مثالي ومادي، ثم جاء المسلمون، وقدّموا أفكارا جديدة في هذا المضمار ... فالجاحظ مثلا ارتبط مفهوم الجميل عنده بالنافع، فقد جاء في كتابه (الحيوان) عن حسن النار: (ولولا معرفتهم بقتلها وإتلافها، والألم والحرقة المولّدين عنها لتضاعف الحسن عندهم، وإنّهم ليرونها في الشتاء بغير العين التي يرونها بها في الصيف، ليس ذلك إلا ما حدث من الاستغناء عنها)» [2]. ونقل صاحب تفسير المنار عن الامام الغزالى أن: «الجمال والإحسان تارة يدرك بالبصر، وتارة يدرك بالبصيرة»[3].

وجدير بالتنبيه إلى أن مشاهد الجمال التي يلفت القرآن الكريم نظر الناس إليها مقاييسها مزيج بين النظر السليم والقلب النير والحس المتجدد ويكسو كل ذلك نور الإيمان وكثيرة هي فواصل الآيات التي تتحدث عن جماليات خلق الله وتكون من مثل قول الله تعالى: ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة:164] والحق أنه «لو ألقى الإنسان عن عقله بلادة الألفة والغفلة، فاستقبل مشاهد الكون بحس متجدد، ونظرة مستطلعة، وقلب نوّره الإيمان. ولو سار في هذا الكون كالرائد الذي يهبط إليه

(1) ينظر: محمد رشيد رضا،" تفسير المنار" (346/8).

(2) أحمد ياسوف، "جماليات المفردة القرآنية"، ص13.

(3) "تفسير المنار" (3/ 164).

أول مرة. تلفت عينه كل ومضـــة، وتلفت سمعه كل نأمة، وتلفت حســـه كل حركة، وتهز كيانه تلك الأعاجيب التي ما تني تتوالى على الأبصـار والقلوب والمشـاعر. إن هذا هو ما يصـنعه الإيمان. هذا التفتح. هذه الحســاسـية. هذا التقدير للجمال والتناسـق والكمال..إن الإيمان رؤية جديدة للكون، وإدراك جديد للجمال، وحياة على الأرض في مهرجان من صنع الله، آناء الليل وأطراف النهار » (1)

يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [سورة الأعراف:185]

ويقول سبحانه ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [سورة يونس:101].

(1) في ظلال القرآن، 153/1.

المطلب الأول: الجبلة والفطرة

النفس البشـــرية مجبولة على حب الجمال، وأقر الشـــرع الحنيف ما عليه الناس من الميل إلى الجمال وحب المظهر الجميل، ويشـهد لذلك كثير من النصـوص الشـرعية، فعن عبد الله بن مسـعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حســنا ونعله حســـنة، قال إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس))[1]، في الحديث إشارة إلى أن حب الانسان للجمال ليس منقصة فيه لما قد يتوهمه متوهم أن ذلك من الكبر، بل هو في ذلك الحب موافق للفطرة التي فطر الله الناس عليها بل هو متعبد لله بمعرفة أسمائه وصفاته والعمل على إيجاد أثر تلك المعرفة في سلوكاته وشخصيته. بأن يحب ما يحبه الله جل جلاله. وفي الحديث «إباحة التجمل بلبس الثياب الجميلة، والنعال الجميلة، لكن بشـــرط أن يخلو ذلك من المخيلة، والإسراف؛ لما أخرجه أحمد، والنسائي، وابن ماجه بإسناد صحيح، عن عمرو بن شـعيب، عن أبيه، عن جده ﷺ قال: قال رسـول الله ﷺ: ((كلوا، وتصـدقوا، والبسـوا في غير إسراف ولا مخيلة)) [2]. والأحاديث النبوية في هذا المعنى كثيرة[3] ولله الحمد والمنة، ومن الآيات الدالة على هذا المعنى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [ســـورة الأعراف:26]، في الآية الكريمة امتنان من الله على عباده من بني آدم مؤمنهم وكافرهم أنه لما خلقهم أول مرة ومن أول وجودهم على الأرض قد أنزل عليهم نوعين من اللباس لباس يوارون به ســـوءاتهم ولباس آخر يتزينون به، وبغض النظر عن مدلول الانزال هنا إلا أنه في الآية نص في كون الجمال والزينة فطرة جبل عليها الإنســان وأنزلت معه آلاتها منذ النشـأة الأولى. يقول الطاهر بن عاشـور في تفسيره: «وهذا تنبيه إلى أن اللباس من أصل الفطرة الإنسانية، والفطرة أول أصول الإسلام، وأنه مما كرم الله به النوع منذ ظهوره في الأرض، وفي هذا تعريض بالمشركين إذ جعلوا من قرباتهم نزع لباسـهم بأن يحجوا عراة كما [في تفسـير] قوله: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [سـورة الأعراف:32] فخالفوا الفطرة، وقد كان الأمم يحتفلون في أعياد أديانهم بأحســن اللباس، كما حكى

(1) أخرجه مسلم في "صحيحه" (1 / 65) برقم: (91).

(2) محمد آدم الأثيوبي، "البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج" (3/ 102).

(3) ينظر: محمد محمد عبد الغفور،"الجمال في ضوء السنة النبوية"، ص7 وما بعدها.

الله عن موسى عليه السلام وأهل مصر: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ [سورة طه:59] »[1]. ولما كان الإسلام حريصا على الحفاظ على فطرة الناس وتعزيزها في نفوسهم جعل ذلك من الشرائع التي يثاب عليها الناس مع حسن نياتهم في العمل بقصد التقرب إلى الله عزوجل ويشير إلى هذا المعنى صاحب المنار بقوله: «وامتنانه تعالى على بني آدم بلباس الزينة يدل على استحبابها، ولا يعارضه قوله تعالى في أوائل سورة الكهف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [سورة الكهف:7]، وإن فسر الحسن البصري إحسان العمل بترك الدنيا، وسفيان الثوري بالزهد فيها. ذلك بأن دين الإسلام هو دين الفطرة فليس فيه ما يخالف مقتضاها ويناقض غرائزها، بل هو مهذب ومكمل لها. وحب الزينة من أقوى غرائز البشر الدافعة لهم إلى إظهار سنن الله في الخليقة وأنواع نعمه على عباده»[2].

لا يخفى على ذي نظر وقلب حي ما تعانيه المجتمعات البشرية اليوم من فساد فطرهم وفساد أذواقهم وما آلت إليه النفوس من نزع جلباب الحياء عنها فشاع العري وفشا التفسخ حتى أصبح ما كان منكرا مذموما؛ محمودا دالا على التقدم والانفتاح، مما دعا صاحب الظلال أن يصور آلام الإنسانية اليوم في هذا الجانب مناشدا بني جلدتنا والعقلاء من بني آدم بأن تحيا ضمائرهم وترجع إلى الفطرة السوية نفوسهم ويقيموا مجمعاتهم على سنن الله الكونية غير مكابرين في ذلك فيقول: «إن ستر الجسد حياء ليس مجرد اصطلاح وعرف بيئي- كما تزعم الأبواق المسلطة على حياء الناس وعفتهم لتدمير إنسانيتهم، وفق الخطة اليهودية البشعة التي تتضمنها مقررات حكماء صهيون- إنما هي فطرة خلقها الله في الإنسان ثم هي شريعة أنزلها الله للبشر وأقدرهم على تنفيذها بما سخر لهم في الأرض من مقدرات وأرزاق، والله يذكر بني آدم بنعمته عليهم في تشريع اللباس والستر، صيانة لإنسانيتهم من أن تتدهور إلى عرف البهائم! وفي تمكينهم منه بما يسر لهم من الوسائل ... والزينة «الإنسانية» هي زينة الستر، بينما الزينة «الحيوانية» هي زينة العري.. ولكن «الآدميين» في هذا الزمان يرتدون إلى رجعية جاهلية تردهم إلى عالم البهيمة. فلا يتذكرون نعمة الله بحفظ إنسانيتهم وصيانتها!!! »[3]

ويؤكد صاحب المنار في تفسيره أن الزينة الصورية والمعنوية التي هي حقيقة الجمال هي أحد الغرائز الثلاث التي أودعها الله في البشر وجعلهم يميلون إليها بفطرهم؛ بعد غريزتي حب العلم والاستكشاف

(1) "التحرير والتنوير" (8-ب/ 74).
(2) "تفسير المنار" (8/ 320).
(3) "في ظلال القرآن" (1279/3).

وحب الشهوات الحسية والعقلية[1]. ويبين في موضع آخر أثر هذه الغريزة في سلوك الانسان وتصرفاته فيقول: «فالأنعام التي ينحصر استعدادها فيما به حفظ وجودها الشخصي والنوعي لا تميل إلا إلى الغذاء لحفظ الأول والنزوان لحفظ الثاني، وأما الإنسان فله استعداد لا يعرف له حد ولا نهاية وميله أو حبه ليس له حد ولا نهاية أيضا، وإنما تقف الأمراض الروحية ببعض أفراده أو جمعياته عند حدود معينة لفساد في التربية ومرض في مزاج الاجتماع، وهذا الاستعداد وما يتبعه أنصع الدلائل عند العالمين بنظام الأكوان على أن الإنسان خلق للبقاء لا للفناء وأن له حياة أخرى ينال بها كل ما خلق مستعدا له من العرفان، وأعلاه الكمال في معرفة الله. يحب الإنسان جمال الطبيعة، ويطربه خرير المياه وحفيف الرياح، وتغريد الأطيار على أفنان الأشجار، فيبذل المال الكثير لإنشاء الحدائق والجنات واجتلاب ما لم يوجد في بلاده من أنواع الطير والنبات، يعشق جمال الصنعة فينفق القناطير من الذهب والفضة في اقتناء الصور البديعة والنقوش الدقيقة، يهوى الوقوف على مجاهل الأرض والاطلاع على أحوال العالمين فيركب الأخطار ويقتحم البحار، ويسمح بالوقت والدينار يهيم بالرياسة فيستهين لأجلها باللذات ويزدري الشهوات وينافح في سبيلها الأقران، ويكافح في طلبها السلطان، يفتتن بحب أهل النجدة والشجاعة وقواد الجيوش فيبذل حياته لحفظ حياتهم ويتحمس في التحزب لهم بعد مماتهم، يولع بكبار العلماء فيتخذهم أئمة متبعين وإن حرم في اتباعهم من حقيقة العلم والدين، ويتعصب لهم على من خالفهم، وإن كان الحق يؤيده من دونهم - يهيم بالمعقولات السامية، والحكمة العالية، فيحتقر دونها المال والحياة والرياسة والإمارة، وينزوي في كسر بيته يعمل الفكر، ويروض النفس، ويصقل الروح معتقدا أن من سار سيرته فهو المغبوط، وأن الغافل عن ذلك هو المغبون»[2].

(1) ينظر: "تفسير المنار"، (345/8).

(2) "تفسير المنار" (3/ 235).

المطلب الثاني: الوحي الرباني

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ [سورة الأعراف:32]، إضافة الزينة إلى الله تعالى يؤذن باستحسانها والمنة بها وإخراجها للناس عبارة عن خلق موادها لهم وتعليمهم طرائق صنعها بما أودعه الله في فطرهم من حبها وفي عقولهم من الاستعداد للإبداع فيها ليبلوهم أيهم أحسن عملا وأكثرهم للمنعم شكرا وأوسعهم بسننه وآياته علما. وأفادت الآية الأمر بالزينة التي هي آلة التجمل الأولى خلافا لمن يزعم عكس ذلك من الديانات الباطلة؛ فالعرب في جاهليتها حرمت زينة اللباس في الطواف تعبدا وقربة ... وحرم غيرهم من الوثنيين وأهل الكتاب كثيرا من الطيبات والزينة، وأنكر عليهم الإسلام هذا التحكم والظلم للنفس، فالاستفهام في قوله تعالى: (قل من حرم؟) استفهام انكاري يدل على أن هذا التحريم من وسواس الشيطان لا مما يتعبد به الجميل الرحمن. ... وحاشا شرائع القرآن أن تأمر الناس بما يفسد عليهم معيشتهم أو يؤذي نفوسهم وأبدانهم أو يستوحش به بعضهم من بعض فإن للنظيف صحة ونشاط في الجسم وزكاء في الروح وعند الناس للجميل كرامة في النفوس والقلوب من وراء الأعين [(1)]، والنبي ﷺ يقول: ((إن الله جميل يحب الجمال)).

ونرى أهمية الجمال ومقاييسه بالنسبة للشرع الموحى به إلى رسل الله ليبلغوه إلى الناس في جوانب عديدة منه نجملها في جانبين مهمين، أولهما فيما وضع من جمال كسا به سائر شرائعه –وهو جمال معنوي– وثانيهما فيما رغب فيه من الجمال الحسي ليتحلى به خلقه، ولا يخفى على ذي لب أن الجانب الثاني ينبني على الجانب الأول الذي هو له كالأساس، فليس بجمال ما كان مقطوع الصلة بالجمال الإلهي الذي ارتضاه لعباده المؤمنين.

الجمال والزينة أصل إصلاحي في الإسلام؛ ولولا أن جعل هذا الدين المدني الأعلى؛ أخذ الزينة من شرع الله –يعني أوجبه على عباده– لما نقل أمما وشعوبا كثيرة من الوحشية الفاحشة إلى الحضارة الراقية، وإنما يجهل هذا الفضل له من يجهل حقائق التاريخ ... هذا دلالة لا يخالجها شك على أن للشرع مقاييس يرتقي بها بنو آدم في سلم الذوق الجمالي وهذا الملحظ الاجتماعي التاريخي الذي لفت صاحب المنار إليه الانتباه في تفسيره إذ يقول: «بعض الأمم الوثنية ذات الحضارة والعلوم والفنون كان يغلب فيها معيشة العري، حتى إذا ما اهتدى بعضهم بالإسلام صاروا يلبسون ويتجملون

(1) ينظر: محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (8/345-349) بتصرف.

ثم صاروا يصنعون الثياب، وقلدهم جيرانهم من الوثنيين بعض التقليد».[1] ثم نقل بعد هذا اعتراف بعض علماء الهند وما جاورها ممن اتصف بالإنصاف بأن المسلمين هم اللذين علموهم لبس الثياب والأكل في الأواني، ليخلص في الأخير إلى قاعدة في أصول التمدن الإسلامي مفادها أنه: حيث يقوى الإسلام يكون الستر والزينة اللائقة بكرامة البشر ورقيهم، ومن عرف مثل هذا عرف قيمة هذا الأصل الإصلاحي في الإسلام [2].

جعل الله تبارك وتعالى في الإيمان من معاني الجمال والجلال ما يزيد الراغب فيه إيمانا ويكسو المتحلي به بهاء فقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ [سورة الحجرات:7]، قال السعدي في تفسير الآية: «والله تعالى يحبب إليكم الإيمان، ويزينه في قلوبكم، بما أودع الله في قلوبكم من محبة الحق وإيثاره، وبما ينصب على الحق من الشواهد، والأدلة الدالة على صحته، وقبول القلوب والفطر له، وبما يفعله تعالى بكم، من توفيقه للإنابة إليه»[3]. ومن طرق التربية القرآنية هي رسم الصور المحببة للمؤمنين بما كسوا به من حلة الإيمان ولباس التقوى ورسم الصور المنفرة للكافرين لما نزعوا عن أنفسهم الصبغة التي أراد الله أن تكون لعباده المتقين ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ﴾ [سورة البقرة:138]. ويقرب الله جل وعلا في كتابه تلك المعاني الجميلة والصور الحسنة للمؤمنين وما يقابلها من ضدها للناس بضرب الأمثال من أجل توضيح المعاني النافعة وبيان تلك الصور الجمالية التي يصطبغ بها المؤمنون فهو يمثلها بالأمور المحسوسة ليصير القلب كأنه يشاهد معانيها رأي عين ﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ﴾ [سورة النور:35] أي: «ليعقلوا عنه ويفهموا، لطفا منه بهم، وإحسانا إليهم، وليتضح الحق من الباطل، فإن الأمثال تقرب المعاني المعقولة من المحسوسة، فيعلمها العباد علما واضحا»[4]. ومن تلك الصور الجمالية التي مثل الله بها لعباده وما هم عليه من جمال الباطن ما يتجلى –على سبيل المثال لا الحصر– في قول الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ

(1) "تفسير المنار" (8/ 341)
(2) المرجع نفسه، (8/ 341)
(3) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص800.
(4) المرجع نفسه، ص569.

﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٥ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ۝٢٦﴾ [سورة إبراهيم:24-26]، يرغب الله سبحانه وتعالى عباده في التمسك بأصول الإيمان التي تضمنتها كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) بأن بين لهم جمال تلك الأصول الإيمانية وهي لصاحبها كالشجرة الطيبة المحببة للمؤمنين فهم يتعاهدونها بالسقي لتبقى شامخة تجمل ناظرهم وينتفعون بها، وفي مقابل ذلك تلك الصورة القبيحة التي تنفر منها النفوس وتتأذى منها الأبدان لكل كلمة خبيثة في الأرض ... ويبين صاحب الظلال طريقة القرآن الكريم في بيان جمال العقيدة الإسلامية عن طريق قبح ما عليه أهل الملل من فساد في التصورات والمعتقدات «وإن جمال هذه العقيدة وكمالها وتناسقها وبساطة الحقيقة الكبيرة التي تمثلها.. كل هذا لا ينجلى للقلب والعقل كما يتجلى من مراجعة ركام الجاهلية من العقائد والتصورات، والأساطير والفلسفات! وبخاصة موضوع الحقيقة الإلهية وعلاقتها بالعالم.. عندئذ تبدو العقيدة الإسلامية رحمة. رحمة حقيقية للقلب والعقل، رحمة بما فيها من جمال وبساطة، ووضوح وتناسق، وقرب وأنس، وتجاوب مع الفطرة مباشر عميق»(1). وصور القرآن الكريم حال الكافرين ومن شاكلهم من أهل النفاق في الحياة الدنيا وضرب لذلك أمثالا تبين قبح الصور التي هم عليها منها قول الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝١٧١﴾ [سورة البقرة:171]، أي «ومثل اللذين كفروا فيما هم فيه من الغي والضلال والجهل كالدواب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا نعق بها راعيها، أي دعاها إلى ما يرشدها، لا تفقه ما يقول ولا تفهمه، بل إنما تسمع صوته فقط»(2).

رغب الشارع في الجمال في أشرف حالة؛ تلك الحالة التي يكون فيها المؤمن موصول الوجدان والعقل والروح بالخالق سبحانه وتعالى ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [سورة الأعراف:31]. والزينة ما يزين الشخص أو الشيء، وبحسب منطوق الآية فإن ما يتم به امتثال أمر هذه الآية الكريمة هو ما يدفع عن المرء أقبح ما يشينه بين الناس وهو ما يستر عورته، وإذا فعل المرؤ هذا أتى بأدنى الواجب، وإلا فإن إطلاق الأمر يدل على وجوب الزينة بحسب عرف الناس فيما يتزينون به ما لم يخالف شرعا –والعرف محكم في الشرع والحالة هذه–، ليكون العبد عند عبادة الله تعالى مع عباده المؤمنين في جماعاتهم في أجمل حالة لائقة به لا تكلف فيها ولا إسراف(3).

---

(1) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (24/1).

(2) وهبة الزحيلي، "التفسير المنير " (2/ 76).

(3) ينظر: محمد رشيد رضا، "تفسير المنار" (339/8).

المطلب الثالث: الذوق والوجدان

يعتبر الوجدان النفسي والفطري أقوى مقاييس الجمال في الإنسان، حيث «يجد كل حي من الأحياء ميلا من نفسه إلى ما به كمال فطرته على حسب استعدادها»[1] فيجد الإنسان في نفسه ميلا إلى كل ما هو جميل ويأنس بكل ما هو بديع في الصنع مصداقا لقول الله تعالى ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [سورة الكهف:7]، فكل ما على الأرض زينة وجمال فيها كما تفيده صيغة العموم في الآية، والجمال الذي تشير إليه الآية لا يدرك إلا عن طريق التأمل الذي هو مدد الوجدان ولهذا قرر بعض العلماء من الآية أن «كل ما على الأرض زينة لها من غير تخصيص، وعلى هذا القول: فوجه كون الحيات وغيرها مما يؤذي زينة للأرض؛ لأنه يدل على وجود خالقه، واتصافه بصفات الكمال والجلال، ووجود ما يحصل به هذا العلم في شيء زينة له»[2]، والوجدان مقياس للجمال المعنوي كما هو مقياس للجمال المحسوس، يبين محمد رشيد رضا قدرة العرب على تحسس الجمال في الكلام البليغ عند الكلام على قول الله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة هود:44]، فيقول: «عرف بلغاء قريش من بلاغة هذه الآية الروحية الكامنة في فصاحتها اللفظية الظاهرة وغيرها ما لم يعرفه بلغاء الفنون بعدهم منها، فكان هؤلاء أعلم بما للحسن والجمال الصوري في الكلام من المقاييس الفلسفية والموازين الفنية ودرجات الراجح على المرجوح. وكان أولئك أدق شعورا بما لهذا الحسن والجمال من السلطان على القلوب والحكم على العقول. مثال ذلك أن للجمال البدني في حسان النساء مقاييس وموازين لتناسب الأعضاء بعضها مع بعض يمكن ضبطها، والعدل في الحكم بينها، وأما الجمال المعنوي – وهو خفة الروح وسلطان التأثير في القلوب – فليس له مقياس ولا ميزان عشري يضبط به وزنه أو مساحته فيعرف الراجح من المرجوح، وإنما يعرف هذا الجمال الأعلى بملكة نفسية، لا بأوزان صناعية، كما قال الطيب في الخيل:

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها ... وأعضائها فالحسن عنك مغيب»[3].

ويعتري الذوق الجمالي في الفرد خلل وعلة تحول بينه وبين إدراك المعاني الجمالية في الأعيان والمعاني كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن مشركي قريش حال نظرهم إلى النبي ﷺ فقال سبحانه

---

(1) "تفسير المنار" (3/ 234).

(2) "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (4/ 22 ط عطاءات العلم).

(3) "تفسير المنار" (12/ 76).

وتعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [سورة الأعراف:198]، قال ابن السعدي رحمه الله: «إن معنى قوله ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ أن الضمير يعود إلى المشركين المكذبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتحسبهم ينظرون إليك يا رسول الله نظر اعتبار يتبين به الصادق من الكاذب، ولكنهم لا يبصرون حقيقتك وما يتوسمه المتوسمون فيك من الجمال والكمال والصدق»[1] وكمثال على التذوق الوجداني للجمال نسوق ما يصور به صاحب الظلال ذلك الشعور الجمالي الوجداني المتجسد في قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الإسراء:44]، فيقول: «وإنه لمشهد كوني فريد، حين يتصور القلب، كل حصاة وكل حجر، كل حبة وكل ورقة، كل زهرة وكل ثمرة، كل نبتة وكل شجرة، كل حشرة وكل زاحفة، كل حيوان وكل إنسان، كل دابة على الأرض وكل سابحة في الماء والهواء... ومعها سكان السماء.. كلها تسبح الله وتتوجه إليه في علاه. وإن الوجدان ليرتعش وهو يستشعر الحياة تدب في كل ما حوله مما يراه ومما لا يراه، وكلما همت يده أن تلمس شيئا، وكلما همت رجله أن تطأ شيئا.. سمعه يسبح لله، وينبض بالحياة»[2]، ومثالا عن دور الذوق الوجداني في مشاهدة معاني الجمال في التعابير القرآنية ما لاحظه محمد البشير الإبراهيمي في جمال عبودية الأنبياء والصالحين وحسن تعطفهم على قومهم وذرياتهم وابتغاء وصول الخير و الهداية إليهم فقال: «إن المتذوق لأسرار القرآن، المستخرج لِلَطَائِفِ المُقارنات بين نفوس المصطفين من عباد الله، لَيُدْرِكُ بالذوق النّفسي ذلك الحنان، وتلك الرقة التي تقطر من قول نوح اليائس من ابنه ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة هود:45]، وتلك الشدة من خطاب إبراهيم لأبيه، ومن إيذانه بالبراءة، بعد ما تبين له أنه عدوّ لله»[3] وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الزخرف:26-27]، وقول الله تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ

---

(1) "تيسير الكريم الرحمن"، ص313.

(2) "في ظلال القرآن"، (2230/4-2231).

(3) "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي" (1/ 395).

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [سورة الممتحنة:4].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: من ميادين الجمال في القرآن

وفيه المطالب التالية:

- **المطلب الأول**: الجمال الإلهي
- **المطلب الثاني**: جمال الكون
- **المطلب الثالث**: الجمال الإنساني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: ميادين الجمال في القرآن الكريم

كل جمال في الوجود تراه العين أو يحس به الوجدان أو تتذوقه النفس فهو -من المنظور الإسلامي- أثر من آثار جمال الله سبحانه وتعالى في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله فـ«من أسمائه الحسنى: الجميل، وفي الصحيح عنه -ﷺ-: ((إن الله جميل يحب الجمال))(1)، وجماله سبحانه على أربع مراتب: جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء؛ فأسماؤه كلها حسنى، وصفاته كلها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمةٌ ومصلحةٌ وعدلٌ ورحمةٌ. وأما جمال الذات وما هو عليه فأمرٌ لا يدركه سواه ولا يعلمه غيره، وليس عند المخلوقين منه إلا تعريفات تعرَّف بها إلى من أكرمه من عباده؛ فإن ذلك الجمال مَصُونٌ عن الأغيار، محجوبٌ بستر الرداء والإزار؛ كما قال رسوله ﷺ فيما يحكي عنه: ((الكبرياء ردائي والعظمة إزاري))(2)، ولما كانت الكبرياء أعظمَ وأوسع كانت أحقَّ باسم الرداء؛ فإنه سبحانه الكبير المتعال؛ فهو سبحانه العلي العظيم ... قال ابن عباس: حجب الذَّات بالصفات، وحجب الصفات بالأفعال؛ فما ظنك بجمال حُجِبَ بأوصاف الكمال، وسُتِرَ بنعوت العظمة والجلال؟! ومن هذا المعنى يُفهَم بعضُ معاني جمال ذاته؛ فإن العبد يترقى من معرفة الأفعال إلى معرفة الصفات، ومن معرفة الصفات إلى معرفة الذات؛ فإذا شاهد شيئًا من جمال الأفعال استدل به على جمال الصفات، ثم استدل بجمال الصفات على جمال الذات»(3)، وفي هذا المبحث بيان لهذه المعاني المجملة في كلام ابن القيم رحمه الله.

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (65/1) برقم: (91).

(2) أخرجه: أبو داود في "سننه" (189/6) برقم: (4090) والإمام أحمد في مسنده (313/15) برقم: (9508) وصححه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه على سنن أبي داوود.

(3) ابن القيم، "الفوائد": (1/ 265-266).

المطلب الأول: الجمال الإلهي في ذاته وأسمائه وصفاته

من أخص أنواع العلم بالله تعالى العلم بجماله وجلاله جل وعلا وهو علم عزيز على الناس معرفته وقليل منهم من يلج بابه، ومن تمام معرفة الله جل وعلا -بعد ما يجب من معرفة أسمائه وصفاته- معرفة من عرفه بجماله وجلاله[1]، وهذا مع استحضار أنه من غير الجائز عقلا وشرعا محاولة إدراك حقيقة الذات الإلهية والصفات بل العجز عن الإحاطة والإدراك هو غاية ما يدركه البشر في هذا الباب، يقول محمد رشيد رضا: «ألا وإن أعلى العلوم العقلية والمعارف الروحية في هذه الدنيا هو معرفة الله – سبحانه وتعالى –، والعلم بمظاهر أسمائه وصفاته في خلقه، والوقوف على سننه وأسراره فيها، وكشف الحجب عما أودع فيها من الجمال والجلال، وفي النظام الذي قامت به من آيات الكمال، التي هي مجلى صفات بارئها، وهو منتهى الجمال والجلال والكمال، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال»[2]، ونسبة جمال الخلق –الذي هو صنعة الرب سبحانه- إلى جمال الخالق البارئ المصور؛ «أقل من نسبة سراج ضعيف إلى قرص الشمس ويكفي في جماله أنه لو كشفَ الحجابَ عن وجهه لأحرقتْ سُبُحاتُه ما انتهى إليه بصره من خلقه، ويكفي في جماله أن كل جمال ظاهر وباطن في الدنيا والآخرة فمن آثار صنعته؛ فما الظنُّ بمن صدر عنه هذا الجمال؟!» [3]

ويكفي في بيان جمال الله سبحانه وتعالى قوله عزوجل: ﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [سورة النور:35]، وذات الله سبحانه وتعالى «كاملة الكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه أحد، فلا تشبه ذاته ذوات خلقه بل لا يعلم كيف هو إلا هو سبحانه، وذاته موصوفة بجميع الكمالات التي لا تعد ولا تحصى، وإلى هذا المعنى يشير رسول الهدى ﷺ ، حيث يقول في بعض دعائه وتضرعاته وهو ساجد لله سبحانه: ((لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك))[4]»[5].

القاعدة العقلية الشرعية أن معطي الكمال أولى بالكمال، وله سبحانه وتعالى الكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه أحد من خلقه، وقد ثبت بالحس و المشاهدة أن للمخلوق صفات كمال وهي من الله تعالى فهو جل جلاله أولى بالكمال و الجمال[6]، وللجمال الإلهي أثر على الجمال الباطن كما له أثر

---

(1) ينظر: ابن القيم، "الفوائد" (1/ 264).

(2) "تفسير المنار" (9/ 131).

(3) ابن القيم، "الفوائد" (1/ 264).

(4) أخرجه مسلم في صحيحه (51/2) برقم: (486)، وأبو داود في "السنن" (565/2) برقم: (1427).

(5) محمد أمان الجامي، "الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه"، ص69.

(6) ينظر: محمد أمان الجامي، "استعاب المفاصد واتمام الفوائد"، ص46.

على الجمال الظاهر، فأما أثره على الأول فيكفي في جماله –الذي تعبد بنو آدم خالقهم بالتجمل منه– أنه سبحانه وتعالى له العزة جميعًا، والقوة جميعًا، والجود كله، والإحسان كله، والعلم كله، والفضل كله ...[1] وأما أثره على الجمال الظاهر أنه سبحانه «لنور وجهه أشرقت الظلمات؛ كما قال النبي ﷺ في دعاء الطائف: "أعوذ بنور وجهك الذي أشرقتْ له الظلماتُ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة". وقال عبد الله بن مسعود: ليس عند ربكم ليلٌ ولا نهار، نور السماوات والأرض من نور وجهه؛ فهو سبحانه نور السماوات والأرض، ويوم القيامة إذا جاء لفصل القضاء تُشرِق الأرضُ بنوره»[2].

وأما أسماء الله فهي بالغة في الحسن غايته قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [سورة الأعراف:180]، وقال الله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [سورة مريم:65]، روي عن ابن عباس أنه لا يمكن لبشر أو غيرهم من المخلوقات أن يتسمى بأسماء الله الحسنى ومنها اسم الرحمن واسم الجلالة الله[3]، وأسماء الله تعالى متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالاً ولا تقديرًا [4]، و«صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك»[5].

---

(1) ينظر: ابن القيم، "الفوائد" (1/ 264).

(2) المرجع نفسه، (1/ 264-265).

(3) عن عبد الله بن عباس، ﴿هل تعلم له سميا﴾، قال: ليس أحد يسمى «الرحمن» غيره. [«موسوعة التفسير المأثور» (14/ 161)]، قال مقاتل بن سليمان: ثم قال للنبي ﷺ : ﴿هل تعلم له سميا﴾ يقول جل جلاله: هل تعلم من الآلهة من شيء اسمه: الله – عز وجل –؟! لأن الله –تعالى ذكره– يمنعهم من ذلك. [«موسوعة التفسير المأثور» (14/ 163)]

(4) ينظر: محمد بن صالح العثيمين، "القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى"، ص6.

(5) المرجع نفسه، ص18.

المطلب الثاني: جمال الكون

أكد القرآن الكريم على العنصر الجمالي في الطبيعة في غير ما موضع منها قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨﴾ [سورة النحل:5-8]، إذ الملاحظ «أن النص القرآني يؤكد على العنصر الجمالي مرتين: مرة في قوله تعالى (ولكم فيها جمال) ومرة ثانية في قوله تعالى (لتركبوها وزينة) وبهذا تكون الآيات قد أكدت على أهمية هذا الجانب باعتباره عنصرا أصيلا وضع على قدم المساواة مع المنافع الأخرى»(1)، وقال تعالى يصف ما جمل به السماء: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦﴾ [سورة الصافات:6]، ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝١٢﴾ [سورة فصلت:12]، ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾ [سورة الملك:5]، وقال تعالى يجمل ما عليه الأرض من جمال وزينة: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ۝٧﴾ [سورة الكهف:7].

والجمال أثر من آثار الله جل وعلا في خلقه الذي فهو الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه؛ فهو: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾ [سورة السجدة:7]، وأصبغ الله الجمال على الكون آية من الآيات الدالة على وحدانية الله وجلاله وجماله وبديع صنعه وفي هذا المعنى يقول صاحب المنار: «إن هذا الكون هو كتاب الإبداع الإلهي المفصح عن وجود الله وكماله وجلاله وجماله، وإلى هذا الكتاب الإشارة بقوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ۝١٠٩﴾ [سورة الكهف:109]، وبقوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ

(1) صالح أحمد الشامي، "ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية في الإسلام"، ص65.

حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ [سورة لقمان:27]، فكلمات الله في التكوين باعتبار آثارها ومصداقها هي آحاد المخلوقات والمبدعات الإلهية، فإنها تنطق بلسان أفصح من لسان المقال، لكن لا يفهمه اللذين هم عن السمع معزولون وللعلم معادون، الواهمون أن معرفة الله تقتبس من الجدليات النظرية والأقيسة المنطقية دون الدلائل الوجودية الحقيقية»[1]، فجمال الخلق والكون من دلائل توحيد الله سبحانه وتعالى بالخلق والابداع ومن دلائل تفرده جل وعلا بالجلال والجمال، فإن هذا الوجود «لجميل وباهر ورائع، وإن فطرتنا لمتوافقة مع فطرته، مستمدة من النبع الذي يستمد منه، قائمة على ذات الناموس الذي يقوم عليه. فالاتصال بضمير هذا الوجود يهبنا أنسا وطمأنينة، وصلة ومعرفة، وفرحة كفرحة اللقاء بالقريب الغائب أو المحجوب! وإننا لنجد نور الله هناك. فالله نور السماوات والأرض.. نجده في الآفاق وفي أنفسنا في ذات اللحظة التي نشهد فيها هذا الوجود بالحس البصير، والقلب المتفتح، والتأمل الواصل إلى حقيقة التدبير. لهذا يوقظنا القرآن المرة بعد المرة، ويوجه حسنا وروحنا إلى شتى مشاهد الوجود الباهرة، كي لا نمر عليها غافلين مغمضي الأعين، فنخرج من رحلة الحياة على ظهر هذه الأرض بغير رصيد. أو برصيد قليل هزيل..»[2] وهذا الدليل والرهان على وحدانية الله يسهل على الناس بمختلف طبقاتهم المعرفية ادراكه والاستدلال به على هذه الحقيقة الكبرى لذلك يعجب محمد رشيد رضا من صنيع النظار والمتكلمين من إغراق العامة في المقاييس العقلية والنقاشات الجدلية فكانوا كاللذين استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، و«لو كان زعمهم حقيقة لا وهما لكان الله سبحانه استدل في كتابه بالأدلة النظرية الفكرية، وذكر الدور والتسلسل وغير ذلك من الاصطلاحات الكلامية، ولم يستدل بالسماء والأرض والليل والنهار والفلك والمطر وتأثيره في الحياة، وغير ذلك من المخلوقات التي أرشدنا القرآن إلى النظر فيها، واستخراج الدلائل والعبر منها»[3] وإن كان الطاهر بن عاشور له رأي آخر في المسألة في تفسيره حيث جعل مثل هذه الآيات صالحة لتكون دليلا لجميع الفئات على حسب استعدادهم العقلي وزادهم المعرفي حيث قال عند قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾ [سورة ق:6-11]، «والتزيين جعل الشيء زينا، أي حسنا أي تحسين منظرها للرائي بما يبدو فيها من الشمس نهارا والقمر والنجوم ليلا. واقتصر على آية تزيين السماء دون تفصيل ما في الكواكب المزينة بها من

(1) "تفسير المنار" (2/ 52).

(2) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (2523/4).

(3) "تفسير المنار" (2/ 52).

الآيات لأن التزيين يشترك في إدراكه جميع اللذين يشاهدونه وللجمع بين الاستدلال والامتنان بنعمة التمكين من مشاهدة المرائي الحسنة كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾ [سورة النحل:6] في شأن خلق الأنعام في سورة النحل، ثم يتفاوت الناس في إدراك ما في خلق الكواكب والشمس والقمر ونظامها من دلائل على مقدار تفاوت علومهم وعقولهم. والآية صالحة لإفهام جميع الطبقات»[1]، فالحاصل أن الكون فسيح جدا يعجز البشر عن الإحاطةبه لا يكاد يغادر ولو جزءا يسيرا منه، فأنى تقلب بصرك لتنظر نظرة المتأمل المتدبر في الملكوت تبصر بديع صنع الله في خلقه بما يبهر العقول، والجمال المبصر في كل عنصر من عناصر الكون مجتمعة أو متفرقة هو آيات يتعرف بها على أفعال وصفات واجب الوجود وصانع كل موجود، وهي آيات لا تخفى على الناس إلا على من على قلبه غشاوة فأولئك اللذين ختم الله على قلوبهم فهم لا يبصرون. ونبه صاحب أضواء البيان على تنوع العنصر الجمالي في الأرض أو لنقل في الطبيعة عند قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [سورة الكهف:7]؛ حيث قال: «فاعلم أن قوله في هذة الآية الكريمة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [سورة الكهف:7] قد صرح في مواضع أخر ببعض الأفراد الداخلة فيه، كقوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [سورة الكهف:46] الآية، وقوله: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [سورة النحل:8]الآية، إلى غير ذلك من الآيات»[2].

العنصر الجمالي في القرآن الكريم ذو علاقة تلازمية مع الحقيقة العلمية فلا الوصف الجمالي يطغى على الحقيقة العلمية في الكون ولا إثبات الحقائق في الكون والشرع يغني عن التنويه بما في الاثنين من جمال أصبغه عليهما ذو الجمال والجلال تبارك وتعالى؛ فـ«القرآن الكريم إذ يتناول المشهد الطبيعي أو المشهد الكوني فإنما يتناوله لغرض من الأغراض ومع ذلك فالهدف والغاية لا ينفيان أن يكون ذلك المشهد هو الحقيقة؛ الحقيقة الكونية والحقيقة العلمية والحقيقة الجمالية ... كل هذا يعرضه القرآن بالأسلوب الجمالي البديع ... وبهذا كان الإعجاز القرآني إعجازا بكل الاتجاهات»[3] وبهذا تظهر حكمة الله في تصريف الآيات للناس على حسب اختلاف عقولهم وتفاوت مدارك

(1) "التحرير والتنوير" (26/ 286).

(2) "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (4/ 22 ط عطاءات العلم).

(3) صالح أحمد الشامي، "ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية في الإسلام"، ص49.

فهمهم وعلمهم وإلى هذا المعنى من المعاني يشير صاحب محاسن التأويل نقلا عن البقاعي حيث قال: «وسبب تكثير الأدلة أنّ عقول الناس متفاوتة. فجعل سبحانه العالم- وهو الممكنات الموجودة، وهي جملة ما سواه، الدالّة على وجوده وفعله بالاختيار- على قسمين: قسم من شأنه أن يدرك بالحواس الظاهرة، ويسمى في عرف أهل الشرع: الشهادة والخلق والملك. وقسم لا يدرك بالحواس الظاهرة ويسمى: الغيب والأمر والملكوت. والأول يدركه عامة الناس، والثاني يدركه أولو الألباب اللذين عقولهم خالصة عن الوهم والوساوس. فالله تعالى- بكمال عنايته ورأفته ورحمته- جعل العالم بقسميه محتويا على جمل وتفاصيل من وجوه متعدّدة، وطرق متكثرة، تعجز القوى البشرية. عن ضبطها، يستدلّ بها على وحدانيته، بعضها أوضح من بعض، ليشترك الكل في المعرفة، فيحصل لكلّ بقدر ما هيّئ له، اللهم إلا أن يكون ممن طبع على قلبه، فذلك- والعياذ بالله- هو الشقيّ»[1] فلئن خفيت الآيات العلمية الدقيقة التي لا تدرك إلا مع توفر الآلة للفهم والعزيمة للتأمل و الاستنتاج فإن الآية الجمالية يشترك في ادراكها كل الناس على السواء.

ومن خلال تتبع واستقراء القرآن الكريم أمكن لبعض الباحثين[2] تقسيم الصور الجمالية في المشاهد الطبيعية التي يلفت القرآن الكريم الناظرين إليها إلى نوعين:

النوع الأول: مشاهد إجمالية تترك للناظر الحرية التامة في النظر إلى تفاصيل تلك المناظر التي هي آيات الله في الكون ومن خصائص هذا النوع من المظاهر الإبداعية في القرآن الكريم ما يظهر من بديع هذا الخلق أن «جعله الله تعالى يمد بعضه بعضا بما يحتاجه كل فلا ينقص من الممد شيء، لأنه يمده غيره بما يخلف له ما نقص، وهكذا نجد الموجودات متفاعلة، فالبحر يمد الجو بالرطوبة فتكون منه المياه النازلة ثم هو لا ينقص مع طول الآباد لأنه يمده كل نهر وواد»[3]، كما في قوله جل جلاله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤﴾ [سورة البقرة:164]. فكما أن كل مفردة من مفردات المخلوقات الكونية المذكورة في الآية دلالة على قدرته تعالى وحدانيته عزو جل فكذلك في الآية لفت للنظر إلى «النظام الجامع

(1) جمال الدين القاسمي، " محاسن التأويل" (1/ 459-460).

(2) ينظر: صالح أحمد الشامي، "ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية في الإسلام"، ص51 وما بعدها.

(3) "التحرير والتنوير" (2/ 78).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بينها ... مجموع خلقها، ولعل الآية تشير إلى ما يعبر عنه في علم الهيئة بالنظام الشمسي وهو النظام المنضبط في أحوال الأرض مع الكواكب السيارة المعبر عنها بالسماوات» [1] ويصف صاحب الظلال روعة المشـهد القرآني ودلالته على جلالة الله وعظيم قدرته وبديع صـنعه فيقول: « وهذه الطريقة في تنبيه الحواس والمشاعر جديرة بأن تفتح العين والقلب على عجائب هذا الكون. العجائب التي تفقدنا الألفة جدتها وغرابتها وإيحاءاتها للقلب والحس، وهي دعوة للإنســان أن يرتاد هذا الكون كالذي يراه أول مرة مفتوح العين، متوفز الحس، حي القلب، وكم في هذه المشـاهد المكرورة من عجيب وكم فيها من غريب، وكم اختلجت العيون والقلوب وهي تطلع عليها أول مرة ثم ألفتها ففقدت هزة المفاجأة، ودهشـــة المباغتة، وروعة النظرة الأولى إلى هذا المهرجان العجيب» [2]، هي صــورة جمالية مركبة من بدائع صنع الله في شتى الظواهر الطبيعية الثابتة والمتحركة، الجامدة والحيوية ... صور يسير عليها نظام الكون، صـور يظهر في جزئياتها العنصـر الجمالي في غاية الابداع وفي غاية الاتقان وفي غاية التناسـق وفي غاية اللطافة ... ولكن لمن نظر بحس متجدد وتدبر بعقل نير، يقدم صـــاحب الظلال أنموذجا عن نظرة تدبرية تأملية في ذلك المشـهد الجمالي في الآية السـابقة بمختلف صـوره المشـكلة لنظامه الكوني العام، نلخص ذلك النموذج التحليلي للصور الجمالية فيما يلي[3]:

- **أولا**: تلك السماوات والأرض تشكلان كيانا كونيا؛ في تناسق أجرامه الضخمة في الفضاء وفي تلك الأبعاد الهائلة والآفاق المســحورة والعوالم المجهولة؛ هي نظام بديع وجمال يتراءى للناظرين للذين يعقلون ويتعقلون ويتحسـسـون ... حتى وإن جهلوا شـيئا من حقيقة أبعادها وأحجامها ومكوناتها وأسرارها ...
- **ثانيا**: اختلاف الليل والنهار، والليل والنهار مما يذكر الله فيه كلما جدد النظر فيهما بحس جديد ... تعاقب الظلام والنور ... توالي الاشــراق والعتمة ... ذلك الفجر ... ذلك الشـــروق ... ذلك الغروب.
- **ثالثا**: فلك تجري في البحر بما ينفع الناس ولا شـيء سـوى قدرة الله **!**؛ إلا رعاية الله**!**؛ إلا قانون الكون الذي جعله الله**!**... يحمل تلك النقطة في خضم المحيط في زرقة مطلقة وموج متلاطم.
- **رابعا**: ماء هو الغيث؛ ينزل من السـماء تحيا به الأرض؛ حياة مجهولة الكنه لطيفة الجوهر؛ حياة تبتدئ من حبة**!** من نواة**!**، تدب في لطف ثم تبتدئ جاهرة معلنة قوية ... ســبحان من هو

---

(1) المرجع نفسه، (2/ 77).

(2) "في ظلال القرآن" (152/1).

(3) ينظر: المرجع نفسه، (153/1). بتصرف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وحده موجد الحب والنواة وهو وحده ينزل الغيث وهو وحده يحيي ويميت ويخرج الحي من الميت.

فـــ «هذه الحياة من أين جاءت؟ كانت كامنة في الحبة والنواة! ولكن من أين جاءت إلى الحبة والنواة؟ أصلها؟ مصدرها الأول؟ إنه لا يجدي الهرب من مواجهة هذا السؤال الذي يلح على الفطرة.. لقد حاول الملحدون تجاهل هذا الســؤال الذي لا جواب عليه إلا وجود خالق قادر على إعطاء الحياة للموات. وحاولوا طويلاً أن يوهموا الناس أنهم في طريقهم إلى إنشاء الحياة- بلا حاجة إلى إله! - ثم أخيراً إذا هم في أرض الإلحاد الجاحد الكافر ينتهون إلى نفض أيديهم والإقرار بما يكرهون: استحالة خلق الحياة! وأعلم علماء روسيا الكافرة في موضوع الحياة هو الذي يقول هذا الآن! ومن قبل راغ دارون صاحب نظرية النشوء والارتقاء من مواجهة هذا السؤال!»[1] .

- **خامسا:** تصريف الرياح وتسخير السحاب بين السماء والأرض وفي حين أن العقل يبحث عن السبب والقانون الطبيعي لهبوب الرياح وكيف يحمل السحاب في الهواء... فإن السر الأعمق هو سر هذا السبب أو ذلك؛ سر هذا النظام البديع وسر هذه الموافقات اللطيفة.

النوع الثاني: مشاهد تفصيلية توضح بدقة ما خفي وتتقصد إلى بيان علاقات جزئية فيها من الجلال و الجمال ما يبهر العقول ويأخذ بالألباب، والآيات القرآنية في مثل هذا كثيرة جدا؛ منها على سبيل المثال قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النور:43-44]، في الآيتين السابقتين مشهدان من مشاهد الطبيعة والكون، الآية الأولى تصف بشيء من الدقة عجيب صنع الله في السحاب المسخر بين السماء والأرض وكيف هو مثل الجبال حين تراكب بعضه على بعض، «ومشهد السحب كالجبال لا يبدو كما يبدو لراكب الطائرة وهي تعلو فوق السحب أو تسير بينها، فإذا المشهد مشهد الجبال حقا، بضخامتها، ومساقطها، وارتفاعاتها وانخفاضاتها. وإنه لتعبير مصور للحقيقة التي لم يرها الناس، إلا بعد ما ركبوا الطائرات»[2]؛ فسبحان من ألّف من السحب قطعا متفرقة ثم ألف بينها فجعلها سحابا متراكبا مثل الجبال، و«تكملة

(1) المرجع نفسه، (153/1).

(2) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (2522/4).

المشهد الضخم: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ ذلك ليتم التناسق مع جو النور الكبير في الكون العريض، على طريقة التناسق في التصوير»، وأما الآية الثانية فهي تلفت النظر إلى تقلب الليل والنهار؛ من حر إلى برد، ومن برد إلى حر، من ليل إلى نهار، ومن نهار إلى ليل، ويديل الأيام بين عباده[1]، وهي لفتة كثير ما يتكرر إيرادها في القرآن الكريم، وفاصلة الآية الثانية تضع الحد الفاصل بين من تنفعهم آيات الله المنظورة دون غيرهم؛ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ أي: «لذوي البصائر، والعقول النافذة للأمور المطلوبة منها، كما تنفذ الأبصار إلى الأمور المشاهدة الحسية. فالبصير ينظر إلى هذه المخلوقات نظر اعتبار وتفكر وتدبر لما أريد بها ومنها، والمعرض الجاهل نظره إليها نظر غفلة، بمنزلة نظر البهائم».[2] ومثل هذا المشهد ما في قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الروم:48].

ومن المشاهد الجمالية التفصيلية ما نبصره في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الزمر:21]، في الآية صورة متحركة حية من صور الطبيعة تلفت النظر إلى حياة النبات في الأرض عقب انزال الماء من السماء وسلوكه ينابيع في الأرض، وهذا فيه المثل المحسوس لذلك المعنى غير المحسوس المصرح به في الآيات بعدها ألا وهو الكتاب المنزل من السماء إلى الأرض لتحيا به القلوب وتنشرح له الصدور قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الزمر:22-23]. وعودا على بدء في الآية المتضمنة لذلك المشهد الجمالي في الطبيعة يدعو صاحب الظلال قارئ القرآن والتالي لهذه الآية الربانية إلى مجاراة الآية خطوة خطوة في رسم بديع صنع الله ...

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص571.

(2) المرجع نفسه، ص571.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بدءا من الماء النازل من السماء ... ما هو؟!... وكيف نزل؟! لاحول ولا قوة إلا بالذي مزج بين ذرتي أكسجين مع ذرة أيدروجين في ظروف خاصة معينة ليوجد الماء ...إنها سلسلة من التدبير حتى نصل إلى وجود الماء ووجود الحياة !! والله من وراء هذا التدبير ولا حول ولا قوة إلا به.

ثم نزول الماء بعد وجوده ... آية للناظرين ... ثم كيف سلكه ينابيع في الأرض؟!؛ فهو: أنهار جارية ... وعيون تتفجر ... وآبار تتكشف ... ولا شيء يمسكه أن لا ي>هب في الأغوار البعيدة فلا يظهر منها أبدا ... فالحمد لله رب السماوات والأرض.

ثم الحياة النباتية التي تعقب نزول الماء وتنشأ عنه... هي ورب السماء خارقة!! ... ورؤية النبتة الصغيرة وهي تشق حجاب الأرض عنها وتزيح أثقال الركام من فوقها وتتطلع إلى الفضاء والنور والحرية وهي تصعد إلى الفضاء رويدا رويدا.. هذه الرؤية كفيلة بأن تملأ القلب المفتوح ذكرى وأن تثير فيه الإحساس بالله الخالق المبدع الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى. والزرع المختلف الألوان في البقعة الواحدة. بل في النبتة الواحدة.(1)

والمشهد الطبيعي –على سبيل الإجمال– في القرآن الكريم يأتي لأغراض كثيرة (2) فقد يأتي دلالة على الألوهية والوحدانية؛ والقاعدة في هذا الباب من العلم –كما نقله صاحب التحرير و التنوير عن بعض أهل العلم– هي أنه «كل من كان أكثر توغلا في بحار المخلوقات كان أكثر علما بجلال الله تعالى وعظمته»(3) وفي هذا النوع من الآيات القرآنية تقع المشاهد الطبيعية الباهرة التي تدل على إبداع الصانع موقع الحجة بعد الدعوى كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤﴾ [سورة البقرة:164] بعد قوله تعالى في الآية قبلها: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ [سورة البقرة:163]. «ذلك أن الله تعالى أعلن أن الإله إله واحد لا إله غيره وهي قضية من شأنها أن تتلقى بالإنكار من كثير من الناس فناسب إقامة الحجة لمن لا يقتنع فجاء بهذه الدلائل الواضحة التي لا يسع

(1) ينظر: سيد قطب، "في ظلال القرآن"، (3047/5). بتصرف

(2) ينظر: صالح أحمد الشامي، "ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية في الإسلام"، ص50.

(3) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (2/ 78).

الناظر إلا التسليم إليها»[1] فجلال وجمال الكون وحسن صنعته دليل على مبدعه وخالقه المتفرد بمعاني الربوبية والمستحق لمعاني الألوهية على وجه الافراد والتوحيد فلا إله حق إلا الله سبحانه وتعالى، والله سبحانه وتعالى «إنما أظهر هذه الآيات الدالة على وجوده، وتوحيده، ورحمته، ليخصّه الخلق بالمحبة والعبادة»[2]ومن أغراض المشهد الجمالي في القرآن الكريم أنه برهان على البعث كما في قول الله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [سورة الحديد:20]، وقد يكون المشهد الجمالي في القرآن الكريم تذكيرا بنعم الله تعالى على الإنسان كما قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة الواقعة:63-74]، وقد يكون بيانا لعلاقة الطبيعة بالله الخالق وهي علاقة عبودية كما قال الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [سورة الإسراء:44]، وقد يكون بيانا لعلاقة الطبيعة بالإنسان وهي علاقة التسخير له من جهة كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة النحل:5-8]، وقد يكون كذلك لبيان علاقة الأخوة في العبودية لله من جهة أخرى كما قال الله

---

(1) المرجع نفسه، (2/ 76).

(2) جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل" (1/ 461).

تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝٣٨﴾ [سورة الأنعام:38].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث: جمال الإنسان

الصورة الجمالية التي فطر الله عليها الناس جميعا –على اختلاف وتفاوت بينهم فيها– مما شهد عليه الحس والعقل وأكد عليه الشرع، فلا يجب أن يختلف فيه اثنان من ذوي العقول السليمة، وهذه الصورة الجمالية في الانسان جانب من جوانب تكريم الله تبارك وتعالى للإنسان وقد تقدمت الإشارة إلى هذا المعنى في الفصل الأول، يقول الله تعالى ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾ [سورة الذاريات:20-21]، ويقول ﴿ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾ [سورة السجدة:7-9]، ويقول الله تعالى عن اعتدال صورة الانسان: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [سورة الانفطار:7-8] ويقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ [سورة التين:4-5](1)، فكل هذه الآيات ناطقة بحسن صورة الإنسان وأن تلك الصورة ما هي إلا أثر من آثار صنعة الله التي امتن الله بها على عباده. و«الجمالُ الظاهر نعمةٌ من [الله] على عبده، يُوجب شكرًا، فإن شكره بتقواه وصيانته؛ ازداد جمالًا على جماله، وإن استعمل جماله في معاصيه سبحانه؛ قلبه له شَيْنًا ظاهرًا في الدنيا قبل الآخرة، فتعودُ تلك المحاسنُ وحشةً، وقبحًا، وشينًا، وينفر عنه من رآه، فكلُّ منْ لم يتَّقِ الله في حسنه وجماله؛ انقلب قبحًا وشينًا يشينه به بين الناس، فحسن الباطن يعلو قبح الظاهر ويستره، وقبحُ الباطن يعلو جمال الظاهر ويستره. وكان النبي ﷺ يدعو الناس إلى جمال الباطن بجمال الظاهر»(2)، وفيما يلي تفصيل لأنواع الجمال في الانسان:

أولا: جمال الصورة الإنسانية وزينتها

الجمال في الانسان متعدد الجوانب؛ يمكن تبصره في عدة وجوه، هناك من الصور الجمالية ما تشترك فيه جميع الفئات البشرية مؤمنهم وكافرهم، فالإنسان مهما كانت صفاته العرقية التي ينجم عنها اختلاف الصور و الألوان؛ هو –مهما كان من ذلك– في أبهى صورة وأحسن خلقة كما قال الله تعالى

(1) ينظر: حسان عبد المنان، "المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم"، ص173 وما بعدها.

(2) ابن القيم، "روضة المحبين ونزهة المشتاقين"، ص322.

مخاطبا جنس الانسان: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [سورة الانفطار:7-8]. والله سبحانه وتعالى حكيم يبتلي عباده بما يشاء؛ فإنه جل وعلا مع خلقه للإنسان في أبهى الصور ومع ما فطره عليه من جميل الاعتقاد وحسن الطبع؛ إلا أنه ابتلى بني الإنسان بما جعله فيهم من العورات بكل أنواعها، فإن الله الخالق الحكيم سبحانه قد اقتضت حكمته أن جعل للإنسان عورتين أو سوأتين، وسترين، لكل سوأة ستر، أما العورتان: فعورة الجسم، وعورة النفس، وجعل للأولى سترا هو الملابس، وجعل للثانية سترا هو الخلق والسلوك الجميل، وقد أمر الله تعالى بالسترين، ولكنه نبه على الأهم منهما وهو الثاني لأن لباس الإنسان لا يغني عن أخلاقه الحميدة، ولهذا قال الله تعالى(1): ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ۝٢٦ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٢٧﴾ [سورة الأعراف:26-27]، ويقول الله تعالى مخبرا عن حسن الصورة التي خلق عليها واعتدالها: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ [سورة الانفطار:7] أي: «عدل أعضاءك وجعلها متوازية فلم يجعل إحدى اليدين أطول من الأخرى، ولا إحدى العينين أكبر من الأخرى ولا إحداهما كحلاء والأخرى زرقاء ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود وشبه ذلك من الموازنة»(2)، ويقول اله تعالى: «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم فيه قولان: أحدهما أن أحسن التقويم هو حسن الصورة وكمال العقل والشباب والقوة .. والآخر أن حسن التقويم: الفطرة على الإيمان»(3).

يذكر صاحب المنار مسألة المفاضلة بين الرجل والمرأة من جهة الجمال، ويقرر أن القاعدة العامة التي خلق الله عليها جميع الحيوانات هي أن الذكور من جميع أصناف الحيوان أجمل من إناثها فالأسد أجمل من اللبؤة ، والديك أجمل من الدجاجة، وتبعا لذلك الانسان والانسان ما هو إلا من جنس الحيوان؛ فالذكور فيه أجمل من الإناث والرجل أجمل من المرأة، ومن كمال خلقة الرجل وجماله شعر اللحية والشاربين وقوة المزاج وكمال الخلقة وقوة العقل وصحة النظر في مبادئ الأمور

(1) عبد الله الرحيلي، "الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها"، ص99-100.

(2) ابن جزي، "التسهيل لعلوم التنزيل" (2/ 458-459).

(3) المرجع نفسه، (2/ 494-495).

وغاياتها[1]. ويرى غيره أن الأحكام العامة في مثل هذا وغيره غالبا ما تكون غلطا؛ وذلك أن الأفضلية في الجمال بين الرجل والمرأة ليست حكما مطلقا وإنما هو حكم يختلف باختلاف مراحل العمر بالنسبة للإنسان، ففي مرحلة الطفولة لا فرق بين جمال المرأة وجمال الرجل وهم فيه سواء أما في مرحلة الشباب فالمرأة تتفوق على الرجل من جهة الجمال الحسي المرئي بينما تعود الموازين إلى نصابها في سن الكهولة ويتفوق الرجل على المرأة فيما بعد سن الكهولة إلى الشيخوخة في الجمال[2].

ثانيا: الجمال الإيماني للفرد الإنساني

كان النبي ﷺ يقرب المعاني الجميلة التي ينبغي للمؤمن أن يكون عليها فيظهر عليه أثر إيمانه جمالا في السمت والعقيدة و السلوك؛ فيضرب لأصحابه لأجلها الأمثال كما في قوله ﷺ: ((مثل المؤمن كمثل شجرة خضراء لا يسقط ورقها ولا يتحات))[3] يقصد النخلة، وقوله ﷺ: ((مثل المؤمن مثل النحلة لا تأكل إلا طيبا، ولا تضع إلا طيبا))[4]، وقال ﷺ: ((مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو))[5] ،وفي قول الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [سورة الأعراف:26] نوعين من أنواع الزينة التي يتزين بها الإنسان زينة الظاهر وزينة الباطن، و«لما بين تعالى ساتر الظاهر وزينته، أشار إلى ساتر عيوب الباطن وزينته بقوله: ولباس التقوى أي: خشية الله، أو

---

(1) ينظر: محمد رشيد رضا، "تفسير المنار"، (57/5)

(2) علي الطنطاوي، «بين الرجل والمرأة»، لقاء تلفزيوني، https://www.youtube.com/watch?v=u3zsPFBSahg

(3) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في "صحيحه" (8 / 29) برقم: (6122) ومسلم في "صحيحه" (8 / 137) برقم: (2811)، (8 / 137) برقم: (2811) ، (8 / 137) برقم: (2811) ، (8 / 137) برقم: (2811) ، (8 / 138) برقم: (2811).

(4) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (1 / 480) برقم: (704) ، وأخرجه النسائي في "السنن الكبرى" (145/10) برقم: (11214)، وصححه الألباني في "صحيح الجامع الصغير" (1017/2) برقم: (5841).

(5) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في "صحيحه" (6 / 190) برقم: (5020) ، (6 / 197) برقم: (5059) ، (7 / 77) برقم: (5427) ، (9 / 162) برقم: (7560) ومسلم في "صحيحه" (2 / 194) برقم: (797) ، (2 / 194) برقم: (797).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإيمان، أو السمت الحسن، والكل متقارب، ».[1] وفي الآية دليل على أنه كما أن اللباس الحسي لباسان –لباس يستر العورة ولباس يزين الانسان – فكذلك الجمال جمالان جمال البدن وجمال القلب والروح، وانقسام الجمال في الانسان إلى ظاهر وجوهر أمر مطرد معه في الدنيا والآخرة ففي يوم الجزاء على الأعمال يخبر الله تعالى عن حال أهل الجنة ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا﴾ [سورة الإنسان:11]، جمع لهم بين نعيم الظاهر بالنضرة والحسن والبهاء ونعيم الباطن بكمال الفرح والسرور، كذلك قوله في صفة نساء الجنة: ﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ٧٠﴾ [سورة الرحمن:70] فوصفهن بجمال الباطن بحسن الخلق الكامل، وجمال الظاهر بأنهن حسان الوجوه وجميع الظاهر[2]. وفصل صاحب المنار[3] نقلا عن جمهور مفسري السلف أنواعا من الأخلاق والشيات التي يمكن أن تكون كالأمثلة المتنوعة غير المتضاربة ولا المتناقضة عن لباس التقوى من مثل الإيمان وحب شيوع الخير ومن مثل الحياء والسمت الحسن في الوجه والسمت الحسن غالبا ما يكون دليلا على ما عليه النفس من حسن السريرة لما رواه أهل التفسير عن الحسن البصري قال: رأيت عثمان على المنبر قال: أيها الناس اتقوا الله في هذه السرائر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((والذي نفس محمد بيده ما عمل أحد قط عملا سرا إلا ألبسه الله رداءه علانية إن خيرا فخير وإن شرا فشر" ثم تلا الآية ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ [سورة الأعراف:26]))[4]، و«مما يدلُّ على أن الجمال الباطن أحسن من الظاهر: أن القلوب لا تنفكُّ عن تعظيم صاحبه، ومحبته، والميل إليه»[5]، ونقل صاحب محاسن التأويل عن بعض العارفين تعليلا لما هو حاصل من كون لباس التقوى خير من اللباس الذي يستر به الانسان عورته ويزين به طلعته ما ملخصه أن الظاهر محل نظر الخلق والباطن محل نظر الحق سبحانه وتعالى، كما أن العيوب الباطنة أفحش من العيوب الظاهرة ، وأمر ثالث هو أن صفة الورع والحذر للنفس تكون للإنسان كالحمية فجمال الباطن –والحالة هذه- كالأساس لجمال الباطن[6]. والحاصل أن الله

---

(1) جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل" (5/ 29).

(2) عبد الرحمن السعدي، "تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن" (1/ 305).

(3) ينظر: "تفسير المنار" (8/ 320).

(4) أخرجه ابن جرير 10/ 127، وابن أبي حاتم 5/ 1458 (8342). وأورده الثعلبي في تفسيره: (4/ 226). [ينظر: "موسوعة التفسير المأثور" (9/ 57)]

(5) ابن القيم، "روضة المحبين ونزهة المشتاقين"، ص321.

(6) ينظر: جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل" (5/ 29).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سبحانه وتعالى لما امتن على بني آدم «بما يسر لهم من اللباس الضروري، واللباس الذي المقصود منه الجمال، وهكذا سائر الأشياء، كالطعام والشراب والمراكب، والمناكح ونحوها، قد يسر الله للعباد ضروريها، ومكمل ذلك، وبين لهم أن هذا ليس مقصودا بالذات، وإنما أنزله الله ليكون معونة لهم على عبادته وطاعته، ولهذا قال: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ من اللباس الحسي، فإن لباس التقوى يستمر مع العبد، ولا يبلى ولا يبيد، وهو جمال القلب والروح. وأما اللباس الظاهري، فغايته أن يستر العورة الظاهرة، في وقت من الأوقات، أو يكون جمالا للإنسان، وليس وراء ذلك منه نفع، وأيضا، فبتقدير عدم هذا اللباس، تنكشف عورته الظاهرة، التي لا يضره كشفها، مع الضرورة، وأما بتقدير عدم لباس التقوى، فإنها تنكشف عورته الباطنة، وينال الخزي والفضيحة»[1]؛ فشرف الشيء من شرف الغاية الموجود لها ولما كانت الغاية الأسمى لوجود الانسان هي زينة باطنه وجماله كان ذلك الجمال أشرف من جمال الظاهر.

لما كانت الصورة الجمالية في حياة المؤمن أمرا مرغوبا فيه ومأمورا بتحصيلها كذلك أوجب الشارع الحنيف على المؤمن الحفاظ على تلك الصورة من كل ما يشينها أو يخدش صفاءها؛ فالمؤمن في سائر حاله يحصل الحق والخير والجمال ويحصن كل ذلك من الضياع، ففي جانب التحصيل قال عزو جل: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الفرقان:63]، افتتحت الآيات في ذيل سورة الفرقان ببيان صفات عباد الرحمان وفي إضافة صفة العبودية إلى الرحمن فيه من التشريف ما فيه وهو في حد ذاته جمال في حين استشعار ذلك؛ وأول صفة لهم أنهم يمشون على الأرض هونا أي في سكينة ووقار وقد قال ابن عباس: هم المؤمنون اللذين يمشون علماء حلماء ذوى وقار وعفة.[2] وفي مقابل ذلك في جانب التحصين من الكبر والتجبر وهي أمور تخدش جمال شخصية المسلم وتذهب رونقها؛ يقول عزوجل: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الإسراء:37]، «نهى الله جل وعلا الناس في هذه الآية الكريمة عن التجبر والتبختر في المشية. ... وقرئ: ﴿مرحا﴾ بكسر الراء على أنه الوصف من مرح (بالكسر) يمرح (بالفتح) أي: لا تمش في الأرض في حال كونك متبخترا متمايلا مشي الجبارين. وقد أوضح جل وعلا هذا المعنى في مواضع أخر، كقوله عن لقمان مقررا له: ﴿وَلَا

---

(1) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن" ص285.

(2) ينظر: أحمد مصطفى المراغي، "تفسير المراغي" (19/35-36).

تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [سورة لقمان:18-19] الآية، إلى غير ذلك من الآيات» [1].

ومن الآيات التي صورت شخصية المسلم في تعامله مع الناس -وهي من أحسن الصور الأخلاقية التي عرفتها الإنسانية- قول الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [سورة الأعراف:199]، قال جعفر الصادق: أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق في هذه الآية، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية [2]، و«هذه الآية من ثلاث كلمات، تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات. فقوله: (خذ العفو) دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين ودخل في قوله: (وأمر بالعرف) صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار. وفي قوله (وأعرض عن الجاهلين) الحض على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة» [3].

ثالثا الجمال في المجتمع الإيماني

جاء في الحديث عن النبي ﷺ: ((إن الله نظيف يحب النظافة ... فنظفوا أفنيتكم [وفي رواية : بيوتكم]، ولا تشبهوا باليهود التي تجمع الأكباء في دورها)) [4]؛ أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث عن الله تعالى أنه جميل يحب الجمال -كما في بعض روايات الحديث وسبق ذكرها- ونظيف يحب النظافة ثم أمر ﷺ المسلمين بوجوب تنظيف دورهم ووجوب تنظيف أفنائهم ولا شك ولا يخفى على ذي لب أن النظافة هي الركن الأساس في جمال البيت والمحيط فالأمر بالنظافة أمر بالجمال، وفي نظير اهتمام القرآن الكريم بجمال الفرد ظاهرا وباطنا وقلبا وقالبا وبدنا وروحا اهتم كذلك بجمال المجتمع الإسلامي في جوهره وروحه التي هي الرابط الذي أمر الله به أن يوصل في غير ما موضع من القرآن الكريم.

---

(1) محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (3/ 699 ط عطاءات العلم).

(2) القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن" (7/ 345).

(3) المرجع نفسه، (7/ 344).

(4) أخرجه الترمذي في "جامعه" (4 / 495) برقم: (2799) وأبو يعلى في "مسنده" (2 / 121) برقم: (790) وأورده ابن حجر في "المطالب العالية" (10 / 270) برقم: (2207) وأخرجه أبو يعلى في "مسنده" (2 / 122) برقم: (791) وأخرجه البزار في "مسنده" (3 / 320) برقم: (1114)، وضعفه الالباني في تعليقه على سنن الترمذي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يرسم صاحب الظلال مبينا جمال صورة المجتمع القرآني الذي تحكمه وتنظمه شريعة القرآن الإلهية، بعد أن بين القرآن الكريم أغلظ ما في الكيان البشري ليرققه ويطهره ويرتفع به إلى آفاق النور؛ ففي مستهل سورة النور إلى أنصافها عالج عرامة اللحم والدم، وشهوة العين والفرج، ورغبة التجريح والتشهير، ودفعة الغضب والغيظ، وعالج الفاحشة أن تشيع في النفس وأن تشيع في الحياة، وأن تشيع في القول. عالجها بتشديد حد الزنا وحد القذف. وعالجها بعرض نموذج شنيع فظيع من رمي المحصنات الغافلات المؤمنات. وعالجها بالوسائل الواقية: بالاستئذان على البيوت وغض البصر وإخفاء الزينة، والنهي عن مثيرات الفتنة، وموقظات الشهوة. ثم بالإحصان، ومنع البغاء، وتحرير الرقيق.. كل أولئك ليأخذ الطريق على دفعات اللحم والدم، ويهيئ للنفوس وسائل العفة والاستعلاء والشفافية والإشراق. وفي أعقاب حديث الإفك عالج ما تخلف عنه من غضب وغيظ، ومن اضطراب في المقاييس، وقلق في النفوس. فإذا نفس محمد – رسول الله ﷺ – مطمئنة هادئة. وإذا نفس عائشة رضي الله عنها قريرة راضية. وإذا نفس أبي بكر رضي الله عنه سمحة صافية. وإذا نفس صفوان بن المعطل رضي الله عنه قانعة بشهادة الله وتبرئته. وإذا نفوس المسلمين آئبة تائبة. وقد تكشف لها ما كانت تخبط فيه من التيه. فثابت إلى ربها شاكرة فضله ورحمته وهدايته وبهذا التعليم وهذا التهذيب وهذا التوجيه عالج الكيان البشري حتى أشرق بالنور وتطلع على الأفق الوضيء واستشرف النور الكبير في آفاق السماوات والأرض وهو على استعداد لتلقي الفيض الشامل الغامر في عالم كله إشراق وكله نور: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ [سورة النور:35] (1). ومن الآيات التي ترسم جمال المؤمنين حال اجتماعهم في العبادات وحال تعايشهم فيما بينهم قول الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ [سورة الفتح:29]. بينت هذه الآية حال أمة محمد رسول الله ﷺ التي هي معه على الإيمان والدعوة إليه، وحالتهم صورة متحركة حية وكأنها مشاهد تجسد معاني الحياة الطيبة التي اجتمعت فيها كل قيم الحق والخير مع ما يزينها للناظرين من قيم جمالية؛ ف: «لقطة تصور حالتهم مع

(1) سيد قطب، "في ظلال القرآن" (2518/4). بتصرف يسير

الكفار ومع أنفسهم: (أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ) ولقطة تصور هيئتهم في عبادتهم:(تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا) .. ولقطة تصور قلوبهم وما يشغلها ويجيش بها: (يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا) .. ولقطة تصور أثر العبادة والتوجه إلى الله في سمتهم وسحنتهم وسماتهم: (سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ) .. (ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ) .. وهذه صفتهم فيها.. ولقطات متتابعة تصورهم كما هم في الإنجيل.. (كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ) (فَـَٔازَرَهُۥ)... (فَٱسۡتَغۡلَظَ) ... (فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ)»[(1)]، وفي الآية بيان جميل خصال المؤمنين وجميل كيانهم الإجتماعي في حسن تصرفهم؛ فهم قد اجتمعت فيهم الحكمة إذ جمعوا بين الرحمة والشدة يضعون كلا منهما في نصابه الذي هو له يستحقه وفي هذا منتهى الحكمة في التصرف والتحكم في العواطف والمشاعر[(2)]. وفي المثل المضروب لهم في التوراة وهو سيما الصلاح والتعبد في وجوههم معارضة لليهود المغضوب عليهم اللذين انقطعوا للدنيا وكرهوا الموت، على عكس المثل المضروب لهم في الانجيل بالزرع الذي يعجب الزراع اخضراره ففيه معارضة للنصارى اللذين ترهبنوا وانقطعوا عن الدنيا فضلوا وأضلوا، فكانت صورة المؤمنين في غاية الحسن والجمال إذ تحلت فيها معاني الوسطية والرحمة وحب الله جل وعلا قبل كل ذلك.

أسس القرآن الكريم قواعد الاجتماع الإنساني على حب الخير ونصرة الحق وزين ذلك الكيان الاجتماعي بجملة من الروابط التي تشكل معاني الجلال والجمال فيه ولذلك نقل عن الإمام مالك أنه قال: «بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة اللذين فتحوا الشام يقولون: "والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا"» [(3)] وفيما يلي جملة من الآيات القرآنية تعبر عن المعاني الجميلة التي في قلب كل فرد من أفراد الاجتماع الإنساني الإيماني مترجمة في جوارحه وسلوكياته[(4)]:

- قال الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [سورة البقرة:83]، هي قاعدة شرعية عامة في أقوال الناس، وفي كلام بعضهم مع بعض، لفظا ومعنى، أسلوبا ومضمونا.

(1) المرجع نفسه، (3331/6).

(2) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" (205/26).

(3) ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم" (7/ 362).

(4) ينظر: عبد الله الرحيلي، "الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها"، ص42 وما بعدها، بتصرف.

- قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [سورة الإسراء:53]، هذا الجزء من هذه الآية يحدد قاعدة أخرى في التعامل فيما بين الناس، تذهب إلى أبعد في الحسن من سابقتها، ذلك ليس قول الحسن، بل هو قول الأحسن.
- ﴿وَأَن تَعۡفُوٓا۟ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ [سورة البقرة:237]، يوجهنا هذا الجزء من الآية الكريمة إلى قاعدة العفو في المعاملة فيما بيننا، وإلى قاعدة حفظ الجميل والفضل الذي كان بيننا، وأن لا ينسيناه الخلاف الطارئ، وإذا كان للإنسان طريقان للوصول إلى حقه وتسوية النزاع بينه وبين سواه، هما: طريق الحق بالعدل، وطريق العفو والمسامحة، فإن هذا الجزء الوجيز من الآية يرشدنا إلى أن العفو أقرب إلى التقوى، وهذا تنبيه إلى ما هو أهم من حصول الإنسان على حقوقه، وهو التقوى.
- وقوله سبحانه: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾ [سورة المطففين:1-3] تشتمل هذه الآية على قاعدة في الأخلاق تتعلق بالباعث الفردي والباعث الجماعي في أخلاق الإنسان وسلوكه.

جمعية الإمام عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

الحق أني حين أضع الخاتمة لهذا البحث فأنا في تصوري أضع اللبنة الأخيرة في الأساس الذي ينبني عليه بنيان القيم الإنسانية في الثقافة الإسلامية؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى أعتبر هذا البحث كالباب ألج من خلاله إلى بيت القيم لأجل تدقيق أكبر وتحليل أعمق وبناء أمتن وأبهى. وكان بالود والعزم أن أردف فصوله الأربعة بفصول أخرى بقيم ثلاث أخر تعتبر من القيم العليا لدى الانسان بغض النظر عن انتمائه العرقي والثقافي والعقدي ألا وهي قيم السماحة وقيم العدل وقيم الحرية، حيث كان العزم أن أصوغ عناصر هذه القيم وأجعلها دائرة بين تأصيل للرؤية الإسلامية القرآنية وبين تفنيد لما قد يلحق هذه الرؤية من تضليلات وتشوهات، ولكن اتساع دائرة البحث وتشعب أطرافها وقلة الباع حال دون ذلك والأمل فيما إن طال العمر أن لا تكون النهاية هنا، ولئن قدر الله وكانت النهاية بالنسبة لي فلن تكون بالنسبة للباحثين في الحقل العلمي القرآني، ولن يفوتني أن أجعل الأمر توصية لمن يطلع على هذه الدراسة بعد تقديم نتائجها. والله الموفق.

والقرآن الكريم كتاب القيم وكتاب الإنسانية به تبنى الحياة الرشيدة على أسس من القيم متينة والقرآن صلاح للبشرية وإصلاح للنقائص التي فيها، فإن تكلم متكلم عن الحق ومقاييسه فالقرآن الكريم كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم؛ عقائده صافية وأحكامه عادلة وآدابه وأخلاقه على النسق القويم والسراط المستقيم، وتميزت القيم القرآنية عن غيرها من القيم بكونها ربانية المصدر وربانية الغاية تحفظ للانسان كرامته التي أكرمه الله بها يوم أن خلقه، فالقرآن هو الذي أخرج بعقائده الناس من خرافات وضلالات العقائد الوثنية وغيرها والقرآن الكريم هو الذي أمن الناس بالإيمان وأغدق عليهم من النعم الواسعة، والقرآن الكريم هو الذي ساوى بين الناس عربيهم وأعجميهم أبيضهم وأسودهم وداوى بالوحدة والتآخي جراحهم. والقيم القرآنية هي القيم الوسط بين كل ما سطره شرقي أو غربي فلا الروح في نظامها يهضم لها حق ولا الجسم يضيع له مطلب.

والقيم القرآنية هي صورة من صور ربوبية الله على بني آدم، فقد امتن الله على عباده بنوعين من التربية تربية كونية بالنعم والآلاء التي سخرها الله للإنسان منذ أن خلقه الله، ورباهم سبحانه وتعالى بنعمة الهداية بالوحي عن طريق أنبيائه ورسله، وكان ختمتهم نبيه محمد ﷺ رحمة للعالمين، ولهذا كانت أقوى الخصائص الإنسانية هي أنها ربانية في مصدرها ربانية في غايتها، تسلك بالناس سبل السلام إلى الهدى في وسطية لا غلو فيها ولا جفاء، فالحمد لله رب العالمين.

هذا ... وبعد:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فإنه تبين من خلال البحث كيف تناول المفسرون المعاصرون مفردات القيم الإنسانية في تفاسيرهم؛ وإن لم يكن تناولهم لها صريحا فيما عدا تفسير سيد قطب في ظلال القرآن الذي كان لا يفتأ يذكر القيم الإنسانية صراحة ويذكر مزية الآيات القرآنية في الإعلاء من شأنها وصيانتها؛ ولا يبعد عن الحق إن قلنا أن القيم هي الظلال الوافرة للقرآن الكريم بالنسبة للإنسان كما لا يخفى على من تأمل في تفسيره عموما وعلى من أمعن النظر في مقدمة الظلال خصوصا، وأما من عداه من المفسرين إنما تلحظ القيم الإنسانية عندهم فيما ينصون عليه من معاني التشريع القرآني وتعليل للأحكام وبيان لمحاسن الدين على كل المستويات: العقدي منها والتربوي والاجتماعي ...

وفي ميدان القيم لا يمكن بأي حال الفصل بين عناصر البحث القيمي ولا الفصل بين مكونات القيم، فموضوع القيم ذو فصول يخامر بعضها بعضا، وينتج عن ذلك التخامر نسق قيمي يعبر عن المرجعية المعرفية التي ينتمي إليها وينطلق منها، ولما كانت القيم في الإسلام تنطلق من القرآن الكريم وكانت كذلك ذات نزعة إنسانية؛ كانت قيما إنسانية قرآنية.

تحدث المفسرون عن القيم الإنسانية بطرق مختلفة ومتفاوتة في الظهور والخفاء، فمنهم من تكلم عنها بطريق مباشر وهم القليل؛ كمثل سيد قطب في كتابه (في ظلال القرآن) فقد أطنب في ذكر القيم وذكر أدواء الإنسانية وفضل القرآن على القيم وعلى الإنسانية، ومنهم من تكلم عنها بطريق غير مباشر: تارة بذكر الآداب والأخلاق التي حث عليها القرآن في جانب الإيجاب وتارة بذكر الأخلاق التي نهى عنها في جانب السلب، ومن خلال رسم حدود شخصية المسلم في كل شؤون حياته، وتارة ببيان فضل وشرف علوم القرآن المختلفة المستنبطة منه في كل الفنون، وتارة ببيان سمو مقاصد علوم القرآن ونبل أهدافها، وتارة بالانتصار لعلوم القرآن التي لطالما أثيرت حولها الشبهات وكثرت عليها المغالطات ...

يرفض المفسرون –سيد قطب على الأخص- ما يشاع عن القيم كمصطلح وكموضوع أنه غير مفهوم كنهه وأنه غير بادية حقيقته، بل هذه الفكرة عندهم تمثل حلقة من حلقات الفكر المادي المنحرف الذي يراد منه جعل الإنسانية في أسفل سافلين، والقيم عند المفسرين مفهوم واضح بين يتمثل في كل ما جعله الله تبارك وتعالى تكرمة لبني آدم وخصهم به دون سائر المخلوقات.

في ميدان قيم الحق فإن المطلب الصحيح بل الواجب المتحتم على كل موفق أن يسعى سعي الفطن مستفرغا الجهد في إدراك الحق مع حسن القصد في النظر الصحيح المثمر لترجيح ما يرجحه الدليل ويقوم عليه البرهان. وبعد بيان الحق ورد الشبه عنه يجب وجوبا إنسانيا على كل فرد من أفراد الإنسانية تثبيت تلك الحقائق في نفسه بالدليل والبرهان لا عن مجرد التقليد والأوهام، يثبتها كل فرد

في نفسه بحيث لا يمكن أن يطرأ عليها الشك ولا يمكن أن يغفل عنها الانسان ولا تمحى من قلبه البتة. فالحق الذي جاءت به الرسل وأنزلت له الكتب مدار معرفته على ما جبلت عليه النفوس من الفطر الصحيحة وما أوتيه أهل الفضل من الحكمة والعلوم النافعة، وصل ذلك كله بمعرفة ما أخبرت به الكتب السماوية والرسل عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر وسائر الغيوب وما حكمت به من الأحكام التي يتعبد المكلفون بها ويتعاملون. والكتب والرسل كفيلون بإقامة البراهين العقلية والسمعية والنظرية على كل ذلك مع ما توقف عليه من الأسرار والحكم التي تضمنتها تلك العلوم. وبعد التصور الصحيح للحقائق وإقامة البراهين عليها وتثبيتها في النفس لابد أن تثمر بعد ذلك سلوكا حسنا في الظاهر يترجم برد اليقين الذي في الباطن، فالمسلم ناشر للحقائق ناصر لأهل الحق صابر في سبيل ذلك.

وقيم الخير والجمال لا تختلف عن قيم الحق في استمدادها من الفطرة والعقل اللذين يؤيدهما ويكملهما الوحي الرباني والعرف الاجتماعي، والخير والجمال موصولين في كنههما وطبيعتهما في الإسلام بمن له المثل الأعلى سبحانه وتعالى، فالله سبحانه هو الذي بيده الخير وهو معطي الخير والموفق له والآمر به والمحب لأهله والمثيب عليه والله وحده من له الجمال المطلق الكامل من كل وجه فهو سبحانه الجميل وكل جمال في الكون هو من نوره الذي أشرقت به كل أرجاء الكون ولا يحس بجماله في كونه على الحقيقة إلا العارفون به سبحانه وتعالى.

آفاق البحث

من خلال معالجتي لموضوع البحث بدا لي أمران حقيقان بأن تسلط عليهما أضواء البحث العلمي:

الأول: بعض عناصر هذا البحث تحتاج لوحدها أن تفرد برسالة علمية لما لها من بالغ الأهمية في الثقافة الإسلامية المعاصرة من مثل صدام القيم وكيف عالجها القرآن الكريم في ضوء التفاسير المعاصرة.

الثاني: كثير من القيم الإنسانية لها حق الصدارة في البحث والتنقيب عنها في القرآن الكريم وتفاسيره ليكون الركيزة الأساسية في حياتنا الاجتماعية وعلاقاتنا الفردية والجماعية مثل قيم التسامح بين الأفراد والأمم والشعوب وقيم الحرية وقيم العدل ...كما يصورها القرآن الكريم وكما عالجت كتب الفسير مختلف مشكلاتها الفلسفية والعملية.

الفهارس:

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأعلام المترجم لهم
- قائمة المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

01-فهرس الآيات

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	2-سورة البقرة		
1	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ ...﴾	30-33	187
2	﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ ...﴾	23-24	252
3	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ ...﴾	11-12	64
4	﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ...﴾	166-167	232
5	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ...﴾	159-160	220
6	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ ...﴾	278-279	263
7	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى ...﴾	21	40, 110
8	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ ...﴾	30	284
9	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ ...﴾	34	37
10	﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ ...﴾	42	209, 229
11	﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ ...﴾	48	255
12	﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾	55	240
13	﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾	83	379
14	﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾	84	143
15	﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾	88	232
16	﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ ...﴾	105	274، 272
17	﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ ...﴾	106	271، 272
18	﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن ...﴾	111	184، 44, 95, 237
19	﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ...﴾	112	44، 111
20	﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا ...﴾	118	240
21	﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ ...﴾	129	197

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
22	﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ ...﴾	136	110
23	﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ...﴾	138	353، 115
24	﴿ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾	140	247
25	﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ...﴾	143	66، 301
26	﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ...﴾	145	220، 214
27	﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾	148	301، 277, 278، 310
28	﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ ...﴾	151	288
29	﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ...﴾	163	369
30	﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ...﴾	164	204, 365, 369، 347
31	﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾	165	133
32	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ...﴾	168	40
33	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ ...﴾	170	96, 235، 147، 211
34	﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ...﴾	171	211، 207, 354
35	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ ...﴾	176	111
36	﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ...﴾	177	131
37	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ ...﴾	178	133
38	﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ...﴾	179	106, 134، 133
39	﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ...﴾	180	269، 298، 271
40	﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ ...﴾	184	329
41	﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ ...﴾	185	35
42	﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم ...﴾	188	138، 259، 143
43	﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ...﴾	190	46
44	﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾	193	133

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
45	﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾	197	336
46	﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن ...﴾	198	140
47	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ...﴾	208	235
48	﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ﴾	215	271
49	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ ...﴾	216	274, 296, 316، 270
50	﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ ...﴾	217	104
51	﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ ...﴾	219	103، 241
52	﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ ...﴾	221	312
53	﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾	222	137
54	﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾	228	49، 56، 135
55	﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم ...﴾	231	326
56	﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا ...﴾	234	135
57	﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ...﴾	237	107، 141, 379
58	﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ ...﴾	249	155
59	﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ ...﴾	251	197
60	﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم ...﴾	257	158
61	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ...﴾	258	239
62	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ ...﴾	260	126
63	﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ ...﴾	262	290
64	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ ...﴾	264	307
65	﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن ...﴾	269	194، 195
66	﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾	272	277
67	﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ ...﴾	275	261، 263

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
68	﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾	276	262
69	﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن ...﴾	280	329
70	﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ ...﴾	282	62
71	﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا﴾	286	67
	3-سورة آل عمران		
72	﴿الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢﴾	2-1	246
73	﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾	7	190
74	﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ ...﴾	8	213، 190
75	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ ...﴾	10	239
76	﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾	15	114
77	﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن ...﴾	26	322 ,288
78	﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ﴾	36	50
79	﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ...﴾	48	197 ,188
80	﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ ...﴾	64	72
81	﴿إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ﴾	75	6
82	﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا ...﴾	79	231 ،217 ,116
83	﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ ...﴾	95	262
84	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ...﴾	102	أ
85	﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ...﴾	103	99، 121، 146, 156, 213، 145
86	﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ ...﴾	104	157، 159، 271, 273
87	﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ...﴾	110	302 ,301
88	﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ﴾	113	6
89	﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ...﴾	114	310 ,280 ,279

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
90	﴿وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ ...﴾	115	279
91	﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾	122	111
92	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ...﴾	130	260
93	﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ ...﴾	139	76
94	﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ ...﴾	152	156
95	﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ ...﴾	159	220، 293
96	﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ ...﴾	165	156
97	﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ...﴾	180	315
98	﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ...﴾	187	222
99	﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا ...﴾	191	198، 25
100	﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ ...﴾	195	49
	4-سورة النساء		
101	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ...﴾	1	أ، 40، 176
102	﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ...﴾	6	17، 16، 16
103	﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ ...﴾	7	50, 53
104	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ...﴾	10	53
105	﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ ...﴾	11	43
106	﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن...﴾	19	275، 273، 297
107	﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾	28	287
108	﴿بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن ...﴾	29	141، 138
109	﴿فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾	34	53، 56، 6
110	﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ ...﴾	36	141
111	﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ ...﴾	54	194، 196
112	﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ...﴾	69	310
113	﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ ...﴾	75	153

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
114	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ ...﴾	82	243، 61, 236
115	﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ ...﴾	83	ج
116	﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا ...﴾	114	309
117	﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ...﴾	119	184, 228
118	﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ...﴾	124	54
119	﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ...﴾	148	107
120	﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن ...﴾	149	107
121	﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ..﴾	153	240
122	﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا ...﴾	165	ب، 245
123	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ ...﴾	170	40
124	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن ...﴾	174	41, 252
	5-سورة المائدة		
125	﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ ...﴾	27-29	246
126	﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ ...﴾	15-16	65
127	﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ ...﴾	2	141، 121، 312
128	﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ ...﴾	3	82
129	﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا ...﴾	8	141، 6
130	﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ ...﴾	15	ت
131	﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ ...﴾	16	3, 81
132	﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ ...﴾	32	48
133	﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ ...﴾	38	55, 138
134	﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا ...﴾	48	82، 310، 278
135	﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	55	6
136	﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ...﴾	79	301

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
137	﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ ...﴾	83	212
138	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ...﴾	90	135
139	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ ...﴾	91	103
140	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ...﴾	104	96، 147
	6-سورة الأنعام		
141	﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ...﴾	75-79	201
142	﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ ...﴾	7	240
143	﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ...﴾	14	174
144	﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ﴾	17	271
145	﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ...﴾	38	371، 117
146	﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ ...﴾	48	2
147	﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ...﴾	62	249
148	﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ...﴾	73	251
149	﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ...﴾	79	174
150	﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ...﴾	82	123
151	﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ ...﴾	97	92
152	﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ﴾	108	184
153	﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ﴾	116	211
154	﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ ...﴾	122	ت، 158
155	﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ ...﴾	133	244
156	﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ ...﴾	148	95
157	﴿۞قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ ...﴾	151	294، 48، 142
158	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا ...﴾	159	191
159	﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ...﴾	161	7
	7-سورة الأعراف		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
160	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ...﴾	172-174	177
161	﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ ...﴾	31-32	337
162	﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ...﴾	26-27	373
163	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ ...﴾	11	2
164	﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾	12	284
165	﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ ...﴾	16	228
166	﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾	26	375، 336، 374
167	﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ...﴾	27	331
168	﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ...﴾	28	327
169	﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾	31	142, 354
170	﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ ...﴾	32	347, 352
171	﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ...﴾	33	327
172	﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾	56	135
173	﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ ...﴾	57	257
174	﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾	105	168
175	﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي ...﴾	142	132
176	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ...﴾	172	244
177	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ...﴾	179	211، 233
178	﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾	180	129, 361
179	﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ...﴾	185	348
180	﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾	188	273
181	﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾	198	356
182	﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ ...﴾	199	377

8-سورة الأنفال

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
183	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ ...﴾	20-23	314
184	﴿لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ...﴾	8	168, 172
185	﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ﴾	23	271
186	﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ ...﴾	46	156
187	﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾	60	88
188	﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ...﴾	63	122، 99, 145
189	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ...﴾	70	306، 271
	9-سورة التوبة		
190	﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ...﴾	17	244
191	﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ ...﴾	33	168
192	﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا ...﴾	41	329
193	﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ ...﴾	71	145، 54
194	﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾	88	280
195	﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ ...﴾	122	302, 303، 132
	10-سورة يونس		
196	﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ...﴾	104-107	109
197	﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ ...﴾	5	167, 343، 25
198	﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ ...﴾	22	181
199	﴿هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ ...﴾	30	249
200	﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ...﴾	31	126, 130
201	﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾	32	216
202	﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ ...﴾	33	168
203	﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا ...﴾	36	96
204	﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ ...﴾	53	167

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
205	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ ...﴾	57	41، 326
206	﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ٥٩﴾	59	86
207	﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ...﴾	94	169
208	﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ...﴾	101	348، 200
209	﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ ...﴾	103	168
210	﴿وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ﴾	107	271

11- سورة هود

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
211	﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ ...﴾	118-119	158
212	﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ...﴾	13-14	252
213	﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن ...﴾	1	63
214	﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم ...﴾	3	89
215	﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾	17	210
216	﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا ...﴾	20	226
217	﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ ...﴾	24	159، 210
218	﴿لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ﴾	31	271، 116
219	﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ ...﴾	44	355، 39
220	﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ...﴾	45	356
221	﴿قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ ...﴾	80	150
222	﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾	84	272
223	﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ ...﴾	88	131
224	﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا ...﴾	91	150، 232
225	﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ ...﴾	118	97

12- سورة يوسف

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
226	﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن ...﴾	23	121
227	﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ ...﴾	51	169

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
228	﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ ...﴾	100	275
229	﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾	103	211
230	﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا ...﴾	106	126
231	﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ...﴾	108	217، 237
	13–سورة الرعد		
232	﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ ...﴾	4-3	92
233	﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ ...﴾	3	198، 102، 66
234	﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ ...﴾	17	25
	14–سورة إبراهيم		
235	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً ...﴾	27-24	26
236	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً ...﴾	26-24	353
237	﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ ...﴾	4	304
238	﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾	10	123، 183
239	﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ ...﴾	22	85
	15–سورة الحجر		
240	﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ ...﴾	39	228
241	﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ٧٢﴾	72	312
242	﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا ...﴾	88	312
	16–سورة النحل		
243	﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا ...﴾	70-66	93
244	﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا ...﴾	8-5	362, 370
245	﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ ...﴾	6	333, 364
246	﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ ...﴾	8	364
247	﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ...﴾	12	2، 93
248	﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ﴾	18	37

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
249	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ...﴾	36	128
250	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي ...﴾	43	188، 241
251	﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ...﴾	44	199
252	﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	60	109
253	﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾	70	18
254	﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ ...﴾	74	109، 247
255	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ...﴾	90	141
256	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ...﴾	97	54، 54, 122, 277, 321
257	﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ...﴾	112	124
258	﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ ...﴾	125	218
259	﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا ...﴾	126	104
	17-سورة الإسراء		
260	﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي ...﴾	73-77	214
261	﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ ...﴾	9	2، ظ, 119
262	﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا ...﴾	12	205
263	﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾	15	245
264	﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ...﴾	16	251
265	﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً ...﴾	32	135
266	﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا ...﴾	33	134، 133
267	﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن ...﴾	37	376
268	﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ...﴾	44	370، 345, 356
269	﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ ...﴾	51	255
270	﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾	53	308، 379
271	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي ...﴾	70	2، 21
272	﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ...﴾	82	289

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
273	﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن ...﴾	88	252
274	﴿۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ...﴾	99	256
275	﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا ...﴾	102	126
	18–سورة الكهف		
276	﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ...﴾	2-1	8
277	﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ...﴾	-103 104	184
278	﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ ...﴾	81-80	276
279	﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ...﴾	1	333
280	﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ...﴾	7	,121 ،362 ,350 364 ,355
281	﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ...﴾	28	312
282	﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن ...﴾	29	215 ,166
283	﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ...﴾	44	249
284	﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾	46	364
285	﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾	51	189
286	﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ...﴾	109	362
	19–سورة مريم		
287	﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا ...﴾	47-41	42
288	﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ ...﴾	67-66	255
289	﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ﴾	12	212 ,59
290	﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾	14	43
291	﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا ...﴾	32	43
292	﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ...﴾	34	251
293	﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ...﴾	65	361
294	﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ...﴾	73	44

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
295	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى ...﴾	83	284
	20-سورة طه		
296	﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ...﴾	118-119	336
297	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ ...﴾	8	246
298	﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44)﴾	44	219
299	﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾	59	350
300	﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا ...﴾	73	320
301	﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ...﴾	86	182
302	﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ...﴾	110	128, 247
303	﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا ...﴾	114	249، 187
304	﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ ...﴾	115	182
305	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ ...﴾	124	132
306	﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ ...﴾	134	245
	21-سورة الأنبياء		
307	﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ...﴾	10	61
308	﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا ...﴾	18	25
309	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾	22	243
310	﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ ...﴾	24	237
311	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا ...﴾	25	128
312	﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾	69	39
313	﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ...﴾	73	288, 309، 273
314	﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي ...﴾	90	129، 310
315	﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾	104	255
316	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً ...﴾	107	48، 35

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
317	﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ ...﴾	108	128
	22-سورة الحج		
318	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ ...﴾	7-5	94
319	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ...﴾	1	40
320	﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ...﴾	3	248
321	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ ...﴾	5	41، 255
322	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾	6	248
323	﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ...﴾	8	248
324	﴿يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ ...﴾	13	85
325	﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ...﴾	36	272
326	﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ ...﴾	40	104
327	﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ ...﴾	46	3، 306
328	﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ ...﴾	54	188، 191
329	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ ...﴾	62	25، 165، 248
330	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ ...﴾	73	40, 109
331	﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾	78	35
	]-سورة الرومك 2		
332	﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ...﴾	92	
	23-سورة المؤمنون		
333	﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن ...﴾	12	284
334	﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا ...﴾	61	311
335	﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ...﴾	71	25، 249
336	﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ...﴾	116	249
337	﴿ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾	118	272
	24-سورة النور		
338	﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ ...﴾	5-4	137

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
339	﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ...﴾	44–43	367
340	﴿ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾	1	3
341	﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ...﴾	2	56، 135, 137
342	﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ...﴾	12	143, 273
343	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا ...﴾	27	16، 17، 329
344	﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ ...﴾	30	49، 135
345	﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ ...﴾	31	50، 136
346	﴿فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ﴾	33	272
347	﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا ...﴾	35	159، 353، 246، 360، 338، 378، ت
348	﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ...﴾	61	294
	25-سورة الفرقان		
349	﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ ...﴾	29–27	313
350	﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ ...﴾	1	62, 167
351	﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾	2	288
352	﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ ...﴾	30	236
353	﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ ...﴾	33	216
354	﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ ...﴾	44	211
355	﴿لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا ...﴾	49	17
356	﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ ...﴾	62	205
357	﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾	72	142
	26-سورة الشعراء		
358	﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ...﴾	192–195	252
359	﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ...﴾	89–88	44
360	﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم ...﴾	8	211

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
361	﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣﴾	23	126
	27-سورة النمل		
362	﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ ...﴾	39-25	292
363	﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ...﴾	14	173، 126
364	﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ ...﴾	19	239
365	﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ...﴾	40	239
366	﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ...﴾	49	150
367	﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم...﴾	64	237
	28-سورة القصص		
368	﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ...﴾	80-79	183
369	﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ ...﴾	4	132
370	﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ ...﴾	5	322
371	﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ ...﴾	23	50
372	﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾	24	272
373	﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ...﴾	26	51
374	﴿وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا ...﴾	48	245
375	﴿وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ ...﴾	53	210
376	﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ ...﴾	55	142
377	﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ...﴾	60	323
378	﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا ...﴾	63	251
379	﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ...﴾	76	44
380	﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾	78	45
381	﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ...﴾	79	281 ,45
382	﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ...﴾	80	281 ,45
383	﴿وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ ...﴾	82	45

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	29–سورة العنكبوت		
384	﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن ...﴾	8	42
385	﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ...﴾	16	328
386	﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ ...﴾	20	93, 200
387	﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ...﴾	41	109
388	﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ...﴾	51	118
	30–سورة الروم		
389	﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ ...﴾	38–39	261
390	﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ ...﴾	6	210، 87
391	﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ ...﴾	7	86، 87، 211
392	﴿وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾	19	256
393	﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ ...﴾	21	37, 56
394	﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾	27	255
395	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ...﴾	30	181، 176, 179، 7, 96, 173, 178، 174
396	﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾	47	168
397	﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ...﴾	48	206, 368
	31–سورة لقمان		
398	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ﴾	12	194
399	﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ ...﴾	14	42
400	﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا ...﴾	15	47، 149
401	﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ...﴾	20	248
402	﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ...﴾	27	362
403	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ ...﴾	30	248
404	﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ...﴾	32	181

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	32–سورة السجدة		
405	﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ ...﴾	9–7	372
406	﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾	7	362
407	﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ...﴾	13	168
	33–سورة الأحزاب		
408	﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ ...﴾	27–25	155
409	﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ ...﴾	11–10	154
410	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ ...﴾	71–70	أ
411	﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾	4	64
412	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ ...﴾	9	155
413	﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ ...﴾	21	133
414	﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا ...﴾	22	154
415	﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ ...﴾	25	272
416	﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ ...﴾	35	55
417	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ...﴾	36	55
418	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ...﴾	53	169، 16
419	﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ...﴾	58	54
420	﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ ...﴾	62	96
421	﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾	63	258
422	﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا ...﴾	67	183, 233
423	﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ...﴾	73	54
	34–سورة سبأ		
424	﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ ...﴾	21–15	124
425	﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ ...﴾	6	188, 243
426	﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ﴾	10	39
427	﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ...﴾	24	166

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
428	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ...﴾	28	35
429	﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ ...﴾	37	44
	35-سورة فاطر		
430	﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩ ...﴾	19-22	158
431	﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ...﴾	27-28	92
432	﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾	1	331, 340
433	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا ...﴾	5	41
434	﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ﴾	8	331
435	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ ...﴾	15	ظ, 62, 250
436	﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ ...﴾	32	98, 289, 311
437	﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾	39	244
438	﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ ...﴾	43	96
	36-سورة يس		
439	﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ ...﴾	20-22	223
440	﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ﴾	78	255
441	﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ﴾	79	255
	37-سورة الصافات		
442	﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾		155
443	﴿وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾	71	211
	38-سورة ص		
444	﴿۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ ...﴾	21-22	169
445	﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ ...﴾	5	127، 233
446	﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ ...﴾	20	216
447	﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ...﴾	29	ب, 27, 236
448	﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي ...﴾	32	269، 272

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
449	﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن ...﴾	71	283
450	﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ ...﴾	72	283
451	﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا ...﴾	75	2
452	﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ٨٤﴾	84	251
	39-سورة الزمر		
453	﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ ...﴾	23-22	368
454	﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ ...﴾	5	205
455	﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ ...﴾	21	368
456	﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ ...﴾	53	137
	40-سورة غافر		
457	﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ ...﴾	30-28	223
458	﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ ...﴾	9-7	147
459	﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ...﴾	57	256
	41-سورة فصلت		
460	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ ...﴾	42-41	161
461	﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ ...﴾	5	232
462	﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ ...﴾	12	336، 362
463	﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ...﴾	26	226، 83
464	﴿هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ﴾	44	62
465	﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ﴾	46	277
466	﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا...﴾	51	181
467	﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ ...﴾	53	3، 31, 202، 203
	42-سورة الشورى		
468	﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ ...﴾		107
469	﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ...﴾	18-17	257

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
470	﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾	11	128, 247
471	﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ ...﴾	13	43
472	﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ ...﴾	21	86
473	﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾	38	293
474	﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾	40	107
475	﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم ...﴾	41	107
476	﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ ...﴾	43	107
477	﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا...﴾	52	ث, 3, 288
	43-سورة الزخرف		
478	﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ ...﴾	22-25	96
479	﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ ...﴾	26-27	356
480	﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ...﴾	9	180
481	﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ ...﴾	31	97، 44, 234
482	﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا ...﴾	32	234
483	﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن ...﴾	45	128
484	﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن ...﴾	86	249
485	﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾	87	126
	44-سورة الدخان		
486	﴿أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ﴾	37	272
	45-سورة الجاثية		
487	﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ...﴾	1-6	205
488	﴿۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ ...﴾	12-13	94
489	﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا ...﴾	24	95
	46-سورة الأحقاف		
490	﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ ...﴾	15	42

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
491	﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا ...﴾	16	169
492	﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ...﴾	20	278
493	﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ...﴾	33	256
	47–سورة محمد		
494	﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ...﴾	3-1	161
495	﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ...﴾	19	128
496	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ ...﴾	24	236
	48–سورة الفتح		
497	﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ ...﴾	18	155
498	﴿وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ...﴾	21	155
499	﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن ...﴾	23	96 ,84
500	﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ ...﴾	29	378 ،145 ،121
	49–سورة الحجرات		
501	﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ ...﴾	13-9	99
502	﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ ...﴾	5	273
503	﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ ...﴾	7	353 ،80
504	﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾	8	81
505	﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ ...﴾	9	49
506	﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ ...﴾	10	121 ،145 ,49
507	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن ...﴾	11	143 ،137 ،49
508	﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾	12	137
509	﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾	13	38, 44، ث, 55، 2, 37, 59، 148
	50–سورة ق		
510	﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ ...﴾	11-6	363
511	﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾	8	198

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
512	﴿وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ١١﴾	11	256
513	﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ﴾	15	255
514	﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾	18	308
	51-سورة الذاريات		
515	﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ ...﴾	21-20	372
516	﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾	19	169
517	﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٥٣﴾	53	204
	53-سورة النجم		
518	﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ...﴾	26-19	95
519	﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ ...﴾	4-3	247 ,64
520	﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم ...﴾	23	248 ,238
	54-سورة القمر		
521	﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ٥﴾	5	196 ,194
	55-سورة الرحمن		
522	﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ٧٠﴾	70	375
	56-سورة الواقعة		
523	﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ٦٣ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ ...﴾	74-63	370
524	﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ﴾	62	255
	57-سورة الحديد		
525	﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ ...﴾	14	184
526	﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ ...﴾	20	370
527	﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا ...﴾	25	172
	58-سورة المجادلة		
528	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا ...﴾	10-9	309
529	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ ...﴾	11	189
530	﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ...﴾	19	229
531	﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ...﴾	22	145

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	59-سورة الحشر		
532	﴿كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ﴾	7	264
533	﴿بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ ...﴾	14	292، 158
	60-سورة الممتحنة		
534	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي ...﴾	1	65
535	﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ...﴾	4	356
536	﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا ...﴾	5	82
537	﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ...﴾	8	47، 149
	62-سورة الجمعة		
538	﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ ...﴾	2	194
539	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن ...﴾	9	328
540	﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ...﴾	10	140
541	﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا ...﴾	11	321
	63-سورة المنافقون		
542	﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ﴾	4	341
	64-سورة التغابن		
543	﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ...﴾	18	194
	65-سورة الطلاق		
544	﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن ...﴾	4	135
	66-سورة التحريم		
545	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ...﴾	6	43
546	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ ...﴾	9	220
	67-سورة الملك		
547	﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ ...﴾	9-8	245
548	﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي ...﴾	4-3	333
549	﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ ...﴾	5	362

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
550	﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في ...﴾	10	211
551	﴿أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى ...﴾	22	2, 158, 172
	68-سورة القلم		
552	﴿ن والقلم وما يسطرون﴾	1	187
553	﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾	4	80, 141
554	﴿مناع للخير معتد أثيم﴾	12	271
	69-سورة الحاقة		
555	﴿الحاقة﴾	1-2	168
	71-سورة نوح		
556	﴿قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا ...﴾	5-9	217
	73-سورة المزمل		
557	﴿مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون ...﴾	20	140
	75-سورة القيامة		
558	﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾	22-23	324, 335
559	﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾	1	257
	76-سورة الإنسان		
560	﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج ...﴾		17
561	﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما ...﴾	8-10	306
562	﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج ...﴾	2	17، 335
563	﴿إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا﴾	3	176
564	﴿ولقاهم نضرة وسرورا﴾	11	335, 375
	79-سورة النازعات		
565	﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها (27) ...﴾	27-28	256
566	﴿فقل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ...﴾	18-19	220
	80-سورة عبس		
567	﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾	24	200
	82-سورة الانفطار		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
568	﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ ...﴾	8-7	373 ,372
569	﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧﴾	7	373
	83-سورة المطففين		
570	﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ ...﴾	3-1	380
	85-سورة البروج		
571	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ ...﴾	10	54
	86-سورة الطارق		
572	﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥﴾	5	200
	87-سورة الأعلى		
573	﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ...﴾	3-1	175
574	﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ ...﴾	17-16	323
575	﴿وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣﴾	3	115
576	﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ٩﴾	9	106
	88-سورة الغاشية		
577	﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ ...﴾	20-17	200
	90-سورة البلد		
578	﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠﴾	10	176
	91-سورة الشمس		
579	﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧﴾	7	181
	93-سورة الضحى		
580	﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦﴾	6	150
581	﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾	11	37
	95-سورة التين		
582	﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ثُمَّ ...﴾	5-4	372 ,18
583	﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤﴾	4	284 ,175 ,34 ,6
	96-سورة العلق		
584	﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ...﴾	5-1	187
585	﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ...﴾	7-6	264 ,260 ,239
	98-سورة البينة		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
586	﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ...﴾	2-1	8
587	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ ...﴾	5	133
588	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ...﴾	7	279
	99-سورة الزلزلة		
589	﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾	7	280
	100-سورة العاديات		
590	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُ عَلَى ...﴾	7-6	244
591	﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾	8	273
	101-سورة القارعة		
592	﴿الْقَارِعَةُ ۝١ مَا الْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ ...﴾	3-1	257
	103-سورة العصر		
593	﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ ...﴾	3-1	215
	111-سورة المسد		
594	﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾	1	340
595	﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾	3	148
	112-سورة الإخلاص		
596	﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾	4، 247	109، 247

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

02-فهرس الأحاديث

م	طرف الحديث	الصفحة
1	((أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل))	90
2	((أكرمهم عند الله أتقاهم، قالوا ليس عن هذا نسألك، قال فأكرم الناس يوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله، قالوا ليس عن هذا نسألك، قال فعن معادن العرب تسألوني ؟ قالوا نعم، قال فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام، إذا فقه	38
3	((ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب))	306
4	((الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعملوا من القرآن، وعلموا من السنة ...))	178
5	((إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر))	150
6	((إن رحمتي سبقت غضبي))	129
7	((إن فيك لخلقين يحبهما الله الحلم والأناة))	80
8	((إن مثل المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))	143
9	((إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر، مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه))	300
10	((أنزلوا الناس منازلهم))	46
11	((إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))	14
12	((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))	65
13	((إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم))	179
14	((تقوم الساعة والروم أكثر الناس))	65
15	((خياركم خياركم لنسائهم))	297
16	((سلمان منا أهل البيت))	100
17	((سلمان منا أهل البيت))	148
18	((القرآن حجة لك أو عليك))	166
19	((كان خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن، قول الله عز وجل ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [سورة القلم 4]؟))))	80

م	طرف الحديث	الصفحة
20	((كل مولود يولد على الفطرة، حتى يكون أبواه هما اللذان يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة جمعاء، هل تحسّون فيها من جدعاء))	179
21	((كلكم بنو آدم، وآدم خلق من تراب لينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان))	38
22	((لَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ))	157
23	((لا تلعنوا الشيطان، واستعيذوا بالله منه))	308
24	((لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه، فإن كان لا بد فاعلا فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي))	129
25	((لما جاء مالك بن نضلة إلى النبي ' وعليه ثياب دون قال النبي ' (لك مال؟) قال نعم؛ قَالَ نَعَمْ ، مِنْ كُلِّ الْمَالِ . قَالَ من أيِّ المال؟ قَالَ قَدْ آتَانِي اللهُ من الإبل، وَالغنم، وَالخيل، وَالرَّقِيقِ . قَالَ (فَإِذَا آتَاكَ اللهُ مَ	337
26	((اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع))	22
27	((لو سرقت فاطمة لقطعت يدها))	138
28	((لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ مَا صَفُّوا فِيهِ إِلَّا بِقُرْعَةٍ أَوْ سُهْمَةٍ))	278
29	((ليأتين على الناس زمان لا يبقى فيه أحد إلا أكل الربا، فإن لم يأكله أصابه من غباره))	259
30	((ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية))	146
31	((ليس منا من لم يتغن بالقرآن))	118
32	((مثل علم لا ينتفع به كمثل كنز لا ينفق منه في سبيل الله))	22
33	((المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة))	122
34	((مَنْ كَانَ لَهُ شَعَرٌ فَلْيُكْرِمْهُ))	337
35	((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت))	307
36	((نعم المال الصالح مع الرجل الصالح))	260
37	((وعن جابر بن عبد الله قال أتانا رسول الله ' ، فرأى رجلا شعثا قد تفرق شعره فقال أما كان هذا يجد ما يسكن به شعره؟، ورأى رجلا آخر وعليه ثياب وسخة فقال أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه؟))	337
38	((يا معاذ أوصيك وصية الأخ المشفق))	41

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

04-فهرس الأعلام

م	العلم	الصفحة
1	أبو حامد الغزالي	324, 340
2	تقي الدين الهلالي	27, 28, 30, 31, 32, 72, 73, 74, 77, 401
3	سيد قطب	78
4	صالح آل الشيخ	13, 14, 18, 59, 66, 76, 99, 392, 401
5	طه عبد الرحمن	12, 13, 14, 79, 102, 392
6	عبد الحميد بن باديس	21, 30, 74, 81, 84, 113, 144, 145, 200, 217, 230, 393
7	مالك بن نبي	84
8	محمد الأمين الشنقيطي	ف, 7, 8, 13, 51, 53, 57, 58, 84, 86, 87, 88, 89, 97, 100, 103, 104, 108, 109, 110, 119, 126, 128, 130, 132, 134, 135, 136, 137, 138, 139, 140, 144, 146, 147, 150, 153, 154, 155, 177, 182, 211, 219, 236, 244, 245, 247, 255, 292, 376, 395, 396
9	محمد البشير الإبراهيمي	27, 30, 46, 69, 70, 71, 143, 199, 356
10	محمد الطاهر بن عاشور	ز, ف, 29, 50, 51, 74, 108, 127, 129, 131, 132, 146, 149, 175, 179, 180, 181, 183, 189, 194, 215, 218, 228, 233, 246, 248, 301, 303, 379, 396

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	العلم	الصفحة
11	محمد شلتوت	39, 40, 61, 119, 175, 180, 226, 293, 397
12	محمد عبد الله دراز	26
13	وهبة الزحيلي	س, ف, ق, 14, 19, 35, 48, 61, 65, 67, 78, 103, 110, 111, 175, 176, 177, 189, 193, 214, 296, 297, 308, 354, 390, 400, 401

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

08-فهرس القصائد العامة

م	الشطر الأول	الشطر الثاني	الصفحة
	حرف الهمزة		
1	آنست نبأة وأفزعها القـ	ـناص وقد دنا الإمساء	16
2	فَقُل لِمَن يَدَّعي في العِلمِ فَلسَفَةً	حَفِظتَ شَيئاً وَغابَت عَنكَ أَشياء	211
	حرف الباء		
3	لقد رفع الإسلام سلمان فارس	وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب	148
	حرف التاء		
4	إذا لم تشاهد غير حسن شياتها	مغيب	355
	حرف الدال		
5	ألا من مبلغ عني يزيدا	وصاة من أخي ثقة ودود	41
6	بحر التفلسف لا قرار له	يا ويح من سبحت فيه عقائده	123
	حرف الراء		
7	ما بال سر فتاة العصر منحرفا	يهوي بها في مهاوي الإفك والزور	58
8	يد بخمس مئين عسجد وديت	ما بالها قطعت في ربع دينار	139
	حرف السين		
9	حي الهدملة من ذات المواعيس	فالحنو أصبح قفراً غير مأنوس	16
10	لقد رفع الإسلام سلمان فارس	لهب	100
	حرف الظاء		
11	يزيدك وجهه حسنا	إذا ما زدته نظرا	31
	حرف الميم		
12	فهم ضربوكم حين جرتم عن الهدى	بأسيافهم حتّى استقمتم على القيم	7
	حرف النون		
13	أقبل على النفس واستكمل فضائلها	فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان	45
14	علم به تصفية البواطن	من كدورات النفس في المواطن	120
15	لأسرار آيات الكتاب معان	تدق فلا تبدو لكل معان	ق
16	وما سُمِّي الإنسان إلا لنسيه	ولا القلب إلا أنه يتقلَّب	182

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

م	الشطر الأول	الشطر الثاني	الصفحة
	حرف الهاء		
17	الـغـرب أقـبـل تـغـزونا خـطـاياه	ونـترك الـدين والـدنيـا لـدنيـاه	85
	حرف الياء		
18	عز الأمـانـة أغلاهـا وأرخصـــهـا	ذل الخيـانـة فـافهم حكمـة البـاري	139
19	والله لن يصـــلوا إليـك بجمعهم	حتى أوســـــد في التراب دفينـا	150
20	ولاقـيـت الخـيـور وأخـطـأتـني	خـطـوب جمـة وعـلـوت قـرني	269
21	ولا أحـــدٍ مـــنـــهـــمْ جمـــيـــعـــاً	فنســـألـه أيـن نـعبر أيضــــاً	15

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: المصحف المضبوط على برواية حفص عن عاصم، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة.

أولا: المصادر والمراجع المطبوعة

❖ ابن الأثير، "النهاية في غريب الأثر"، ت: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م، دط.

❖ ابن الجوزي، "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر"، ت:مهر النساء آيم، دار المعارف العثمانية، الهند، 1405هـ، ط1، ج1ص161.

❖ ابن القيم، "الفوائد"، ت: محمد عزيز شمس، دار عطاءات العلم، الرياض–دار ابن حزم، بيروت، 1440هـ–2019م، ط1 ل: دار ابن حزم.

❖ ابن القيم، "روضة المحبين ونزهة المشتاقين"، ت: محمد عزيز شمس، دار عطاءات العلم، الرياض–دار ابن حزم، بيروت، 1440هـ–2019م، ط1 ل: دار ابن حزم.

❖ ابن باديس، "العقائد الإسلامية"، مكتبة الشركة الجزائرية مرازقه بو داود وشركاؤهما، الجزائر، دت، ط2.

❖ ابن جزي، "التسهيل لعلوم التنزيل"، ت: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، 1416هـ، ط1.

❖ ابن جزي، "القوانين الفقهية"، ت: ماجد الحموي، دار ابن حزم، بيروت–لبنان، 1434هـ–2013م، ط1.

❖ ابن حبان، "صحيح ابن حبان"، ت: محمد علي سونمز- خالص آي دمير، دار ابن حزم – بيروت، 1433هـ–2012م، ط1.

❖ العثيمين: محمد بن صالح ، "تفسير جزء عم"، ت: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، 1423هـ–2003م، ط3.

❖ العثيمين: محمد بن صالح ، "شرح ثلاثة الأصول"، دار الثريا للنشر، المملكة العربية السعودية، 1424هـ–2004م، ط4.

❖ العثيمين: محمد بن صالح ، "شرح رياض الصالحين"، دار الوطن للنشر، الرياض، 1426هـ، دط.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

❖ ابن فارس، "مجمل اللغة"، ت: زهير عبد المحسن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ-1986م.

❖ ابن فارس، "معجم مقاييس اللغة"،ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، لبنان، 1399هـ -1979م، دط.

❖ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة"، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، لبنان، 1399هـ-1979م، دط.

❖ ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ت: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ-1999م، ط2.

❖ ابن ماجه، "السنن"، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، لبنان، 1430هـ-2009م، ط1.

❖ ابن منظور، "لسان العرب"، دار صادر – بيروت، 1414هـ ، ط3.

❖ أبو إسحاق الشاطبي، "الموافقات في أصول الشريعة"، ت: مشهور حسن سلمان، دار ابن عفان، 1417هـ-1997م، ط1.

❖ أبو العباس أحمد علي الفيومي، "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير"، المكتبة العلمية، بيروت، دت، دط.

❖ أبو الفتح البستي، "ديوان أبو الفتح البستي"، تحقيق: دريّة الخطيب ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية، دمشق،1410هـ-1989م، دط.

❖ أبو القاسم الطبراني "المعجم الكبير"، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط2.

❖ أبو بكر بن أبي عاصم، كتاب السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)، المكتب الإسلامي، سوريا، 1400هـ-1980م، ط1.

❖ أبو بكر محمد بن خزيمة السلمي، "صحيح ابن خزيمة"، ت: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي-بيروت، 1412هـ-1992م، ط2.

❖ أبو جعفر الطحاوي، "شرح مشكل الآثار"، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1415هـ-1994م، ط1.

❖ أبو حامد الغزالي، "إحياء علوم الدين"، دار المعرفة – بيروت، 1402هـ-1982م، دط.

❖ أبو حامد الغزالي، "جواهر القرآن"، ت: محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، 1406هـ-1986م، ط2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

❖ أبو داود السجستاني، "سنن أبي داود"، ت: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، لبنان، 1430هـ – 2009م، ط1.

❖ أبو داود الطيالسي، "مسند أبي داود الطيالسي"، ت: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر – مصر، 1419هـ-1999م، ط1.

❖ أبو عيسى الترمذي، "الجامع الكبير (سنن الترمذي)"، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، 1996م، ط1.

❖ أبي القاسم الزجاجي، "اشتقاق أسماء الله"، ت: عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1406هـ-1986، ط2.

❖ أحمد الصافي النجفي، "هواجس"، مكتبة المعارف، بيروت، 1983م، ط3.

❖ أحمد بن حنبل، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1421هـ-2001م، ط1.

❖ أحمد بن سعد حمدان، "فطرية المعرفة وموقف المتكلمين منها"، دار طيبة للنشر والتوزيع، م ع السعودية، 1415هـ-1995م، ط1.

❖ أحمد بن مصطفى المراغي، "تفسير المراغي"، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، 1365هـ - 1946م، ط1.

❖ أحمد بن مصطفى المراغي،"تفسير المراغي"، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، 1365هـ- 1946م، ط1.

❖ أحمد مصطفى الزرقا، "المدخل الفقهي العام"، دار القلم- دمشق، 1433هـ-2012م، ط3.

❖ أحمد ياسوف، "جماليات المفردة القرآنية"، دار المكتبي – دمشق، 1419هـ-1999م، ط2.

❖ أصول عظيمة من قواعد الإسلام"، ت: عبد الرزاق البدر، دار الإمام الآجري، الجزائر، 1432هـ-2011م، ط1.

❖ الألباني، "ضعيف الترغيب والترهيب"، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، 1421هـ-2000م، ط1.

❖ أماني صالح، "القرآن الكريم وتأصيل فلسفة الحق"، الاتقان للترجمة و النشر والبحوث، دون معلومات النشر.

❖ بديع السيد اللحام، "وهبة الزحيلي العالم الفقيه المفسر"، دار القلم، دمشق، 1422هـ-2001م، ط1.

❖ بكر أبو زيد، "معجم المناهي اللفظية"، دار العاصمة للنشر والتوزيع – الرياض، المملكة العربية السعودية، 1417هـ-1996م، ط3.

❖ توفيق الطويل، "أسس الفلسفة"، مكتبة النهضة المصرية، مصر، دت، ط3.

❖ جار الله الزمخشري، "إعجاز سورة الكوثر"، ت: حامد الخفاف، دار البلاغة، بيروت-لبنان، 1411هـ-1991م، ط1.

❖ جار الله الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، دار الكتاب العربي – بيروت، 1407هـ،ط3.

❖ جلال الدين السيوطي، "الإكليل في استنباط التنزيل"، ت: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية – بيروت، 1401 هـ - 1981 م، دط.

❖ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، "تفسير الجلالين"، دار الحديث – القاهرة، دت، ط1.

❖ جلال الدين السيوطي، "الاتقان في علوم القرآن" ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ-1973م، دط.

❖ جمال الدين القاسمي، "جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب"، ت: طارق بن عبد الواحد علي، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1434هـ، ط1.

❖ جمال الدين القاسمي، "محاسن التأويل"، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، 1418هـ، ط1.

❖ جميل صليبا، "المعجم الفلسفي"، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، لبنان، 1982م، دط.

❖ حافظ الحكمي، "معارج القبول"، ت:محمد صبحي حلاق، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1439هـ، ط10.

❖ صديق حسن خان، "فتحُ البيان في مقاصد القرآن"، ت: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، 1412هـ-1992م.

❖ حسان عبد المنان، "المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم"، بيت الأفكار الدولية، الأردن-المملكة العربية السعودية، 2000م، ط3.

❖ الخطيب البغدادي، "اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي"، ت: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، 1397هـ، ط4.

❖ خير الدين الزركلي، "الأعلام"، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 2002م، ط15.

❖ الدارمي، "سنن الدارمي"، ت: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1412هـ-2000م، ط1.

❖ الدامغاني، "الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، ت: محمد الزفيتي، مطابع الأهرام التجارية، مصر 1416هـ، دط، ج1ص 248.

❖ الربيع ميمون، "نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، دط.

❖ زهير المنصور المزيدي، " تفعيل القيم وممارستتها"، مؤسسة الإعلاميون العرب، الكويت، 2010م، دط.

❖ ستيفن لو، "الأنسانوية"، ترجمة: ضياء وراد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية، 2016م، ط1.

❖ سعد الحصين، "فكر سيد قطب"، الدار الأثرية للنشر والتوزيع –دار الهداية، القاهرة-مصر، 1433هـ-2012م، ط1.

❖ سليمان الندوي، "الرسالة المحمدية"، دار ابن كثير، دمشق، 1423هـ، ط1.

❖ سليمان بن صالح القرعاوي، "الموسوعة القرآنية في الوجوه والنظائر" مكتبة الجديدي، الأحساء،1435هـ-2014م، ط1.

❖ سميح عبد الوهاب الجندي، "مقاصد الشريعة عند ابن القيم الجوزية"، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت-لبنان، 1434هـ-2013م، ط1.

❖ السمين الحلبي، "عمدة الحفاظ"، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1417هـ-1996م، ط1.

❖ سيد قطب، "أيها العرب استيقظوا واحذروا"، ت: جمال مدغمش، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2004م، ط2.

❖ سيد قطب، "في ظلال القرآن"، دار الشروق - بيروت- القاهرة، 1423هـ-2003م، ط32.

❖ سيد قطب، "خصائص التصور الإسلامي ومقوماته"، دار الشروق - بيروت- القاهرة، دت، دط.

❖ سيف الدين عبد الفتاح، "قيم الواقع، وواقع القيم، ما المعنى العلمي للقيم؟/ القيم في الظاهرة الاجتماعية؛ تحرير نادية مصطفى وآخرون"، دار البشير للثقافة و العلوم، مصر ،2012م-1433هـ، ط1.
❖ سيف الدين عبد الفتاح، "قيم الواقع، وواقع القيم، ما المعنى العلمي للقيم؟/ القيم في الظاهرة الاجتماعية؛ تحرير نادية مصطفى وآخرون"، دار البشير للثقافة و العلوم، مصر ،2012م-1433هـ، ط1.
❖ صالح أحمد الشامي، "ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية في الإسلام"، المكتب الإسلامي، دمشق، 1408هـ-1988م، ط1.

❖ صالح آل الشيخ، "تعميق الصلة بين الشباب والقيم الإسلامية/سلسلة المحاضرات العلمية"، ت: عادل رفاعي، دار الحجاز، ط1.

❖ صلاح قنصوة، "نظرية القيم في الفكر المعاصر"، التنوير للطباعة و النشر، بيروت-لبنان، 2010م، دط.

❖ ضياء الدين المقدسي، "الأحاديث المختارة"، ت: الدكتور عبد الملك دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1420هـ-2000م، ط3.

❖ الطبراني، "المعجم الأوسط"، ت: طارق بن عوض الله بن محمد - عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة، 1415هـ-1994م، دط.

❖ طه جابر العلواني، "القيم بين الرؤية الإسلامية والرؤية الغربية في المنهج المعرفي القرآني/القيم في الظاهرة الاجتماعية"، تحرير: نادية محمود مصطفى.

❖ طه عبد الرحمن، "تعددية القيم"، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2001م، ط1.

❖ مالك بن نبي، "الظاهرة القرآنية"، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر (دمشق)-دار الفكر المعاصر (بيروت)، 1437هـ-2016م، ط14.

❖ طه عبد الرحمن، "سؤال الأخلاق"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، 2000م، ط1.

❖ عادل العوا، "العمدة في فلسفة القيم"، دار طلاس للدراسات و الترجمة، دمشق، 1986م- ط1.

❖ عادل نويهض، "معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر"، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، 1409هـ - 1988،م، ط3.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

❖ عبد الحميد بن باديس، "مجالس التذكير من كلام البشير النذير"، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1403هـ-1983م، ط1.

❖ عبد الحميد بن باديس، "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، ت: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1416هـ-1995م، ط1.

❖ عبد الرحمن السعدي، "أصول عظيمة من قواعد الإسلام"، اعتنى به: عبد الرزاق البدر، دار الإمام الآجري، الجزائر، 1422هـ-2011من ط1.

❖ عبد الرحمن السعدي، "الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة"، دار المنهج، الجزائر،1434هـ-2013م، ط1.

❖ عبد الرحمن السعدي، "القواعد الحسان لتفسير القرآن"، مكتبة الرشد، الرياض، 1420هـ-1999م، ط1.

❖ عبد الرحمن السعدي، "المواهب الربانية من الآيات القرآنية"، ت:سمير الماضي، دار المعالي، م ع السعودية، 1428هـ-2007م، ط3.

❖ عبد الرحمن السعدي، "شرح جوامع الأخبار"، مكتبة الإمام الزهري، قسنطينة -الجزائر، 1441هـ-2019م، ط1.

❖ عبد الرحمن السعدي، "طريق الوصول إلى العلم المأمول"، مكتبة الإمام الزهري، قسنطينة-الجزائر، 1438هـ، ط1.

❖ عبد الرحمن السعدي، "فتح الرحيم الملك العلام"، ت: عبد الرزاق البدر، دار الفضيلة، الجزائر، 1430هـ-2009م، ط1.

❖ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، ت: عبد الرحمن اللويحق، مكتبة العبيكان، الرياض، 1422هـ-2001م، ط1.

❖ عبد الفتاح رواس قلعه جي، "مدخل إلى علم الجمال الإسلامي"، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق، 1411هـ-1991م، ط1.

❖ عبد اللطيف محمد عامر، "القرآن والقيم الإنسانية"، مكتبة وهبة، القاهرة-مصر، 1418هـ-1998م، ط1.

❖ عبد الله أكرزام، "الفكر المقاصدي في تفسير المنار"، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، المملكة الأردنية الهاشمية، 1437هـ-2017م، ط1.

❖ عبد الله الرحيلي، "الأخلاق الفاضلة ومنطلقات لاكتسابها"، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف والدعوة والارشاد، المملكة العربية السعودية، 1429هـ-2009م، ط3.

❖ عبد الله بصفر، "القيم الإنسانية في الإسلام/ التعايش السلمي في الإسلام"، الندوة الدولية: كولنبو ســيرلانكا المنعقدة بتاريخ: 11-13 جمادى الآخرة 1427هـ الموافق لـــــ: 7-9 يوليو 2007م.

❖ عبد لرحمن الزنيدي، "السلفية وقضايا العصر"، دار اشبيليا، م ع السعودية، 1418هـ-1998م، ط1.

❖ عطية محمد سالم، "وصايا الرسول ﷺ"، دار الكلم الطيب، دمشق، سوريا، 1424هـ-2003م، ط3.

❖ عطية محمد سـالم، «منهج التشـريع الإسـلامي وحكمته/ مجموعة الرسـائل المدنية»، دار الجوهرة، المدينة المنورة- م ع السعودية، 1426هـ، ط1.

❖ علي الجرجاني، التعريفات، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، 1405هـ، ط1.

❖ عمر بوسـاحة، "العولمة الثقافية -المفهوم والتحديات-"، أشـرعة النور، الجزائر، 2012م، دط.

❖ عمر كحالة، "معجم المؤلفين"، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي- بيروت، دت، دط.

❖ فاضـل صـالح السـامرائي، "نبوة محمد من الشـك إلى اليقين"، دار ابن كثير، دمشـق، 1436هـ/2015م، ط1.

❖ الفيروز أبادي، "القاموس المحيط"، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1426 هـ - 2005 م، ط8.

❖ القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصـرية – القاهرة، 1348هـ-1964م، ط2.

❖ لويس معلوف، "المنجد في اللغة"، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت –لبنان، 1956، ط17.

❖ ماجد بن محمد الأسمري، "الاسـترقاق القيمي وجذور الممانعة"، مركز تكوين للدراسـات والأبحاث، م ع السعودية، 1435هـ-2014م، ط1.

❖ مالك بن نبي، "دور المسلم"، دار الفكر- دمشق سورية / دار الفكر – الجزائر، 1412هـ-1991م، ط1.

❖ مانع بن محمد المانع، "القيم بين الإسلام والغرب"، دار الفضيلة، المملكة العربية السعودية، 1426هـ-2005م ط1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

❖ متولي الشعراوي، "تفسير الشعراوي"، مطابع أخبار اليوم، 1997م، دط

❖ مجموعة من المؤلفين (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية-مصر)، "الموسوعة القرآنية المتخصصة"، وزارة الاوقاف، القاهرة – مصر، 1423هـ-2002م، دط.

❖ مجموعة من المؤلفين، "موسوعة التفسير الموضوعي"، إشراف وطبع: مركز تفسير للدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية، 1440هـ-2019م، ط1.

❖ محمد أبو بكر الرازي، "مختار الصحاح"، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، 1420هـ - 1999م، ط5.

❖ أبو بكر جابر الجزائري، "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير"، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1424هـ-2003م، ط5.

❖ محمد أبو زهرة، "زهرة التفاسير"، دار الفكر العربي، دت، دط.

❖ محمد أبو زهرة، "شريعة القرآن من دلائل إعجازه"، دار العروبة، القاهرة، 1381هـ-1961م، دط.

❖ محمد أحمد الغمراوي، "في سنن الله الكونية"، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1355هـ-1936م، ط1.

❖ محمد الإتيوبي الولوي، "البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج"، دار ابن الجوزي – الرياض، 1436هـ، ط1.

❖ محمد الأمين الشنقيطي، " المثل العليا في الإسلام "، دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) ، 1441هـ - 2019م، ط5.

❖ محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، 1415هـ - 1995مـ.

❖ محمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن "، دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) ، 1441هـ - 2019م، ط5.

❖ محمد الأمين الشنقيطي، "الرحلة إلى إفريقيا"، ت: خالد عثمان السبت، دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، 1441هـ-2019م، ط5.

❖ محمد الأمين الشنقيطي، "العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير"، ت: خالد بن عثمان السبت، دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، 1441هـ - 2019م ط5.

❖ محمد الأمين الشنقيطي، "معارج الصعود إلى تفسير سورة هود"، ت: عبد الله بن أحمد قادري، دار المجتمع للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1408هـ-1988م، ط1.

❖ محمد الطاهر بن عاشور، "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"، الشركة التونسية للتوزيع (تونس)-الشركة الوطنية للكتاب (الجزائر)، دت، دط.

❖ محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م، دط

❖ محمد الطاهر بن عاشور، "مقاصد الشريعة الإسلامية"، ت: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1425م-2005هـ، دط.

❖ محمد العيد آل خليفة، "ديوان محمد العيد آل خليفة"، دار الهدى، عين مليلة – الجزائر، دت، دط.

❖ محمد المبارك، "القرآن مصدر للثقافة والفكر ومنطلق للعلوم الإسلامية"، مجلة الثقافة الإسلامية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، العدد: 05، 1430هـ-2009م.

❖ محمد أمان الجامي، " الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه"، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1408هـ، ط1.

❖ محمد أمان الجامي، "استيعاب المقاصد واتمام الفوائد في شرح كتاب القواعد"، فؤاد آل زيتوني، مكتبة الإمام الزهري، الجزائر، 1442هـ-2020م، ط1.

❖ محمد بن إسماعيل البخاري، "الأدب المفرد"، ت: محمد فؤاد عبد الباقي دار البشائر الإسلامية، 1409هـ-1989م، دط.

❖ محمد بن إسماعيل البخاري، "صحيح البخاري"، دار طوق النجاة - بيروت، 1422هـ، ط1.

❖ العثيمين: محمد بن صالح ، "القواعد المثلى في أسماء الله وصفاته الحسنى"، الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1421هـ-2001م، ط3.

❖ العثيمين: محمد بن صالح ، "تفسير سور الحجرات -الحديد"، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، 1425هـ-2004م، ط1.

❖ محمد بن عبد الرحمن المغراوي، "موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية"، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، النبلاء للكتاب، مراكش-المغرب، 1428هـ-2007م، ط1.

❖ محمد رشيد رضا، "الوحي المحمدي"، دار الكتب العلمية، بيروت، 1426هـ-2005م، ط1.

❖ محمد رواس قلعجي – حامد صـــادق قنيبي، "معجم لغة الفقهاء"، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 1408هـ-1988م، ط2.

❖ محمد سعيد رمضان البوطي، "الإسلام ومشكلات الشباب"، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة-الجزائر، دط، دت.

❖ محمد سيد طنطاوي، "التفسير الوسيط"، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، 1997م، ط1.

❖ محمد شلتوت، "الإسلام عقيدة وشريعة"، دار الشروق مصر، 1421هـ-2001م، ط8.

❖ محمد شلتوت، "إلى القرآن الكريم"، دار الشروق، مصر، 1403هـ-1983م، دط.

❖ محمد شلتوت، "تفسير القرآن الكريم"، دار الشروق، القاهرة، 1401هـ-1981م، ط9.

❖ العثيمين: محمد صـــالح ، "تفســير الفاتحة والبقرة"، دار ابن الجوزي، م ع الســعودية، 1423هـ، ط1.

❖ محمد علي الصابوني، "روائع البيان تفسير آيات الأحكام"، مكتبة الغزالي – دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت، 1400هـ-1980م، ط3.

❖ محمد علي الصـلابي، "الوسـطية في القرآن الكريم"، مكتبة الصـحابة، الشـارقة – الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة – مصر، 1422 هـ - 2001 م، ط1.

❖ محمد علي الصـلابي، "الوسـطية في القرآن الكريم"، مكتبة الصـحابة، الشـارقة – الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة – مصر، 1422 هـ - 2001 م، ط1.

❖ محمد عمر بازمول، "الاســتنباط عند المفســرين"، دار الميراث النبوي، الجزائر، 1439هـ-2018م، دط.

❖ محمد محفوظ، "معجم المؤلفين التونسيين"، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1994م ط2.

❖ محمد ميارة، "المورد المعين"، ت: رابح زرواتي، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، 1432هـ-2011م، ط1.

❖ محمد هشـــام طاهري، "التبيان في أنواع علوم القرآن"، دار الإمام مســلم للنشــر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1442هـ-2021م،ط1.

❖ مصـطفى حلمي، "الأخلاق بين الفلاسـفة وعلماء الإسـلام"، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، 1424هـ-2004م، ط1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

❖ محمد ناصر الدين الألباني، "تخريج أحاديث حقوق النساء في الإسلام"، المكتب الإسلامي – بيروت، 1404هـ، دط.

❖ محمد ناصر الدين الألباني، "سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء في الأمة"، دار المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية، 1412هـ-1992م، ط1.

❖ محمد ناصر الدين الألباني، "صحيح الترغيب والترهيب"، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، 1421هـ-2000م، ط1.

❖ محمد ناصر الدين الألباني، "صحيح الجامع الصغير"، المكتب الإسلامي، بيروت، 1408هـ-1988م، ط3.

❖ محمد ناصر الدين الألباني، "غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام"، المكتب الإسلامي – بيروت، 1405هـ، ط3.

❖ محمود شلتوت، "من توجيهات الإسلام"، دار الشروق، مصر، 1424هـ-2004م، ط8.

❖ مركز تفسير للدراسات القرآنية، "موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم"، مركز تفسير للدراسات القرآنية، م ع السعودية، 1440هـ-2019م، ط1

❖ مساعد بن سليمان الطيار، "تفسير جزء عم"، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1430هـ، ط8.

❖ مسلم بن الحجاج النيسابوري، "الجامع الصحيح /صحيح مسلم"، ت: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري وآخرون، دار الطباعة العامرة – تركيا، 1334هـ.

❖ مصطفى السباعي، "من روائع حضارتنا"، دار السلام للنشر والتوزيع والنشر، مصر، 1426هـ-2005م، ط2.

❖ مصطفى صادق الرافعي، "وحي القلم"، دار الكتب العلمية، لبنان، 1421هـ-2000م، ط1.

❖ نصر سلمان، سعاد سطحي، "منهج البحث العلمي في العلوم الإنسانية والإسلامية"، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة-الجزائر، 2013م، ط2.

❖ مقاتل بن سليمان البلخي، "الوجوه والنظائر"، ت: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، لبنان، 1429هـ، ط1، ص65.

❖ مقبل بن هادي الوادعي، "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"، دار الآثار – صنعاء، اليمن، 1428هـ-2007م، ط4.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

❖ المنفلوطي، "المجموعة الكاملة"، ت: مجيد طراد، شركة دار مكتبة المعارف-ناشرون، بيروت لبنان، 2017، ط2.

❖ مهدي رزق الله أحمد، "السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصيلة"، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض- المملكة العربية السعودية، 1437هـ-2016م، ط5.

❖ موريس بوكاي، "التوراة والإنجيل والقرآن والعلم"، ترجمة: الشيخ حسن خالد، المكتب الإسلامي، دمشق، 1411هـ-1990م، ط3

❖ موريس بوكاي، "التوراة والإنجيل والقرآن والعلم"، ترجمة: الشيخ حسن خالد، المكتب الإسلامي، دمشق، 1411هـ-1990م، ط3.

❖ نخبة من العلماء، "التفسير الميسر"، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف — السعودية، 1430هـ-2009م، ط2.

❖ النسائي، "السنن الكبرى"، ت: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة — بيروت، 1421هـ-2001م، ط1.

❖ الواقدي، "المغازي"، ت: مارسدن جونس، دار الأعلمي - بيروت، 1989/1409م، ط3.

❖ وصفي عاشور، "نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم"، مفكرون للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1440هـ-2018م، ط1.

❖ ومحمد بن سعد، "الطبقات الكبرى"، المحقق: إحسان عباس، دار صادر — بيروت، 1968م، ط1.

❖ وهبة الزحيلي، "أصول الفقه الإسلامي"، دار الفكر، دمشق-سورية، 1440هـ-2019م، ط22.

❖ وهبة الزحيلي، "الإسلام والإيمان والإحسان/ موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر"، دار المكتبي، سورية،1427هـ-2007م، ط1، ج1ص46.

❖ وهبة الزحيلي، "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج "، دار الفكر (دمشق - سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، 1411هـ-1991م، ط1.

❖ وهبة الزحيلي، "التفسير الوسيط"، دار الفكر — دمشق، 1422هـ، ط1.

❖ وهبة الزحيلي، "القرآن الكريم بنيته التشريعية وخصائصه الحضارية"، دار الفكر، دمشق، 2013م، ط4.

❖ يوسف القرضاوي، "الخصائص العامة للإسلام"، شركة الشهاب، الجزائر، دت، دط.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: البحوث والرسائل الجامعية

❖ محمد محمد عبد الغفور،"الجمال في ضوء السنة النبوية"، بحث رسالة ماجستير، اشراف: إسماعيل سعيد رضوان، قسم الحديث الشريف وعلومه، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، 1430هـ-2009م.

❖ محمد بن جمعة العمراني، " الجمال في القرآن الكريم دراسة موضوعية"، رسالة مقدمة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير (غير منشورة)، إشراف نايل ممدوح أبو زيد، قسم أصول الدين، جامعة مؤتة، 2012م.

❖ أمل بنت عبد الله آل عبد السلام، "الخير في القرآن الكريم –دراسة موضوعية–"، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه، 1432هـ-1433هـ.

❖ مزنة عبد العزيز علي اللحيدان، "منهج الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تقرير القيم الإسلامية –دراسة تحليلية–"، رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، تخصص الثقافة الإسلامية، 1442هـ-1443هـ.

ثالثا: المواقع الالكترونية

- سيد قمني، تبسيط مفهوم القيم، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=212224&r=0، تاريخ الاطلاع: 06-10-2019م.
- "وهبة الزحيلي.. في ذمة الله"، في موقع اسلام ويب:
- https://www.islamweb.net/ar/article/206125/%D9%88%D9%87%D8%A8%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B2%D8%AD%D9%8A%D9%84%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%B0%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87
- تاريخ الاطلاع: 30-01-2023م.
- الموقع الرسمي صالح آل الشيخ: https://saleh.af.org.sa/ar/node/132.
- الموقع الرسمي للشيخ تقي الدين الهلالي: http://www.alhilali.net/

- تقي الدين الهلالي، "القرآن والثقافة العربية"، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، العدد 43، رابط المقال على موقع المجلة: http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/993 تاريخ الاطلاع: 2021/02/01م.
- ابن باز، "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب صلاح الأمة ونجاتها"، الموقع الرسمي: https://binbaz.org.sa/discussions/136 تاريخ الاطلاع: 2021/02/09م.
- سيد قمني، تبسيط مفهوم القيم، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=212224&r=0، تاريخ الاطلاع: 06-10-2019م.
- مقال في موقع ويكيبيديا:
- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9_(%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9)
- عبير سهام مهدي، " النزعة الإنسانية في الفكر السياسي الغربي المعاصر"، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية:
- https://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=135879
- تاريخ التحميل والاطلاع: 2020/08/09.
- عفاف بنت يحيى آل حريد، "علامات في سماء الوسطية"، كتاب نشر في موقع الإسلام التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، بدون بيانات: www.al-islam.com.
- عطية محمد سالم، دروس في تفسير سورة الحجرات، الدرس رقم: 04، رابط الدرس: https://www.islamweb.net/ar/fatwa/68367/
- فاضل سليمان، "قيم إنسانية أم سنن إلهية؟"، محاضرة الصفحة الرسمية على اليوتيوب؛ تحت الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=vXoOZZF88iM، تاريخ الإطلاع: 07-06-2020.
- صالح بن فوزان الفوزان، "الوسطية في الإسلام"، محاضرة منشورة على الموقع الرسمي للشيخ: https://www.alfawzan.af.org.sa/ar/node/2345 تاريخ الإطلاع: 2021/02/07م.

- محمد سعيد رسلان، "تحديد الصلة بين المدنية الحديثة والإسلام، وبيان أن العلم الحديث قرآني في موضوعه"، محاضرة منشورة في موقعه: https://www.rslan.com/vad/items_details.php?id=4219، تاريخ الاطلاع: 22-12-2020.
- موقع قمار: "رسالة الشيخ محمد الطاهر التليلي إلى هيئة تحرير المنبر الثقافي – الجمعية الثقافية بقمار"،
- https://guemar.org/%d8%b1%d8%b3%d8%a7%d9%84%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d8%b4%d9%8a%d8%ae-%d9%85%d8%ad%d9%85%d8%af-%d8%a7%d9%84%d8%b7%d8%a7%d9%87%d8%b1-%d8%a7%d9%84%d8%aa%d9%84%d9%8a%d9%84%d9%8a-%d8%a5%d9%84%d9%89-%d8%a7%d9%84%d9%84%d9%84/
- تاريخ الاطلاع: 2022/08/27م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ
الفصل الأول: القيم في القرآن الكريم	1
المبحث الأول: التعريف بالقيم الإنسانية القرآنية	4
المطلب الأول: المعنى اللغوي للقيم	6
المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي للقيم	10
المطلب الثالث: تعريف بالقيم الإنسانية	15
المطلب الرابع: تعريف بالقيم الإنسانية القرآنية	20
المبحث الثاني: القيم عند المفسرين	24
المطلب الأول: موقف المفسرين من القيم موضوعا ومصطلحا	26
المطلب الثاني: النزعة الإنسانية في القرآن وتفاسيره المعاصرة	35
المطلب الثالث: خصائص القيم في القرآن الكريم	60
المطلب الرابع: الإنسانية وحاجتها إلى القرآن الكريم	70
المبحث الثالث: مشكلة القيم ومكانها في كتب التفسير	76
المطلب الأول: ميلاد نظرية القيم	78
المطلب الثاني: تفسير القيم	80
المطلب الثالث: مكونات القيم	103
المطلب الرابع: تقسيم القيم	110
المبحث الرابع: القيم في علوم القرآن ومقاصده	113
المطلب الأول: دور القرآن الكريم في صناعة وحراسة القيم	115
المطلب الثاني: القيم في العقائد القرآنية	121
المطلب الثالث: القيم في الشرائع القرآنية	132
المطلب الرابع: القيم في النظام الاجتماعي القرآني	144
المطلب الخامس: القيم في العلاقات السياسية	153

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني: قيم الحق في التفاسير المعاصرة 161
المبحث الأول: التعريف بقيم الحق 163
المطلب الأول: المعنى اللغوي 165
المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي 166
المطلب الثالث: الحق في الاستعمال القرآني 168
المبحث الثاني: مقاييس الحق 172
المطلب الأول: الفطرة 174
المطلب الثاني: العلم 182
المطلب الثالث: الحكمة 193
المطلب الرابع: النظر والتفكر 198
المبحث الثالث: واجب الانسانية نحو الحق 209
المطلب الأول: التحلي بالحق والثبات عليه 211
المطلب الثاني: بيان الحق وحرمة كتمانه 216
المطلب الثالث: نصرة أهل الحق 224
المبحث الرابع: الصوارف عن الحق 226
المطلب الأول: فساد الفطرة 229
المطلب الثاني: التقليد والتقصير في تحري الحق 231
المطلب الثالث: الافتتان بالأموال والأولاد والرياسة 240
المطلب الرابع: الكبر والعناد 241
المبحث الخامس: الحق في علوم القرآن 243
المطلب الأول: الله هو الحق 245
المطلب الثاني: النبي صلى الله عليه وسلم حق و القرآن حق 252
المطلب الثالث: اليوم الآخر حق 256
المطلب الرابع: الحق في الشرائع 260
الفصل الثالث: قيم الخير في التفاسير المعاصرة 266
المبحث الأول: مدخل إلى قيم الخير 268
المطلب الأول: تعريف الخير 270
المطلب الثاني: الخير في القرآن الكريم 272

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث: الترغيب في الخير في القرآن الكريم 278
المبحث الثاني: مقاييس الخير 283
المطلب الأول: الفطرة والوجدان 285
المطلب الثاني: الوحي الإلهي 289
المطلب الثالث: العقل 293
المطلب الرابع: العرف الاجتماعي 297
المبحث الثالث: الواجب الإنساني نحو قيم الخير 300
المطلب الأول: الدعوة إلى الخير 302
المطلب الثاني: الخير حلية المسلم 307
المطلب الثالث: مصاحبة أهل الخير 313
المطلب الرابع: اجتناب الشر والفساد 315
المبحث الرابع: الخير وما يضاف إليه 319
المطلب الأول: الخير مضاف إلى الله تعالى 321
المطلب الثاني: الخير مضاف إلى اليوم الآخر 324
المطلب الثالث: الخير في الشريعة القرآنية 327
الفصل الرابع: قيم الجمال في التفاسير المعاصرة 331
المبحث الأول: مدخل إلى قيم الجمال 333
المطلب الأول: التعريف اللغوي 335
المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي 336
المطلب الثالث: الجمال في القرآن الكريم 344
المبحث الثاني: مقاييس الجمال في التفاسير المعصرة 347
المطلب الأول: الجبلة والفطرة 350
المطلب الثاني: الوحي الرباني 353
المطلب الثالث: الذوق والوجدان 356
المبحث الثالث: من ميادين الجمال في القرآن 359
المطلب الأول: الجمال الإلهي 361
المطلب الثاني: جمال الكون 364
المطلب الثالث: الجمال الإنساني 373

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة	382
الفهارس	386

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

People's Democratic Republic of Algeria

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Amir Abd-el-Kader University of Islamic Sciences Constantine

Faculty of Religion Foundations

Ordinal Number :

Identification Number:

Department of the Book and the Sunnah

Specialty: Interpretation and the sciences of the Qur'an

Quranic human values in contemporary interpretations

Thesis submitted for academic doctoral sciences/LMD in

Interpretation and the sciences of the Qur'an

Elaborated by the student

BOUTALBI FAICEL

Supervised by Doctor.

THABET ABD EL-AZZIZ

The discussion jury members

Name and First Name	Function	Scientific Rang	Original University
Lekhchine Radouane	President	MCA	Amir Abd-el-Kader University of Constantine Islamic Sciences
Thabet Abd El-Azziz	Supervisor	MCA	Amir Abd-el-Kader University of Constantine Islamic Sciences
Khaniche Mourad	Examiner	MCA	Amir Abd-el-Kader University of Constantine Islamic Sciences
Chekima Abd Elkader	Examiner	MCA	University Hemma Lakhdar Elouad
Mnessar Abas	Examiner	MCA	University Hemma Lakhdar Elouad
Belbia Ahmed	Examiner	MCA	University Hadj Lakhdar Batna

University year: 1443 -1444h / 2022-2023